(فهرست كتاب نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز صلى الله عليه وسلم)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت فهرست كتاب نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز)
(صلى الله عليه وسلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمداً لمن أسعد نبيه بأعلى درجات التشريف وأصعده إلى أسنى مدارج التعريف ونسخ
بشريعته الشريفة ودينه القويم شرائع من تقدمه من الأنبياء والمرسلين صلوات
الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وعلى آله الذين ساروا ركائب سيرته الحسنى في سائر
الآفاق وفسروا بالوجه الأسنى [illegible] الطريقة المثلى (أما بعد)
فلما صار الشروع في الجزء الثاني من كتاب توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق
بني إسماعيل تبين لي أنه لا غنى عن توشيحه بالسيرة النبوية واستنبطت ذلك من صحيح
[illegible] تعالى [illegible] الإسلام [illegible] أهل الوطن [illegible]
[illegible]
[illegible] وأهدي [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لا يطربون سوى بذكر حبيبهم * أبدا فكل زمانهم أفراح

آخر

اذا تلفظت لم أنطق بغيركمو * وان سكت فأنتم عقد إضماري

فكانت هذه السيرة كما قيل

ميادين تهيامي ومسرح خاطري * وللشوق غايات بها ومبادي

وسميتها باسم امداد [illegible] في سيرة ساكن الحجاز هذا ومع أن الجزء الاول طبع بالمطبعة العامرة الكبرى فقد بادر سعادة أفندم علي باشا مبارك الحارس للمعارف بافراد هذه السيرة [illegible] لنشرها في روضة المدارس وهذا لا يمنع من طبع الجزء الثاني بانطباع اوامره عند تمامه ليكون صنو الاول في حسن نظامه

(المقالة الخامسة)

في ظهوره صلى الله عليه وسلم وأحواله وتنقلاته ووفاته وانه [illegible] وذكر الخطط والعمالات الاسلامية التي كانت في عهده صلى الله عليه وسلم الى استخلاف أبي بكر رضي الله عنه وفيه أبواب

(الباب الاول في ولادته الشريفة الى بعثته صلى الله عليه وسلم وفيه فصول)

(الفصل الاول في مولده الشريف ونسبه المنيف ورضاعه وكفالته)

هو ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي قيل فيه

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

فهذه الاجداد في هذا النسب الى عدنان وما فوق ذلك مختلف فيه ولا خلاف في ان عدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وانما الخلاف في عدد ما بين عدنان واسماعيل من الآباء مقل ومكثر وكذلك من ابراهيم الى آدم علم ذلك [illegible] لا يعلم حقيقته الا الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وقد أجمع العلماء [illegible] [illegible] الى ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام [illegible]

[illegible] اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فانتهاء النسب الى اسماعيل كنبي
[illegible] وذو النبوة العظمى والملك الشديد متفق عليه كمال الاتفاق

وأما امه صلى الله عليه وسلم فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فتجتمع آمنة بنت وهب مع زوجها عبد الله بن عبد المطلب في كلاب بن مرة [illegible] من ولده فعبد الله من ولد قصي بن كلاب بن مرة هاشمي وآمنة بنت وهب من زهرة بن كلاب بن مرة فهي قرشية زهرية

وهو صلى الله عليه وسلم مصباح الكون وضياؤه وخير بني آدم لانه من نور الله فان الله عز وجل حين خلق آدم عليه السلام وأكمل نشأته واستخرج في عالم الذر من ظهره ذريته وأشهدهم على أنفسهم لاحت أنوار الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكان نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشدهم ضياء وأنورهم التهابا فلم يزل نوره صلى الله عليه وسلم [illegible] في كل الازمان ينتقل باهر الضياء من خير الآباء الى خير الابناء حتى انتهى الى كبير مكة وقريش في الجاهلية عبد المطلب بن هاشم ثم الى ابيه عبد الله الذبيح الثاني والد النبي المجتبى أبي القاسم أشرف الناس [illegible] وعربا ذي القدر العلي والفضل الجلي ابي [illegible] الذي نقله الله من الاصلاب [illegible] الى الارحام الطاهرة [illegible] السلام انه قال لم ازل [illegible] ثم لم تزل تنازعني [illegible] (أي تنازعني) كابرا عن كابر حتى خرجت [illegible] من بني هاشم [illegible] زهرة

[illegible]

[illegible]

[illegible] ابراهيم خليل الله [illegible] قال صلى الله عليه وسلم [illegible]

(في سيرة ساكن الحجاز)

نسب أضاء وشمسه من هاشم * وسماؤه من يعرب ونزار
من معشر ورثوا السياده كابرا * عن كابر فهم كبار كبار

ومن كلام عمه أبي طالب

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أنساب عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

وولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين حين طلع الفجر وهو وقت البركة كما قال صلى الله عليه وسلم بورك لأمتي في بكورها الاثني عشره ليلة خلت من شهر ربيع الأول على المشهور واختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالأكثرون على أنه عام الفيل وبه قال ابن عباس وحكى الاتفاق عليه قيل وكل قول يخالفه وهم والمشهور أنه بعد الفيل بخمسين يوما وإليه ذهب السهيلي في جماعة وقيل غير ذلك ويوم الاثنين كانت هجرته ووفاته وكذا الإسراء به قيل وابتداء نبوته فلهذا صارت أيامه مبتهجة النعوت والليالي مسرفة بالنور وكان صلى الله عليه وسلم معتدل الخلق والخلق كما هو مشهور وكانت ولادته في زمن الملك العادل كسرى أنوشروان وهو [illegible] من ملوك الفرس وموضوع حديث أنا ولدت في زمن الملك العادل كسرى أنوشروان لا تجمع من وصف كسرى بالعدل فقد ذكر الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب التبر المسبوك في نصائح الملوك أن الخالق جلت قدرته أرسل نبيه في أسعد وقت وأوان فيه خير الملوك فكان الملك في ذلك الزمان كسرى أنوشروان وانه فاق جميع الملوك بعدله وسياسته وذلك كله ببركة قدوم سيد الكائنات وأشرف الموجودات ووصف كسرى بالعدل وإطلاق العدل [illegible] الشهادة له بذلك [illegible] الفرس فإنه كان عادلا [illegible] رسول الله [illegible]

[illegible]

السلام حين بنى الكعبة دعا لاهل مكة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى عليه السلام فى قوله تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وأخرج من حديث عمرو بن مرة قال خمسة سموا قبل ان يكونوا محمد بقوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ويحيى بقوله إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى وعيسى بقوله مصدقا بكلمة من الله واسحاق ويعقوب بقوله فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وانما سمى فى بشارة عيسى باسم أحمد مع ان اسمه الذى سماه به جده عبد المطلب محمد رجاء أن يحمد فى السموات والارض وقد حقق الله رجاءه كما سبق فى علمه لان أحمد فى الحقيقة أبلغ من محمد كما ان أحمر وأصفر أبلغ من محمر ومصفر قال صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء انا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله رؤفا رحيما وقد ذكر الحافظ ابن سيد الناس اليعمرى فيما وافق من اسماء الله الحسنى لاسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصيدة له فقال

وجلاه من حسنى أساميه جملة * أتى ذكرها فى الذكر ليس يبيد
وفى كتب الله المقدس ذكرها * وفى سنة تأتى بها وتعيد
رؤف رحيم فاتح ومقدس * أمين قوى عالم وشهيد
ولى شكور صادق فى مقاله * عفو كريم بالنوال يعود
ونور وجبار وهاد من اهتدى * ومولى عزيز ليس عنه محيد
بشير نذير مؤمن ومهيمن * خبير عظيم بالعظيم يجود
وحق مبين آخر أول معا * الى ذروة العلياء وهو وليد
فآخر أعنى آخر الرسل بعثة * وأول من ينشق عنه صعيد
أسام بها سمع إذا ما عددت * نعوت ثناء والثناء عديد

ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم طه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله فى قوله تعالى وانه لما قام عبد الله ونبى التوبة ونبى الرحمة ومذكر فى قوله تعالى انما انت مذكر الى غير ذلك من الاسماء روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر

اذا

ماذا بأعجب من جعله عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وان موسى نجى الله وان عيسى روح الله وكلمته وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر انتهى فقوله صلى الله عليه وسلم ألا وأنا حبيب الله اراد صلى الله عليه وسلم المحبة العامة التى منها توحيد المحبة وهى الخلة الخاصة فهو صلى الله عليه وسلم حبيب وخليل حيث تخللت المحبة الموحدة فى جميع أجزاء روحه صلى الله عليه وسلم كما قيل

قد تخللت موضع الروح منى * وبذا سمى الخليل خليلا

لاسيما وانه قد صح ان الله اتخذ نبينا خليلا فحصل له من الانعام الحب العام على الخاص والعام كما قيل

حلت مهجة ... * ... الوادبان كلاهما

ولا نظر لزعم من لا علم عنده ان الحبيب أفضل من الخليل محتجا بأن محمدا حبيب الله وابراهيم خليل الله وقد علمت ما يفيد خلاف ذلك لما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفى الحديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا فلم يتخذ أبا بكر الا حبيبا على ان المحبة فى ذاتها أفضل من الخلة كما هو التحقيق لان الحبيب من يحب بلا امتحان والخليل من يمتحن ليحب ولانه صلى الله عليه وسلم وصف بالحبيب وان كان خليلا وابراهيم عليه السلام وصف بالخلة وهو حبيب لصدق تعريف الحبيب عليه ولاهل الاشارات مشرب آخر حسن فى مغايرة المحبة والخلة وتفضيل الاولى على الثانية حيث قالوا انما ترى الخليل بواسطة وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب بدونها فكان قاب قوسين أو أدنى وقد علمت ان لا حاجة الى ذلك لعموم المحبة ودخولها فى اوان هذه الاشارة الصوفية ...

... سيدنا ابراهيم عليهما الصلاة والسلام

وقد ... الله تعالى كل واحد من أنبيائه بكرامة فأكرم آدم عليه السلام بسجود ... الملائكة ... وأكرم نوحا عليه السلام باجابة الدعوة ... على

الارض من الكافرين ديارا وموسى عليه السلام بالكلام وكلم الله موسى تكليما وابراهيم عليه السلام بالخلة واتخذ الله ابراهيم خليلا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه بالآية يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

وقوله انا سيد الاولين والآخرين إخبار عما أكرمه الله به من الفضل والسودد وتحدث بنعمة الله تعالى عليه وإعلام لأمته ليكون إيمانهم به على حسب موجبه ولذا أتبعه بقوله ولا فخر والمعنى هذه الفضيلة التى نلتها كرامة من الله لم أنلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان أفتخر بها ولا يعارض هذا ما في الحديث انه جاءه رجل فقال له انت سيد قريش فقال السيد الله أي هو الله الذي يحق له السيادة اذ هو محمول على انه كره ان يحمد في وجهه وأحب التواضع وكذلك ما روى عنه عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على يونس ابن متى أي تفضيلا يؤدي الى تنقيصه والا فهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم على الاطلاق وقد روى عن على رضى الله عنه قال سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هبط علي جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان لكل شيء سيدا فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن وسيد القرآن سورة البقرة

وقد اختصه الله سبحانه وتعالى من أطيب العشائر نكاحا وحماه من دنس الفواحش والسفاح ونقله من اصلاب طاهرة الى ارحام متبرئة بشهادة وتقلبك في الساجدين فكان نور النبوة ظاهرا في آبائه لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصر نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتفرده نهاية فلا يشاركه فيه ولا يماثل فانه لثمات أبواه في صغره فهو سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل ولا مستبذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وبعضهم

نقل أحمد نورا مبينا * تلألأ في وجوه الساجدينا
تقلب فيهم قرنا فقرنا – الى ان جاء خير المرسلينا

وروى عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية

الامهات من جهة الاصلين اى أمهات أبيه وامه وأمهات آبائهم وامهاتهم لامكان
السنين التي تحسب فيها الاجيال وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني أبي
وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شئ ومن ثم ورد عن ابن عباس مرفوعا لم يلتق أبواي
قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى
مهذبا لا يتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما وبالجملة فكان نكاح اصول النبي صلى
الله عليه وسلم كنكاح الاسلام في انه بايجاب وقبول وان لم يكن مستجمعا للشروط التي
اعتبرت فيما بعد في نكاح الاسلام لان استيفاء شروطه الاسلامية كان على سبيل
الاتفاق دون القصد أو المراد كنكاح الاسلام في الجملة لان اسلام الولي أو عدالته امر
متعذر قبل الاسلام خصوصا أيام الجاهلية فنكاح أصوله صلى الله عليه وسلم منزه عن
السفاح أي الزنا واتخاذ الاخدان وما كانوا عليه في الجاهلية من نحو نكاح زوجة الاب
حيث انهم كانوا في الجاهلية اذا مات الرجل منهم وخلف أولادا كبارا وصغارا فالكبار
يتزوجون بزوجة أبيهم وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم مبرأ مما كانت تستعمله العرب
في الجاهلية من أنواع السفاح التي لا تعد في الاسلام نكاحا

فقد كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء * الاول نكاح كنكاح الناس اليوم أي
بايجاب وقبول * الثاني نكاح البغايا وهو أن يطأ البغي جماعة متفرقون واحدا بعد
واحد فاذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن غلب عليه شبهه منهم * الثالث نكاح
الاستبضاع وذلك ان المرأة كانت في الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها
أرسلي الى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها فاذا
حملت أصابها زوجها اذا أحب * الرابع نكاح الجمع وهو أن تجمع جماعة دون
العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤها فاذا حملت ووضعت
ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا
عندها فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من
أحبت منهم فيلحق به ولدها فلا يستطيع أن يمتنع منه الرجل ولكن شبهه
فنكاح آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهاته كان من قبيل القسم الأول وتنزه عما
سواه فقد طهره الله عن ادناس الجاهلية [illegible] الجاهلية النجسة حتى [illegible]
[illegible]

المسدد المعصوم في البداية والنهاية وكم قد ذكر له في الصغر وقبل النبوة وبعدها من آيه وهبة من أعظم العناية به صلى الله عليه وسلم حيث اجرى الله سبحانه وتعالى نكاح آبائه عليه السلام الى ان أخرجه صلى الله عليه وسلم من بين أبويه على نمط واحد وفق شريعته ولذلك قال الامام السبكي ان الانكحة الواقعة في نسبه صلى الله عليه وسلم كلها مستجمعة لشروط الصحة كأنكحة الاسلام قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر

وما نقل عن أبي المنذر انه قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر العزى يوما فقال لقد أهديت للعزى شاة عفراء وأنا على دين قومي فكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافتراء عليه حيث قد أطبق الاجماع على انه صلى الله عليه وسلم لم يتدنس هو ولا آباؤه مما كانت عليه الجاهلية وما أقبح من يروم التصنيف ويجعل في مصنفه مثل هذا الكذب القبيح فانه ينادي على نفسه بعدم المعرفة والاتصاف بالجهالة والسفه ولم يكن شيء مثل ذلك الا لكفار قريش حيث كانوا يطوفون بالكعبة ويقولون واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فانهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ولم يثبت شيء من ذلك في حق أحد من آبائه صلى الله عليه وسلم على عمود النسب وقد فسر العلماء قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين أي يرى تقلبك وأنت نور في أظهر الساجدين يعني في اصلاب وارحام المؤمنين من لدن آدم وحواء الى عبد الله وآمنة فعلى هذا جميع اصوله رجالا ونساء مؤمنون ثم أورد على هذا آزر أبو ابراهيم فانه على دين قومه بمقتضى الآيات وأجابوا عنه بجوابين احدهما انه كان عم ابراهيم لا أباه وتسميته أبا على عادة العرب من تسمية العم أبا وثانيهما ان آباءه صلى الله عليه وسلم لم يدخلهم الشرك ذكورا واناثا ما دام النور المحمدي في الذكر والانثى فاذا انتقل منه الى بعده أمكن ان يعبد الله وغيره وآزر ما عبد الاصنام الا بعد انتقال النور منه لابراهيم عليه السلام وأما قبل فلم يعبد غير الله وهذا الجواب الثاني المقيد لتنزه النور المحمدي عن ان يكون قد حل في أصل غير طاهر ما دام ساكنا فيه فهو وان استحسنه بعض العلماء الا انه لا يخلو من خلل بالفساد كيف يسكن النور المحمدي في صلب طاهر ورحم نقي ثم يحدث الاصل بانتقال النور فيه ذاما لا يليق بلفظ الساجدين الذي عبر به عن المؤمنين لكن للمبالغة في التجوز عن المؤمنين الى الاصلين ثم الى الساجدين ولو فسر قوله وتقلبك في الساجدين بما قد يشير اليه بعض المفسرين بقوله انه اراد تعالى تقلبك في اصلاب الانبياء

من نبي الى نبي حتى أخرجتك في هذه الامة انتهى ورد على هذا التفسير [illegible] وانما يكون المراد بالساجدين آباؤه من الانبياء فقط مع ان القصد التعميم ولكن لا مانع من ان يكون المراد بالآباء الساجدين الذين أولهم ابراهيم عليه السلام صاحب الملة الحنيفية ويؤيده ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وقوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام وقوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي فلن يزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله وورد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه قال الاخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده انتهى وهذا كله اذا فسرنا الآية بهذا التفسير المعقول المعنى الذي نسبه الفخر الرازي عنا للشيعة مع انه منقول عن أهل السنة كما يعلم ذلك من اطلع على التفاسير الاخرى القرآنية وياليت ذلك الامام عضد تفسير الآية بخبر لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات بل قال انه خبر آحاد فلا يعارض القرآن فالذي يجب اعتقاده طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم ولا يرد على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب الذي نزل فيه قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت الآية يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله تعالى فقال يا ابن أخي قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ثم أنشد

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت فيه أمينا

ولكن سوف أموت على ملة أشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف انتهى لانه لا يبعد أن تكون ملة عبد المطلب وهاشم وعبد مناف هي ملة ابراهيم حيث هم من أصوله [illegible] يحكى عن هشام بن الكلبي انه قال لما احتضر ابو طالب جمع اليه وجوه قريش فأوصاهم فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه الى ان قال واني أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء [illegible] بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كأني انظر الى صعاليك العرب وأهل [illegible] [illegible] قد أطاعوا دعوته [illegible]

كلمة وأعضلوا أمره فخاض جم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها
أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم
منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها
يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد ولا
يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي هذه مدة ولأجلي تأخر لكففت عنه
الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم مات وكان موته قبل الهجرة بثلاث سنين وأربعة أشهر
قبل موت خديجة رضي الله عنها بثلاثة أيام وله من الولد طالب ومات على دين قومه
وعقيل وجعفر وعلي ومن الاناث ثنتان أم هانئ واسم أم هانئ فاختة وقيل هند
وقيل فاطمة وجمانة اسلموا ولهم صحبة وأمهم جميعا فاطمة بنت أسد بن هاشم
والعقب من أبي طالب في ثلاثة أبطن وهم العلويون أولاد علي والجعفريون أولاد
جعفر والعقيليون أولاد عقيل

وعلى كل حال فالحذر كل الحذر من ذكر أبوي النبي صلى الله عليه وسلم بما فيه نقص فان
ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بأنه اذا ذكر أبوا الشخص بما
ينقصه تأذى ولده بذلك عند المخاطبة كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة
قال جاءت سبيعة بنت أبي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان
الناس يقولون أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب
فقال ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي ومن آذاني فقد آذى الله وقد قال عليه الصلاة
والسلام لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات ولا ريب ان ايذاءه كفر يقتل فاعله
ان لم يتب خصوصا وان أبواه صلى الله عليه وسلم ناجيان لانهما من أهل الفترة وأهل
الفترة ناجون وان عبدوا الاصنام الا أفرادا علم الله فيهم أمرا فحكم عليهم بالكفر
كحاتم الطائي وامرئ القيس والفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقد دلت
الا ولة على انه لا يعذب حتى تقوم الحجة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وان حياتهما له عام حجة الوداع حتى آمنا بالله ورسوله ونفع الايمان بعد الموت من
خصائصه صلى الله عليه وسلم وليس بممتنع عقلا وشرعا فقد ورد في الكتاب العزيز
احياء قتيل بني اسرائيل واخباره عن قاتله وقصته مشهورة وفي الكتب مسطورة
وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بنص القرآن فأحيا عازر بعد موته بثلاثة أيام
وابن العجوز وهو محمول على سريره وابنة العاشر فعاشوا امدة وولد لهم وكذلك نبينا

صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى ولا غرو فهو أحق بذلك والظن بالله جميل وليس تعجز قدرته عن ذلك فاذا ثبت هذا فلا يمتنع المدعى أى إيمانهما بعد احيائهما و يكون ذلك زيادة فى كرامته وفضله فقول من قال انهما ماتا كفرا لان الايمان بعد الموت غير نافع مردود بما روى فى الخبر ان الله تعالى رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها فلولم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لايتجدد الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون إحياء أبويه نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا بدع أن يكون الله كتب لابوى النبى صلى الله عليه وسلم عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما أى أحياهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الايمان من جملة ما أكرم الله به نبيه عليه الصلاة والسلام وقال بعض الافاضل فى حل هذه المسألة ما لخصه ان أهل الفترة ثلاثة أقسام (الاول) من أدرك التوحيد ببصيرته ومن هؤلاء من لم يدخل فى شريعة كقس بن ساعدة وزيد ابن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل فى شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث (القسم الثانى) من أهل الفترة من بدل وغير فأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثر كعمرو بن لحى وهو أول من سن للعرب عبادة الاصنام وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام وتبعته العرب فى ذلك (القسم الثالث) من أهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى طول عمره على حال غفلة من هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك وحيث انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام وقد ورد فى الاحاديث الصحيحة ما يدل على تعذيب أهل الفترة كحديث رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار ونحو ذلك فيحمل على القسم الثانى من أهل الفترة لكفرهم بما تعدوا به من الخبائث حيث ان الله سبحانه وتعالى سمى جميع هؤلاء من هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحد سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ثم قال ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأما أهل القسم الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو ابن نفيل فقد قال عليه الصلاة والسلام فى كل منهما انه يبعث أمة وحده وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق أحد منهم بالاسلام الناسخ لكل دين وأما أهل القسم الثالث الذين هم أهل

الفترة حقيقة فهم غير معذبين وقال الجلال السيوطي ان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم كانا على التوحيد ودين ابراهيم كما كان كذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل كما يدل عليه قوله

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير

وقس ابن ساعدة وورقة بن نوفل وعمير بن حبيب الجهني وعمرو بن عبسة وجماعة آخرين وهذه طريقة الفخر الرازي وزاد أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم الى آدم على التوحيد لم يكن فيهم شرك وقال الجلال السيوطي أيضا اني لم أدع المسألة اجماعية بل هي مسألة ذات خلاف بحكمها كحكم سائر المسائل المختلف فيها غير اني اخترت أقوال القائلين بالحياة لانه أنسب بهذا المقام وما أحسن كلام الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين بن عبد الله بن محمد الدمشقي المولود سنة سبع وسبعمائة حيث قال في كتابه مورد الصادي بمولد الهادي بعد أن أخرج الحديث في إحياء أمه من طريق الخطيب فصرح بضعف الحديث ولم يلتفت لزعم وضعه وكفى به حجة

حبا الله النبي مزيد فضل * على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وقد رد بعضهم على هذه الابيات بقوله

أيقنت ان أبا النبي وأمه * أحياهما الحي القديم الباري
حتى له شهدا بصدق رسالة * صدق فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

ولئن سلم انه من قسم الضعيف فهو الذي يجوز روايته في الفضائل والمناقب لا من قسم الموضوع وقال أبو القاسم السهيلي في أوائل كتابه الروض الانف بعد ان اورد حديث انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما والله تعالى قادر على كل شيء ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل لان يخصه بما شاء من إكرامه انتهى وقد أيد بعضهم هذا الحديث بالقاعدة التي [illegible] الأئمة [illegible] الأولى [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

ولا يبعد

ولا يبعد على من أنجى الله به الثقلين أن ينجي به الأبوين ولا عبرة باحتجاج المنكر في هذا المقام العظيم بأنه نزل فيهما ولا تسأل عن أصحاب الجحيم فقد تقرر في علوم الحديث أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل الإسناد لا الضعيف ولا المقطوع وسبب النزول لا يعرف له كما قال السيوطي إسناد صحيح متصل ولا ينكر ذلك أحد من المحدثين مع ما ينضم إلى ذلك من بلاغة الخطاب وأن الآيات من قبل ومن بعد كلها في أهل الكتاب فدلت الآية على أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب ويؤيد ذلك أن السورة مدنية خوطب فيها من بني إسرائيل الذرية وأكثر ما خوطب فيها اليهود الناقضون ما في التوراة من العهود على أنه قد قيل بصحة الأحاديث الدالة على أن العرب لم يكفر منهم أحد من عهد إبراهيم إلى عهد عمرو بن لحي الخزاعي فهو أول من عبد الأصنام وغير دين إبراهيم عليه السلام ورآه النبي صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك يجر قصبه في النار أي أمعاءه وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير وفي الروض الأنف لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا وفي دلائل النبوة لأبي نعيم أن كعب بن لؤي أوصى ولده بالإيمان بالنبي قال السيوطي وقال أيضا أما كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم فلم أظفر فيهم بنقل جازم وأما عبد المطلب ففيه خلاف والأشبه أنه من أهل الفترة وممن لم تبلغه الدعوة وقد استشهد القبيل القائل بإيمانه بقوله في قصة أصحاب الفيل

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا * فأمر ما بدا لك

وقد [illegible] ذلك قال المحشي [illegible] والذي [illegible] مكان الحرم وقوله [illegible] والذي يأتي بعد [illegible] الأولى [illegible] المطلب [illegible]

[illegible]

ولا يشكل على ذلك قصة الذبيح فان النذر لا يقتضي عدم الايمان ولا عدم نجاة أهل الفترة وكذلك ارادة الذبح عند الاصنام الموجودة في الكعبة فان هذه محض عوائد لا عقائد كما سيأتي ذكره وبيانها ان عبد المطلب لما أراد حفر زمزم منعته قريش منه وآذاه بعض سفهائهم ولم يكن له ولد الا الحارث فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم قربانا الله تعالى عند الكعبة وقيل سبب ذلك ان عدي بن نوفل بن عبد مناف أبو المطعم قال يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال عبد المطلب اتقول هذا وانما كان نوفل أبوك في حجر هاشم فقال عدي فأنت أيضا كنت عند أخوالك من بني النجار حتى ردك عمك المطلب قال أبالقلة تعيرني فوالله لئن أتاني الله عشرة من الولد الى آخره واحتفر عبد المطلب زمزم هو والحارث فكانت له فخرا وعزا وكثر أولاده واختلف في عدد أولاد عبد المطلب فقيل ثلاثة عشر وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل تسعة فمن قال ثلاثة عشر قال هم الحارث وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والعباس والمقوم وحجل وضرار وقثم وأبو لهب والغيداق فهؤلاء اثنا عشر وعبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم الثالث عشر ومن جعلهم عشرة اسقط عبد الكعبة وقال هو المقوم وجعل الغيداق وحجلا وضرارا واحدا ومن جعلهم تسعة أسقط قثم أيضا وقد أسلم حمزة والعباس وان ابا لهب وأبا طالب ادركا النبوة فمات أبو لهب على دين قومه وذهب الاكثرون الى ان ابا طالب مات أيضا على دين قومه

ولما حفر عبد المطلب زمزم ودله الله عليها وخصه بما زاده بها خطرا وشرفا في قومه وعطلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت وأقبل الناس عليها الالتماس بركتها ومعرفة فضلها لكانها من البيت وانها سقاية الله عز وجل لاسماعيل عليه السلام وتكامل بنوه عشرة وقرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة فرأى في المنام قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا وأمر بذبح كبش وأطعمه الفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ماهو اكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه للمساكين ثم نام فنودي ان قرب ماهو اكبر من ذلك فقال وما هو اكبر من ذلك فقيل له أحد أولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا وجمع أولاده وأخبرهم بذلك وطلب منهم الوفاء بالنذر فأطاعوه وقالوا كيف تصنع قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا (بكسر القاف أي سهما بغير نصل) وليكتب اسمه عليه ثم ليأتني به ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل فدفع عبد المطلب القداح الى القيم فلما أخذ ليضرب قام عبد المطلب عند الكعبة

يدعو الله

يدعو الله ويقول اللهم انى نذرت لك نحر أحدهم وانى أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح فخرج القدح على عبد الله وكان أحب ولده اليه فقبض عبد المطلب يده عليه وأخذ الشفرة وأقبل به الى إساف ونائلة (صنمين عند الكعبة تذبح عندهم الهدايا) فقام اليه سادة قريش من أنديتها وقالوا له ماتريد أن تصنع قال أوفى بنذرى فقالوا لاندعك تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولئن فعلت هذا لايزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه ويكون سنة ولكن انطلق به الى قطبة الكاهنة (والكاهنة التى تخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان وتدعى معرفة الاسرار) وقيل اسمها سجاح على ماذكر ابن اسحاق فلعلها ان تأمرك بأمر فيه فرج لك فانطلقوا حتى أتوها بخيبر وقص عبد المطلب عليها القصة فقالت لهم كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل عشرة أخرى وهكذا حتى يرضى ربكم ويخلص صاحبكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وعشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فقال اللهم أهو أحب اليك أم مائة من الابل والذى فى الامتاع اللهم أهو أحب اليك ام مائة من تلادإبلى وتليد المال وتلاده قديمه ونفيسه فخرجت القداح على عبد الله ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل ففداه بمائة من الابل ولذلك صارت الدية مائة من الابل فنحرت المائة كلها وتركت لايصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع وأول من سن الدية مائة من الابل عبد المطلب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين ويعنى بهما والده عبد الله وجده اسماعيل بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وروى الحاكم أن أعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فتبسم ولم ينكر عليه

فدخول عبد المطلب بالقداح على هبل ودفعها الى الصنم واقباله على اساف ونائلة قصدا لذبح كبده والذبح كل هذا الا يدخل فى تبرئته من عبادة الاصنام فهذه الحركات الصادرة من قبيل العوائد لا العقائد بدليل قوله اللهم انى نذرت لك نحر أحدهم وانى أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت فان هذا أدل دليل على اعترافه بالالوهية مع ماينقل عنه انه كان يجيب الدعوة ويحرم الخمر على نفسه وانه أول من تحنث بحراء وكان اذا استهل رمضان صعد الى حراء وأطعم المساكين وكان يرفع من مائدته الطير والوحوش فى رؤس الجبال ولذلك

اسحاق أن عبد المطلب وجد فى زمزم غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم حين خرجت ووجد فيها اسيافا قلعية وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له فقالوا أنصفت فجعل قدحين اصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو وصاحب القداح يضرب بها فخرج الاصفران على الغزالين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالين فكان أول ذهب حليته الكعبة

القلعية نسبة للقلعة وهي بلد بالهند ينسب اليه الرصاص والسيوف اهـ ق م

وهبل بضم الهاء وفتح الباء صنم اتخذته قريش على بئر فى جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان عنده قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب قدح فيه العقل اذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فان خرج العقل فعلى من خرج حمله وقدح فيه نعم للأمر اذا أرادوه يضرب به فى القداح فان خرج قدح نعم عملوا به وقدح فيه لا اذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فاذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الامر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه اذا أرادوا ان يحفروا الماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به وكانوا اذا أرادوا ان يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحا أو يدفنوا ميتا أو شكوا فى نسب أحدهم ذهبوا به الى هبل وبمائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ثم قالوا يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج لنا الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فان خرج عليه منكم كان منهم وسيطا وان خرج عليه من غيركم كان حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف وان خرج فيه شئ مما سوى هذا مما يعملون به نعم عملوا به وان خرج لا أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ينتهون فى أمورهم الى ذلك مما خرجت به القداح هذا ما ذكره ابن هشام والذى ذكره [illegible] انهم كانوا اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها [illegible]
الثالث غفل فان خرج الآمر [illegible]

أزلامها ثانيا انتهى والقداح جمع قدح بكسر القاف وسكون الدال وهو السهم الذى كانوا يستقسمون به يقال للسهم أول ما يقطع قطع بكسر القاف وسكون الطاء ثم ينحت ويبرى فيسمى بريا ثم يقوم فيسمى قدحا ثم يراش ويركب نصله فيسمى سهما والقداح هنا نعمها وهى الازلام المذكورة فى قوله عز وجل وان تستقسموا بالازلام جمع زلم كجمل وزلم كصرد انتهى

وأما عبد الله فكان أيضا صاحب أمانة وصيانة كما يفهم ذلك من واقعته مع الخثعمية وذلك انه مر بامرأة من خثعم بعد انصرافه مع ابيه عبد المطلب من نحر الابل يقال لها فاطمة بنت مره وكانت من أجمل النساء وأعفهن وكانت كاهنة قد قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان أحسن رجل رؤى فى قريش لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن لما رأت فى وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فأجابها بقوله

أما الحرام فالممات دونه * والحل لاحل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

وفى لفظ فالحمام دونه بكسر الحاء المهملة مما وقيل هو قدر الموت وقضاؤه من قولهم حم كذا أى قدر بالبناء للمفعول والمعنى الموت أيسر من فعل المحرم وقوله أما الحرام سماه حراما وان لم يكونوا اهل شرع لان الزنا مما علموا حرمته من بقايا دين ابراهيم عليه السلام اذ يحتمل ان حرمة الزنا وحل النكاح من الاحكام التى كانت باقية من شريعة ابراهيم عليه السلام لم تتغير وقد صرح بذلك السهيلى وقوله يحمى الكريم الى آخره أى او لم يكن فى هذا الفعل مؤاخذة فالمروءة تمنعه وكرم الكريم وعرضه يمنعانه من فعل ذلك وقال ان الذى [illegible] عرضت نفسها عليه من بنى اسد ابن عبد العزى [illegible] واسمها رقيقة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وقيل رقيقة [illegible] وفتح القاف [illegible] قاف أخرى [illegible] أيضا [illegible] وتكنى أم قتال وهى أخت ورقة بن نوفل رضى الله عنه وقال ابن [illegible] عرضت [illegible] العدوية [illegible] لا يحتمل ان تكون [illegible]

[illegible] أى من النور [illegible] لا يخفى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في قريش حسبا ونسبا وجمالا ولده عبد الله فزوجه اياها ودخل بها مكانه فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم من ليلتها ثم ذكر فاطمة الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه ودعته نفسه فأتاها فقال لها هل لك فيما كنت عرضت على وليس المراد أنها دعته الى طلب الزنا والميل ألبتة فقد علم امتناعه ذلك من قوله يحمى الكريم عرضه وانما المراد أن نفسه دعته ليختبر السبب الحامل لها على ان طلبت منه ما طلب مع جعل المائة من الابل في ذلك الطلب فقالت

لا تطلبن الامر الا مقبلا * قد كان ذاك مرة فاليوم لا

فذهبت أي الجملة مثلا أي سارت مثلا وهو كلام شبه مضربه بمورده ويقال لكل من أذن له في شئ لنيل غرض منه ففوت المأذون له الغرض فامتنع الآذن من تمكين المأذون له من فعل المأذون فيه وقالت أي شئ صنعت بعدي قال وقعت على زوجتي آمنة فقالت والله لست بصاحبة ريبة ولكني رأيت نور النبوة في وجهك فاردت أن يكون ذلك في فأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله فكان يرضى الخلاق و تمسك بمكارم الاخلاق ويدل على ذلك كله واستمرار التوحيد في ذرية ابراهيم واجنبني وبني أن نعبد الاصنام فقد تحققت دعوته لاسيما في آباء النبي صلى الله عليه وسلم

حفظ الاله كرامة لمحمد * آباءه الامجاد صونا لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره * من آدم والى أبيه وأمه

ومات أبوه صلى الله عليه وسلم وله سنتان وقيل غير ذلك ودفن بالابواء على الراجح وكفلته أمه آمنة وماتت بالابواء محل بين مكة والمدينة وتقدم نسبها من جهة الاب في أول الفصل وأما نسبها من جهة الام فهي بنت برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصي بن كلاب فتلتقي هي وزوجها وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب في كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ويفترقان في ولد كلاب فبرة من ولد قصي بن كلاب ثم من ولد عبد الدار فهي قرشية عبدرية وزوجها من ولد زهرة ابن كلاب فهو قرشي زهري

ولما ولدت السوداء بنت زهرة بن كلاب وهي عمة وهب أبي آمنة أرسل بها أبوها من يئدها فخرج الوائد حتى أتى بها الحجون فحفر لها ووضعها في حفرتها فصاح صائح من الجبل يا وائد الصبيه رب فرس ردود ومطعم يجود في السنة الجاود من الصبية الوئيد ثم رفع رأسه فلم ير أحدا فعاد لان يئدها فصاح به يا وائد الصبية اض ودعها عنك

في البرية ان لها علما في الانسيه فرجع بها الى أبيها فأخبره الخبر فقال ادعها فان لها شأنا فحضرت وكانت تقول يا بني زهرة ان فيكم لنذيرة أو والدة نذير فأعرضوا على نساءكم فعرضن عليها حتى مرت بها الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف فقالت ليست بها ولتلدن فولدت عبد الرحمن وعرضت عليها بنت عبد بن الحارث أم عبد الله بن مسعود فقالت ليست بها ولتلدن فولدت عبد الله بن مسعود وعرضت عليها هالة بنت أهيب ابن عبد مناف بن زهرة فقالت ليست بها ولتلدن فولدت حمزة وصفية والمقوم بني عبد المطلب وعرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت انها النذيرة ولتلدن نذيرا فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يتزوج عبد الله غير آمنة لا قبلها ولا بعدها كما انها لم تتزوج بغير عبد الله لا قبله ولا بعده ولم تلد غير النبي فهو بكر أبويه صلى الله عليه وسلم ولما مات أبوه لم يترك له صلى الله عليه وسلم سوى جاريته أم ايمن بركة الحبشية مع أمه وبعد أمه زوجها لحبه زيد بن حارثة فولدت لزيد أسامة الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم أسامة أحب الناس الي وكفله جده عبد المطلب وأكرمه غاية الاكرام وأحله لعلمه انه سيصير له اقبال عظيم محقق ثم كفله عمه أبو طالب وكان موطأ بوضيعة الرفادة وهي اطعام الطعام لسائر الحاج أيام الموسم فكانت عندهم الاطعمة حيث هم ضيوف بيت الله الحرام وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا زائدا على أولاده وكان لا ينام الا الى جنبه ويخرج معه متى خرج وجاءت قريشا سنة شديدة القحط فخرج أبو طالب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأصبعه صلى الله عليه وسلم فأقبل السحاب منها كذا ونزل المطر كأفواه القرب وأخصب الوادي والنادي وفي ذلك [illegible]

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهي [illegible] والثمال بكسر المثلثة الملجأ وعصمة للأرامل اي [illegible] والارامل [illegible] من الرجال والنساء [illegible] لكل [illegible] وهو [illegible] الا واحد [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] [illegible] العرش محمود [illegible] محمد

[illegible] فقال

ألم تر أن الله أرسل عبده * بآياته والله أعلى وأمجد
أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان في الارض تعبد
وارسله ضوءا منيرا وهاديا * يلوح كلاح الصقيل المهند

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغض حضور الاصنام مع قومه ولم يأكل مما ذبح على النصب وما عبد غير الله وما شرب خمرا وكذلك الانبياء لم يعبدوا سوى الله قبل ان يوحى اليهم فانهم معصومون عن الكبائر والصغائر وعن الكفر قبل البعثة بالاتفاق واختلف في تعبده هل كان بشريعة من قبله أولا فقيل انه كان متعبدا بشريعة موسى وقيل بشريعة عيسى وقيل بشريعة ابراهيم وقيل بشريعة نوح عليهم السلام وقيل انه لم يكن متعبدا والمختار انه كان متعبدا قبل البعث لانه ثبت انه كان متعبدا في غار حراء والتعبد لا يكون الا بشريعة لان الحاكم هو الشرع عند أهل الحق وعلى مذهب المعتزلة العاقل يتأتى بحكم العقل الامر أظهر اذ العبادة لا تتوقف على هذا التقدير على شريعة وأرضعته أمه سبعة أيام ثم أرضعته ثويبة الاسلمية بلبن ابنها مسروح وكانت أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وكان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بأربع سنين على الصحيح وقيل بسنتين فهو عمه من النسب وأخوه من الرضاع وأمه بنت عم امه لان حمزة أمه هالة بنت أهيب ابن عبد مناف بن زهرة وآمنة هي بنت وهب بن عبد مناف وكان عبد المطلب تزوج هالة أم حمزة بعد نحر الابل فداء لعبد الله قبل عام الفيل بخمس سنين فلم يكن حمزة داخلا في القرعة فلا يبعد كون حمزة أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بأربع سنين وانه أرضعته ثويبة قبله لجواز ان تكون أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم في آخر رضاع ابنها وأرضعت حمزة في أوله وأما على القول بأن حمزة رضي الله تعالى عنه أسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين فلا اشكال في الرضاع وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الى ثويبة من المدينة بصلة وكسوة واختلف في اسلامها وأثبته ابن منده وكذلك أرضعته ثويبة مع أبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤي القرشي المخزومي زوج ام سلمة أسلم بعد عشرة أنفس وهاجر مع امرأته أم سلمة الى أرض الحبشة وهو أول من هاجر اليها وشهد بدرا واستخلفه رسول الله صلى

الله عليه وسلم على المدينة في غزوة العشيرة وتوفي سنة ثلاث [illegible] وقال لما احتضر
اللهم اخلفني في أهلي بخير فخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على زوجته أم سلمة رضي
الله عنها وله من الولد سلمة وعمر ودرة وزينب أمهم أم سلمة وكانت ثويبة جارية أبي
لهب فأعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم عتقا منجزا ثم جعلها ترضعه بعد
ولادته أياما

الحيبة الحالة اهـ

وذكر عروة بن الزبير أن أبا لهب رؤي في النوم بشر حيبة فقيل له ماذا لقيت فقال لم ألق
بعدكم رخاء غير أني سقيت في هذه مني بعتاقتي ثويبة وأشار الى النقيرة التي بين الابهام
والتي تليها من الاصابع وفي رواية ان الرائي له كان من أهله وانه اخوه العباس بن
عبد المطلب قال مكثت حولا بعد موت أبي لهب لا اراه في نوم ثم رأيته في شر حال فقال
ما لقيت بعدكم راحة الا ان العذاب يخفف عني كل يوم اثنين وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة قد بشرته بمولده وقوله بعتاقتي بفتح العين
أي مصدر عتق العبد الذي هو فعل لازم فالحكمة في التعبير به دون التعبير بالاعتاق
وان كان هو الذي تسبب لان العتاقة أثر الاعتاق فالذات أصل انتهى قال ابن بطال وبعض
قوله سقيت في هذه [illegible]
[illegible] واستدل على ان الكافر [illegible] العمل [illegible] في الآخرة وهو مردود بظاهر قوله
تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والخبر مرسل ارسله عروة ولم
يذكر من حدثه به وعلى تقدير أن يكون موصولا [illegible] رؤيا منام لا يثبت به
حكم شرعي لكن يحتمل ان يكون ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم مخصوصا من ذلك
بدليل التخفيف عن أبي طالب [illegible]
[illegible] الكفار [illegible] دخول الجنة ويجوز
أن يخفف [illegible] الجرائم سوى
الكفر [illegible] الخيرات [illegible]
لا تنفعهم أعمالهم [illegible]
[illegible] قال الحافظ [illegible]
[illegible] الكفر [illegible]
[illegible] وقال ابن المنير [illegible]
[illegible]

صحيح وهذا مفقود من الكافر واثبات ثواب على بعض الاعمال تفضلا من الله تعالى وهذا لا يحيله العقل فاذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قربة معتبرة ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء كما تفضل على أبي طالب والمتبع في ذلك التوقيف نفيا واثباتا قال الحافظ فوقوع التفضيل المذكور انما هو اكرام لمن وقع من الكافر البر لاجله وهو النبي صلى الله عليه وسلم انتهى

قال ابن الجوزي فاذا كان هذا حال أبي لهب الذي مات على دين قومه ونزل القرآن بذمه جوزي بعد موته جزاء بفرحه بمولد محمد صلى الله عليه وسلم فما حال المسلم الموحد من أمته يفرح ويسر بمولده صلى الله عليه وسلم ويبذل ما تصل اليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم من الصدقات لعمري انما يكون جزاؤه من المولى الكريم أن يدخله بفضله وكرمه جنات النعيم ولله در حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي حيث قال

اذا كان هذا كافرا جاء ذمه * وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى انه في يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

مات أبو لهب بداء العدسة في مكة على دين قومه بعد بدر بسبعة أيام والعدسة بثر كانت تخرج على الناس تزعم العرب انها تعدي شبيهة بالطاعون وكان قد بلغه خبر بدر ولم يشهدها وعلى ذكر الطاعون فقد ورد النهي عن دخول بلد فيه الطاعون لان الدخول الى موضع النقم تعرض للهلكة فالمقام بالموضع الذي لا طاعون فيه أسكن بالقلب فليتأدب الشخص بأدب الحكمة وهي الفرار من الهلاك ولا يعارضها بالقدر الذي تضمنته آية قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ولهذا قال عمر لابي عبيدة رضي الله عنهما حين قال اتفر من قدر الله يا أبا عبيدة لو غيرك قالها جواب الشرط محذوف يدل عليه السياق نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ولما رمي أبو لهب بالعدسة تباعد عنه بنوه فبقي ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يدفن فلما خافوا السبة دفعوه بعود في حفرته ثم قذفوه بالحجارة من بعد حتى واروه وذكر أن عائشة كانت اذا مرت بموضعه غطت وجهها وولد لابي لهب ثلاثة عتبة وعتيبة ومعتب ومن الاناث درة وسبيعة أسلم منهم اثنان يوم فتح مكة وهاجر من مكة حتى مات وهما أعني عتبة ودرة وسبيعة أسلمتا وكان عتبة ومعتب قد هربا من النبي عليه السلام فأرسل اليهما عمهما العباس فتقدما وأسلما فسر بذلك عليه السلام وشهدا حنينا والطائف وأما عتيبة فانه لما أسلمت أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارقها

فارقها وقال يا محمد فارقت ابنتك وتركت دينك فلا تحب لى شيأ أبدا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسلط الله عليه كلبا من كلابه فخرج الى الشام تاجرا فلما كان فى بعض الطريق جاءه الاسد ففزع وقال أترى ابن أبى كبشة قاتلى وهو بمكة وأنا بالشام فأدخله أصحابه بينهم وتوسطوا به جميعهم فلما كان فى بعض الليل أتاهم الاسد فتعداهم رجلا رجلا حتى أتى اليه فشدخه من بينهم وفيه قال حسان

من يرجع العام الى أهله * فما أكيل السبع بالراجع

وأما أبوهما أبولهب وأمهما أم جميل حمالة الحطب فيكفيهما ما أنزل الله فيهما من قوله تبت يدا أبى لهب وتب السورة وقال بعض العلماء فى أولاد أبى لهب

كرهت عتيبة اذ أجرما * واحببت عتبة اذ أسلما
كذلك معتب اسلم فاحترز أن تسب فتى مسلما

ومثل عتبة وعتيبة فى الصلاح والفحش عبدالله وعبيدالله ابنا جحش فان عبدالله تبين وتبصر فأسلم وعبيدالله افتتن وتنصر فأجرم وان الاكبر هو الافضل والاصغر هو الارذل

ثم أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية بنت أبى ذؤيب تصغير ذئب واسمه عبدالله بن الحارث ومن سعادتها توفيقها للاسلام هى وزوجها الحارث بن عبد العزى ابن رفاعة السعدى وبنوها عبدالله والشيما وأنيسه وقد ألف الحافظ أبو سعيد علاء الدين بن مغلطاى فى اسلامها جزءا وسماه التحفة الجسيمه فى اسلام السيدة حليمه وقال فى سيرته وبقيت حليمة حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقد تزوج خديجة فشكت اليه جدب البلاد وهلاك الماشية فكلم لها خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيرا وانصرفت الى أهلها وقدمت عليه أيضا فى يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وقضى حاجتها فلما توفى صلى الله عليه وسلم قدمت على ابى بكر الصديق فصنع لها مثل ذلك ثم جاءت عمر ففعل ذلك وأنشد فى آخر الجزء المذكور

أضحت حليمة تزدهى بمفاخر * ما الها فى عصرها ذوشان
منها الكفالة والرضاع وصحبة * والغاية القصوى رضى المنان

رضى الله عنها وحاصل قصتها مع اختصار انها قدمت مكة من البادية فى سنة قحط شديدة لم تبق لهم شيئا صحبة عشر نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء ومعها ابن لها رضيع مجهود وزوجها

أبو أولادها الحارث وكلاهما من بني سعد بن بكر بن هوازن فلم يبق منهن امرأة الا وقد عرض المبارك عليها فتأباه اذا قيل لها انه يتيم ثم أخذته هي اذ لم تجد غيره فرأته مدرجا في ثوب صوف أبيض يفوح منه المسك وكان راقدا على قفاه فهابت أن توقظه فوضعت يدها على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه فقبلته وأعطته ثديها الايمن فقبله وحولته الى الايسر فأبى لان الله ألهمه العدل وأعلمه ان له شريكا هو ابنها فترك له ثديها الايسر وكانت هي وناقتها في أشد الجوع والهزال وعدم اللبن فبمجرد أن وضعته في حجرها أقبل أي در عليه ثدياها فروي وروي أخوه ودرت ناقتهم فأشبعتهم تلك الليلة لبنا فلما اصبحت ودعت أمه آمنة وركبت اتانها فلما خرجت مع قومها سبقت اتانها الكل بعد أن كانت لا تنهض بها فأسكرهن صويحباتها ها هي فلما اعلمنها قلن ان لها شأنا عظيما ولما وصلوا منازلهم كانت أجدب أرض الله فكان غنم حليمة ترجع ملأى بخلاف غنمهم مع انها كلها بمحل واحد فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعاده وتفوز منه بالحسنى وزياده وقيل

لقد بلغت بالهاشمي حليمة * مقاما علا في ذروه العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها * وقد عم هذا السعد كل بني سعد

ولا يخفى ان قدوم نساء بني سعد للرضعاء انما كان لطلب الاجر على الرضاع قال السهيلي رحمه الله تعالى والتماس الاجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر العرب حتى جرى المثل تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها أي ولا تهتك نفسها وتبدي منها ما لا ينبغي ان تبدي وتعقبه في الزهر أن المثل غير مسوق لذلك وكان عند بعضهم لا بأس به فقد كانت وسطة في بني سعد كريمة من كرائم قومها بدليل اجتباء الله تعالى إياها برضاع نبيه صلى الله عليه وسلم كما اختار له أشرف البطون والاصلاب والرضاع كالنسب ويحتمل ان تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضاع اضطرارا للازمة التي اصابتهم والسنة الشهباء التي أقحمتهم فلما تم له صلى الله عليه وسلم عند حليمة سنتان عادت به الى أمه ثم فطمته قال بعضهم وتجوز الزيادة على الحولين والنقص عنهما لكن قال الحناطي في فتاويه يستحب قطع الرضاعة عند الحولين الا لحاجة وقال ابن كثير في تفسيره ذكر أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد في بدنه وعقله ومما ينسب الى حليمة مما كانت ترقص به النبي صلى الله عليه وسلم

يارب اذا أعطيته فأبقه * وأعله الى العلى ورقه * وادحض أباطيل العدا بحقه
ويظهر انه مفتعل وان كان معناه جيدا

وروى انه ارضع النبى صلى الله عليه وسلم ثمان نسوة غير آمنة ثويبة وحليمة وخولة بنت المنذر وأم أيمن والمعروف انها من الحواضن وامرأة سعدية غير حليمة وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة فى قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أنا ابن العواتك من سليم والعواتك ثلاث نسوة كن امهات النبى صلى الله عليه وسلم إحداهن عاتكة بنت هلال وهى أم عبدمناف بن قصى والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال وهى أم هاشم ابن عبدمناف والثالثة عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال وهى أم وهب أبى آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم فالاولى من العواتك عمة الثانية والثانية عمة الثالثة وبنو سليم تفتخر بهذه الولادة ولم يرد صلى الله عليه وسلم بقوله أنا ابن العواتك الفخر وانما اراد به تعريف منازل المذكورات ومراتبهن كرجل يقول كان أبى فقيها ولا يريد الفخر وانما يريد به تعريف حاله دون ما عداه وقد يكون أراد به التحدث بنعمة الله تعالى فى نفسه وآبائه وامهاته على وجه الشكر وليس ذلك من الاستطالة والفخر فى شئ ولبنى سليم مفاخر أخرى منها انها ألفت معه يوم فتح مكة أى شهده منهم الف وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم لواءهم يومئذ على الالوية وكان أحمر ومنها ان عمر كتب الى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام ان ابعثوا الى من كل بلد أفضله رجلا فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمى وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمى وبعث أهل مصر معن بن يزيد السلمى وبعث أهل الشام الاعور السلمى

وسبب دفع أمه إياه لمن ترضعه أن هذا كان عادة قريش وأشراف العرب فى أولادهم ولو كانت الام حية ولها لبن لان نساءهم كن يرين ارضاع أولادهن عارا عليهن وأيضا اذا نشأ الرضيع غريبا كان أنجب له مع ما يضاف الى ذلك من تفرغ النساء للأزواج وان كان هذا امتنع هنا لان أباه صلى الله عليه وسلم توفى وهو حمل على الصحيح والاولى فى التعليل أن ينشأ غريبا على أن هذه العادة عادة اشراف البلاد قديما وحديثا لاسيما الاقطار الحجازية بالنسبة للحواضر فانهم يبعثون بابنائهم الى البوادى للتربية بها مع ما ينضم الى ذلك من خاصية فصاحة العربية والآداب العالية الخالصة [illegible] لغات [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الله على حليمة السعدية [illegible]
[illegible] النبى صلى الله عليه [illegible]

وكان له صلى الله عليه وسلم اختان انيسه والشيما ابنتا الحرث وامهما حذافة واغا غلب لقبها فلا تعرف فى قومها الا به وسبيت يوم حنين فقالت يا قوم اعلموا انى اخت نبيكم فلما أتوا بها النبي صلى الله عليه وسلم قالت له انى اختك وكنت عضضتني وأنا احضنك مع أمي فعرف ذلك وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه وقال لها ان أحببت فأقيمي عندي مكرمة محببة وان أحببت أن ترجعي الى قومك وصلتك قالت بل أرجع الى قومي فأسلمت واعطاها النبي صلى الله عليه وسلم جارية وغلاما اسمه مكحول فزوجت الجارية من الغلام وكانت تحضنه صلى الله عليه وسلم وترقصه وتقول

هـذا أخ لى لم تلـده أمي * فديته من مخول معم * فأغه اللهم فيما تنمى

ولعل هذا الرجز مصطنع بعد أو مما كان يرقص به الاطفال فى ذلك الزمن

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على كثير من النساء فلم يرضين رضاعه ليتمه وفقره ويقلن ماذا عسى أن يكون من أمه وجده انما يكون الاحسان من الاب فأخذته حليمة السعدية وقالت لعل الله أن يجعل لنا فيه البركة فحقق الله رجاءها واليتم والفقر نقص فى حق الخلق فلما صار محمد عليه الصلاة والسلام مع هذين الوصفين اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فكان من جنس المعجزات وقد قيل لجعفر الصادق لم يتم صلى الله عليه وسلم من أبويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وأيضا لينظر صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى مدارج عزه لاوائل أمره ليعلم أن العز بز من أعزه الله تعالى وان قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا ليرحم الفقراء والايتام وقد قال صلى الله عليه وسلم ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء فانى كنت فى الصغر يتيما وفى الكبر غريبا

وبعد ذلك مضت به الى بلادها عند سعد بن بكر فأتاه الملكان هناك وشقا صدره الشريف وأخرجا قلبه فغسلاه بماء الثلج فى طست من ذهب وملآه حكمة وإيمانا واستخرجا حظ الشيطان منه وهى مضغة سوداء وفى رواية علقة فلما علمت حليمة بذلك رجعت به الى مكة لاهله بعد أن اقام نحو أربعة أعوام فردته الى امه وشق صدره الشريف أيضا وهو ابن عشر سنين ثم عند مبعثه ثم عند الاسراء والشق الاول الذى عند حليمة كان فى السنة الثالثة من مولده صلى الله عليه وسلم وقيل كان فى الرابعة ولكل من الثلاث حكمة فالاولى التى كانت فى زمن الطفولية لتطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف فى سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ عليه السلام على اكمل الاحوال

عن العصمة من الشيطان والتي عند المبعث زيادة في الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في أكمل الاحوال من التطهير والتي عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة وسكت عن حكمة شق صدره وهو ابن عشر سنين فيحتمل ان يقال لما كان العشر قريبا من سن التكليف شق صدره عليه السلام وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال وقد نظم بعضهم المواطن التي شق صدره فيها صلى الله عليه وسلم فقال

أيا طالبا نظم الفرائد في عقد * مواطن فيها شق صدر الذي رشد
لقد شق صدر النبي محمد * مرارا لتشريف وذا غاية المجد
فأولى له التشريف فيها مؤثل * لتطهيره من مضغة في بني سعد
وثانية كانت له وهو يافع * وثالثة للبعث الطيب الند
ورابعة عند العروج لربه * وذا باتفاق فاستمع يا اخا الرشد
وخامسة فيها خلاف تركتها * لفقدان تصحيح لها عند ذي النقد

والحكمة في غسله بماء الثلج والبرد هي مع ما فيهما من الصفاء وعدم التكدر بالاجزاء الترابية التي هي محل الارجاس وعنصر الاكدار الايماء الى ان الوقت بصعوده ولا ممته وبروق لشريعته الغراء وسنته والاشارة الى تلويح صدره أي انشراحه بالنصر على أعدائه والظفر بهم والايذان ببرودة قلبه أي طمأنينته على امته بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيآتهم وقال ابن دحية انما غسل قلبه بالثلج لما يشعر به الثلج من ثلج اليقين الى قلبه وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول بين التكبير والقراءة اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والبرد وخصهما بالذكر تأكيدا للطهارة ومبالغة فيها لانهما ماآن مفطوران على خلقهما لم يستعملا ولم تنلهما الايدى ولم تخضهما الارجل كسائر المياه التي خالطت التراب وجرت في الانهار وجمعت في الحياض فكانا أحق بكمال الطهارة وأراد تعالى ان يملأ قلبه بشيء من الجنة وطست ملئ حكمة وايمانا ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها فيكون في الدنيا أزهد وعلى دعوة الخلق الى الجنة أحرص ولانه كان له أعداء يقولون عليه فأراد الله تعالى ان ينفي عنه طبع البشرية من ضيق الصدر وسوء مقالات الاعداء فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعة ويفارقه الضيق كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فغسل قلبه غير مرة فصار بحيث اذا ضرب أو شج رأسه وشقت رباعيته كما في يوم احد يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون

ولما أكمل ست سنين توجهت أمه مع أم أيمن حاضنته عليه الصلاة والسلام لزيارة أخوال أبيه بني النجار وأقاموا شهرا ورجعوا ذاهبين الى مكة فلما نزلوا بالابواء محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب ماتت أمه فدخلت به أم أيمن مكة وكان يقول لها أنت أمي بعد أمي أي في الاحترام لانها قامت مقام أمه في تربيته فضمه جده عبد المطلب وكان يرق عليه ويعلي منزلته ويقول ان لولدي هذا لشأنا عظيما وكان أبوه عبد الله مات وله سنتان وقيل وهو حمل لان عبد المطلب كان [illegible] الى غزة من الشام يمتار لهم طعاما مع تجار من قريش فلما رجعوا مرض عبد الله فلما دخلوا الى المدينة تخلف بها عند أخواله بني النجار ثم مات بها وله ثلاثون سنة ولما بلغت وفاته عبد المطلب وجد عليه وجدا شديدا والصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت وفاة أبيه بعد شهرين من حمل أمه به وخلف عبد الله جارية أم أيمن وخمسة أجمال وقطعة غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبويه وكفله جده عبد المطلب حتى مات والمصطفى صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين ولا خلاف ان جده المذكور وأبويه ماتوا في الجاهلية فانه ما جاء الاسلام ونبئ حتى بلغ الاربعين وكان الناس قبل بعثته كما قال تعالى في ضلال مبين وقد أشار الى ذلك العراقي صاحب السيرة بقوله

[illegible] * [illegible] بالحصان
حتى [illegible] كان حملا * [illegible] كان طفلا
[illegible] * [illegible] الخزرج
[illegible] الى أبي ذئب * [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible] الاعوام [illegible]
وحين شق صدره [illegible] * [illegible]
[illegible] الى آمنة * وخرجت به الى المدينة
تزور أخوالا [illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible] * وقيل أربعة أعوام

وحين ماتت حلته بركه * لجده بمكة المباركه
كفله الى تمام عمره * ثمانيا ثم مضى لقبره

(الفصل الثاني في ذكر عمل مولده الشريف واشهاره كل سنة وفيما جرى)
(في مولده وفيما بعده من الوقائع)

في الاخبار المشهورة أن الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة اشارة الى انه لم يبق من ملوكهم المستبدين بالملك الا أربعة عشر ملكا فهلك عشرة في اربع سنين وهلك أربعة الى زمن عثمان رضي الله عنه وزال ملكهم بالكلية ورأى في تلك الليلة أنوشروان رؤيا أفزعته فجمع الكهنة والسحرة والمنجمين فقصها عليهم فدلوه على سطيح الكاهن ليعبرها له وكان مشهورا بالكهانة فأرسل كسرى اليه وزيره وكان سطيح يخرج قومه على رأس كل سنة مستلقيا فيتكلم بأحكام السنة الآتية فلما خرج بدأ الكلام بالرؤيا قبل القص عليه فقال ان كسرى رأى رؤيا هالته رأى خيولا عربية ملأت مدينته تسوق ابل العراق وتخرجها من البلاد فالخيول العربية اصحاب النبي القرشي الهاشمي المكي المدني الخاتم الذي يختم الله به الانبياء ويأتيه الوحي من الملك الواحد الاحد الفرد الصمد وسيفتح له البلاد والمدائن بالعراقين وغيرهما على عدد شرافات بقيت من الايوان حين سقوطه ليلة ميلاده فالحذر الحذر من مخالفته من كل من وصل الى زمن دعوته ثم بكى سطيح فقال يا ليتني من يرى الاقبال لادرك بعثة النبي الجليل قال فرجع وزير كسرى القهقرى فأخبر الملك بما أخبر به سطيح فوقع ما قال بتقدير القادر المتعال

وقد سبق في الفصل الاول من الباب الاول من المقالة الثانية ان ثويبة جارية أبي لهب لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم أعتقها عند ذلك ثم جعلها ترضعه بعد ولادته [illegible] انما خفف الله عنه العذاب كل يوم اثنين الذي هو يوم ولادته ولعل [illegible] [illegible] [illegible] وهذا التخفيف [illegible] [illegible] وهذا الاكرام لم يقع الا لاجله وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولاعترافه في [illegible] على تداول الايام صار [illegible] اكابر واعاظم [illegible] [illegible] ثم وردوا [illegible] على قاعدة الشكر [illegible] في [illegible] [illegible] بدعة [illegible] ان تعرض على قواعد الشرع [illegible]

من الاحكام الخمسة تنسب اليه وكم من سنن ابتدعت على طريق القربى الى الله تعالى وصارت ملحقة بالسنة الشريفة والمولد النبوى منها اذ لا ضرر ولا ضرار فى فعله لمن أراد ذلك فى ربيع الاول أو غيره بل نص ابن الجوزى انه مما جرب ان فعله يورث الامان التام فى ذلك العام كما سيأتى وان قال ما قال فيه تاج الدين الفاكهانى المالكى من الانكار وتعقبه الجلال السيوطى ورد عليه الرد التام بسلوك طريق الاستدلال والاستظهار وحكم بينهما العلامه الشيخ عبد السلام اللقانى المالكى وقضى بينهما بقول فصل وحكم عدل يشهد له بالفضل أشبع فى مقاله بالنصوص القاطعه والحجج الداحضة بما يقنع من الدليل ويشفى الغليل ويكشف عن وجوه البدع قناع التأويل فلنذكر كلامه فى هذا المعنى برمته مع بعض تصرف فى العباره وان كان فيه تكرار شئ مما سبق حيث هو مؤكد له ومزيل الغطاء عن غمته

ونص عبارته المنقولة من مسودة حاشية له على بعض السير النبوية وقد أردت ايراد بعض فوائد تتعلق بالمولد الشريف مما ذكره النجم وغيره فأقول مستعينا به سبحانه اعلم ان الناس اختلفوا فى عمل المولد واجتماع الناس له والذى صرح به العلامة تاج الدين الفاكهانى المالكى رحمه الله انه بدعة مذمومة وألف فى ذلك كتابا صدر ديباجته بقوله بعد البسملة والحمدلة وما يطلب له الاتيان به اما بعد فقد تكرر سؤال جماعة عن الاجتماع الذى يعمله بعض الناس فى شهر ربيع الاول ويسمونه المولد هل له أصل فى الشرع أوهو بدعة حدث فى الدين وقصدته والجواب عن ذلك مبينا والايضاح عنه معينا قلت وبالله التوفيق لا أعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة ولم ينقل عمله عن أحد من علماء الامة الذين هم القدوة فى الدين المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدثها البطالون وشهوة اعتنى بها الاكالون بدليل انا أدرنا عليه الاحكام الخمسة قلنا إما ان يكون واجبا ومندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما وليس بواجب اجماعا ولا مندوبا لان حقيقة المندوب ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون المتدينون فيما علمت وهذا جوابى عنه بين يدى الله ان سئلت عنه ولا جائز أن يكون مباحا لان الابتداع فى الدين ليس مباحا باجماع المسلمين فلم يبق الا ان يكون مكروها أو حراما وحينئذ يكون الكلام فيه فى فصلين والتفرقة بين حالين أحدهما ان يعمله رجل من عين ماله لاهله واصحابه وعياله لا يجاوزون فى ذلك الاجتماع على اكل الطعام ولا يقترفون شيئا من الآثام وهذا الذى وصفناه بأنه

بدعة منكروهة وشناعة اذلم يفعلها احد من متقدمى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الاسلام وعلماء الانام سرج الازمنة وزين الامكنة والثانى ان تدخله الجناية وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشئ ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه و يوجعه لما يجد من الم الحيف وقد قال العلماء أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف لاسيما ان انضاف الى ذلك الغناء من البطون الملاى بآلات الباطل كالدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الاحداث والنساء الفاتنات والرقص بالتثنى والانعطاف والاستغراق فى اللهو ونسيان يوم المخاف وكذلك النساء اذا اجتمعن على انفرادهن رافعات اصواتهن بالتهنيك والتطريب فى الانشاد والخروج فى التلاوة والذكر المشروع والامر المعتاد غافلات عن قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد وهذا هو الذى لا يختلف فى تحريمه انسان ولا يستحسنه ذوو المروءة والفتيان وانما يحلو ذلك بنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام والذنوب وأزيدك انهم يرونه من العبادات لا من الامور المنكرات المحرمات فانا لله و إنا اليه راجعون بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا ولقد أحسن الامام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب هذا مع ان الشهر الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم وهو ربيع الاول هو بعينه الشهر الذى توفى فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه وهذا ما علينا ان نقول ومن الله تعالى حسن القبول

وتعقبه العلامة الجلال مؤلف هذا الكتاب فى فتاويه فقال أما قوله لا أعلم لهذا المولد اصلا فى كتاب ولا سنة فيقال عليه نفى العلم لا يلزم منه نفى الوجود وقد استخرج له العلامة ابن حجر العسقلانى رحمه الله أصلا من السنة وهو ما ثبت فى الصحيحين من أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى فقال انا احق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه قال فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما من به فى يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة و يعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة والشكر لله تعالى يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والتلاوة وأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبى نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم وعلى هذا فينبغى ان يتحرى الوقت بعينه وان كان ولد ليلا فليقع الشكر بما يناسب الليل كالاطعام وان كان ولد نهارا وهو الاصح فيما يناسبه كالصيام والصدقة ولا بد أ...

يكون ذلك اليوم بعينه من عدد أيام ذلك الشهر بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالى بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه الى يوم من السنة وفيه مافيه و ينبغى أن يقتصر فيه على مايفهم الشكر لله تعالى من نحو ماذكر وأما السماع واللهو وغيرهما فما كان مباحا لعين السرور بذلك اليوم فلا بأس به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الاولى انتهى

فيفهم من ذلك ان أصل ابتداع عمل المولد الشريف مبنى على قاعدة الشكر وعلى النعمة باتحاد الذات المحمدية الواسطة في خيرى الدنيا والآخرة فلهذا خالفت هذه السنة الحسنة اتخاذ يوم عاشوراء مأتما ومظهر الحزن كما يفعله بعض الاعاجم لاجل قتل الحسين ابن الامام على رضى الله تعالى عنهما فكانت هذه من البدع السيئة ومن عمل الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اذلم يأمر الله سبحانه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم باتخاذ أيام مصائب الانبياء وموتهم مأتما فكيف بمن دونهم والقاص الذى يذكر للناس قصة القتل يوم عاشوراء ويخرق ثوبه ويكشف رأسه ويأمرهم بالقيام والتشنيع تأسفا على المصيبة يجب ان يمنع والمستمعون له لا يعذرون في الاستماع قال الامام الغزالى وغيره يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين رضى الله عنه وحكاية ماجرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فانه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين الذين تلقى عنهم أئمة الدين وتلقينا عنهم والطاعن فيهم طاعن فى نفسه ودينه وقال الامام الشافعى وجماعة من السلف تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا انتهى فليس لاتخاذ يوم عاشوراء مأتما مستند يتخرج عليه بخلاف المولد الشريف فقد فهمت مستنده بل هو متعدد فقد قال الحافظ الجلال السيوطى رحمه الله وقد ظهر لى تخريجه يعنى عمل المولد على أصل آخر يعنى غير ماذكره الحافظ ابن حجر وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة مع انه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه فى سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم اظهار للشكر على إيجاد الله اياه رحمة للعالمين وتشريع لامته كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع واطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات واظهار المسرات انتهى

قال

قال شيخ مشايخنا النجم الغيطى رحمه الله وماذكره الحافظ ابن حجر من التخريج أنسب وأظهر مما ذكره الحافظ الجلال كما هو الظاهر لان فعل صوم عاشوراء يتكرر كل عام وهو فى وقت معين فكان عمل المولد المذكور مثله بخلاف العقيقة فانها لاتتكرر وليست مختصه بوقت معين لا تتقدم عليه ولا تتأخر ولان مافعله جده عبد المطلب من العقيقة لم يقع عنه لان ذلك كان قبل الشرع فلا يتعلق به حكم والعقيقة التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم عنه بعد النبوة على تقدير صحتها كانت بعد الشرع فهى المشروعة والواقعة عنه لانه بعد ولادته لم يقع عنه عقيقة مشروعة وقد قال ائمتنا ان من بلغ ولم يعق عنه فحسن ان يعق عن نفسه على ان ماورد من انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة حديث منكر كما قاله ابن حجر وغيره بل قال النووى فى شرح المهذب انه حديث باطل فعليه يسقط التخريج المذكور أيضا بالاولى والله سبحانه وتعالى اعلم *قلت وماذكره النجم من ان العقيقة لاتتكرر انما هو بالنسبة للمولود الواحد اما اذا تعدد فانها تتعدد أيضا كما هو مذهبنا وماذكره أيضا من انها ليست مختصة بوقت معين فليس مذهبنا بل المذهب انها مختصة به فتكون فى سابع الولادة لاقبله اتفاقا ولا بعده فان فاتت فاتت على المشهور كما علمته آنفا

قال الجلال وأما قول الفاكهانى بل هو بدعة احدثها البطالون الخ فقال عليه انه أحدث من غير نكير منهم وارتضاه ابن دحية وصنف من أجله كتابا فهؤلاء علماء متدينون رضوه وأقروه ولم ينكروه وقوله ولا مندوبا لان حقيقة المندوب ماطلبه الشرع يقال عليه ان الطلب فى المندوب تارة يكون بالنص وتارة يكون بالقياس وهذا وان لم يرد فيه نص ففيه القياس على الاصلين يعنى السابقين فى التخريج وقد علمتهما وقوله ولا جائز أن يكون مباحا لان الابتداع فى الدين ليس مباحا باجماع المسلمين كلام غير مستقيم لان البدعة لم تنحصر فى الحرام والمكروه بل قد تكون أيضا مباحة ومندوبة وواجبة انتهى

وحاصل القول فى البدعة انها لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص أو العام بل يكون الحامل عليه مجرد الشهوة والارادة أما ما أحدث مماله أصل فى الشرع اما بحمل النظير على النظير أو بغير ذلك فانه حسن إذ هو سنة الخلفاء الراشدين والائمة المهتدين ومن ثم قال عمر رضى الله عنه فى التراويح نعمت البدعة هى وليس ذلك بيده وما بحرد لفظ محدث أو بدعة فان

القرآن باعتبار لفظه وانزاله وصف بالحدث أول سورة الانبياء • وانما منشأ الذم ما اقترن به من مخالفة السنة ودعايته الى الضلالة وهى من حيث هى منقسمة الى خمسة أقسام واجب وهو ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع كتدوين القرآن والشرائع اذا خيف عليها الضياع فان التبليغ لمن بعدنا من القرون واجب اجماعا واهمال ذلك حرام اجماعا زاد بعض المتأخرين ومن البدع الواجبة على الكفاية الاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة كالنحو والصرف والمعانى والبيان واللغة بخلاف العروض والقوافى ونحوهما وكالجرح والتعديل وتمييز صحيح الاحاديث من سقيمها وتدوين نحو الفقه واصوله وآلاته والرد على نحو القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة لان حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين كما دلت عليه القواعد الشرعية ولا يتأتى حفظها الا بذلك وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب * وحرام وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم وادلته من الشريعة كالمحدثات من المظالم التى اخترعتها الاهواء بغيا ولا ينبغى ان تلتبس هذه البدع بالحقوق التى تقررها الحكام على الرعايا بمقتضيات الاحوال عند تعطيل أموال الزكاة لاقامة شعائر الممالك زاد بعضهم من البدع المحرمة الاشتغال بمذاهب سائر أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة ومندوب اليه وهو ما تناولته قواعد الندب وادلته كصلاة التراويح واقامة أبهة الائمة والقضاة والحكام على خلاف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم بسبب ان المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل الا بعظمة الولاة فى نفوس الناس وكان تعظيم الناس فى زمن الصحابة رضوان الله عليهم انما هو بالدين وسابق الهجرة ثم اختل النظام وذهب ذلك القرن وحدثت قرون أولا يعظمون الا بالصور فتعين تفخيم الصور حتى تحصل المصالح وقد كان عمر رضى الله عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف شاة فى كل يوم لعلمه بأن الحالة التى هو عليها لو عملها غيره لهان فى نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج الى أن يضع غيره فى صورة أخرى لحفظ النظام ولذلك لما قدم الشام ووجد معاوية بن أبى سفيان قد اتخذ الحجاب وارخى الحجاب واتخذ المراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك ما يسلكه الملوك سأله عن ذلك فقال له انا بأرض نحن فيها محتاجون لهذا فقال له لا آمرك ولا انهاك ومعناه أنت اعلم بحالك هل أنت محتاج الى هذا فيكون حسنا أو غير محتاج اليه فلا يسوغ لك التخلق به فدل ذلك من عمر رضى الله عنه وغيره على ان أحوال الائمة وولاة الامور تختلف باختلاف

الامصار

الامصار والاعصار والقرون والاحوال فكذلك يحتاجون الى تجديد زخارف وسياسات لم تكن قديما وربما وجبت في بعض الاحوال زاد بعض المتأخرين ومن البدع المندوبة احداث نحو الربط والمدارس وكل احسان لم يعهد في العصر الاول والكلام على دقائق التصوف والجدل وجمع المحافل والاستدلال في المسائل العلمية ان قصد بذلك وجه الله تعالى ومكروه وهو ما تناولته ادلة الكراهة من الشريعة وقواعدها كتخصيص الايام الفاضلة أو غيرها بنوع من العبادة وكذلك في الصحيح خرجه مسلم وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلتها بقيام ومن هذا الباب الزيادة في المندوبات المحدودات كما ورد في التسبيح عقب الفريضة ثلاثة وثلاثين فيفعل مائة وورد صاع في زكاة الفطر فيجعله عشرة أصوع بسبب ان الزيادة فيها اظهار الاستظهار على الشارع وقلة أدب معه بل شأن العظماء اذا حددوا شيئا وقف عنده وعد الخروج عنه قلة أدب والزيادة في الواجب أو عليه أشد في المنع لانه يؤدي الى ان يعتقد أن الواجب هو الاصل والمزيد عليه ولذلك نهى مالك رحمه الله عن اتصال صيام ستة أيام من شوال برمضان لئلا يعتقد انها من رمضان وخرج أبو داود ان رجلا دخل الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الفرض وقام ليصلي ركعتين فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجلس حتى تفصل بين فرضك ونفلك فبهذا هلك من كان قبلنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب الله بك يا ابن الخطاب يريد عمر أن من قبلنا وصلوا النوافل بالفرائض فاعتقدوا الجميع واجبا وذلك تغيير للشرائع وهو حرام اجماعا زاد بعضهم ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف انتهى ولكن قياسا على ما ذكره القليوبي من أن الاحتفال بالجنائز كان بدعة ثم بعد أن دل على التعظيم صار مندوبا فلا مانع ان يقاس عليه زخرفة المساجد والمصاحف والمدارع في البنية وتحكيم الاحوال * واعلم ان حكمنا على الزائد على التسبيح بالكراهة انما هو من حيث زيادته فلا ينافي قول النووي وغيره انه يثاب عليه يعني من حيث انه ذكر والله اعلم * ومباح وهو ما تناولته الاباحة وقواعدها من الشريعة كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الآثار أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل لان لين العيش واصلاحه من المباحات فوسائله مباحة زاد بعضهم ومن البدع المباحة التوسع في لذيذ المآكل والمشارب والملابس وتوسيع الاكمام وبعضها مردود بقوله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات

الامور عام أريد به خاص إذ سنة الخلفاء الراشدين منها مع أنا أمرنا باتباعها الرجوعها الى أصل شرعى قال بعض المتأخرين وكذلك سنتهم عام اريد به خاص اذ لو فرض خليفة راشد فى عامة أمره سن سنة لا يعضدها دليل شرعى امتنع اتباعها ولا ينافى ذلك رشده لانه قد يخطئ المصيب ويزيغ المستقيم يوما ما ففى الحديث لا حليم الا ذو عثرة ولا حكيم الا ذو تجربة ولذا قاعدة وهى كل حكم اجازه الشارع أو منعه وأمكن رده الى أحدهما فهو واضح فان اجازه مرة ومنعه أخرى فالثانى ناسخ للأول وان لم يرد عنه اجازته ولا منعه ولا أمكن رده اليه بوجه ففيه الخلاف قبل ورود الشرع والاصح ان لا حكم فلا تكليف فيه بشئ وقيل يرجع فيه الى المصلحة والسياسة فما وافقهما منه أخذ به وما لا ترك كذا قال بعض المتأخرين ولا شك فى حسنه

وقد تكلم الامام أبو عبد الله ابن الحاج فى كتابه المدخل على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جدا وحاصله مدح ما كان فيه من اظهار شعار وشكر وذم ما احتوى عليه من محرمات ومنكرات وقال الحافظ أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى فى عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا وقال العلامة صدر الدين موهوب بن عمر الجزرى الشافعى هذه بدعة لا بأس بها ولا تكره البدع الا اذا راغمت السنة واما اذا لم تراغمها فلا تكره ويثاب الانسان بحسب قصده فى اظهار السرور والفرح بمولد النبى صلى الله عليه وسلم وقال فى موضع آخر هذه بدعة لا بأس بها ولكن لا يجوز له ان يسأل الناس بل ان كان يعلم أو يغلب على ظنه ان نفس المسئول تطيب بما يعطيه فالسؤال لذلك مباح أرجو أن لا ينتهى الى حد الكراهة وقال العلامة نصير الدين المبارك الشهير بابن الطباخ ليس هذا من السنن ولكن اذا أنفق المنفق فى هذا اليوم أولئك الليلة واظهر السرور فرحا بمولده صلى الله عليه وسلم ودخوله فى الوجود وجمع جمعا أطعمهم ما يجوز واتخذ السماع الخالى عن اجتماع الاحداث وانشادهم الشعر [illegible] المشهوة من العشقيات والمشوقات للشهوات الدنيوية كالقد والخد والعين والحاجب وأنشد ما يشوق الى الآخرة ويزهد فى الدنيا ودفع للسمع ملبوسا فهذا الاجتماع حسن جائز يثاب قاصد ذلك وفاعله عليه اذا أحسن القصد ولا يختص ذلك بالفقراء دون الاغنياء الا ان يقصد مواساة الاحوج فالفقراء أكثر ثوابا الا أن سؤال الناس ما فى أيديهم لذلك فقط بدون ضرورة وحاجة مكروه واجتماع الصلحاء فقط ليأكلوا ذلك

الطعام

الطعام ويذكروا الله تعالى ويصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم تضاعف القربات والمثوبات اما اذا كان الاجتماع عما نهى عنه شرعا فانه مجمع آثام وقال الحافظ أبو الخير فى فتاويه عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح فى القرون الثلاثة الفاضلة وانما حدث بعد ثم لازال أهل الاسلام فى سائر الاقطار والمدن الكبار يحتفلون فى شهر مولده صلى الله عليه وسلم بعمل الولائم البديعة المشتملة على الامور البهجة الرفيعة ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون فى المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم انتهى

وقال العلامة أبو الخير بن الجزري المقرى من خواصه أنه امان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام ولو لم يكن فى ذلك الا ارغام الشيطان وسرور أهل الايمان لكفى واذا كان قوم عيسى اتخذوا ليلة مولده عيدا اكبر فكذلك أهل الاسلام أولى بالتكريم وأجدر واكثر الناس عناية بذلك أهل مكة المشرفة ثم اهل المدينة المنورة ثم أهل مصر فى السنين المتقدمة والمتأخرة ثم غيرهم بفضل الله عليهم وأول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا احد الصالحين المشهورين به وبه اقتدى فى ذلك السلطان الملك المظفر صاحب اربل بانى الجامع المظفرى الذى للحنابلة بصالحية دمشق واربل مدينة بقلعة على مرحلتين من الموصل فكان يعمل المولد الشريف فى ربيع الاول ويحتفل به احتفالا هائلا يكثر فيه من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور مما يجل عن الوصف واتفق فيه ألوفا من المال الطيب الحلال وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم سنى الاعطية وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار

ولما اجتاز الحافظ ابن دحية باربل ووجد ملكها المظفر يعتنى بالمولد الشريف عمل له كتاب التنوير فى مولد البشير النذير وقرأه عليه بنفسه فأجازه على ذلك ألف دينار

وقال الشيخ جلال الدين السيوطى المخلص مولده صلى الله عليه وسلم مجمل مكرم قدسى يوم ولادته وشرف وعظم وكان وجوده مبدأ سبب النجاة لمن اتبعه وتقليل حظ جهنم من أعد لها لفرحه بولادته صلى الله عليه وسلم وتمت بركاته على من اهتدى به فشابه هذا اليوم يوم الجمعة من حيث ان يوم الجمعة لا تسعر فيه جهنم هكذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم فمن المناسب اظهار السرور وانفاق الميسور

قال العلامة الشمس ابن الجوزي في آخر كتابه التعريف بالمولد الشريف فان قيل فلم لم تتخذ أمته صلى الله عليه وسلم يوم مولده عيدا كما اتخذت أمة عيسى عليه السلام ليلة مولده عيدا فالجواب انه لما كان يوم مولده صلى الله عليه وسلم هو يوم وفاته تكافأ السرور بالعزاء وهذا أحسن ما خطر لي في ذلك وقد يقال انه لما اختلف فيه لم يتعين أو يقال الاعياد توقيفية ولم يشرع غير هذين اليومين أو يقال سدا للذريعة وما أشرت اليه أولا ألطف والافي الحقيقة مولده صلى الله عليه وسلم عيد وأي عيد يشمل القريب من امته والبعيد وبالجملة فالاعتناء بوقت مولده الشريف صلى الله عليه وسلم والانشاد للمدائح النبوية والزهدية والعرفانية واطعام الطعام والصدقات السنية امر حسن منيف يثاب فاعله الثواب الجزيل بقصده الجميل وان كان عمله لم ينقل عن احد من السلف الصالح والقرون الثلاثة الفاضلة وانما حدث بعدها فلذلك كان بدعة حسنة عند من تحقق العلم وأتقنه ثم لازال أهل الاسلام في سائر الاقطار والمدن العظام يحتفلون في شهر مولده خصوصا في ليلته بعمل المولد بعساكر واظهار السرور بذلك والحبور بتلك المسالك وبعضهم يزيد على ذلك بقراءة ماصنف في المولد الشريف وماورد فيه من الخبر الثابت المنيف على انه ليس قيدا في استحباب عمل المولد المذكور وانما هو زيادة الاجور

وقد جرت العادة انه اذا ساق الوعاظ والمداح مولده صلى الله عليه وسلم وذكروا وضع أمه له صلى الله عليه وسلم قام اكثر الناس عند ذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها لكن لا بأس به لاجل التعظيم بل هو فعل حسن ممن غلب عليه الحب والاجلال لذلك النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وما أحسن قول الامام ابي زكريا يحيي الصرصري الحنبلي في بعض قصائده النبوية

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على فضة من خط أحسن من كتب
وان ينهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب
أما الله تعظيما له كتب اسمه * على عرشه يارتبة سمت الرتب

وقد اتفق ان منشدا أنشد هذه القصيدة في ختم درس شيخ الاسلام تقي الدين أبي الحسن علي ابن السبكي رحمه الله وكان القضاة والاعيان مجتمعين عنده فلما وصل المنشد الى قوله * وان ينهض الاشراف عند سماعه * الى آخر البيت قام الشيخ

فى المحال على قدميه امتثالا لما ذكره الصرصرى وقام الناس كلهم وحصلت ساعة طيبة ذكر ذلك ولده التاج السبكى فى ترجمته من طبقاته

قال أبو أمامة ابن النقاش رحمه الله وليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة أحدها ان ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ولا نزاع فى ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أفضل الثانى ان ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى من تفضيل الانبياء على الملائكة فتكون ليلة المولد أفضل الثالث ان ليلة القدر وقع التفضيل فيها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات فهو الذى بعثه الله رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعم نفعا فكانت أفضل كذا قيل وقوله فى الوجه الاول ولا نزاع فى ذلك يوهم ان ما ذكر قاعدة متفق عليها قال أستاذنا ولا أعلم من قالها ويمكن دفع المساواة بأن المراد ما كان شرفه لاعطائه أعنى فقط فلا يرد القرآن والنبوة والايمان والاسلام مثلا لان شرفها الذاتها الا لاعطائها فقط والمراد ما كانت جهة شرفه محصورة فى الاعطاء وقوله فى الوجه الثالث وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات أى فساوتها وزادت عليها والا تزيد بالتفضيل فيه أزيد فضلا من غيره وقد يقال ان المراد أمة الدعوة لا أمة الاجابة وغير المكلفين لا نظر اليهم لا اعطاء ولا منعا لتعذر ظهور الثمرة فيهم واعلم ان المراد من ليلة المولد خصوص تلك الليلة مع خصوص ليلة القدر التى نزل فيها القرآن وأما النظائر فينبغى أن نظائر ليلة القدر أفضل من نظائر ليلة الولادة من جميع الاعوام وبقى النظر فى ليلة الولادة وليلة الاسراء وينبغى على القول بأن ليلة القدر أفضل منها أن تكون ليلة المولد أفضل منها والنظر على القول بأنها أفضل من ليلة القدر وحرره فانى لا أعلم من سبقنى الى هذا المبحث بالخوض والتحرير (ويكفى فى تفضيل ليلة المولد على ليلة الاسراء انه لم يقع مفاضلة بينها وبين ليلة الاسراء وانما وقع التفضيل بين ليلة الاسراء وليلة القدر وبين ليلة المولد وليلة القدر حتى لو قيل بتفضيل ليلة الاسراء على ليلة القدر لا يلزم منه فضل ليلة الاسراء على ليلة الولادة وسيأتى فى كلامه ما يؤيد ذلك فى الكلام على تفضيل الليل على النهار وسيأتى أيضا فى كلام الشيخ الزرقانى ما يؤيده) ثم ههنا تنبيه وهو انهم

لم يتكلموا على ليلة حمله صلى الله عليه وسلم بحسب المفاضلة مع انها أول زمان ظهوره الخارجي وتنبيه آخر وهو انهم لم يخصوا ذلك باللحظة التى خرج فيها من الرحم مع انه ينبغى ان يقصر عليها لانها لحظة الظهور وباقى الليلة خال عنه حكمه حكم باقى أيام وجوده وأما ليلة القدر فجميعها ظرف لنزول القرآن وقسم الارزاق ونزول الملائكة ومحق الذنوب واعطاء المطلوب وانظر على القول بأنه ولد نهارا وينبغى ان تلك اللحظة أو جميع اليوم أفضل من ليلة القدر ومن يوم ليلة القدر وان كان العمل فى يومها كالعمل فى ليلتها فان قلت فما معنى أفضلية ما ذكر من الليل وغيره لكونه خص بما وجد فيه دون غيره أوفى نفسه وما معنى أفضليته فى نفسه والزمان لا يفضل بعضه على بعض فقد قال امام العلماء العز ابن عبد السلام ان الازمنة والامكنة كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل الله العباد فيهما وان التفضيل الذى فيهما ان الله يجود على عباده بتفضيل اجر العاملين فيهما قلت بل الازمنة والامكنة يفضل بعضها على بعض بتفضيل الله تعالى ولا مانع ان يخص الله تعالى بعض مخلوقاته من زمان أو مكان بفضل ليس فى الآخر كما خص الله بعض الآدميين والملائكة وقال الامام تقى الدين السبكى عقب حكايته لكلام ابن عبد السلام وأنا أقول قد يكون التفضيل لذلك وقد يكون لامر آخر فيهما وان لم يكن عمل فان القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون أفضل الامكنة وليس محل عمل لنا فهذا معنى غير تضعيف الاعمال فيه انتهى ولكن تفضيل الزمان والمكان انما نظهر أثره غالبا باعتبار ما يقع فيه ذكره النجم الغيطى فى بعض تعاليقه انتهى قال الشيخ الرحمانى فى حاشيته على التحرير أفضل الليالى ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد وأفضل الايام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم الجمعة والليل أفضل من النهار

وعلى ذكر المولد الشريف فقد ذكر الامام العلامة عبد العزيز الزمزمى فى همزيته المفتوحة التى عارض بها همزية البوصيرى المضمومة التى أولها

كيف ترقى رقيك الانبياء * ياسماء ما طاولتها سماء

وهمزية القيراطى المكسورة التى أولها

ذكر الملتقى على الصفراء * فبكاه بدمعة حمراء

المولد

المولد الشريف فناسب أن نذكر من هذه القصيدة طرفا قال في المطلع
أثغور منها الصباح أضاء * أم بروق على النقا تتراءى

الى أن قال

يوم ميلاده وليلة مسرا * ه ازدهى الليل والنهار ازدهاء
وسما القدر منهما بفخار * طبق الارض سوددا والسماء
ملئت مكة سرورا وإلا * علا البشر قطرها سراء
وهي أرض بها الولادة والمو * لد فيها منها ابتدا الاسراء
كان ترداده ومرباه فيها * فجلا نور شمسه البطحاء
وعلا الانس والوقار جبالا * راسيات بها خصوصا حراء
كان مبدا ظهوره من حراء * حين أنهى الخلو فيه خفاء
شق صدر له هناك وشق البـ * ـدر فالشرط كان ثم جزاء
أرضعته حليمة بلباها * فغدا الحلم وصفها والحياء
وعلا جدها وأسعد سعدا * اذ سقت ثديه لنبي الغذاء
فتعجب لجدها وفا كـ * ـشف حكى الوصف عنهما الاسماء
تتعاطى رضاعه وهو في كـ * ـل قليل ينمو بذاك نماء
حاويا من جزالة البدو ما حـ * ـير بيداء عربها العرباء
فبنى قوله على حسن وضع * رفع اللفظ رتبة علياء
أفصح الناطقين بالضاد لما * أن يجاري من نطقها الفصحاء

الى أن قال

جاء في محكم الكتاب مديح * بالغ فيه أخرس البلغاء
حسدته أهل الكتابين مرضا * تحت الامر فامتلات شحناء
نفرت عن جحوده من ساد قدما * آل عمران قومهم والنساء
فغدت بالضلال مائدة الر * أس تحاكي أنعامهم والشاء
أنكرته أعرافهم فأباح السـ * ـيف أنفالهم له والدماء
منه نلنا براءة من لظى النا * ر بها يونس الغريق النجاء
شيبته هود ويوسف تحكـ * ـيه مع الشيب منظرا وبهاء
حقق الرعد في قلوب الاعادي * فرقا منه فانثنوا أصدقاء

أظهر المصطفى الهدى ابر * اهيم في الحجر والمقام الدعاء
ان يلاقى أذى فلا نحل لسع * لم يضر من أراد منه اجتناء
هم قوم به فسبحان مولى * صرف السوء عنه والفحشاء
لم تخف قط اذ أوينا اليه * نعم كهفا منه لنا وإواء
ان تسد مريم بعيسى فطه * ساد عيسى والرسل والانبياء
شرع الحج فاجتلى المؤمنون النـ * ـور زاد تم نورهم والضياء
قام يتلوا الفرقان في حسن نظم * جمعه الاعظ حير الشعراء
نطق النمل مفصحا عن معانى * قصص فيه أسكت الخطباء
قصد المصطفى العدا فكسته * نسجها العنكبوت منهم وقاء
غلب الروم فارسا مثل ما قا * ل وحاشاه أن يقول الخطاء
حكم تاه فهم لقمان عنها * عند ما فات سرها الحكماء
أوجب الشكر مجدة في المصلى * حين سيل الاحزاب صار جفاء
صيرتهم أيدى سبا نفخة من * فاطر العالمين جل ثناء
حاط يس بالملائكة الصا * فات عمن أراده الاسواء
صادهم نصره وأهلك منهم * زمرا أظهروا له البغضاء
أفسدت ذات بينهم حيلة المؤ * من فيهم فخالفوا الحلفاء
أجمل الخبر القضية لكن * فصلت حين أظهروا الانباء
حيلة يمت من الليل شورى * زادها زخرف الحديث انطلاء
أضمرت نارها بغير دخان * زعزع عم أ المنى اقذاء
أكفأت في القدور جاثية الاحـ * ـقاف ريح تكافئ الاكفاء
فكه اما القتال رب السرايا * ثم بالفتح بعد ذلك جاء
ليت شعرى أرى له حجرات * خلفها حرم الاله النداء
كل قاف سبيله ليس يخشى * ذاريات الضلال والاهواء
طور مرقاه قاب قوسين يهوى * دونه النجم لو أراد ارتقاء
طاعة في السماء له القمر انشـ * ـق لصعبين ثم عاد سواء
قد حباه الرحمن في حضرة الوا * قعة السؤل منه والارضاء
بالحديد اقتضت مجادلة الغر * ل له أن يجالد الاعداء

احكم

أحكم الرعب حشرهم في حصون * حكم الامتحان فيها الجلاء
يقدم الصف ان أتى الرجف والجمـ * ـعة ثبتا أعظم بها ابتلاء
خادعته المنافقون فصاروا * في نهار التغابن الاشقياء
حين بت الطلاق من زهرة الد * نيا بتحريمها استتم التقاء
ما ارتضى الملك بل تواضع حتى * خال ذا النون قد حكاه اعتلاء
ترفع الحاقة المعارج اذ نو * ح ينادي نفسي ويغدو براء
آمن الجن بالنبي وألقوا * لاستماع المزمل الاصغاء
سوف يأتي مدثرا بالمزايا * وتميز القيامة الايتاء
قال هذا الانسان كل كمال * نشرت مرسلاته الآلاء
نبأ جاء عظيم رمى الاعد * اء في النازعات والبغضاء
عبس المقتفي العمى منه لما * كورت شمس نوره إطفاء
كذبت عصبة النفاق به وانـ * ـفطرت وانتكت أشد انتكاء
طففوا كيلهم له فغدا و يـ * ـل غدا للمطففين جزاء
فرعوا الانشقاق ايوان كسرى * والبروج التي أشيدت بناء
استعذ بالنبي من طارق اللـ * ـيل وسبح لربك الأسماء
هديه كم أزال غاشية عن * ذي ضلال والفجر يجلو الغشاء
كسبت منه هذه البلد الانو * ار والشمس توضح البطحاء
للعدى الاله بالليل آلى * والضحى ما نوى له بغضاء
رفع الله ذكره في ألم نشـ * ـرح وأعلى به مكان حراء
فتمنى مناله جبل التـ * ـين وطور الكليم من سيناء
علق منه برفع القدر مس * لم يكن قط يعرف استعلاء
زلزلت من خيوله الارض لما * ميلت عادياتها الارجاء
كم بدت من سطاه قارعة في * من حماه التكاثر الافناء
ضيع العصر ذكره والعدا كم * همزة باغتيابهم مشاء
ردت الطير عن أقاربه الفيـ * ـل وجيشا له بسد الفضاء
أودع الله سره في قريش * فرعوا سره فصان وعاء
أرأيت الذي يكذب في عـ * ـصيانهم كيف أعظم الافتراء

كوثر المصطفى غدا وردهم اذ * يصدر الكافرون عنه ظماء
جاءه النصر والفتوح فتبت * يد من عاندت يداه القضاء
نور إخلاصنا بخير البرايا * فلق الصبح من سناه أضاء
بك صرنا يا خاتم الرسل للرسل * على الناس بالاداء شهداء

الى أن قال

فاز بالرفع مغلق لك وشي * كيف ترقى وأفحم الشعراء
وبخفض الجناب جوزي منشي * ذكر الملتقى جزاء وفاء
جئت من بعد ذا وذاك أخيرا * فلهذا نظمي على الفتح جاء
ركضت حلبة السباق فكانا * سابقيها وخلفا الا كفاء
لهما ما لنا أبيت وان لم * أك ممن يرى لذاك كفاء
وبفكري في بحر شعرهما غصت * وان كان الغوص ليس سواء
بهما قد شرفت اذ صرت اسما * ثالث اثنين أعجز النظراء
أمنا أن يعتز زامنذ حين * بمثيل تعززا واعتلاء
فهما النيران ما خال طرف * لهما ثالثا يحل السماء
بعد دلو بها رميت بدلوى * عل لى جاه نجي وماء
وبرغمى زاحمت هذين أبغى * بهما العين لا الريا والمراء
سعدا فارتضيت أسعد لما * سرت في الاثر أقتفى السعداء
حركات الهجاء عكس لسعدى * فغدا الفتح مبتداها انتهاء
فلعلى أجاز منك بفتح * حين أنهى الانشاد والانشاء
فأنلني مناى واشمل قريضي * بقبول يكسو القريض السناء
وأجزني على الصراط اذا ما * صاح هول الجواز أن لا نجاء
يا ملاذي اذا الموازين وازت * عملي وهو لا يوازى الهباء
يا عياذي اذا تطايرت الصحف * يمينا ويسرة ووراء
وبدت لي يوم الحساب أمور * ضل عنى حسابها وتناء
وتلوت قوائمي عندما الاو * صال صارت من رعدتي أشلاء
يا أماني من خيفتي هذروعي * إن روعي أعرى بها العرواء (١)

(١) العرواء بضم ففتح قرة الحمى ومسها في أول رعدتها اه

يا غياثى اذا دنا لهب الشمس * وأذكى لعابها الرمضاء
أنت لى جنة هناك * سابغ نتقى به اللأواء
يا عزيز الجناب دعوة عبد * لك فى الرق يستحق الولاء
كيف عبد العزيز عبدك يلقى * ذلة أو اضاقة أو شقاء
أو يخاف الظما غدا وهو منسوب * لسقيا أبيك نعمت سقاء
انه قارف الذنوب وأخطا * وبك الله عنه يمحو الخطاء
فيك طبق أن لا تخيب ظنى * وبهذا اكتفيت نعم اكتفاء
فسلام عليك ثم صلاة * بفضاء العروض قامت أداء
وسلام عليك ثم صلاة * تمنح النفس من رضاك الرضاء
وعلى آلك الذين ولاهم * من يد الكرب ينقذ الاولياء
عدتى عند شدتى وملاذى * عندما ترسل الخطوب البلاء
عقد دينى ودادهم وهواهم * منه قلبى امتلا أتم امتلاء
هم الى جودك الوسيلة إن رد * فى الذنب دونه إقصاء
وعلى صحبك الجميع خصوصا * من حوى السبق وابتدا الخلفاء
الذى جيش الجيوش وقوى * عزمه يوم أمر الامراء
الصديق الصديق أفضل من آ * من بالله ماعدا الانبياء
ثم من بعده على معتقيه * سدنا ينتهى اليك انتماء
ترجمان المحدثين فحكم * وبكشف فوافق الايحاء
ثم من طال فى بناء المعالى * عندما شاد بابنتيك البناء
الحيى الذى استحت منه أملا * ك السماء تسما وزاد حياء
وعلى المرتضى وليك وابن العم * من حاز بالخصوص الاخاء
خير صهر وعاصب زوجه * خيرة الله بنتك الزهراء
أصل ريحانتيك ورث أصلا * طاب فرعا مغرسا ونماء
أى سبطين قد علاك جد * ثم طيب أما وازكا أ
خير نجلين ينميان لاد * أنجبت من كليهما النجباء
سادت الام فى الجد ... * فعزوا نسبا ... و...
وسلام عليك ثم على ... * وعلى كل من نجى ...

وعلى عمك الذى طيب الله * به بأنفاس روحه الشهداء
وعلى صنوه الذى بك أبقى * لبنيه الخلافة القعساء
وسلام عليك ثم على آ * ل واجبك اللاء تلى منك الحياء
وسلام عليك ثم صلاة * بشذا المسك يختمان الثناء
ما ابتدا مدحك امرؤ عند كرب * فانجلى حين وافق الانتهاء

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة سنة عرض لابى طالب شخوص الى الشام فى تجارة وكان النبى صلى الله عليه وسلم بآله فسأله اخراجه معه فأبى عليه صيانة له فاغتم وبكى فأخرجه فرآه راهب من الاحبار يقال له بحيرا وقد أظلته غمامة فقال لابى طالب من هذا منك قال ابن أخى قال اماترى هذه الغمامة كيف تظله وتنتقل معه والله انه لنبى كريم وانى لاحسبه الذى بشر به عيسى عليه السلام فان زمانه قد قرب وينبغى ان تحتفظ به خشية ان تقتله اليهود فرده أبو طالب الى مكة

ولما جاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرين قال له أبو طالب يا ابن أخى ان خديجة بنت خويلد امرأة موسرة ذات تجارة عريضة وهى محتاجة الى مثلك فى امانتك وطهارتك ووفائك فلو كلمناها فيك فوكلتك ببعض أمرها وتجارتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعل ياعم مارأيت فمضى أبو طالب اليها فكلمها فى توكيل النبى صلى الله عليه وسلم ببعض تجارتها فسارعت الى ذلك وبعثت فيه ووجهته الى الشام ومعه غلام لها قيم يقال له ميسرة فلما فرغ مما توجه اليه وقدم مكة اخبرها ميسرة بأمانته وطهارته وعن طائره ومايقول أهل الكتاب فيه وما ظهر له من البركة وكثرة الارباح وسهولة الامور وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة برزة (١) مرغوبا فيها لشرفها ويسارها فدست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرض عليه ان يتزوجها فرغب فى ذلك

(الفصل الثالث فى زواجه بخديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها ومارزقه الله)
(من الذرية منها)

ولما كانت خديجة رضى الله تعالى عنها رئيسة سريعة وهى يومئذ من ازكى قريش نسبا

(١) فى القاموس امرأة برزة بارزة المحاسن أو متجاهرة كهلة جليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة اه

وأعظمهم

وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا كان كل من قومها حريصا على الزواج بها لو يقدر عليه
الا أنها اجتمعت به صلى الله عليه وسلم وقالت له يا ابن العم انى قد رغبت فيك لقرابتك
منك وشرفك فى قومك وأمانتك فيهم وحسن خلقك وصدق حديثك فاخطبنى
من عمى عمرو بن أسد وكان شيخا كبيرا فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه فخرج
معه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على عمرو بن أسد فخطبها اليه فقبل فأمرت بشاة
فذبحت واتخذت طعاما ودعت عمها عمرا وبعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتى ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب ورؤساء مضر فأكلوا فخطب أبو طالب فقال
الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ (اى أصل) معد
وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وشوكة حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا
الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح وان كان
فى المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة
بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا من مالى وهو والله بعد هذا
له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فى المنتقى
فلما أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت
وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة
فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم
فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله
على أربعمائة دينار ثم سكت ورقة وتكلم أبو طالب وقال قد أحببت أن يشركك عمها
فقال عمها اشهدوا على يا معشر قريش انى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت
خويلد وشهد على ذلك صناديد قريش وفى السمط الثمين وأصدقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة وتكلف الجمع بتقويم الأمر بذلك أو أن أحد الشيئين

سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام خمس عشرة سنة قبل الوحي والباقية بعده وكانت وفاتها في السنة العاشرة من النبوة وكان تزوجه بها بعد قدومه من الشام بشهرين وأيام وكان سنه صلى الله عليه وسلم يومئذ نحو خمس وعشرين سنة وسنها أربعون سنة فكان زواجها بأشرف العرب على الاطلاق زواج كفاءة جليلة وحسن تراض ووفاق وولدت له صلى الله عليه وسلم وبقي الخلف منهما ما تكون منه المجد في الآفاق

ولما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بنت أسد بن عبد العزى ابن قصي قبل الاسلام ولدت منه القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه كان يكنى وقد مشى وهو ابن سنتين وهل يجوز أن يكنى غيره صلى الله عليه وسلم بأبي القاسم أولا خلاف واليه أشار بعضهم بقوله

في كنية بقاسم خلف وقع * فالشافعي مطلقا المانع
ومالك جوز والنهي جعل * على الحياة والنواوي جعل
هذا هو الاقرب اما الرافعي * يمنع من سمى محمدا فعي (١)

وقد روى الشيخان عن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بالبقيع فسمع قائلا يقول يا أبا القاسم فرد رأسه اليه فقال الرجل يا رسول الله اني لم أعنك انما دعوت فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني جعلت قاسما قسم بينكم وكنى أيضا أبي إبراهيم وأبي الارامل ذكره ابن دحية وأبي المؤمنين من قراءة أبي بن كعب النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم

وولدت له أيضا زينب وهي أكبر بناته صلى الله عليه وسلم تزوجها أبو العاص بن الربيع واسمه لقيط بن الربيع وهو ابن خالتها وأمه هالة بنت خويلد بن أسد وكان تزوجها قبل الاسلام فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة آمنت خديجة كما آمنت بناته وصدقته زينب وثبت أبو العاص على دين قريش وكان من معدودي قريش ورجال مكة مالا وأمانة وتجارة فمشت اليه وجوه قريش فقالوا اردد على محمد ابنته ونحن نزوجك أي امرأة أحببت من قريش فقال لا والله اني لا أفارق صاحبتي واني [illegible] حبه وكانت [illegible] على شركه [illegible] أبا العاص [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] جديد وقال

(١) أي يمنع من سمى محمدا أن يكنى بأبي القاسم [illegible]

بل ردها بالنكاح الاول بعد سنتين وقيل قبل انقضاء العدة وكان ذلك فى المحرم سنة سبع من الهجرة

ولما أسلم أبو العاص اتى مكة ثم رجع الى المدينة فكان بها فلما فتحت مكة أقام بها ولم يقاتل مع النبى صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة اثنتى عشرة وأوصى الى الزبير بن العوام وهو ابن خاله وكان لابى العاص بن الربيع من زينب على وأمامة فأما على فمات وهو غلام ولم يعقب وأما أمامة فتزوجها على بن أبى طالب بعد وفاة فاطمة رضى الله تعالى عنها فولدت له محمد بن الحنفية وقتل على رضى الله عنه وهى عنده فحملها ابن عمها عبد الرحمن بن محمد الى المدينة وكتب معاوية رضى الله عنه الى مروان بن الحكم يأمره ان يخطبها عليه ففعل فجعلت أمرها الى المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو الذى كان الحسن بن على استخلفه على الكوفة حين سار الى المدائن فأشهد المغيرة عليها برضاها بكل ما يصنع فلما استوثق منها قال قد تزوجتها وأصدقتها أربعمائة دينار فكتب مروان بذلك الى معاوية فكتب اليه هى املك بنفسها فدعها وما اختارت ثم انه بعد ذلك سار المغيرة الى الصحراء فمات وماتت بالصفراء وولدت للمغيرة ولدا اسمه يحيى كان يكنى به ولم يعقب وتوفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثمان من الهجرة بالمدينة وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فى قبرها ومعه أبو العاص وجعل لها نعش فكانت أول من اتخذ لها النعش والتى أشارت باتخاذه اسماء بنت عميس رأته بالحبشة وهى مع زوجها جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه

وولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وهى اكبر بناته بعد زينب تزوجها عتبة بن ابى لهب فلما نزلت تبت يدا ابى لهب قالت امه أم جميل حمالة الحطب هى بالجيد ... على ابنها عتبة ان يطلق رقية وعزم عليه ابوه أيضا ففعل فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ... عثمان بن عفان بمكة وولدت له أرض الحبشة عبد الله وبه كان

وولدت خديجة رضي الله تعالى عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولا يعرف لها اسم وإنما تعرف بكنيتها تزوجها عتيبة بن أبي لهب فلما نزلت تبت يدا أبي لهب أمر ابنه بفراقها ففعل فلما توفيت رقية زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم من عثمان أيضا فلم تزل عنده حتى توفيت في سنة تسع وصلى عليها أبوها صلى الله عليه وسلم ولم تلد من عثمان فبكا عثمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال انقطاع صهري منك يا رسول الله فقال كلا إنه لا يقطع الصهر الموت إنما يقطعه الطلاق ولو كانت عندنا ثالثة لزوجناك

وولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وهي أصغر بناته ولدت قبل النبوة بخمس سنين أيام بناء البيت وتوفيت بعده عليه السلام بستة أشهر وتلقب بالبتول من البتل وهو القطع لانقطاعها عن نساء الامة فضلا ودينا وحسبا ونسبا وتلقب أيضا بالزهراء وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بإلهام من الله تعالى لأن الله تعالى فطمها وذريتها من النار وكانت أحب أولاده صلى الله عليه وسلم فكانت إذا دخلت عليه صلى الله عليه وسلم قام لها إجلالا والاحاديث في فضلها كثيرة ولما بلغت خمسة عشرة سنة تزوجها علي بن أبي طالب بالمدينة فولدت له الحسن والحسين رضي الله عنهما ومحسن درج صغيرا وولدت له من البنات زينب وأم كلثوم ورقية وسيأتي الكلام عليهن

وقد اختص ولداها السبطان عزا بالانوحد في غيرهم فنسبوا إليه صلى الله عليه وسلم خصوصية لهم ولم تكن الاشرفية المطلقة إلا لعقب الحسنين فقط لاختصاص ذريتهما بشرف النسب وقد انقرض نسبه صلى الله عليه وسلم إلا من فاطمة رضي الله عنها طاب أصلها أما وأبا وانتشرت سلالته الشريفة منها من جهة السبطين ويقال لأولهما حسني وللثاني حسيني وانعقد الاجماع بأن المراد بآل البيت في الآية الشريفة علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهما وهم أهل العباءة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود (المرط بالكسر كساء من صوف أو خز والجمع مروط وربما أطلق على ما نسج من الشعر قال بعضهم وهو خاص بالازار والخمار) فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثم قال أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن

سالمهم وعدو لمن عاداهم وهذه الآية دلت على منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى في اذهاب الرجس أي الاثم عنهم وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وتحريمهم على النار الذي هو فائدة ذلك التطهير وغايته إذ منه الالهام والانابة الى الله وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة وهي القطبية فلم يكن قطب الا منهم في كل زمان وهو المختار خلافا للمرسي ومن تطهيرهم أيضا تحريم الصدقة عليهم فرضا بالاجماع ونفلا على قول للامام مالك لانها أوساخ الناس مع انها تنبئ عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه وعوضوا عنها خمس الخمس من الفيء والغنيمة المنبئ عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه واحتج واباشاركه صلى الله عليه وسلم في تحريم الصدقات ولما اخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ ارم بها اما علمت أنا لا نأكل الصدقة وفي رواية ان آل محمد لا يأكلون الصدقة وحكمة ختم الآية بالمبالغة في وصولهم لاعلاه ودلت هذه الآية أيضا على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلى فضل أهل الكساء رضي الله تعالى عنهم وقد قيل في ذلك

ان النبي محمدا ووصيه * وابنيه وابنته البتول الطاهره
أهل العباء فانني بولائهم * أرجو السلامة والنجا في الآخره

وقال غيره

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا * تمسك في أخراه بالسبب الاقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا * محاسنها تحكى وآياتها تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى * وطاعتهم خير وودهم تقوى

ولا شك ان من ينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم أو أب ففيه سر بالنسبة ودم الكريم فالمنتمى اليه هو بضعة في وجوب الاجلال والتعظيم والتعزير والتوقير والبر والنصيحة وبضعه صلى الله عليه وسلم كجسمه كما قيل في وصف شريف

هو بعض النبي والله قد شاع جميع النبي والبعض ظهرا

ويوضح ذلك ان فاطمة رضي الله عنها بضعته صلى الله عليه وسلم وولادها بضعة منها فيهم بضعة من [illegible] بضعة [illegible] بضعة بنات البضعة وهكذا ابوهم وشرفهم

وهلم جرا فكل من يوجد منهم في كل زمان بضعة منه بالواسطة فأقيم وجودهم مقام وجوده صلى الله عليه وسلم وفي هذا من مزيد الكرامة والتشريف مالا يخفى وحرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وقد قال تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى أي ان تودوا قرابتي ويطلق أهل البيت اطلاقا آخر على كل حسني وحسيني وعلوي من ذرية محمد ابن الحنفية أو غيره من أولاد علي بن أبي طالب أو جعفر أو عقيلي أو عباسي فيطلق عليه اسم الشريف ولذلك تجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحونا في التراجم بذلك يقول الشريف العباسي الشريف العقيلي الشريف الجعفري الشريف الزينبي فلما ولي الخلافة الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط لكونهم علويين فاستمر بذلك الى الآن قال الحافظ ابن حجر في كتاب الالقاب الشريف ببغداد لقب لكل عباسي وبمصر لقب لكل علوي انتهى قال العلامة الصبان ولاشك ان المصطلح القديم أولى وهو اطلاقه على كل علوي وجعفري وعقيلي وعباسي كما صنعه الذهبي وكما أشار اليه الماوردي ومثله قول ابن مالك في الالفية * وآله المستكملين الشرفا * وقد يقال على اصطلاح أهل مصر الشرف انواع عام لجميع أهل البيت وخاص بالذرية فيدخل فيه الزينبيون وجميع أولاد بناته وأخص منه وهو شرف النسبة وهذا مختص بذرية الحسن والحسين انتهى وبالجملة فيجب تعظيم الجميع لانهم جميعا قربى وأشراف بالمصطلح العام وقد اراد بعض العلماء ان يقبل يد بعض كبار الاشراف فمنعه من ذلك فأنشده

أتمنعني اللثم من راحة * نماها الى الهاشمي الكرام
كأني اذا أنا قبلتها * لثمت يديه عليه السلام

وحسب أهل البيت من الكرامة قوله صلى الله عليه وسلم وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالواحدانية ولي بالبلاغ ان لا يعذبه ومن الآثار الواردة عن سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال الزموا مودتنا أهل البيت فان من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ولنا أبيات في ذلك وهي

انتمائي لكم بصفو صفاتي * يا لبيت الزهراء ازهى صفاتي
جدكم في الوجود شمس وأنتم * أنجم زهر غير منكسفات
أنتم بضعة النبي نشأتم * عن صفي من بضعة مصطفاة
سيد الكونين اصلا وفرعا * في شعاب على العلى مشرفات

أبطي

ابطعى لولاه ما فاح من مكة عرف التعريف في عرفات

لا ولا كان أهل بدر بدورا * يتبوأن في علي الغرفات

لسوا كم مارمت قسط التفاتا * واليكم صرفت كل التفاتي

حاش لله ان أضام وأنتم * ملجأ اللائذين كهف العفاة

ويقيني أرجو به ان يقيني * من عظيم الاهوال والآفات

كم مجير منكم حمى مستجيرا * وأغاث الملهوف بالمرهفات

كم لكم بالنوال دنيا وأخرى * من أياد على الورى عاطفات

بخلوص المديح أرجو خلاصي * من مساوي ايامي السالفات

ان نظمتم رعاعة في ولاكم * حاز أمنا من سطوة المرجفات

فأماني من حادثات زماني * انتمائي لكم بصفو صفاتي

ومن خصوصيات السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها انه يحرم التزوج عليها مخافة ايذائها بالغيرة التي هي من طبع النساء للاحاديث الدالة على تحريم نكاح عليها حتى تأذن ولقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وليس ذلك شاملا لجميع بناته صلى الله عليه وسلم بل هو خاص كما استصوبه الحافظ ابن حجر بفاطمة الزهراء لانها اصيبت بأمها وأخواتها واحدة واحدة ولم يبق لها من تستأنس به ممن يخفف عنها ألم الغيرة وتوفيت رضي الله عنها في ثالث رمضان ولها من العمر تسع وعشرون سنة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وصلى عليها العباس رضي الله عنه وولدت السيدة فاطمة رضي الله عنها زينب وام كلثوم ورقية فأما زينب فقد تزوجها ابن عمها عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب فولدت له عليا وعونا الاكبر وعباسا ومحمدا وام كلثوم وأما أم كلثوم فانه تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا وقتل عنها ثم تزوجها ابن عمها عون بن جعفر بن ابي طالب فمات عنها ثم تزوجها بعده أخوه محمد فمات عنها ثم تزوجها بعده أخوه عبد الله فماتت عنده ولم تلد لاحد من الثلاثة شيئا وتوفيت أم كلثوم وابنها زيد في يوم واحد وصلى عليهما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأما رقية فماتت صغيرة

وولدت السيدة خديجة بمكة [illegible] صلى الله عليه وسلم عبد الله وهو الملقب بالطيب والطاهر [illegible] ومات بمكة فقال العاص بن وائل قد انقطع ولده فهو ابتر فانزل الله عز وجل ان شانئك هو الابتر [illegible]

يوم موته فقالوا كسفت لموته فقال عليه الصلاة والسلام ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى الصلاة وسبب ذلك اذا اراد الله ان يرى عباده آية يخوفهم بها اظهر لهم شيئاً من عظمته وسلطانه ولما مات بكى عليه صلى الله عليه وسلم وقال البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان وقال من لا يرحم لا يرحم ورأى صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر ابراهيم فقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا ان يتقنه فهؤلاء أولاده صلى الله عليه وسلم كلهم من خديجة الكبرى أم المومنين رضي الله عنها وأما ابنه ابراهيم فمن مارية بنت شمعون القبطية ومات جميع اولاده صلى الله عليه وسلم فى حياته الا فاطمة فبعده بستة أشهر ولم يكن له صلى الله عليه وسلم أولاد من غيرهما وقيل ان عائشة أسقطت سقطا ولم يثبت توفى ابراهيم صغيرا مرضعا وكان مولده فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة بالعالية وهى مال من أموال بنى النضير كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة وفى رواية بكبشين يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن فى الارض وسماه يومئذ ودفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أم برده خولة بنت المنذر زوج البراء بن أوس أحد بنى النجار فكانت ترضعه والعقيقة هذه احدى الولائم الثانية وليمة العرس الثالثة الخرس بضم الخاء المعجمة ويقال بالصاد المهملة طعام الولادة وهى غير العقيقة الرابعة الاعذار بكسر الهمزة وبالعين المهملة والدال المعجمة للختان الخامسة الوكيرة لبناء الدار السادسة النقيعة للمسافر من النقع وهو الغبار وقيل ان المسافر يصنع الطعام وقيل يصنعه له غيره السابعة الوضيمة بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة طعام عند المأتم الثامنة المأدبة بضم الدال وفتحها طعام يتخذ ضيافة بلا سبب ونظمها العلامة بهرام المالكى رحمه الله فقال

ثمانية أسماء الاطعمة أتت * عن العرب نقلا لا ترى بقياس
وليمة عرس ثم اعذار خاتن * نقيعة سفر ثم خرس نفاس
ومأدبة فى دعوة ووكيرة * لاجل بناء محكم بأساس
عقيقة مولود كذاك حذاقه * اذا حذقه حاذ وقيس من الناس

لكنه جعل الحذاق بدل الوضيمة فهى حينئذ تسعة وزيد أيضا الاملاك للعقد والعتيرة ذبيحة لاول شهر رجب وعلى هذا فأسماء الاطعمة احد عشر وذيل الشمس التتائى بثلاثة

وتاسعة

وتاسعة الاملاك للعقد قد أتت * عشيرة ذبح للاصب مواسى
وحادية العشر فعسل وضجة * بيت جمالك الله شر أناس

وقد ورد في حديث انس عند البيهقي انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة فلو كان ماذبحه جده في سابع ولادته صلى الله عليه وسلم عقيقة لم يعدها النبي صلى الله عليه وسلم و يعق عن نفسه وأجيب عنه بأن مافعله النبي صلى الله عليه وسلم بعد النبوة ليس اعادة للعقيقة وانما هو لاظهار الشكر على ايجاد الله اياه رحمة للعالمين وتشريع لامته كما كان صلى الله عليه وسلم يصلي على نفسه كذلك والجواب المشهور ان مافعله جده عبد المطلب من العقيقة لم يقع عنه لان ذلك كان قبل الشرع فلا يتعلق به حكم والعقيقة التي فعلها صلى الله عليه وسلم عنه بعد النبوة على تقدير صحتها كانت بعد الشرع فهي المشروعة والواقعة عنه لانه بعد ولادته لم يقع عنه عقيقة مشروعة على ان ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة انما هو حديث منكر كما قاله بعضهم وقد نظم بعضهم عدة أولاد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله

فأول ولد المصطفى القاسم الذى * به كنية المختار فافهم وحصلا
وزينب تتلو ورقية بعدها * وفاطمة الزهراء جاءت على الولا
كذا ام كلثوم تعد و بعدها * في الاسلام عبد الله جاء مكملا
وكلهم كانوا أتوا من خديجة * وقد جاء ابراهيم في طيبة تلا

وتوفيت السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها في سنة عشر من المبعث قبل الهجرة بثلاث سنين و بعد مضي عشر سنين من مبعثه صلى الله عليه وسلم ودفنت بالحجون وهي ابنة خمس وستين سنة وستة أشهر وللنبي صلى الله عليه وسلم عند وفاتها تسع وأربعون سنة وثمانيه أشهر وأربعة عشر يوما وذلك قبل موت أبي طالب بثلاثة أيام فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما وقال مانالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب وذلك ان قريشا وصلوا من إيذائه بعد موت أبي طالب الى مالم يكونوا يصلون اليه في حياته وكان عليه الصلاة والسلام يسمي ذلك العام عام الحزن ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبر السيدة خديجة وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابي هالة هند بن النباش بن زرارة وولدت له هند بن أبي هالة سمي باسم ابيه ثم خلف عليها بعده عتيق بن عائذ بن عبد الله ثم طلقها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكانت ابنة عم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة

ابن كعب بن لؤي وهو ابن عم خديجة لانها بنت خويلد بن أسد فأكرم الله عز وجل بها نبيه صلى الله عليه وسلم وكانت خديجة ولدت لعتيق السابق ذكره جارية فتزوجها صيفي بن أمية فولدت له محمدا فيقال لبني محمد بن صيفي بالمدينة بنو الطاهرة قالت عائشة رضي الله عنها اني لاغار على خديجة واني كنت بعدها لما كنت اسمع من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ولقد سمعته يقول كانت خديجة خير نساء العالمين وقال ان لخديجة بيتا في الجنة من قصب (أي قصب اللؤلؤ) لا صخب فيه ولا نصب (الصخب الصياح والمضطرب الصوت للخصومة والنصب أي لا تعب) واني لاعرف فضلها رحمها الله

قال بعض الصوفية ان أربعة من النساء احببن أربعة من الانبياء عليهم السلام فوجدن بذلك المغفرة الاولى خديجة بنت خويلد أحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت بذلك المغفرة والقربة والاسلام والنجاة من عبادة الاصنام وكانت أول امرأة اسلمت من نساء عصرها وبشرها جبريل من ربها والثانية آسية بنت مزاحم احبت موسى الكليم فاوردها حبه جنة النعيم وبنى الله لها بيتا في الجنة وأنظرها المنية والثالثة بلقيس احبت سليمان بن داود عليهما السلام فكان حبها اياه سببا لدخولها في الاسلام وكانت تعبد الشمس من دون الرحمن حتى بانت لها الحقائق ووصل اليها كتاب كريم

أول من يدخل من باب الحرم يقضي بينكم ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين هذا محمد رضيناه فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلموا الي ثوبا فأتي به فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بطرف من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ثم بني عليه حتى اتموا بناء الكعبة فأرضى الكل صلوات الله عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه الوحي الامين وفي اعلام النبوة عن ابي رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله اني لامين في السماء وامين في الارض وكان بناؤها قبل الهجرة بثماني عشرة سنة ثم تقضيه انتحكم فيه هبيرة بن وهب المخزومي

وكساها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم القباطي وكساها معاوية رضي عنه الديباج يوم عاشوراء والقباطي في آخر رمضان وكساها المأمون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطي أيضا فكانت تكسى الديباج الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى في زمن المتوكل العباسي ثم في زمن الناصر العباسي كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك الى الآن في كل سنة وكانت كسوتها من غلة قريتين يقال لهما بسوس وسندبيس من قرى القاهرة بارصادا الملك الصالح ابن الناصر محمد بن قلاوون في سنة سبعمائة واحدى وخمسين الى أن صارت الكسوة من القاهرة المعزية على طرف الخزينة المصرية الخديوية وقد سئل الامام البلقيني هل يجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز دوورانها في المحمل الشريف فأجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخرة التي يرجى لمن يكسوها الخلع السنية في الدنيا والآخرة ويجوز اظهارها في دوران المحمل الشريف فان في ذلك من التفخيم المناسب للمحمل المنيف ما يليق بالحال هذا كلامه

وأول من حلى بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بئر زمزم وجد فيها الاسياف والغزالين من الذهب فضرب الاسياف بابا وجعل في ذلك الباب الغزالين فكان أول ذهب حليت به الكعبة وقد سبق ذلك في حفر زمزم في الفصل الاول من الباب الاول من المقالة الخامسة واول من ذهب الكعبة في الاسلام عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما جعل على اساطينها صفائح ذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وجعل الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب يقال انه أرسل لعامله على مكة ستة وثلاثين الف دينار يضرب منها على باب الكعبة وعلى الميزاب وعلى الاساطين التي داخلها وعلى اركانها من داخل وذكر ان الامين ابن هارون الرشيد أرسل الى عامله بمكة ثمانية عشر الف دينار ليضربها صفائح الذهب على باب الكعبة فقلع منها ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مساميرها وحلقتي الباب والعتبة من الذهب وان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤا أن يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل وقد سبق التنويه الى ذلك في الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الرابعة من الجزء الاول ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الاربعين وأرسل بخصوصه الى الانس والجن أجمعين أتاه جبريل من الله بالوحي وهو بغار حراء

(الجبل المشهور بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها) الذى كان يخلو فيه للمجاورة والعبادة وخاطبه بالرسالة الآتية بالشريعة المطهرة والحنيفية السمحة الى كافة الخلق فكان ذلك سببا لاسعادهم وموجبا لصلاح معاشهم ومعادهم وكان ذلك على فترة من الرسل ليس للناس شرائع ولا أحكام ولا علم بالتوحيد ولا أمر شرعى يحفظ دماءهم وأموالهم فجاءت شريعته جامعة للاحكام والحكم التى لا تحصى والنعم التى لا تستقصى فيا له من بعث محا الضلالة والوعث

(الباب الثانى فى مبعثه صلى الله عليه وسلم ودعائه الناس الى الدين الحق وهجرته) *(الى الحبشة والى الطائف وفيه فصول)*

(الفصل الاول فى رسالته صلى الله عليه وسلم على رأس الاربعين الى كافة الناس) *(بشيرا ونذيرا)*

كان صلى الله عليه وسلم له الرياسة المؤثلة على قومه الذين أصابوا الملك وأطاعتهم العرب واجتمع لهم ما لم يجتمع لغيرهم من مناصب الشرف فى ذلك الوقت وهى الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة هى سدانة البيت الشريف أى تولية مفاتيح بيت الله تعالى والسقاية اسقاء الحجيج كلهم الماء العذب وكان نادرا بمكة يجلب الماء من الخارج ليسقى الحجاج منه بل وينبذ لهم التمر والزبيب للشراب أيضا والرفادة هى اطعام الطعام لسائر الحجاج فكانت تقدم الاطعمة فى أيام الحج والندوة هى المشورة وكان يجتمع فيها من قريش ومن غيرهم من سنه أربعون سنة فلا يعقد عقد نكاح الرجل من قريش الا فيها وأما اللواء فراية معقودة على رمح منصوبة علامة لاجتماع الجيش لحرب الاعداء فيجتمعون تحت هذه الراية وهى اللواء عندهم والقيادة امارة الجيش ورياسة الحروب فكان صلى الله عليه وسلم شهيرا بشرف [illegible] بمكة المشرفة التى هى أم القرى وكان له صلى الله عليه وسلم محاسن سنية كقضائه بين [illegible] فى بناء الكعبة [illegible] صلى الله عليه وسلم على [illegible] عثمان بن حويرث [illegible] يجعل الكعبة تحت ولاية [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] فى [illegible] بنى الحويرث

ومن محاسنه أيضا ومكارم أخلاقه تكفله بتربية على بن أبى طالب ومنها فديته زيد [illegible] بن حارثة بن شرحبيل الذى وقع أسيرا عند أعدائه وشراؤه صلى الله عليه وسلم [illegible] لقريش [illegible] فى [illegible]

قريش خيار بني آدم * وخير قريش بنوهاشم
وخير بني هاشم كلهم * نبي الاله أبو القاسم

وكان صلى الله عليه وسلم أميا لا يكتب ولا يقرأ وفي وجوده بهذه الصفة تنبيه على ان كمال علمه مع حالة الامية من معجزاته ونسبته الى الام كانه على حاله التي ولدته امه لا يعرف كتابة ولا قراءة وفي الحديث انا امة أمية لا نحسب ولا نكتب وكانت الامية في حقه صلى الله عليه وسلم معجزة وان كانت في حق غيره غير ممدوحة قال القاضي عياض لان معجزته العظمى القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريقة المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك ووجود مثل ذلك ممن لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولم يلقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجز البشر وليس فيه اذ ذاك نقيصة اذ المطلوب من القراءة والكتابة المعرفة وانما هي آلة وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة وقال أيضا ان من وصفه صلى الله عليه وسلم بالامية أو نحوها من اليتم وما جرى عليه من الاذى فان قصد بذلك مقصده من التعظيم والدلالة على نبوته ونحو ذلك كان حسنا ومن اراد ذلك على غير وجهه وعلم منه سوء مقصده لحق بالساب فيقتل أو يؤدب بحسب حاله انتهى

وكان صلى الله عليه وسلم يختلي في كل سنة شهرا مع أهل بيته في غار حراء بقرب مكة فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد عزلة اي بحار الافكار ملازما للصمت آناء الليل وأطراف النهار حتى أتاه الوحي على رأس الاربعين سنة في محل العبادة بالنبوة فاول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات الوحي قيل مدتها ستة أشهر ابتداؤها شهر ربيع الاول ثم فجأه جبريل وهو بالغار المذكور في شهر رمضان فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم قال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغطه كذلك ثم أعاد جبريل فقال له اقرأ وأعاد محمد صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بقارئ فقال له جبريل بعد المرة الثالثة اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ علم الانسان ما لم يعلم فقرأها وما في قوله ما أنا بقارئ نافية في الكل أو الاولى للامتناع والثانية للاخبار بالنفي المحض والثالثة استفهامية وكرر عليه الغط ليقبل بكليته ويتم توجهه لما يلقى عليه ولما عاد الى خديجة وأخبرها بالخبر قالت والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر ثم انطلقت به حتى أتت ابن عمها ورقة بن نوفل

فاخبرته

فأخبره خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزله الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي نحو ثلاث سنين

وانما كان بدء الوحي بالرؤيا الصادقة لئلا يفجأه الملك ويأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تقبلها القوى البشرية فبدئ أول تباشير النبوة وحصول الكرامة أنسا وتمرينا له فلما تمرن على ذلك في المنام جاءه الملك في اليقظة بصريح النبوة والكلام ثم بعد ذلك فتر الوحي نحو ثلاث سنين فيما جزم به ابن اسحاق وقيل سنتين ونصفا ليذهب عنه ما وجده من الروع وليزيد تشوقه الى العود ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا ثم نزل عليه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وتتابع الوحي فهي أول ما نزل عليه بعد فترة الوحي ونزولها ابتداء رسالته صلى الله عليه وسلم وهي متأخرة عن نبوته بثلاث سنين وقيل مقارنة للنبوة وأما اقرأ باسم ربك فهي أول ما نزل مطلقا والقول بان ما نزل مطلقا يا أيها المدثر باطل كما قاله النووي فظهر من نزول اقرأ باسم ربك أولا ونزول يا أيها المدثر بعد فترة الوحي ان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت متقدمة على رسالته كما صرح به أبو عمر وغيره وعلى ذلك يحمل قول صاحب جامع الاصول الصحيح عند اهل العلم بالاثر انه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة فكان في اقرأ باسم ربك نبوته وفي يا أيها المدثر رسالته بالنذارة والبشارة والتشريع والاقتصار على الانذار في هذه السورة مع انه صلى الله عليه وسلم بعث مبشرا أيضا لان ذلك كان في أول الاسلام فمتعلق الانذار محقق فلما أطاع من أطاع نزل الله قوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا فانقطعت الفترة بدعوته صلى الله عليه وسلم عموم الناس للايمان

ثم أول شيء فرض الله عليه من شرائع الاسلام بعد الانذار بالتوحيد والبراءة من الاوثان الصلاة اتاه جبريل فعلمه الوضوء والصلاة ركعتين ثم فارقه وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى خديجة فأخبرها فغشي عليها من الفرح ثم أخذ بيدها وعلمها الوضوء فتوضأت ثم قام فصلى ركعتين وصلت معه فكان ذلك أول فرضها ركعتين ثم ان الله تعالى أقرها في السفر وزادها في الحضر وقال النووي أول ما وجب الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكر في أول سورة المزمل بقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نسخه بما في آخرها بقوله فاقرؤا ما تيسر منه إذا مر أداء نوا

ما تيسر لكم وفرض عليه ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة انتهى

وقد اختلف العلماء في أول من أسلم والصحيح خديجة ثم أبو بكر ثم علي وكان عمره احدى عشرة سنة ثم زيد بن حارثة قال الثعلبي اجماع العلماء ان أول من اسلم من الرجال أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد تبناه وصار يقال له زيد ابن محمد ولم يذكر في القرآن أحد من الصحابة باسمه الا هو كما انه لم يذكر امرأة باسمها في القرآن الا مريم وأول من اسلم من العبيد الباقين على الرق بلال المؤذن فأول فائز بالاسلام من الرجال الصديق على التحقيق وان قال شيخ الاسلام السراج عمر البلقيني وتبعه الحافظ العراقي ان أول من آمن به من الرجال ورقة ابن نوفل لنزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وايمانه بالنبي وتصديقه برسالته صريحا أي بعدها بناء على انهما متقارنتان أو قبلها لعلمه من الكتب القديمة كما جاء في أحاديث قصة بدء الوحي وغيرها في الصحيح وغيره وان مشى على ذلك أيضا جماعة من الائمة وعدوه في الصحابة واتسع الاسلام بعد ان اسلم أبو بكر فأسلم عثمان ابن عفان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص فهؤلاء الخمسة دعاهم أبو بكر فأجابوا ثم اسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وهو ابن عم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر فهؤلاء هم الذين سبقوا الناس الى الاسلام

وأول ما وجب الانذار والدعاء الى الله بالتوحيد بقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر فأقام صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين يدعو الى الله سرا لعدم الامر بالاعلان وكان لا يظهر دعوته الا لمن يثق به وتبعه ناس عامتهم ضعفاء من الرجال والنساء كما يشير الى ذلك حديث ان هذا الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدأ حتى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن ابي طالب مستخفيا من عمه ابي طالب ومن جميع اعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ماشاء الله ان يمكثا ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله رسولا الى العباد وانت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني اليه وأعانني عليه فقال

أبو

أبو طالب أي ابن أخي اني لا استطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك بشيء تكرهه ما بقيت

وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأراده من الخير ان قريشا اصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس وكان من أيسر بني هاشم يا عباس ان أخاك ابا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ماترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ رجلا فنكفهما عنه قال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ماشئتما ويقال عقيلا وطالبا وكان لابي طالب علي وجعفر وعقيل وطالب وكان علي أصغر من جعفر بعشر سنين وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين اسلم منهم علي وجعفر وعقيل ومات طالب على دين قومه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبيا فاتبعه وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى اسلم واستغنى عنه

واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد ان أوحي اليه فقيل عشر سنين وقيل ثلاثة عشر سنة وهو الصحيح ولعل الذي قال عشر سنين أراد بعد اظهار الدعوة فانه بقي ثلاث سنين يسرها ثم نزل عليه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الامر بالاعلان وذلك في قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فأعلن صلى الله عليه وسلم بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الاذى عليه وعلى المسلمين حتى اذن لهم في الهجرة الى الحبشة كما سيأتي

ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين دعا عليا فقال اصنع لنا صاعا من طعام واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا (أي قدحا عظيما) من لبن واجمع لي بني المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعل ودعاهم وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس واحضر علي الطعام فاكلوا حتى شبعوا قال علي قد كان الرجل الواحد منهم يأكل جميع ما شبعوا كلهم منه فلما فرغوا من الاكل وأراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يتكلم بدره أبو لهب الى الكلام فقال سحركم محمد صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا علي قد رأيت كيف سبقني هذا الرجل الى الكلام فاصنع لنا في غد كما صنعت اليوم

واجمعهم ثانيا فصنع علي في الغد كذلك فلما اكلوا وشربوا اللبن قال لهم صلى الله عليه وسلم ما أعلم انسانا في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله ان ادعوكم عليه فأيكم يوازرني على هذا الامر ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعا قال علي فقلت واني أحدثهم سنا وارمصهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليهم قال فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد أمرك ان تسمع لعلي وتطيع واستمر صلى الله عليه وسلم على ما أمره الله تعالى لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه حتى سب آلهتهم وعابها وسب قومه وآباءهم الى الكفر والضلال فأجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام وذب عنه عمه أبو طالب فجاء أبا طالب رجال من اشراف قريش فقالوا يا أبا طالب ان ابن اخيك قد عاب ديننا وسفه احلامنا وضلل آباءنا فانهه عنا أو خل بيننا وبينه فردهم أبو طالب ردا حسنا واستمر صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه فعظم عليهم وأتوا أبا طالب ثانيا وقالوا ان لم تنهه والا نازلناك واياه حتى يهلك أحد الفريقين فعظم عليه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ان قومك قالوا لي كذا وكذا فظن صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله فقال يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الامر ثم استعبر فبكى وقام صلى الله عليه وسلم فناداه أبو طالب أقبل يا ابن أخي وقل ما أحببت فوالله لا اسلمك لشيء أبدا فأخذت كل قبيلة تعذب كل من أسلم منها فمن لا عشيرة له تمنعه يعذبونه بأنواع التعذيب ويقال له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ومن المسلمين من مات من تعذيب المشركين وكان بعض المشركين يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ان ما جاء به من الآيات سحر يؤثر ومن قول البشر وأساطير الأولين ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب ومع ذلك فلا زال أذاهم شديدا عليه صلى الله عليه وسلم حتى اسلم عمه حمزة فقل اذاهم وكان اسلامه سنة خمس من النبوة قبل اسلام عمر بن الخطاب بثلاثة أيام وفي المواهب اللدنية قال حمزة حين اسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف

وأحمد

وأحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف

وفى هذه السنة أعز الله الاسلام أيضا باسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما سيأتى وسبب اسلام حمزة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عند الصفا فمر به أبو جهل بن هشام فشتم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يكلمه وكان حمزة فى القنص وكان على دين قومه فلما حضر أنبأته مولاة لعبد الله بن جدعان بشتم أبى جهل لابن أخيه صلى الله عليه وسلم فغضب حمزة وقصد البيت ليطوف به وهو متوشح قوسه فوجد أبا جهل بن هشام قاعدا مع جماعة فضربه حمزة بالقوس فشجه ثم قال أتشتم محمدا أنا على دينه فكان اسلامه بركته صلى الله عليه وسلم فقامت رجال من بنى مخزوم لينصروا اباجهل فقال أبو جهل دعوه فانى سببت ابن أخيه سبا قبيحا ودام حمزة على اسلامه وعلمت قريش ان النبى صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع باسلام حمزة فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولون منه وبقيت عداوتهم له وكانوا يسمونه صابئا لكونه خرج عن دين قومه لان الصابئ عند العرب من مال عن دين قومه الى غيره حكى ابن الجوزى فى بعض مجالس وعظه قال ما خلق الله رئيسا فى الخير الا وله مقابل من أهل الشر خلق الله آدم وابليس والخليل والنمرود وموسى وفرعون ومحمدا صلى الله عليه وسلم وأبا جهل وهكذا أبدا وكانت كنية ابى جهل ابا الحكم فكناه النبى صلى الله عليه وسلم ابا جهل وهو عمرو بن هشام وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل

ويحكى بمناسبة ذلك ان السلطان محمود الاول الغازى ذهب الى قطب الاقطاب أبى الحسن الخرقانى ليزوره فقال حدثنا حديثا عن أبى يزيد لنسمعه منك فقال الشيخ كان أبو يزيد رجلا من أبصره نجا ومن نظر اليه اهتدى فقال السلطان محمود أهو اعظم من حضرة محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان أبو جهل وغيره من الكفار يبصرونه و ينظرون اليه كمال النظر ولم ينجوا بل ماتوا على الكفر فأجابه الشيخ قدس سره بأن هؤلاء كانوا لا يبصرون تلك الحضرة بل كانوا يبصرون محمد بن عبد الله و ينظرون اليه بالنظر الى انه رجل من بنى آدم حتى لو كانوا ابصروه بوصف كونه محمدا رسول الله لفازوا بالسعادات وتجاوزوا الشبهات وتحولوا عن الضلالات ومصداق ذلك قوله جل ذكره وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وتحقيق ذلك ان الجثة الانسانية والصورة

البشرية الجسمانية يشترك فيها الانبياء والاولياء والعلماء وتستوى فيها الخاصة والعامة وانما الذى يناط به مراتب الرجال ويظهر تفاوت الاقدار هو المعانى والكمالات الحاصلة للانسان مع تفاوتها وتكثرها المتعلقة بالقرب الالهى ولا يعرف صاحب هذه الاوصاف الا الكاملون فمن غرق فى بحار الضلالات وانغمس فى تيه الجهالات كيف يعرف كمية المتصف بصفات الكمالات

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته * قوم نيام تسلوا عنه بالحلم اه

فغير الاستمرار على الايذاء لجسمه الشريف تعرضوا لاغتياله ورميه بالسحر والكهانة والجنون بعد ما سبق منهم قبل النبوة انهم كانوا ينظرون اليه نظر كمال واجلال حتى سموه بالامين قبل النبوة واشتهر عندهم بهذا العنوان ولم يجتروا على عدم اشتهاره بذلك حالا ولا تقصا فتناقض أمرهم فيه واختل اعتقادهم بعد النبوة لعمى بصيرتهم ورجعوا وصفوه بالجنون مثلا ولم يكن لهم شبهة فى ذلك الا ما رأوه منه عند نزول الوحى من الاستغراق لتلقيه ومن حمرة الوجه وكثرة العرق فعميت قلوبهم عن ادراك الفرق بين حالة نزول الملك وحالة الجنون مما لا يخفى على أدنى عاقل فكانوا يضطربون كأنه رجل من بنى آدم ولا يلتفتون الى امانته ولا الى وصف النبوة والمبالغة فى أذى قريش للمسلمين هى التى أوجبت هجرتهم الى الحبشة مرتين كما ان المبالغة خصوصا فى ايذائه صلى الله عليه وسلم هى التى أوجبت الهجرة الى الطائف ثم الى المدينة

(الفصل الثانى فى الهجرتين الى الحبشة)

ولما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء والتعذيب فى الاسلام والفتنة ورأى ما هو فيه من العافية من الله تعالى ثم من عمه أبى طالب وانه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة فى رجب سنة خمس من النبوة وقال لهم ان بها ملكا لا يظلم احد ببلاده فتحرزوا عنده حتى يأتيكم الله بفرج منه وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش فخرج المسلمون سرا وعدتهم اثنا عشر رجلا وأربع نسوة وكان فيهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمروا فى مسيرتهم مسافرين لذلك حتى وصلوا النجاشى ملك الحبشة فكان هذه هى أول هجرة فى الاسلام ثم خرج أثر المهاجرين جعفر بن أبى طالب مع عدد منهم ومعه زوجته أسماء بنت عميس فتتابع المسلمون الى الحبشة فمنهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه وهذا أصح تسليتي قديما وحديثا الهجرة عن ديار الكفر

الى

الى ديار الاسلام ومن ديار الفسق الى ديار الطاعة فعلى المسلم ان ينتقل الى الارض التى يخف فيها الفسق أو الكفر اذا لم يجد دارا محضة لاهل الاسلام والتقوى ويشهد لذلك هجرة المسلمين من مكة وهى إذ ذاك دار كفر وجاهلية الى أرض الحبشة وهى دار كفر وأهل كتاب واغما تجب المهاجرة من أرض البدعة ما لم يتمكن المقيم بها من وظيفة حسنة كالارشاد والهداية فالمقام بهذا القصد أولى لان الخروج سلامة والمقام كرامة وفد الم يهاجر الى الحبشة الا البعض ممن حسنت هجرته لاسيما المستضعفين

وفى اثناء مكث المهاجرين بالحبشة فى الهجرة الأولى اسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة خمس من النبوة بعد اسلام حمزة رضى الله عنه بثلاثة أيام قال ابن عباس لما اسلم عمر ابن الخطاب قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر فان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وانزل الله تعالى على المصطفى صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وكان أمر المسلمين قبله على غاية من الخفاء وبعده على غاية من الظهور

وسبب اسلامه انه وجد مع اخته بعض آيات من القرآن من سورة الانبياء وكانت خبأتها عنه فسلبها من يدها غصبا فقرأها فحلت فى قلبه محل الاعجاب وافهمه لفظها ومعناها فذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم واسلم على يديه وكان ذلك اجابة لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام اسم أبى جهل فكان احبهما اليه عمر بن الخطاب فكان عز الاسلام بعمر بن الخطاب وذكر الدارقطنى ان عائشة قالت انما قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم عز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعاء وأسلم عمر يوم الخميس وكان عمر لا يرام ما وراء ظهره فامتنع به وبحمزة الصحابة وفى البخارى لما اسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر فبينما عمر فى داره خائفا اذ جاءه العاص بن وائل وقال له مالك قال زعم قومى أنهم يقتلوننى ان اسلمت قال أمنت لا سبيل اليك فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى فقال أين تريدون قالوا نريد عمر بن الخطاب الذى صبا فقال لا سبيل اليه فأنا له جار فكر الناس وتصدعوا عنه وكان ابن مسعود يقول ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى اسلم عمر رضى الله عنه وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة وروى ابن شريح بن عبيد عنه انه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد

فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فلما اقرأ انه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن كانه علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع ولعل واقعة سماع القرآن تعددت قبل اسلامه

ولما قرأ عليه الصلاة والسلام سورة والنجم وكان يرتل قراءته فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ارتصده الشيطان في سكتة من سكتاته فالقى عندها تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعها فوقعت في قلب كل مشرك بمكة وذلت منها السنتهم وتباشروا بها وقالوا ان محمدا قد رجع الى ديننا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد معه كل مشرك غير الوليد بن المغيرة كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود وملأ كفه ترابا فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما في السجود بسجود النبي صلى الله عليه وسلم وعجب المسلمون بسجود المشركين معهم ولم يكن المسلمون سمعوا ما ألقى الشيطان كما قاله موسى بن عقبة وأما المشركون فاطمأنوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت ارض الحبشة ومن بها من المسلمين ثم بعد مكثهم هناك دون ثلاثة أشهر رجع كثير منهم عند ما بلغهم عن المشركين بسجودهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة والنجم وظنوا اسلامهم

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة التي فشت في الناس ساءه ذلك فأنزل الله عز وجل وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى (قرأ) القى الشيطان في امنيته (أى قراءته) كما قال الفراء ويؤيده مارواه ابن جرير والقاء الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث يظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلقه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته (قال اذا حدث القى الشيطان في حديثه) فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته (يثبتها) والله عليم (بالقاء الشيطان ماذكر) حكيم (في تمكينه منه يفعل ما يشاء)

ويؤيد

ويؤيده ما سبق فى الفصل الاول من هذا الباب من ان كفار قريش لما كانوا يطوفون بالكعبة كانوا يقولون واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فانهن غرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فكانت هذه العبارة مركوزة فى اذهانهم هاجسة فى خواطرهم يخيل لهم سماعها وان الشيطان نطق بها عند انقطاع نفس النبى صلى الله عليه وسلم فى التلاوة محاكيا صوته واللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها وقيل غير ذلك والغرانيق هى فى الاصل الذكور من طير الماء الابيض الطويل العنق وقيل اسود كالكركى وقيل انه الكركى ويتجوز به عن الشاب الناعم والمراد بها الاصنام حيث كانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع والفرق بين الصنم والوثن ان الصنم الصورة بلا جثة والوثن كماله جثة معمولة من جواهر الارض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمى تعمل وتنصب وتعبد ومنهم من لم يفرق بينهما واطلقهما على المعنيين وقد يطلق الوثن على غير الصورة وقد اختلف المفسرون فى المراد بالنجم على أقوال أحدها انه نجوم القرآن اذا نزلت وكان نزل منه شئ فى وقت فهو نجم ثانيها انه عنى بالنجم الثريا والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة فلا يذكرونه فى الاطلاق الا لها قال قائلهم

طلع النجم عشيا * ابتغى الراعى كسيا

وقال أيضا

طلع النجم غديه * ابتغى الراعى شكيه

يعنى الثريا وهى تطلع العشاء فى الثلث الاخير من فصل الخريف قبل الشتاء بشهر وذلك مبادى قوة البرد لان آخر كل فصل شبيه بالذى بعده فلهذا طلب الراعى الكساء وتطلع بالغداة فى الصيف وقت أوان اللبن فلهذا طلب الشكية تصغير شكوة وهى جلد الرضيع يتخذ للبن أصغر من الوطب الذى هو جلد الجذع وفى الحديث ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع رواه الامام أحمد

قال ابن دريد هى سبعة انجم ستة أنجم منها ظاهرة وواحد خفى يمتحن الناس به أبصارهم وعلى قول ابن دريد قول الشاعر

خليلى انى للثريا لحاسد * وانى على ريب الزمان لواجد
أيبقى جميع شملها وهى سبعة * وأفقد من احببته وهو واحد

وذكر القاضي عياض في الشفاء انه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وذكر السهيلي انه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثنى عشر نجما والقول بأن المراد بالنجم الثريا قاله ابن عباس ومجاهد في رواية عنهما واختاره ابن جرير والزمخشري وقال السمين انه الصحيح انتهى وهي أشبه شيء بعنقود العنب ومن شعر سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله

وصغرت ثريه لكثره * والخصب في طلوعها واليسره

وقال ابن قتيبة في كتاب الانواء جاءت أي الثريا مصغرة لاجتماعها ولم يتكلم بها الا كذلك وأصلها من الثروة وهي كثرة العدد وهي ستة انجم ظاهرة في خلالها نجوم كثيرة خفية ويسمونها نجما وأنواء

ومع ما قيل في هذه الآية وهي قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وانه حين قرأ سورة والنجم وبلغ فيها ومناة الثالثة الاخرى ارتصده الشيطان في سكتة من سكتاته فألقى عندها (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) محاكيا نغمته الى آخره فقد رد بعضهم هذا كله وقال انه موضوع وضعه الزنادقة ولا أصل له لان الشيطان لا يلقى على الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام شيئا حيث هم معصومون وحل هذه المسألة يفهم مما كتبه البيضاوي والشهاب الخفاجي والشيخ زاده في هذا المحل يعني قوله تعالى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فانه يفهم من كلام البيضاوي انه هيأ في نفسه ما يهواه (ألقى الشيطان في أمنيته) أي في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام انه ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة قال الشهاب حديث صحيح والغين قريب من الغيم لفظا والمعنى انه يعرض لقلبي ويغشاه بعض امور من أمور الدنيا والخواطر البشرية مما يلزم التبليغ لكنها الاشتغال الساعي ذكر الله بعدها كذنوب فيفزع الى الاستغفار منها وسبعين للتكثير لا للتخصيص انتهى كلام الشهاب قال البيضاوي في قوله تعالى (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه انتهى كلام البيضاوي فقوله بعصمته عن الركون اليه الى آخره هو محل الاشارة الى الجواب كما يفهم بالتأمل (ثم يحكم الله آياته) قال البيضاوي ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في أمر الآخرة (والله عليم) باحوال الناس (حكيم) بما يفعله بهم قال البيضاوي حدث نفسه بزوال المسكنة ونحوات وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه

ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم ونزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى تابعوه بالسجود لما سجد فى آخرها أى آخر سورة والنجم بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبأه جبريل عليه السلام فاغتم لذلك فعزاه أى سلاه الله بهذه الآية (وهو أى ما ذكر من قوله سبق لسانه سهوا وقوله تلك الغرانيق الخ) مردود عند سائر المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقول حسان رضى الله عنه

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

الرسل الترتيل فى القراءة بتؤدة وسكينة من غير سرعة وضمير تمنى فى البيت لعثمان رضى الله عنه وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث يظن السامعون انه من قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وقد رد أيضا بأنه يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله وبأن الآية على هذا التفسير تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم سيأتى رده فى عبارة الشهاب (ليجعل ما يلقى الشيطان) علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) المشركين (وإن الظالمين) يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم (لفى شقاق بعيد) عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين اه كلام البيضاوى قال الشهاب قوله سبق لسانه سهوا هذا غير صحيح لانه صلى الله عليه وسلم محفوظ عن السهو بما يخالف الدين والشرع لان التكلم بما هو كفر سهوا أو نسيانا لا يجوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام واذا سها صلى الله عليه وسلم فى صلاة ونحوها كان تشريعا حتى قال بعض العلماء ان سجدة السهو فى حقه صلى الله عليه وسلم سجدة شكر وقول البيضاوى فى عبارته المتقدمة وهو مردود عند المحققين قال الشيخ زاده يعنى ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلاة والسلام فى اغتمامه بسبق لسانه سهوا من حديث الغرانيق الا أن رؤساء أهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن فمنه قوله تعالى (ولو تقول) أى النبى صلى الله عليه وسلم

بأن كلف نفسه ان يقول مرة في الدهر كذبا (علينا بعض الاقاويل) أي التي لم نقلها أو قلناها ولم نأذن له فيها (لاخذنا منه باليمين) أي بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) أي نياط القلب وهو يتصل من الرأس اذا انقطع مات صاحبه ومنه أيضا قوله تعالى قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الا ما يوحى الي ومنه قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلو انه عليه الصلاة والسلام قرأ عقيب هذه الآية قوله تلك الغرانيق العلى لظهر صدق الله تعالى في جميع ذلك وذلك لا يقول به مسلم وأما السنة فهو انه روى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وان رواة هذه القصة مطعونون وأيضا فقد روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم وسجد المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فاذكره الامام النسفي في تفسيره بقوله والصحيح المعتمد عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها ولا يخلو الامر من احد ثلاثة أوجه إما ان يجري ذلك على لسانه عمدا باختياره وهذا لا يجوز لانه كفر وهو صلى الله عليه وسلم جاء داعيا الى الايمان ناهيا عن الكفر طاعنا في الاصنام فكيف يمدحها و يعظمها باختياره واما ان يجري الشيطان ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا أيضا لا يجوز لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فكيف يقدر على ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم واما أن يقع ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم سهوا وغفلة من غير قصد وهو أيضا مردود لانه صلى الله عليه وسلم كان اعقل الخلق وأعلمهم فكيف تجوز عليه هذه الغفلة خصوصا في حالة تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطأ في كل واحد من الاحكام والشرائع فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وهو انه عليه الصلاة والسلام وقف وسكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءته صلى الله عليه وسلم ووقع عند بعضهم انه صلى الله عليه وسلم هو الذي تكلم بهذا او تكون هذا القاء في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان يتكلم في زمن الوحي كما ذكر انه ظهر في صورة شيخ نجدي على المشركين الذين اجتمعوا في دار الندوة

على قضية المكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وتكلم فى شوارهم واستصوب رأى بعضهم وخطأ آخرين وذكر أيضا انه نادى يوم أحد ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله وابتلاء لعباده لكنه انما يجوز فى غير مقام تبليغ الوحى وأداء الرسالة لانا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن شرعه ولجوزنا فى كل ما بلغه الينا عن الله تعالى أن ينضم اليه غيره بخلط الشيطان فظهر مما ذكرنا ان هذه القصة موضوعة غاية ما فى الباب ان جماعة من المفسرين رحمهم الله ذكروها لكنهم ما بلغوا فى الكثرة حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية والمتواترة فلذلك قال البيضاوى فى تفسير الآية ألقى الشيطان فى تشهيه ما يوجب اشتغاله فى الدنيا ولم يقل ما يوافق تشهيه من الكلام ثم قال البيضاوى وان صح فالظاهر ان مبنى الصحة أن تكلم به الشيطان عند سكوته عليه الصلاة والسلام عند قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى فانه اقرب بالاحتمالات المذكورة الى الصحة فيكون المعنى ما من رسول ولا نبى قبلك الا مكنا الشيطان أن يلقى فى قراءتهم مثل ما ألقى فى قراءتك عند ما تمنيت فلا تهتم بذلك فانا نجعل ذلك لاضلال قوم وهداية آخرين والتمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل عنه انتهى كلام البيضاوى

وعبارة العلامة الشهاب الخفاجى فى قوله وهو مردود عند المحققين وان صح قد ذكرنا فيها ما قاله الشيخ زاده وقال الشهاب الخفاجى فيها قوله وهو مردود عند المحققين وان صح اشارة الى عدم صحته رواية ودراية اما الاول فلما قاله القاضى عياض انه لم يوجد فى شئ من كتب الحديث المعتمدة بسند صحيح معتمد عليه وبالغ بعضهم فقال انه من وضع الزنادقة واكثر المحدثين على عدم صحته وأما الثانى فلما مر فعلى تقدير صحته يكون خرج مخرج الكلام الوارد على زعمهم أو على الانكار لا غير او المراد بالغرانيق الملائكة واجماله للابتلاء به واما كونه ابتلاء من الله ليختبر به الناس كما ذكره البيضاوى رحمه الله تعالى فلا يليق به لانه ان كان سهوا منه فقد علمت انه محفوظ عن مثله وان كان بتكلم الشيطان واسماعه لهم وكذلك لما يلزمه من عدم الوثوق بالوحى انتهى كلام الشهاب قال الشيخ زاده عند قوله فيما تقدم وقيل تمنى قرأ كقول حسان الخ ان التمنى فى اللغة بمعنيين تمنى القلب والقراءة قال الله تعالى ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى أى الا قراءة لان الامى لا يعلم القرآن من المصحف وانما يعلمه قراءة وقال رواة اللغة

الامنية القراءة واحتجوا عليه ببيت حسان رضي الله عنه * تمنى كتاب الله اول ليله *
وقيل الاولى فى تاويل الآية ان يقال التمني بمعنى القراءة فقوله تعالى ألقى الشيطان
فى أمنيته أي عند تلاوته القرآن فى قلوب المشركين ما يجادلون به الرسول ويحاجون به
ويوقعون به شبهة فى قلوب اتباعه ليمنعوهم عن اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول
حرم عليكم الميتة انه يحل ذبيحة نفسه ويحرم ذبيحة الله تعالى (فينسخ الله ما يلقى
الشيطان) فى قلوب المشركين بانزال قوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه
لفسق) وقوله وكلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين به انما احل هذا بذكر اسم الله عليه
وحرم الآخر بعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم ان عيسى عليه الصلاة والسلام والملائكة عبدوا من دون الله تعالى مع
أنه تعالى لا يخزيهم يوم القيامة فنسخ قولهم هذا بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا
الحسنى أولئك عنها مبعدون فبين الله تعالى استثناء عيسى والملائكة من قوله وما
تعبدون من دون الله وذلك لان ما لغير العاقل وان المراد الاصنام فقط انتهى عبارة
الشيخ زاده وهذا زبدة ما قيل فى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الى آخره
وقد سبق ان من جملة المنكرين قصة ما فى النجم القاضي عياض فانه قال هذا الحديث
لم يخرجه أحد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به المفسرون
والمؤرخون انتهى ولا ينظر لرد ابن حجر على القاضي عياض بانه لا فائدة فيما قاله
ولا يعول على كلامه لاسيما مع قول البيهقي ان رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم ومع
قول النووي نقلا عن البيهقي ونصه واما ما يرويه الاخباريون والمفسرون ان سبب سجود
المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى على لسانه من الثناء على آلهتهم
فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لان مدح اله غير الله كفر
ولا يصح نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان يقوله الشيطان على لسانه
صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك ولا يلزم عدم الوثوق بالوحي وقال
فخر الرازي هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى والشيطان لا يجترئ ان ينطق بشيء من الوحي
وفى الابريز للعارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدباغ ما يفيد تصحيح قول القاضي
عياض من ان حديث الغرانيق لا اصل له ورد قول ابن حجر المحتاج للتأويلات فى تفسير
هذه الآية ثم فسرها صاحب الابريز بتفسير بديع وأقرب للعقول وعبارته ان الله
تعالى

تعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبيا من الانبياء الى امة من الأمم الا وذلك الرسول يتمنى الايمان لامته ويحبه لهم ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ومن جملتهم في ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم الذي قال له الرب سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وقال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين الى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى ثم الامة تختلف كما قال تعالى ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فاما من كفر فألقى اليه الشيطان الوساوس القادحة له في الرسالة الموجبة لكفره وكذا المؤمن أيضا لا يخلو من وساوس لانها لازمة للايمان بالغيب في الغالب وان كانت تختلف في الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات اذا تقرر هذا فمعنى تمنى انه يتمنى الايمان لامته ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه امنية كل رسول ونبي والقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوى من الوساوس لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقى ذلك عز وجل في قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به فخرج من هذا ان الوساوس تلقى أولا في قلوب الفريقين معا غير انها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين وهذا التفسير من أبدع ما يسمع لانه يوفي بثلاثة أمور العموم الذي في أولها والتعليل الذي في آخرها ويعطي الرسالة حقها انتهى كلام صاحب الابريز

ومنه يفهم أن القاء الوسوسة انما هو في المتمنى للامة من أنبيائهم لهم وهو ايمانهم وطاعتهم وتوفيقهم لما هو وصفهم وليست الوسوسة متوجهة على الانبياء المعصومين الذين خاتمهم واكملهم صلى الله عليه وسلم فان من عرف ما يجب للرسل وما يستحيل عليهم وما يجوز لهم علم وجوب العصمة واستحالة ضدها

وبيان ذلك انه يجب في حقهم الامانة والصدق والتبليغ والفطانة فأما الامانة فهي عصمة ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة أو خلاف الاولى فهم محفوظون من منهيات الظاهر ومن منهيات الباطن كالحسد والكبر والرياء وغير ذلك والمراد المنهي عنه ولو صورة فيشمل ما قبل النبوة ولو في حال الصغر حتى ان المباح أو المكروه اذا وقع منهم كان صورة للتشريع فيصير واجبا أو مندوبا في حقهم فافعالهم دائرة بين الواجب والمندوب بل والاولياء الذين هم من أتباعهم من يصل منهم لمقام تصير حركاته وسكناته طاعات بالنيات فقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة أو مرتين وشرب قائما

وأما المحرم فلم يقع منهم اجماعا وما أوهم المعصية فمؤول من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ولا يجوز النطق به في غير مورده الا في مقام البيان ودليل وجوب الامانة لهم انهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الاولى لكنا مأمورين به لان الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه ان الله لا يأمر بالفحشاء

وأما الصدق فهو مطابقة خبرهم للواقع في دعوى الرسالة والاحكام الشرعية والاخبار العادية لانهم لو لم يصدقوا لما كان معنى لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وأيضا صدقهم في الاخبار العادية دليله داخل في دليل الامانة وأما التبليغ فهو تأديته ما أوا به مما أمروا بتبليغه للخلق بخلاف ما أمروا بكتمانه وما خيروا فيه ودليله انهم لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم لان الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم وكاتم العلم ملعون ولو جاز عليهم الكتمان لكتم رئيسهم الاعظم صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه وأصح محامله ما نقله من يعول عليه في التفسير عن علي ابن الحسين من ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من أزواجه فلما اشتكاها اليه زيد قال أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من انه سيتزوجها والله مبدي ذلك بطلاق زيد لها وتزوجها صلى الله عليه وسلم ومعنى الخشية استحياؤه صلى الله عليه وسلم من الناس ان يقولوا تزوج زوجة ابنه أي من تبناه فعاتبه الله تعالى على هذا الاستحياء لعلو مقامه وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم تعلق قلبه بها وأخفاه فلا يلتفت اليه وان جل ناقلوه فان أدنى الاولياء لا يصدر منه مثل هذا الامر فما بالك به صلى الله عليه وسلم

وأما الفطانة فهي التيقظ لالزام الخصوم وابطال دعاويهم الباطلة ودليلها الآيات كقوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم والاشارة بتلك عائدة على ما احتج به على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون وكآية يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وكآية وجادلهم بالتي هي أحسن أي بطريق تشتمل على نوع من الارفاق بهم ومن لم يكن فطنا لا تمكنه الحجة ولا المجادلة ومن ثبت لبعضهم من الكمال ثبت لغيره فتثبت الفطانة لجميعهم

ويستحيل

ويستحيل في حقهم ضد هذه الصفات الاربعة فضد الامانة الخيانة وضد الصدق الكذب وضد التبليغ كتمان شيء مما أمروا به وضد الفطانة الغفلة وأما الجائز في حقهم فهو سائر الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية كالاكل والشرب والنوم وما يكون من توابع الصحة اوبما يستغنى عنه كالجماع للنساء حلالا سواء كان بالنكاح أو بالملك فيجوز لهم الوطء بالنكاح لما عدا الكتابية والمجوسية ونحوهما وما عدا نكاح الامة ولو مسلمة لانها انما تنكح لخوف العنت ولعدم المهر وكل منهما منتف اما الاول فالعصمة وأما الثاني فلانه يجوز للنبي ان يتزوج بدون مهر وعلم من تقييد النكاح بالحلال انهم لا يطؤن صائمات صوما مشروعا ولا معتكفات كذلك ولا حائضات ولا نفساء ولا محرمات بحج ولا عمرة ولا يجوز الاحتلام كما صححه النووي لانه من الشيطان وقد ورد ما احتلم قط وأما جواز وطئهم بالملك فيكون للامة الكتابية معللا بأنه صلى الله عليه وسلم شريف عن أن يضع نطفته في رحم غير مسلمة وبانها تكره صحبته وأما الامة المسلمة بالملك فجائز باتفاق

ويجوز عليهم المرض الغير المنفر والاغماء الغير الطويل بخلاف الجنون قليله وكثيره واما سحر لبيد بن الاعصم له صلى الله عليه وسلم في مشط سنة سبع من الهجرة باغراء اليهود للبيد على ذلك باعطائهم دنانير جعلوها له في مقابلة ذلك فلم يؤثر هذا السحر الا في بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم لا في عقله فلم يكن قادحا في منصبه النبوي وأما ما في بعض الروايات من انه صلى الله عليه وسلم صار يخيل اليه ان يفعل الشيء ولا يفعله فقال أبو بكر ابن العربي لا أصل له وأما السهو فممتنع عليهم في الاخبار البلاغية كقولهم الجنة اعدت للمتقين وعذاب القبر حق وغير البلاغية كقام زيد وقعد عمرو وهكذا وجائز عليهم السهو في الافعال البلاغية وغيرها كالسهو في الصلاة للتشريع لكن لم يكن سهوهم ناشئا عن اشتغالهم بغير ربهم ولذلك قال بعضهم

يا سائلي عن رسول الله كيف سها * والسهو عن كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شيء سره فسها * عما سوى الله فالتعظيم لله

ومن السهو الفعلي حديث ذي اليدين لما قال له أقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله حين سلم من ركعتين فقال كل ذلك لم يكن فقال ذو اليدين بل بعض ذلك كان فقوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن لم يخل عن مطابقة الخبر للواقع بحسب اعتقاده صلى الله عليه وسلم وقول ذي اليدين بل بعض ذلك كان فيه مطابقة الخبر للواقع بحسب

ما رآه وكل ذلك التشريع وتعريف سجود السهو وأما النسيان فهو ممتنع في البلاغيات قبل تبليغها قولية كانت أو فعلية فالقولية كالجنة اعدت للمتقين والفعلية كصلاة الضحى اذا أمر بها المقتدي به فيها فلا يجوز نسيان كل منهما قبل تبليغ الاولى بالقول والثانية بالفعل وأما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر من الله وأما نسيان الشيطان فيستحيل عليهم اذ ليس للشيطان عليهم سبيل وقول يوشع وما انسانيه الا الشيطان فكان قبل نبوته وعلمه بحال نفسه والا فهو رحماني

وبالجملة فيجوز على ظواهر الانبياء ما يجوز على البشرية لا يؤدي الى نقص وأما بواطنهم فمنزهة عن ذلك متعلقة بربهم هذا تحقيق المقام فالتأويل اللائق بمقامهم هو الجدير بالقبول والمطابق للحق عند المحققين في فن الكلام من المتكلمين كالامام شرف الدين التلمساني وكالامام السنوسي المغترف من بحر الله وقد سبق الكلام على ان مدح أصنام المشركين لاذكر لها في سورة والنجم وان هذا القاء من الشيطان في قلوبهم ليجادلوا به

وأما الهجرة الثانية فانه لما تبين للمشركين عدم ذكر آلهتهم غضبوا ورجعوا الى العداوة أشد من الاولى فلما بلغ ذلك القادمين حين دنوهم من مكة وكانوا قد خرجوا في رجب الى الحبشة وأقاموا بها شعبان ورمضان وقدموا في شوال كما سبق لم يدخل أحد منهم الا بجوار مجير أو مستخفيا الا عبد الله بن مسعود فانه دخل بدون جوار وأحد ثم رجع وهاجر وممن دخل في الجوار عثمان بن مظعون فانه دخل بجوار الوليد بن المغيرة وكان قد اشتد الحال على من قدم مكة ولم يدخل في الجوار حتى ان عشائرهم تعلق به الاذى الشديد فلما وجد عثمان ابن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في امان الوليد بن المغيرة قال والله ان غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي فمشى الى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال لم يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي وأنت في ذمتي فأكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لي أحد ولا آذاني ولكني أرضى بجوار الله عز وجل ولا اريد ان استجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد لي جواري علانية كما اجرتك علانية فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني لا استجير بغير الله عز وجل قد رددت عليه جواره فقال الوليد أشهدكم

اني

الى ربى ومن جواره الا ان تشاء ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة ينشد الناس فى مجلس من قريش ينشدهم قبل اسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد * الا كل شئ ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت فقال لبيد * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول قال لبيد يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه فى سفاهته فارق ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله فرد عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال اما والله يا ابن أخى كانت عينك عما اصابها لغنية ولقد كنت فى ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذى لقيت غنيا فقال عثمان رضى الله عنه بل كنت الى الذى لقيت فقيرا والله ان عينى الصحيحة التى لم تلطم لفقيرة الى مثل ما اصاب أختها فى الله عز وجل ولى فيمن هو احب الى منكم أسوة وانى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا ابا عبد شمس فقال له الوليد هلم يا ابن أخى ان شئت الى جوارك فعد فقال لا

وصار الامر يشتد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القادمين لقصد مكة من الهجرة الاولى وغيرهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم اذى شديدا فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى أرض الحبشة مرة ثانية فخرج ابن مسعود ومعه عدد كثير من الناس فكانت هجرتهم الثانية أعظم مشقة ولقوا من قريش تعنيفا شديدا ونالوهم بالاذى واشتد على قريش ما بلغهم عن النجاشى من حسن جواره للمهاجرين فقال عثمان بن عفان يا رسول الله فهجرتنا الاولى وهذه الآخرة ولست معنا فقال صلى الله عليه وسلم انتم مهاجرون الى الله والى لكم هاتان الهجرتان جميعا قال عثمان فحسبنا يا رسول الله

وبهذه الهجرة الثانية الى أرض الحبشة كانت عدة من بارض الحبشة من المهاجرين مائة نفس وواحدا ان حسب عمار بن ياسر فيهم الذكور منهم ثلاث وثمانون والاناث ثمانى عشرة وخرج أبو بكر رضى الله عنه مهاجرا الى الحبشة حتى بلغ موضعا يقال له برك الغماد (بفتح الباء وكسرها والغماد بكسر الغين المعجمة وضمها محل فى اقاصى هجر أو باليمن ويقال هو مدينة الحبشة) ثم رجع أبو بكر فى جوار سيد القارة (اسم قبيلة ومنهم مسعود بن ربيعة القارى) مالك بن الدغنة فلما رأت قريش استقرار المهاجرين فى الحبشة وامنهم ارسلوا فيهم الى النجاشى عمرو بن العاص وعبد الله بن ابى ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم والتمسوا منه ردمن هاجر الى بلاده من المسلمين فأبى ذلك

وردهما خائبين ثم بعد ذلك وقع من الحبشة تعصب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا له ان هؤلاء لهم دين غير ديننا فارسل وراءهم وقال لهم ما تقولون في عيسى
ابن مريم فقالوا نؤمن به ونصدقه فيما جاء به فقال للحبشة ما تقولون في نبيهم فلم يؤمنوا به
فقال النجاشي لهم هؤلاء يؤمنون بنبيكم وأنتم لا تؤمنون بنبيهم فأنتم الآن طلقة فكل منكم
على دينه ولا أحد منكم يعارض هؤلاء فاستمروا في بلاده مدة وعادوا الى أوطانهم وكان
اسلامه في سنة سبع من الهجرة ويدل على صحة اسلامه انه لما توفي في رجب سنة تسع
من الهجرة قال النبي صلى الله عليه وسلم مات اليوم رجل صالح فصلوا على أخيكم أصحمة
فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صلاة الغائب ولما صلى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم طعن المنافقون في ذلك فنزلت هذه الآية وان من أهل الكتاب لمن
يؤمن بالله الى آخرها قال ابن جريج وقال آخرون نزلت في عبد الله بن سلام وسيأتي بيان
ما صنعه النجاشي من اكرام المهاجرين وغير ذلك مما يتعلق به في الفصل السابع في ظواهر
السنة السابعة من الهجرة عند ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من الحبشة
وذلك الفصل المذكور من الباب الثالث من المقالة الخامسة من الجزء الثاني

ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه وعزة أصحابه بالحبشة واسلام عمر
ابن الخطاب واسلام عمه حمزة رضي الله عنهما اجتمعوا وأتمروا ان يكتبوا كتابا
يتعاقدون فيه على معاداة بني هاشم وبني المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ويقطعوا
عنهم الاسواق ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم للقتل وكان اجتماعهم وتحالفهم في خيف بني كنانة بالابطح ويسمى محصبا بأعلى
مكة عند المقابر وكتبوا ذلك صحيفة بخط منصور بن عكرمة وقيل بخط بغيض بن
عامر وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة الشريفة هلال المحرم سنة سبع من مبعثه صلى
الله عليه وسلم فانحاز الهاشميون الى أبي طالب مسلمهم حتى أن كافرهم فعل ذلك حمية
على عادة الجاهلية فدخلوا معه في شعبه وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد العزى بن
عبد المطلب الى قريش مظاهرا اليهم وكانت امرأته أم جميل بنت حرب أخت أبي
سفيان على رأيه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحمل الشوك فتضعه
في طريقه صلى الله عليه وسلم وسماها الله تعالى حمالة الحطب وأقام بنو هاشم في الشعب
ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثلاث سنين وكان بنو هاشم محصورين
في الشعب لا يخرجون الا من موسم الى موسم حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم من أراد

صلتهم

وصلتهم الامر هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل على شأنه من الدعاء الى الله والوحى عليه يتتابع

ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر عمه أبا طالب بأن الله سلط الارضة على الصحيفة فلم تدع فيها غير اسم الله تعالى الذى كانت قريش تستفتح به كتابها وهو لفظ باسمك اللهم وبعث منها الظلم وقطع الرحم فانطلق أبو طالب فى عصابة حتى أتوا المسجد فلما رأتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب انما اتيت فى أمر هو نصف بيننا وبينكم ان ابن أخى أخبرنى بأمر فان كان الحديث كما يقول فلا والله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعناه اليكم صاحبا فقتلتم أو استحييتم وأخرجوا الصحيفة فقالوا قد رضينا الذى تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما قال فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا ثم مشى فى نقض الصحيفة قوم من قريش وأخرجوا بنى هاشم وبنى المطلب من الشعب وذلك فى السنة العاشرة من مبعثه صلى الله عليه وسلم

ثم قدم الطفيل بن عمرو الدوسى وكان شريفا فى قومه فأسلم ثم استأذن النبى صلى الله عليه وسلم ورجع الى قومه فأسلم منهم على يديه ناس قليل فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا ذلك اليه وسأله ان يدعو عليهم فقال اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم قال الطفيل فلم أزل ادعوهم حتى مضى الخندق ثم قدمت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس فخرجوا فأسهم لنا مع المسلمين وقدم عليه صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا من نصارى نجران (مدينة بالحجاز من شق اليمن معروفة سميت بنجران بن زيد ابن يشجب بن يعرب وهو أول من نزلها وقال فى النهاية موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن) حين بلغهم خبره من هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه صلى الله عليه وسلم فى المسجد فجلسوا اليه وسألوه وكلموه ورجال من قريش فى انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به فى كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون أى تنظرون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا أحمق منكم فقالوا لهم

فسلام عليكم لانجاهلكم لنا مانحن عليه ولكم ما أنتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لانبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وكان من القادمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة ثم هاجر صلى الله عليه وسلم الى الطائف

قال الحافظ ابن عبد البر وغيره أول موروث في الاسلام عدي بن نضلة وأول وارث نعمان بن عدي وكان عدي قدم هاجرا الى أرض الحبشة فمات بها فورثه ابنه نعمان واستعمله عمر على ميسان ولم يستعمل من قومه غيره فراود امرأته على الخروج فأبت فكتب اليها يقول

فمن مبلغ الحسناء أن حليلها * بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية * وصناجة تجذو على كل ميسم
اذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني * ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا بالجوسق المتهدم

والحنتم واحدة الحناتم وهي في الاصل جرار مدهونة خضر كانت تحمل فيها الخمر الى المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم والصناجة آلة لهو وهي الطبل المعروف المذكورة في قول الحريري أحسب بالعيش يا صناجة الجيش فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فكتب اليه يقول بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية أما بعد فقد بلغني قولك * لعل أمير المؤمنين يسوءه * الى آخره وأيم الله لقد ساءني ثم عزله فلما قدم عليه سأله فقال ما كان من هذا شيء وما كان الا فضل شعر وجدته وما شربتها قط فقال عمر أظن ذلك ولكن لاتعمل لي عملا أبدا فنزل البصرة ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات وشعره صحيح تستشهد به أهل اللغة على ندمان بمعنى نديم وهذا مصداق قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الآية قال الشاعر

يقولون ما لا يفعلون مذمة * من الله مذموم بها الشعراء
وما ذاك فيهم وحده بل زيادة * يقولون ما لا يفعل الامراء

(الفصل الثالث فى هجرته صلى الله عليه وسلم الى الطائف قبل هجرته الى المدينة المشرفة)

لما توفى عمه أبو طالب فى السنة العاشرة من البعثة بعدما خرج من الحصار بالشعب بثمانية أشهر واحد وعشرين يوما وله بضع وثمانون سنة نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته فى حياته فهاجر الى الطائف فى شوال سنة عشر من البعثة وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش ومن قرابته وعترته خصوصا من أبى لهب وزوجته حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب فكانت تحاذيه قريش وتقول له أنت الذى جعلت الآلهة إلها واحدا فخرج الى الطائف مع مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا وأن يناصروه على الاسلام ويقوموا معه على من خالفه من قومه لانهم كانوا أخواله فلم يجبهم ذلك ومن هجرته صلى الله عليه وسلم الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن عكة الى يوم القيامة

ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفى وهم عبد ياليل واسمه كنانة وعبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف لهما اسلام وحبيب قال الذهبى وفى صحبته نظر وجلس صلى الله عليه وسلم اليهم وكلمهم فيما جاءهم به من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فلم يجيبوه الى شىء من ذلك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس وقال لهم اكتموا على وكره ان يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمحابك من الارض وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى اجتمع عليه الناس والجأوه الى حائط بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس معدود فى الصحابة مات قبل الخروج الى بدر فقالا خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه فأقبل عداس بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده الشريفة قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس فى وجهه وقال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال

له صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك يا عداس فقال نصراني وأنا من أهل نينوى فقال صلى الله عليه وسلم انت من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متى فاني خرجت والله من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن أين عرفت ابن متى وانت أمي وفي أمة أمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي أمي فقام عداس وأكب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه فقال أحد الاخوين عتبة وشيبة للآخر أما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قال له أحدهما ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه فقال ياسيدي ما في الارض شيء خير من هذا لقد أعلمني بأمر لا يعلمه الا نبي فقال ويحك يا عداس ليصرفنك عن دينك وليعدلنك عن نصرانيتك فانه رجل خداع ودينك خير من دينه فأقام صلى الله عليه وسلم بالطائف عشرة أيام وشهرا لايدع احدا من اشرافهم أي زيادة على عبد ياليل واخويه الاجاء اليه وكلمه فلم يجبه أحد ثم ذهب الى نخلة وهي موضع على ليلة من مكة اقام بها أياما

وحضر اليه سبعة من جن نصيبين وهي مدينة بالشام ووادي نخلة موضع على ليلة من مكة وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ماقالوه لقومهم وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال امرت ان أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت أنا اذهب معك يارسول الله قال فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب ابن أبي دب خط على خطا وقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل كانهم رجال الزط قال ابن الاثير في النهاية والزط قوم من السودان والهنود وكانت وجوههم المكاكى يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفهن حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فأومأ الى بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا أراهم فلما عاد الي قال اردت ان تأتيني قلت نعم يارسول الله قال ما كان ذلك لك هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا الى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن أحدكم بعظم ولا بعر ويذكر في كتاب القرى ان بأعلى مكة مسجدا يقال له مسجد الجن ومسجد البيعة أيضا يقال ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك

ولما

ولما أراد الدخول إلى مكة قال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يعني قريشا وهم السبب في خروجك لتستنصر فلم تنصر فقال يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء ثم بعث إلى الأخنس ابن شريق رضي الله عنه ليجيره وكان ذلك قبل إسلامه وليدخل صلى الله عليه وسلم مكة في جواره فقال أنا حليف والحليف لا يجير فبعث صلى الله عليه وسلم إلى مطعم بن عدي الذي مات على دين قومه قبل بدر بنحو سبعة أشهر يقول له أني داخل مكة في جوارك فأجابه إلى ذلك فدخل صلى الله عليه وسلم مكة ثم تسلح المطعم بن عدي وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد فقام المطعم بن عدي على راحلته ونادى يا معشر قريش إني قد أجرت محمدا ولا يؤذيه أحد منكم ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف إلى منزله والمطعم ابن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو سفيان على المطعم فقال إذن قد أجرنا من أجرت ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في أمان مشرك لأن حكمة الحكيم القادر قد تقضي وهذا السياق يدل على أن قريشا كانوا أزمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم بسبب ذهابه إلى الطائف ودعائه إلى أهله ولما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه الوحي وأمره بإظهار دينه وأيده بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام في قريش وفي القبائل كلها وكان الإسراء به صلى الله عليه وسلم والمعراج ليلة سبع وعشرين من رجب وقال بعضهم إنهما كانا يوم الاثنين فهما موافقان للولد والمبعث والهجرة والوفاة لأنه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وهاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين

(الفصل الرابع في الإسراء به صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام وعروجه من المسجد الأقصى إلى السموات العلى)

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر قبل الهجرة بسنة أسري به من حرم مكة المعظم ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو أول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ولا تعقد الخناصر بعد

الوطنين الأطيب فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاث مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى ثم عرج به من المسجد الاقصى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام قال الماوردى كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم الا فى قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فانه أراد به الكعبة ولم يرد فى أحاديث المعراج الثابتة انه صلى الله عليه وسلم عرج به الى العرش تلك الليلة بل لم يرد فى حديث انه صلى الله عليه وسلم جاوز سدرة المنتهى بل انتهى اليها وقد سئل الشيخ رضى الدين القزوينى رحمه الله عن وطء النبى صلى الله عليه وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك أم لا فأجاب بما نصه اما حديث وطء النبى صلى الله عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح وليس بثابت بل وصول النبى صلى الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا وانما صح فى الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب وأما الى ما وراءها فلم يصح وانما ورد ذلك فى اخبار ضعيفة أو منكرة قال النجم الغيطى رحمه الله وقد رأيت بخط بعض المحدثين بعد نقله كلام الشيخ رضى الدين رحمه الله هو الصواب وقد وردت قصة الاسراء والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو أربعين صحابيا وليس فى حديث أحد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة فى رجله نعله وانما وقع ذلك فى نظم بعض القصاص الجهلة الى ان قال وهذا ما طل لم يذكر فى شىء من الاحاديث بعد الاستقراء التام ولم يرد فى حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه رقى العرش وما وقع فى بعض الاحاديث التى افتراها بعضهم لا يلتفت اليه ولا أعلم خبرا ورد فيه انه صلى الله عليه وسلم رأى العرش الا ما رواه ابن أبى الدنيا عن ابن أبى المخارق ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسرى بى برجل مغيب فى نور العرش قلت من هذا أملك قيل لا قلت نبى قيل لا قلت من هو قيل هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطبا من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة فى هذا الباب وما ذكر فى السؤال يعنى المتقدم من انه صلى الله عليه وسلم رقى العرش بنعله فقاتل الله من وضعه ما أعدم حياءه وادبه وما أجرأه على اختلاق الكذب على سيد المتأدبين ورأس العارفين صلى الله عليه وسلم

بـ الاقـلام
يرها اه

أمكن سباق
والديه اه

وحدث

،وحديث صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسرى به كما رواه البخارى ومسلم وغيرهما فقال بينما أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجع وفى رواية بين النائم واليقظان اذ أتانى آت قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه يعنى من ثغره نحره الى عانته فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة حكمة وايمانا فغسل قلبى ثم حشى والحديث فيه اختصار والاصل فأستخرج قلبه ثم شق واستخرج منه علقة وقيل هذا حظ الشيطان منك ثم غسل بماء زمزم كما يدل عليه حديث آخر وفى رواية علقتين سوداوين وفى لفظ مضغه وقد اختلف فى تفسير الحكمة فقيل هى العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك

قال الامام النووى فى شرح مسلم وليس فى هذا ما يوهم جواز استعمال الذهب لان هذا فعل الملائكة واستعمالهم وليس بلازم ان يكون حكمهم حكمنا ولانه كان قبل تحريم أوانى الذهب والفضة والتحريم انما وقع بالمدينة كما نبه عليه الحافظ ابن حجر قال الشيخ محمد بن ابى جمرة الحكمة فى شق صدره مع القدرة على ان يملئ قلبه صلى الله عليه وسلم ايمانا وحكمة من غير شق الزيادة فى قوة اليقين لانه اعطى برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية فلذلك كان اشجع الناس حالا ومقالا ولذلك وصف بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى انتهى وكل هذه الامور يجب الايمان بها والقدرة صالحة لذلك وقد انخرقت العادات لكثير من أولياء الله تعالى المتطفلين على جناب هذا السيد العظيم المحبوب الاكبر فكيف به عليه الصلاة والسلام

وقد سئل الامام تقى الدين السبكى رحمه الله عن العلقة السوداء التى اخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملائكة هذا حظ الشيطان منك فأجاب رحمه الله بأن تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لان يلقى الشيطان فيه شيئا وهذا معنى الحديث فقيل له فلم خلق الله تعالى هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان يمكنه ان لا يخلقه الله تعالى فيه فقال انه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تكملة للخلق الانسانى ولابد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت وقال غيره لو خلق نبيه صلى الله عليه وسلم سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فاظهره الله تعالى على يد جبريل عليه السلام

ليتحققوا كمال باطنه باخباره صلى الله عليه وسلم عما شاهده في نفسه كما ر لهم مكمل الظاهر انتهى

وفي غسل قلبه بماء زمزم دون غيره انه أفضل المياه بعد النابع من اصابعه الشريفة ويليه ماء الكوثر ثم نيل مصر ثم باقي الانهر ونظم السبكي ذلك بقوله

وأفضل المياه ماء قد نبع * من اصابع النبي المتبع
يليه ماء زمزم فالكوثر * فنيل مصر ثم باقي الانهر

وقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع وقال الحافظ الزين العراقي ولذلك غسل قلبه عليه السلام ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت وقيل لانه لما كان ماء زمزم أصل حياة ابيه اسماعيل صلى الله عليه وسلم وقد ربي عليها وربا عليه قلبه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ناسب ان يكون ولده الصادق المصدوق كذلك ولما فيه من الاشارة الى اختصاصه بذلك فانه قد صارت الولاية اليه في الفتح فجعل السقاية للعباس ولولده وحجابة البيت لعثمان بن شيبة وعقبه الى يوم القيامة روى الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ماء على وجه الارض ماء زمزم فيه طعام طعم وشفاء سقم وصححه ابن حبان وروى مرسلا من حديثه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له ورجاله ثقات

قال ابن عباس رضي الله عنهما كنا نسميها يعني زمزم شباعة ونجدها نعم العون على العيال وروى فيه انه شراب الابرار كما عند الازرقي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد ان يتحف الرجل تحفة سقاه من ماء زمزم كما رواه في الحلية وقال عباد بن عبد الله بن الزبير لما حج معاوية حججنا معه فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين ثم مر بزمزم وهو خارج الى الصفا فقال انزع لي منها دلوا يا غلام قال فنزع له منه دلوا فأتى به فشرب وصب على وجهه ورأسه وهو يقول زمزم شفاء وهي لما شرب له قال الحافظ اسناده حسن وهو أحسن من كل اسناد وقفت عليه لهذا الحديث وقد جزم به جماعة من العلماء والائمة فوجدوه صحيحا

وأما ما يذكر عن بعض الالسنة من ان فضيلته ما دام في محله فاذا نقل تغير فقال الحافظ السخاوي انه شيء لا اصل له فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى سهيل بن عمرو إن

جاءك

حالك كأني ليلا فلا تصبحن أو نهارا فلا تمسين حتى تبعث الي عما فرمزم وبعث له عرادتين وكان حينئذ بالمدينة قبل ان تفتح مكة وقد جلت عائشة رضي الله عنها في القوارير وقالت حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاداوى والقرب وكان يصب منه على المرضى ويسقيهم وكذا حمله الحسن والحسين رضي الله عنهما ونقله جائز باتفاق الائمة الاربعة وفي ماء زمزم خواص منها انه لا يرفع ولا يغور واذا رفعت المياه وغارت قبل يوم القيامة ومنها انه يذهب الصداع ويبرد الحمى

قال القسطلاني وقد وقع في شق صدره الشريف من الخوارق ما يدهش السامع فسبيلك الايمان والتسليم من غير أن تتكلف الى التوفيق بين المنقول والمعقول للتبري عما يتوهم انه محال من شق البطن واخراج القلب المؤديين الى الموت لا محالة ونحن بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة الى المجاز في خبر الصادق الا في الامر المحال على القدرة انتهى

ثم بعد طهارة باطنه وظاهره بالوضوء لمناسبة شهود الحضرة العلية أتى بالبراق مسرجا ملجما وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه وهو أجود من البرق لسرعة سيره ارسله الله تعالى من الجنة اجلالا وتعظيما على عادة الملوك اذا استدعوا عظيما بعثوا اليه النجيب مع أعز خواصهم للحضور وهو من عالم الغيب لا يوصف بذكورة ولا انوثة كالملائكة فحمل عليه وانطلق به جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به ونعم المجيء جاء الحديث بطوله ورأى الانبياء صلوات الله عليه وعليهم وصلى بهم

واختلف في صلاته صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالانبياء فقيل قبل عروجه وقيل بعده والاول استظهره ابن حجر وصحح الثاني ابن كثير قال بعضهم ولا مانع من انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم قبل العروج وبعده وكانت صلاته بهم ركعتين والظاهر انها كانت فريضة لانها كانت بأذان واقامة وهل كانت بالفاتحة أو غيرها لم يثبت ذلك وفي الاتقان ما يفيد انه قرأ فيها بأم القرآن قال النووي واختلف في هذه الصلاة فقيل انها اللغوية وهي الدعاء والذكر وقيل الصلاة المعهودة وهذا أصح لان اللفظ يحمل على الحقيقة الشرعية قبل اللغوية وانما يحمل على اللغوية اذا تعذر حمله على الشرعية ولم

يتعذرهما فوجب الحمل على الصلاة الشرعية وهل صلى بأرواحهم متشكلة بصور أجسادهم أو هي وأجسادهم احتمالان وفي الحديث ما يدل لكل منهما وأما ما رآه في السموات فأرواحهم متشكلة بصور أجسادهم الا عيسى وادريس وصلى أيضا بالملائكة عند سدرة المنتهى

ورأى من آيات ربه الكبرى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى قال أبو بكر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فأوحى الى عبده ما أوحى قال فقال الله عز وجل لولا اني أحب العتاب لم أحاسب أمتك قال وذكر عن أمتي خصالا أولها قال لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد وثانيها قال لا أدفع أرزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيري وثالثها قال انهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي ورابعها قال انا العز وهم يطلبون العز من سواي وخامسها قال اني خلقت النار لكل كافر وهم يجهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها

وفرض الله عليه وعلى أمته تلك الليلة كل يوم وليلة خمسين صلاة في أول الامر فما زال يراجع حتى صارت خمسا في الفعل وخمسين في الاجر والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به الى السماء رأى تلك الليلة تعبد الملائكة منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له ولامته تلك العبادات في ركعة واحدة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص وفي اختصاص فرضها في السماء دون سائر الشرائع فانها فرضت في الارض التنبيه على مزيتها على غيرها من الفرائض وفي فرضها بتلك الليلة كما قال السهيلي التنبيه على فضلها حيث لم تفرض الا في الحضرة المقدسة المطهرة ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن شرائطها والتنبيه على انها مناجاة الرب عز وجل وان الله تبارك وتعالى مقبل بوجهه على المصلي يناجيه ويقول حمدني عبدي أثنى علي عبدي الى آخر سورة الفاتحة وهو المشاكل لفرضها عليه فوق السماء السابعة حين سمع كلام الرب عز وجل وناداه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما تطهر المصلي للصلاة وأخرج عن الدنيا بجسده كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شيء الا مناجاة ربه وتوجهه الى قبلته في ذلك الحين وهو بيت المقدس ورفع الى السماء كما يرفع المصلي يديه اشارة

الى

الى القبلة العليا وهو البيت المعمور والى جهة عرش من ناحيه يوصل له سبحانه وتعالى

قال بعض المفسرين الافعال التى كلفنا الله بها على قسمين منها ما يعقل معناه ووجه حكمته فيه كالصلاة والصوم والزكاة فان الصلاة تضرع محض وتواضع وتذلل للخالق والزكاة سعى فى دفع حاجة الفقير والصوم سعى فى كسر الشهوة ومنها ما لا يعقل معناه ولا يعرف وجه الحكمة فيه كافعال الحج فانا لا نعرف بعقولنا وجه الحكمة فى رمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة والرمل ثم اتفق المحققون على انه كما يحسن منه تعالى أن يأمر عباده بالنوع الاول فكذا يحسن منه الامر بالنوع الثانى لان الاطاعة فى النوع الاول لا تدل على كمال الانقياد لاحتمال ان المأمور انما أتى به لما عرف بعقله من وجه المصلحة فيه بخلاف الطاعة فى النوع الثانى فانها لا تدل الا على كمال الانقياد وكمال نهاية التسليم لانه لما لم يعرف منه وجه المصلحة البتة لم يكن وجه اتيانه الا محض الانقياد والتسليم وهذا معنى قولهم يجب علينا الايمان والتصديق بكل ما جاءت به الرسل وان لم نفهم حكمته كذلك يجب علينا الايمان والتصديق بكلام الائمة وان لم نفهم علته حتى يأتينا عن الشارع ما يخالفه ومن شعائر الاسلام الصلوات والجماعات وقراءة القرآن والمساجد والمحاريب فى زماننا كثيرا والنبى صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا والاسلام لم يطلع غير جزيرة العرب

ولما أصبح قص على قريش ما رأى فقال له المطعم بن عدى كل امرك قبل اليوم كان أمما (يعنى خفيفا) انا أشهد أنك كاذب نحن نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك أتيته فى ليلة واللات والعزى لا أصدقك فقال أبو بكر رضى الله عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته وانا أشهد انه صادق فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيأته وكيف قربه من الجبل وفى القوم من سافر اليه فذهب ينعت لهم بناؤه كذا وهيأته كذا وقربه من الجبل كذا وسألوه أمارة فأخبرهم بالعير وانهم يقدمون يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله فحبس الشمس وكان كما وصف صلى الله عليه وسلم (واختلف فى حبس الشمس فقيل وقوفها عن السير من الحركة بالكلية وقيل بطء حركتها وقيل غير ذلك) فما زال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت فكرب كربا ما كرب مثله فجيء بالمسجد وهو ينظر اليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال

فقالوا له كم للمسجد من باب ولم يكن عدّها فجعل ينظر اليها ويعدّها بابا بابا وأبو بكر رضي الله عنه يقول صدقت صدقت أشهد انك رسول الله فقال القوم اما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا لابي بكر أتصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ولذلك سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحكمة تخصيص الاسراء الى المسجد الاقصى ان قريشا تعرفه فيسألونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع

وقد اختلف الناس في كيفية الاسراء فالاكثرون من طوائف المسلمين متفقون على انه بجسده صلى الله عليه وسلم والاقلون قالوا انه بروحه فالاسراء بالروح يحكى عن حذيفة وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم فقد قالوا ان ذلك كله كان رؤيا وهناك قول ثالث ان الاسراء كان بجسده الى بيت المقدس وبروحه من بيت المقدس الى السموات السبع والعقيدة عند الجمهور ان الاسراء والمعراج كانا يقظة لا رؤيا لانه قد صح ان قريشا [illegible] وارتد جماعة ممن كان أسلم وسألوه أمارة فأخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء [illegible] ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وكذلك تجلى البيت المقدس له ونظره اليه وانكار قريش فهذا يدل على ان ذلك كله لم يكن رؤيا ولو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رؤيا لما كذب ولا أنكر ذلك على غيره فضلا عن انكاره عليه لان آحاد الناس يرون في منامهم انهم ارتقوا الى السموات وليس ذلك بعجيب وأيضا الظاهر من قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده انه يقظة فان العبد كما في المحكم الانسان حرا كان أو عبدا لانه مملوك لباريه وهو في الاصل صفة لكنه استعمل استعمال الاسماء والمراد به هنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله بعبده دليل على ان الاسراء كان بروحه وجسده لا بروحه فقط اذ العبد اسم للجسد والروح وتعجب قريش من ذلك لاستحالتهم اياه مدفوع كما قال أهل الهيئة ان الفلك الاعظم في مقدار ما يتلفظ الانسان بلفظة واحدة يقطع الفا واثنين وثلاثين فرسخا وكما قاله البيضاوي بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضعها الاعلى في أقل من ثانية وهي جزء من ستين جزأ من الدقيقة وقد برهن في الاحكام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض فالله قادر

على

على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي أو فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى قال محشيه وأيضا كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم الى ما فوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش الى مركز العالم فان كان معراجه صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعا كان نزول جبريل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعا ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا في نبوة جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج متفرع على نحو تسليم جواز أصل النبوة فثبت ان القائلين بامتناع صعود حركة جسمانية سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل في لحظة واحدة من العرش الى مكة وان كان ذلك باطلا كان ما ذكروه أيضا باطلا فان قالوا نحن لا نقول ان جبريل جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزوله هو زوال الحجب الجسمانية عن روحه صلى الله عليه وسلم حتى يظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا في ذات جبريل قلنا تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء وأما جمهور المفسرين فيقرون بأن جبريل جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الافلاك الى مكة واذا كان كذلك كان الالزام المذكور قويا وهذا تقرير ما ذهب اليه الاكثرون من المسلمين وان ذهب الاقلون الى انه عليه الصلاة والسلام ما أسري الا بروحه انتهى فقد ذهب أهل التحقيق انه تعالى أسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى انتهى قال بعضهم في هذا المعنى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم

أسرى الى الاقصى بجسمك يقظة * لا في المنام فيقبل التأويلا
اذ انكرته قريش قبل ولم تكن * لتري المهول من المنام مهولا

وقال آخر

ألم تر أن الله أسرى بعبده * الى المسجد الاقصى من البيت ذي الحجر
وطاف به الكونين في ليلة السرى * وعلمه دون مرة كلما يجري
دنا فتدلى قاب قوسين فاتلها * وعلمه ما لم يكن قبله يدري
خليل ولم يعلم كليم ولم يسل * مسيح ولا حلق الى منتهى الحشر

وقوله وعلمه ما لم يكن قبله يدري خليل الى آخره اشارة الى ان معراجهم لم يكن كمعراجه مشتملا على تعليم كتعليمه وذلك لان المعراج كان لستة من الانبياء خاطبهم الله تعالى آدم

أبو البشر وادريس وابراهيم وموسى وعيسى وصفوتهم نبينا صلى الله عليه وسلم فمعراج آدم كان الى الجنة ومعراج ادريس الى السماء السادسة ومعراج ابراهيم الى ملكوت السموات والارض ومعراج موسى الى الطور ومعراج عيسى الى سماء الدنيا ومعراج المصطفى صلى الله عليه وسلم الى العرش فقد اشتركت الستة فى أصل المعراج ولكن ما كل بيضاء شحمة وفى الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أعطيت تفاحة ليلة المعراج فأكلتها فصارت ماء فى ظهرى فلما رجعت واقعت خديجة فحملت بفاطمة فاذا هى حورية انسية سماوية أرضية

وفى وقوع الاسراء ليلا فوائد منها ليزداد الذين آمنوا إيمانا بالغيب ويفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم ومنها انه وقت الخلوة والاختصاص عرفا فان بين جليس الملك نهارا وجليسه ليلا فرقا واضحا ولله در القائل

اللـيل لى ولأحبابى أنادمهم * قد اصطفيتهم كى يسمعوا ويعوا

وقول الآخر

قلت يا سيدى أتؤثر حب الليل عن بهجة النهار المنير

قال لا أستطيع تغيير رسمى * هكذا الرسم فى طلوع البدور

انما زرت فى الظلام لكيما * يشرق الليل من أشعة نورى

ولانه وقت الصلاة التى كانت مفروضة عليه فى قوله تعالى قم الليل وليكون أبلغ للمؤمن فى الايمان بالغيب كما تقدم وفتنة للكافر وقال بعض أهل الاشارات لما محا الله آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بأن أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن دحية أكرم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأمور منها انشقاق القمر وايمان الجن به وخروجه الى الغار ليلا والليل أصل ولهذا كان أول الشهر وسواده يجمع ضوء البصر ويستلذ فيه بالسمر وكان صلى الله عليه وسلم أكثر أسفاره ليلا وقال عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل والليل وقت الاجتهاد للعباده فلما كانت عبادته ليلا أكرم بالاسراء فيه وليكون أجر المصدق به أكثر ليدخل فيمن آمن بالغيب دون من عاينه نهارا وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له ومن يسألنى فأعطيه ومن يستغفرنى فاغفر له الحديث وهذه الخصوصية لم تحصل بالنهار بينها صلى الله عليه وسلم لما فى ذلك الوقت من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الاجر ولا تبالى بكلام الفلاسفة ان الظلمة

من شأنها الاهانة والشر وقد ذكر صلى الله عليه وسلم بعد عوده الانبياء الذين رآهم في بيت المقدس والسماء وذكر الجنة والنار وسدرة المنتهى والانهار الاربعة وفرض الصلوات الخمس وانه رأى ربه عز وجل بعيني رأسه بلا كيف ولا أين ولا زمان
ولنذكر هنا مسألة الرؤية على وجه الاختصار فنقول أجمع العلماء على ان رؤية الله تعالى بالابصار بقظة في الدنيا جائزة عقلا اذ كل موجود رؤيته جائزة وليس دليل قاطع على استحالتها شرعا فرؤية النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ببصره جائزة عقلا لايعني ان العقل اذا خلى ونفسه لم يحكم بامتناع رؤيته تعالى بالبصر ورؤية الله تعالى في الدنيا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم مستحيلة شرعا على غيره وانما اختلاف الصحابة في وقوعها لا في امكانها وجوازها ومما يدل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام اياها اذ لا يجوز على نبي جهل شئ مما يجوز لربه أو يمتنع عليه أو يجب له وكيفية الخلاف في وقوعها ان جمهور المتكلمين وغيرهم من السلف والخلف قالوا انها لا تقع في الدنيا وهو أحد قولي الاشعري كما حكاه عنه القشيري وهو قول عائشة رضي الله عنها بانكار رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء حين قالت لمسروق وكان متكئا عندها يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية فقال ما هن فقال من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فجلس وقال أنظريني يا أم المؤمنين ولا تعجليني ألم يقل الله ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض ثم قالت أولم تسمع ان الله تعالى يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير أولم تسمع ان الله يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا الى قوله علي حكيم قالت ومن زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته قالت ومن زعم انه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله كما رواه مسلم ووافقها أبو هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والذي جزم به صاحب التحرير كما نقله عنه النووي واقره إثبات رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه ببصره قال والحجج في هذه المسألة وان كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك

الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعند الطبراني من حديثه نظر محمد الى ربه قال عكرمة فقلت له نظر محمد الى ربه فقال قد جعل الكلام لموسى والخلة لابراهيم والنظر لمحمد صلى الله عليه وسلم وأخرجه البيهقي بلفظ ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وعن عكرمة سئل ابن عباس هل رأى محمد ربه قال نعم وقد روي باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه والاصل في الباب حديث ابن عباس حبر الامة والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فأخبره انه رآه والعقيدة على مذهب ابن عباس رضي الله تعالى عنه

وأما ما قاله الامام مالك رضي الله عنه من ان الله سبحانه وتعالى لم ير في الدنيا لانه باق والباقي لا يرى بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقي بالباقي ومقتضاه انه يقول بعدم رؤيته لاحد في الدنيا فيكون مذهبه مذهب من قال ان محمدا لم ير ربه فقد تأوله بعض المتأخرين بقوله هو كلام حسن مليح ليس فيه دلالة على استحالة الرؤية في الدنيا الامن حيث ضعف القوة الباصرة فاذا قوى الله من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية في أي وقت كان فلا مانع من ذلك وهو الحق فيجوز أن يقال ان الله تعالى أودع البصر الشريف قوة قدر بها على رؤيته تعالى كما كان صلى الله عليه وسلم يرى جبريل والصحابة عنده لا يرونه للقوة التي أمده الله بها دونهم قال الحافظ ابن حجر ووقع في صحيح مسلم ما يؤيد التفرقة في الرؤية بين الدنيا والآخرة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا وأخرجه أيضا ابن خزيمة من طريقين وهذا ظاهر في انتفاء الرؤية عنه صلى الله عليه وسلم والجواب عن ذلك بمن اثبتها له صلى الله عليه وسلم في الدنيا ما قاله ابن حجر ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم مما خاطب به غيره

واما التمسك بما نقله عائشة رضي الله عنها فقد أجاب عنه صاحب التحرير كما نقله عنه النووي وأقره من قوله بعد نقله حديث ابن عباس وأنس السابقين ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من

وراء

وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله تعالى لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا خالفه غيره من الصحابة لم يكن قوله حجة اتفاقا واذا صحت الروايات عن ابن عباس في اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما تتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس اثبت شيئا نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير قال النووي والحاصل ان الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مما لا ينبغي ان يشك فيه

ثم ان عائشة رضي الله تعالى عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها فيه حديث لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط من الآيات فاما احتجاجها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها انه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود رؤية من غير كلام الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وان كان مذهب الجمهور ان المراد بالوحي هنا الالهام أو الرؤيا في المنام وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا من موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم

وما قدمناه من انه صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني رأسه هو قول انس وعكرمة والحسن والربيع وجماعة من المفسرين وقال ابن عباس وابو ذر وابراهيم التيمي رآه بقلبه قال ابن عطية وعلى هذا رأى ربه بقلبه رؤية صحيحة وهو ان الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة اخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس انه كان يقول نظر محمد الى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده وعليه فلابن

عباس مذهب كون الرؤية بالبصر وبالفؤاد وما قاله ابن عطية فى الرؤية بالفؤاد اقره النووى وارتضاه ابن حجر ثم قال وليس المراد برؤية الفؤاد مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام فليس المراد بالرؤية المعرفة لان غيره صلى الله عليه وسلم من الاولياء اذا اطلقوا الرؤية والمشاهدة واسندوا ذلك لانفسهم انما يريدون بها المعرفة فقط قال بعضهم

دنا ليلة الاسراء من أحبه * وثانيه روح القدس والناس هجد

دنو اصطفاء لادنو مسافة * وان كان فى حالاته ليس يبعد

وقيل أيضا

تجلى لرب العالمين مقربا * حبيبا ودنو كل حب ويستدنى

فاى ليلة الاسراء عيانا ترقيا * فكان دنوا قاب قوسين أو أدنى

فقلنا له عن صحة الف آية * وهل تنكر الازهار فى الروضة الغنا

ولم تثبت الرؤية فى الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم حتى لموسى عليه السلام كما قيل

ولو قابلت لفظة لن ترانى * بما كذب الفؤاد فهمت معنى

خلافا لمن قال غير ذلك والحاصل انه على القول بوقوع الرؤية فى الدنيا لم تحصل لبشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم ومن ادعاها فى الدنيا يقظة فهو ضال باتفاق العلماء بل قيل بكفره وقد نقل جماعة الاجماع على انها لا تحصل للاولياء فى الدنيا والصواب انه مختلف فيها وان المنع ارجح قولى الاشعرى وذهب ابن الصلاح وغيره الى تكذيب مدعيها يقظة فى الدنيا فان صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك يؤول بأن غلبات الاحوال تجعل الغائب كالمشاهد حتى اذا كثر اشتغال السر بشئ واستحضاره له صار كأنه حاضر بين يديه كما هو معلوم بالوجدان لكل أحد وعليه يحمل ما نقل عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان يطوف حول البيت فسلم عليه انسان فلم يرد عليه فشكاه الى عمر رضى الله عنه فقال كنا نرى الله فى ذلك المكان وهذا يدل على انه قد يتفق فى زمان دون زمان ومكان دون مكان وسيأتى قريبا لذلك بعض تحقيق

ولم يستدل القوم بما يتى النجم لاحتمالهما رؤية المولى وجبريل وقد وردت الآثار بكل من الاحتمالين فى الآيتين وان الراجح كما قاله بعض المتأخرين ان الرؤية بالبصر وان المرئى هو الله تعالى لا جبريل وقد ذهب جماعة الى الوقف فى هذه المسألة ولم يجزموا بنفى ولا اثبات لتعارض الادلة ورجحه أبو العباس القرطبى فى المفهم وعزاه لجماعة من المحققين

وقواه

وقولنا بأنه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال القرطبي وليست المسألة من العمليات حتى يكتفى فيها بالأدلة الظنية وإنما هي من المعتقدات التي يطلب فيها الدليل القطعي ورده السبكي في السيف المسلول بأنه ليس من شرط جميع مسائل الاعتقاد الثبوت بالدليل القطعي بل متى كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الآحاد جاز أن يعتمد عليه في بعض تلك المسائل حيث لم يكن من مسائل الاعتقاد التي يشترط فيها القطع على أنا لسنا مكلفين بذلك

وقد اختلف في رؤيته في المنام ومعظم المثبتين للرؤية في الدنيا على جوازها من غير كيفية وجهة ونقل عن القاضي عياض اتفاق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها إن ادعاها من هو أهله كولي يوثق به ويكون ذلك تخصيصا للعموميات كقوله تعالى لا تدركه الأبصار وأما إن ادعاها من ليس من أهله كالعاصي والمقصر فإنا نكذبه ومع ذلك فالرؤية المنامية ليست من قبيل المشاهدة البصرية الحقيقية وإنما هي من قبيل نوع مشاهدة بالقلب دون العين وهي أيضا غير الرؤية القلبية التي في اليقظة فرؤيته صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء كانت يقظة بصرية أو قلبية يعني رؤية صحيحة حيث جعل الله تعالى بصره صلى الله عليه وسلم في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما هي لا في جهة ولا انحصار منزها عن صفات الحوادث والمحققون على أنه رآه بعينه وبقلبه وإسراؤه ومعراجه صلى الله عليه وسلم كان يقظة أيضا على الصحيح كما قيل

أعلمت من ركب البراق عشيا   وبلاه جبريل الأمين نديما
حتى سما فوق السماء قدوما   ودنا فكلم ربه تكليما

* * *   * * *

أم من على الرسل الكرام تقدما   ونوى الصلاة بهم وكبر محرما
وسرى إلى ذي العرش فردا بعدما   بلغ الأمين مكانه المعلوما

* * *   * * *

أم من كقاب القوس آية قربه   بعلوه ودنوه من ربه
ورأى الإله بعينه وبقلبه   وحوى من الغيب الخفي علوما

ولذلك لما أفحم قريشا بالدلائل القوية التي تفيد اليقين من وصف بيت المقدس ووصف العير التي مر بها في طريقه وأنها تصل إليهم وقت كذا فكان كما أخبر لم يجدوا

خارقة الا ان رموه بالسحر وقالوا صدق الوليد ولوقوع الاسراء ليلا ماوا ثبتمها ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب ويفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم وقد قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك أى التى شاهدتها ليلة الاسراء الا فتنة للناس اى امتحانا واختبارا لانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفر به كثير ممن كان قد آمن به وازداد المخلصون ايمانا فلهذا السبب كانت امتحانا والمراد بالرؤيا فى الآية الرؤيا البصرية حيث ان الاسراء كان فى اليقظة بجسمه الشريف وانه لما وقع ذلك ليلا وكان خارقا للعادة أشبه الرؤيا المنامية فعبر عنه بالرؤيا مجازا وادل دليل على ان الرؤيا كانت بصرية قوله تعالى فتنة للناس كما ذهب اليه ابن عباس والمحققون وارباب البصائر اذ لو كانت منامية لما حصل افتتان كما سبق اذ العاقل لا يستبعد الرؤيا المنامية ولا ينازع ولا يستعظم ذلك حتى وصامع انسان لم يعهد عليه الا الصدق من صغره الى كبره صلى الله عليه وسلم

وأما رؤية المؤمنين للنبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فقد ورد من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى رواه الامام أحمد والبخارى والترمذى عن أنس وهو متواتر وفى رواية من رآنى فقد رأى الحق فان الشيطان لا يتزيا بى رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم عن أبى قتادة وفى رواية من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى رواه البخارى ومسلم وأبوداود عن أبى هريرة أى ان رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام حق ولو رآه الرائى على غير صفته الحقيقية التى هو عليها خلافا للحكيم الترمذى لان ادراكه على صفته الاصلية ادراك لذاته وادراكه على غير صفته الاصلية ادراك لمثاله وعدم تمثل الشيطان به لئلا يجعل ذلك وسيلة للكذب عليه فى النوم وقوله فسيرانى فى اليقظة أى فى الآخرة رؤية خاصة بصفة القرب والشفاعة وفيه بشرى بموته على الايمان وهذا عام فى أهل الطاعة ويحتمل فى أهل العصيان فقد تخرق لهم العادة اعواء وقولنا فيما تقدم رؤية خاصة أى والا فجميع أمته يرونه فى الآخرة أو هذا قبل موته صلى الله عليه وسلم أى من رآه فى المنام فسيوفقه الله تعالى للهجرة اليه ويراه بعينى راسه او فسيراه فى الدنيا حقيقة كرامة له كما وقع لكثير من الاولياء وسألوه فأرشدهم وردّ هذا بأنه يلزم عليه بقاء الصحبة وبأن جمعا ممن رأوه مناما لم يروه يقظة وخبره لا يتخلف وأجيب بأن شرط الصحبة أن يراه فى عالم الدنيا قبل موته

سوبأن من لم يبلغ درجة الولاية يراه قرب موته عند الاحتضار ورؤيته في اليقظة نص جمع من الائمة على امكانها ووقوعها وقيل المرئي مثاله لا حقيقة جسده الشريف

ثم اعلم ان الرائين للنبي صلى الله عليه وسلم مختلفون في الدنو منه والبعد فمنهم من يدنو منه حتى لا يبقى بينه وبينه حجاب ومنهم من يراه على بعد بعد رفع الحجاب رفعا غير تام وهذا الدنو معنوي لا حسي بحيث ان النبي صلى الله عليه وسلم ينتقل الى الرائي بان يجيء اليه راحلا أو راكبا أو نحو ذلك اذ لا دليل عليه انتهى

وقد رفع سؤال للعلامة كمال الدين بن أبي شريف صورته رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في النوم هل هي صحيحة ولو كانت على أي حال من الاحوال حتى لو رؤي على لون أسمر أو رؤي بلا لحية أو نحو ذلك أم كيف الحال وهل يشترط لصحة الرؤيا شيء أم لا وما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من رآني فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي او كما قال وما حكم الله في ذلك فأجاب رحمه الله بأن قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي ورد في الصحيحين وغيرهما من رواية غير واحد من الصحابة بألفاظ متقاربة المعنى ويتعلق البحث فيه بقوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام هل هو خاص بمن رآه صلى الله عليه وسلم بحليته وصفته أو هو لكل من رآه على أي صفة رآه وبقوله صلى الله عليه وسلم فقد رآني هل هو على ظاهره بمعنى فقد رأى ذاتي حقيقة أو هو مؤول فذهب جمع منهم ابن سيرين امام أهل التعبير الى اختصاصه بمن رآه صلى الله عليه وسلم على صفته ثم من هؤلاء من ضيق فقال على صفته التي توفي عليها حتى راعى عدد الشعرات البيض في رأسه ولحيته صلى الله عليه وسلم ومنهم من اكتفى بما تصدق عليه صفته صلى الله عليه وسلم في وقت من أوقاته كحال شبابه أو رجوليته أو كهولته أو ما بعد ذلك فهؤلاء يشترط عندهم في رؤياه صلى الله عليه وسلم ان يرى على صفته على اختلاف قولهم في المراد بالصفة وذهب آخرون منهم القاضي أبو بكر الباقلاني الى انه لا يختص بذلك والى ان المعنى في قوله فقد رآني على التأويل فقال القاضي أبو بكر المذكور كما نقله عنه الماوردي وغيره يعني فقد رآني فرؤياه حق ليست اضغاث أحلام ولا من شبهات الشيطان بل بما له تعبير صحيح أي وليس المعنى انه رأى ذاته حقيقة قال فقد يراه الرائي على خلاف صفته المعروفة كمن رآه أبيض اللحية وقد يراه شخصان في زمن واحد في مكانين متباعدين فيراه أحدهما بمنزله وهو بالمشرق والآخر بمنزله وهو بالمغرب وعلى التأويل مشى الغزالي أيضا فقال ليس معناه فقد رأى جسمي وبدني قال بل المرئي

مثال بحقيقة روحه المقدسة التي هي محل النبوة لا بمعنى روحه ولا شخصه وذهب طائفة الى ان الحديث على ظاهره من ان المرئي حقيقة ذاته اذ لا مانع من ذلك والعقل لا يحيله ليحتاج الى تاويله اذ الرؤية أمر يخلقه الله تعالى في الحي ولا يتوقف على مقابلة ولا تحديق بصر ولا كون المرئي ظاهرا بل الشرط كونه موجودا فقط وقد دلت الاحاديث الصحيحة على بقاء جسمه الشريف وانه لا يبلى ففي حديث أوس بن أوس عن أبي داود والنسائي وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم على الارض اجساد الانبياء ومن أبي داود من حديث أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وقد نصر القرطبي مذهب القاضي الباقلاني وشنع على القول برؤية الذات الشريفة حقيقة بانه يلزم عليه أمور منها انه لا يراه أحد على غير صفته التي مات عليها وان لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين متباعدين مع ان ذلك واقع ولا مانع منه عقلا ولا عادة وقد اجيب من طرف القائل عن رؤيته على غير صفته وفي مكانين مختلفين بان ذلك من غلط الرائي وان كلا من الصفة والمكان متخيل غير مرئي وذلك التخيل بحسب حال الرائي يستدل به على التعبير بالنسبة اليه وقد نصر النووي في شرح مسلم القول بان الرؤية للذات حقيقة وحكى مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني أولا ثم حكى مذهب القائل بان الرؤية للذات على ظاهرها ثم حكى عن القاضي عياض انه يحتمل ان يكون معنى الحديث اذا رآه على صفته المعروفة له في حياته فان رؤي على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة ثم قال النووي وهذا الذي قاله القاضي ضعيف بل الصحيح انه يراه حقيقة ثم قال النووي سواء على صفته المعروفة أو غيرها كما ذكره المازري انتهى كلام النووي وقد تعقبه العلامة ابن حجر في فتح الباري بان الذي قاله القاضي توسط حسن يمكن الجمع بينه وبين ما قاله المازري بان يكون رؤياه على الحالين حقيقة لكن اذا كانت على غير صورته كان النقص لتخيل الصفة على غير ما هي عليه ويحتاج ما يراه في ذلك المنام الى التعبير اهـ

وبمناسبة ليلة الاسراء وليلة القدر ونحوهما ذكر العلماء اختلافا في التفضيل بين الليل والنهار وممن ذهب الى تفضيل الليل النيسابوري لوجوه أحدها ان الليل راحة والنهار تعب وأيضا فالليل حظ الفراش والنهار حظ المعاش ولان الله تعالى سمى

ليلة

سمى ليلة القدر خير من ألف شهر وليس في الايام مثلها وقيل النهار أفضل لانه نور واقع للمعاد والمعاش

قال الحافظ السيوطي رحمه الله وقد وقفت على تأليف في التفضيل بين الليل والنهار لابي الحسن بن فارس اللغوي صاحب المجمل فذكر وجوها في تفضيل هذا ووجوها في تفضيل هذا فمما ذكره في تفضيل الليل ان الله تعالى ذكر فيه سورة سماها بسورة الليل ولم ينزل في النهار سورة تسمى بسورة النهار وان الله تعالى قدم ذكره على النهار في أكثر الآيات كقوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وجعلنا الليل والنهار آيتين جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا وان الله خلقه قبل النهار وان ليالي الشهر سابقة على أيامه وان في الليالي ليلة خير من ألف شهر وليس في الايام مثلها وان في كل ليلة إجابة وليس ذلك في النهار الا في يوم الجمعة خاصة وانه وقت الخلوة والاختصاص عرفا فان بين جليس الملك نهارا وجليسه ليلا فرقا واضحا وان النهار فيه أوقات تكره فيها الصلاة وليس في شئ من ساعات الليل وقت كراهة والصلاة من أشرف العبادات وان فيه التهجد والاستغفار بالاسحار وهما أفضل من صلاة النهار واستغفاره وانه أصلح لتلاوة الذكر قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال آمن هو قانت آناء الليل وان الاسراء وقع بالليل قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وقال الله تعالى فأسر بأهلك بقطع من الليل وقال أهل العلم في الليل تنقطع الاشغال وتجم الاذهان ويصح النظر وتؤلف الحكم وتدر الخواطر ويتسع مجال القلب ومؤلفو الكتب يختارونه على النهار لان القلب بالنهار طائر وبالليل ساكن وكذلك مدبرو الملوك وقديما كان يقال الليل نهار الاريب وقال القائل

ولم أر مثل الليل جنة فاتك * اذا هم أمضى أو غنيمة ناسك

وعارضه صاحب النهار بأن الله قدم ذكره في قوله والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها وبأن التقديم لا يدل على فضيلة فقد قدم الله الموت على الحياة والخلق على الانس والاعمى والاصم على البصير والسميع في قوله خلق الموت والحياة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع والتأخر مما ذكر أفضل من المتقدم قطعا وبأن النور قبل الظلمة قال الله تعالى الله نور السموات والارض وبأن الناس والشعراء اذا وصفوا الليل وصفوه بكونه كقول امرئ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل الا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وقد استعاذوا بالله من الأيهمين ويقال الاعميين السيل والليل وبالليل تدب الهوام وتثور السباع وتنتشر اللصوص وتشن الغارات وترتكب المعاصي ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقد قال صلى الله عليه وسلم أقلوا الخروج اذا هدأت الرجل فان لله دواب ينشرها وقد شبه الله تعالى به وجوه أعدائه فقال كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما وكان الحسن يقول ما خلق الله خلقا أشد سوادا من الليل وقال تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قيل هو الليل اذا أظلم وتقول العرب للمكثار حاطب ليل لما يخشى عليه من نهش الهوام ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم الليل وأمر بغلق الأبواب وكف الصبيان بالليل

وافتخرت العرب بالايام دون الليالي فقالوا يوم ذي قار ويوم كذا والاسبوع أيامه مسماة دون الليل وانما تذكر بالاضافة الى الايام فيقال ليلة الاحد وليلة كذا وليس المضاف كالمضاف اليه والايام النبيهة أكثر من الليالي كيوم الجمعة ويوم عرفة ويوم عاشوراء والايام المعلومات والمعدودات وليس في الليل الا ليلة القدر وليلة نصف شعبان وقال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لامتي في بكورها ولم يقل ذلك في شئ من الليالي هذا ما ذكره الحافظ بعض رسائله وأما أفضلية ليلة الاسراء على ليلة المولد فقد قال أبو أمامة ابن النقاش رحمه الله ان ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر أفضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل أكثر من ثمانين سنة ممن كان قبلهم وأما ليلة الاسراء فلم يأت في أرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف والمأخوذ من كلام البلقيني رحمه الله ان ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر ولعل الحكمة في ذلك كما قاله في الاصطفاء اشتمالها على رؤيته سبحانه التي هي أفضل من كل شئ ولذا لم يجعلها ثوابا عن عمل من الاعمال مطلقا بل من بها على عباده المؤمنين يوم القيامة تفضلا منه تعالى وهذا مما يؤيد القول بتفضيل الليل على النهار وظواهر كلامهم ان الخلاف بين الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم وبين ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن وأما الليلة المعينة التي أسري به صلى الله عليه وسلم فيها وليلة

القدر

القدر في كل عام فينبغي أن يكون فيها قول أبي امامة ابن النقاش السابق وأما طائر الليلة المعينة في كل عام فلا شك في ان ليلة القدر أفضل منها كما لا يخفى وبالجملة فما أحسن قول ابن الفارض

وخير الليالي ليلة القدر ان دنت * كما ان أيام اللقا يوم جمعة

فالأزمان متكافئة في حد ذاتها والفضل انما هو بالخصوصيات المنسوبة اليها فقد ذهب العز ابن عبد السلام الى أن التفضيل انما هو بين العقلاء ولا يجري في غيرهم من الاماكن والازمان الا باعتبار ما يقع فيها من الاعمال والعبادات لا في ذواتها ومذهب غيره ان التفضيل يكون بالذات كتفضيل العلم على الظن وبالصفة كتفضيل القادر على العاجز وبالطاعة كتفضيل الولي على غيره من المؤمنين وبالثواب كتفضيل الجماعة على المنفرد وبالشرف كتفضيل الشريف على العامي وبالمجاورة كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود وبما حل فيه كتفضيل مزاره صلى الله عليه وسلم على سائر البقاع وبالاضافة كبيت الله وحرم الله وبالانتساب كزوجاته صلى الله عليه وسلم وذريته وبالثمرة والجدوى كتفضيل الرسالة على النبوة وبتفاوت الثمرة وتحققها كما في العلوم المدونة وعما يخصه الله تعالى على الاماكن والازمان بفضله وكرمه كاختصاص عرفة بالوقوف فلا عبرة بقول من سوى بين الاعيان والازمان والاماكن وزعم انه لا مزية لشيء على شيء وانما هو مجرد ترجيح بلا مرجح فان قوله باطل ويكفي في فساده انه يقتضي ان ذوات الرسل كذوات أعدائهم وان البيت الحرام كغيره من البيوت والحجر الاسود كغيره من الاحجار من غير فرق ولا قائل بذلك بل التفضيل له معان وأسباب ومن هذا يعلم أيضا ان التفضيل بين العقلاء ليس بكثرة الثواب والعمل فقط وهو الحق فالتفضيل للانبياء بقرب المنزلة من الله وعلو المرتبة وكثرة الخصائص والمعجزات كخاصة الاسراء لنبينا صلى الله عليه وسلم واضافته اليه في قوله سبحان الذي أسرى بعبده قال أبو سليمان القاسم الانصاري لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج أوحى الله اليه بم أشرفك فقال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية فأنزل الله تعالى فيه سبحان الذي أسرى بعبده ولذلك قيل

ياقوم قلبي عند أسماء * يعرفه السامع والرائي
لاتدعني الا ياعبدها * فانه أشرف أسمائي

وقال الشيخ أحمد العراقي

وهان على اللوم في حب حبها * وقول الاعادي انه لخليع
أصم اذا نوديت باسمي وانني * اذا قيل لي ياعبدها لسميع

وقال القاضي عياض

ومما زادني شرفا وتيها * وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي * وأن صيرت أحمد لي نبيا

وقال آخر

وكنت قديما أطلب الوصل منهم * فلما أتاني العلم وارتفع الجهل
تيقنت أن العبد لاطلب له * فان وصلوا فضل وان هجروا فعدل
وان أحسنوا لم يحسنوا غير وضعهم * وان عاملوا فالفعل من أجلهم يحلو

ثم أقام عليه الصلاة والسلام بعد الاسراء بمكة على الاذى صابرا وعلى نصح الامة مثابرا ويوافي موسم الحج ويعرض نفسه الشريفة حتى بايعه بنو الانصار على أن يؤووه اذا أتاهم وينصروه على الكفار ثم أذن له في الهجرة الى المدينة ثم في القتال فقابل ذلك بالقبول والامتثال وأقام بالمدينة عشر سنين كوامل وفيها أنزل غالب القرآن وشرع غالب الاحكام التي بهرت الاواخر والاوائل

(الباب الثالث في هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وماترتب على ذلك من المظاهر الاسلامية والظواهر العلمية وفيه فصول)

(الفصل الاول في الاسباب الباعثة على هذه الهجرة والتمهيد لها)

قد اختفى صلى الله عليه وسلم برسالته ثلاث سنين كما تقدم في الفصل الاول من الباب الثاني ثم أعلن بها في الرابعة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم في عكاظ والموسم ويسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في اسواق المواسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز وقد تقدم الكلام على سوق عكاظ في الفصل الثالث من الباب الثاني من المقالة الرابعة من الجزء الاول وان العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تجيء سوق ذي المجاز فتقيم به الى ايام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى

ان

ان يمنعوه وينصروه حتى يبلغ رسالة ربه فكان يقول يعني يا أيها الناس ان الله يأمركم
ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وكان وراءه أبو لهب يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم
ان تتركوا دين آبائكم وقد عرض على بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة المبايعة فقال
له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون
لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث شاء فقال له ذلك الرجل أنقاتل العرب
دونك فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر
الى منازلهم وكان فيهم شيخ ادركه السن حتى لا يقدر ان يوافي معهم الموسم فقدموا عليه
سألهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بني عبد المطلب يزعم انه نبي
يدعونا الى ان نمنعه ونقوم معه ونخرج الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني
عامر هل لها من تلاف هل لذناباها من مطلب والذي نفسي بيده ما تقولها اسمعيلي قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم وقد بشر بظهوره وهجرته صلى الله
عليه وسلم من ملوك حمير الملك الحارث الرائش أو التاسع في أبيات يقول فيها

اذا الملك المتوج ذو العطايا * حللت الحل من اوطان شام
لموطنها الا ارد الى بلاد * تداولها الملوك من الرام
لانا الاعلون اذا بطشنا * وانا المقدمون لكل دام
وانا يوم نعصب أو نسامي * تكاد الارض ترجف بالانام
وان نرضى نقر عين عليها * ويشرق وجهها بعد الظلام
وفينا الملك والاملاك منا * ونحن الاكرمون سوى الكرام
أخو بأس يبرز وبه يسامى * فيقهر من يسامر أو يسامى
وان اهلاك فقد املت ملكا * لكم يبقى الى الوقت التهامي
وعالك بعدنا منا ملوك * يدعون الانام بغير دام
ويخرج بعدهم رجل عظيم * نبي لا يرخص في الحرام
يفارق أهله وله كتاب * يوافي خطه رجع الكلام
واحمد اسمه يا ليت اني * أؤخر بعد مخرجه بعام
ويتبعه بعده خلفاء بر * ويتملك بعده اولاد عام

...ت أولاد عامر وهم آل الاكبر

...بينما كان صلى الله عليه وسلم في بعض المواسم عند عقبة الجمرة سمع احد ... من

النبوة ادلتي رهطا من الخزرج وكانوا ستة وقيل ثمانية اراد الله بهم خيرا فقال لهم من أنتم فقالوا نفر من الخزرج قال امن موالي يهود قالوا لا قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام ورأوا أمارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض والله انه النبي الذي يوعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا تركنا قومنا الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم فان الله يجمعهم بك فلا رجل أعز منك وكان الاوس والخزرج أخوين لاب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب فمكثوا على المحاربة والمقاتلة نحو مائة وعشرين سنة

ولما آمنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا إنا نشير عليك ان تمكث على حالك بسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شأنك وندعوهم الى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمى هذا ابتداء إسلام الانصار فانهم أجابوه وانصرفوا راجعين الى بلدهم من غير مبايعة ويقال هم أهل العقبة الأولى فلما كان العام المقبل قدم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا فاجتمعوا به صلى الله عليه وسلم عند العقبة أيضا منهم خمسة من أهل العقبة الأولى فبايعهم وعاهدهم وهذه المبايعة في الحقيقة يقال لها العقبة الأولى وان كانت هي الثانية فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن ام مكتوم وهو ابن خال خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله عنها وكذلك بعث مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه يعلمان من أسلم منهم القرآن ومن أراد ان يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من يسلم منهم الى الاسلام وكان مصعب يؤم الأوس والخزرج وجمع بهم أول جمعة جمعت في الاسلام حين بلغ المسلمون منهم أربعين رجلا بارساله صلى الله عليه وسلم اليه بالتجميع قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وسمت الانصار إياها يوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى والا فكانت تسمى في الجاهلية يوم العروبة أي الرحمة ولم يجمع صلى الله عليه وسلم بمكة مع فرض الجمعة وهو بها لعدم التمكن من فعلها هناك ولم يأمر بها مصعبا عند ارساله الى المدينة لعدم وجود شرطها من العدد المذكور حينئذ وفشا الاسلام بالانصار وأسلم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وفي عام

سنة

سنة اثنتي عشرة من النبوة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل سنة إحدى عشرة من النبوة كما سبق

وهناك عقبة ثالثة وهو أنه خرج جماعة من الانصار المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم غير المسلمين حتى اذا قدموا على مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق فلما مضى ثلث الليل اجتمعوا في الشعب وهم ثلاثة وتسعون رجلا وامرأتان أم عمارة إحدى بني مازن ابن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ومعه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه الا انه أحب ان يظهر على أمر ابن أخيه ويتوثق به فلما جلس كان أول متكلم فقال يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا من هو على مثل ما رأينا فيه فهو في عز قومه ومنعة في بلده وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة في قومه وبلده فقالوا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم ونساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم (٢) أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم أخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وانتهت البيعة في العقبة فهذه بيعة العقبة الثالثة التي هي في الحقيقة بيعة ثانية لان الاولى لم تكن بيعة كما تقدم ولعل من عد البيعات

---

(٢) قوله الهدم يروى بسكون الدال وفتحها فالهدم بالتحريك القبر يعني اني أقبر حيث تقبرون وقيل هو المنزل أي منزلكم منزلي والهدم بالسكون وبالفتح أيضا هو إهدار دم القتيل يعني إن طلب دمكم فقد طلب دمي وان أهدر دمكم فقد أهدر دمي لاستحكام الالفة بيننا كما يؤخذ من النهاية انتهى مصححه

ثلاثا اعتبارا ان العقبة الاولى الذى اجتمع فيها الخمسة من الخزرج كانت بيعة سكونية لا حيا كالبيعتين الاخيرتين لم يصدر مما حصل فيها مخالفة حيث ان اهل الاولى عادوا فى العقبة الثانية وبايعوا مع من حضر معهم من الانصار على نصرته صلى الله عليه وسلم على عدوه والايمان بما جاء به وهذا من أعظم درجات الايمان فبهذا استحق أهل العقبة الاولى الستة فضل المتابعة وعدت متابعة العقبات ثلاثة فبسبل أحسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنهم بالله وبايعوا نبيهم صلى الله عليه وسلم على الموت فعوجلوا بالامن والسلامة من الموت ولهذا قيل ليس فى خصال الخير وان جلت ولا فى أنواع البر وان عظمت أعلى من حسن الظن بالله تعالى

ولما تم أمر البيعة بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أهل المدينة وبقى أصحابه فى ضنك من إيذاء المشركين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه فى الهجرة فمكث أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور وقال قد أخبرت بدار هجرتكم الا وهو يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويترافقون ثم صاروا يرحلون من مكة أرسالا أى قطائع سرا الا عمر بن الخطاب فانه أعلن بالهجرة ولم يتبعه أحد من المشركين ولا قصده بسوء فلما قدموا المدينة أنزلهم الانصار فى دورهم وواسوهم ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى رضى الله عنهما وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذنه فى الخروج فيقول له لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فرجا أبو بكر ان يكون ذلك الصاحب وترصد رفاقته واسطر صحبته صلى الله عليه وسلم وورد فى حق أبى بكر حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام ما نفعنى مال أبى بكر ولما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام إظهارا كليا

ثم لما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شيع وأصحاب من غيرهم بغير بلادهم ورأوا خروج شيعة أصحابه من المهاجرين اليهم تحذروا خروجه صلى الله عليه وسلم فاجتمعت قريش فى دار الندوة للمشاورة فى اخراجه او حبسه أو قتله وهى دار قصى بن كلاب وهو أول من بناها وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها ومنعوا الناس من الدخول اليهم لئلا يدخل أحد من بنى هاشم فيطلع على حالهم فلما قعدوا للتشاور تراءى لهم ابليس بصورة شيخ نجدى متطلس ووقف على الباب فلما رأوه قالوا من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا

قالوا

قالوا ادخل فدخل وكان قد اجتمع فيها أشراف قريش من كل قبيلة فزعم ابن دريد في الوشاح انهم كانوا خمسة عشر رجلا وقال ابن دحية في مولده انهم كانوا مائة رجل ثم شرعوا في الكلام فقال بعضهم ان هذا الرجل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره ما كان وإنا لا نأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأيا فقال بعضهم رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك من الشعراء من كان قبله كزهير والنابغة فصرخ الشيخ النجدي عدو الله ورسوله فقال بئس الرأي والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب الى أصحابه فوثبوا وانتزعوه من أيديكم قالوا صدق الشيخ وقال بعضهم رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال الشيخ والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه ثم يسير بهم حتى يطأكم بهم فقالوا صدق الشيخ فقال أبو جهل أرى ان يعطى خمسة رجال من خمسة قبائل سيفا سيفا فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في هذه البطون فلا يقدر بنو هاشم على حرب قومهم جميعا فصوب الشيخ النجدي قول أبي جهل فتفرقوا على رأيه مجمعين على قتله فأخبر جبريل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مما أنزل عليه في ذلك اليوم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله عز وجل أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون

ولما استقر رأي قريش بعد المشاورة على قتله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وأخبره بذلك وقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه وقال له ان الله يأمرك بالهجرة الى المدينة ثم سأل جبريل عمن يهاجر معه قال أبو بكر الصديق ومن ذلك سماه الله صديقا وقيل سبق ان سبب تسميته صديقا في المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت في كل ما تخبر به ولعل هذا سبب ثان لتأكيد التسمية بالصديق وتحقيقها فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا أي يهجموا ويقوموا عليه وهو إذ ذاك داخل الدار فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد أخضر وكان أول من شرى نفسه ونزل فيه قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله وذكر الغزالي في الاحياء ان الله تعالى أمر جبريل وميكائيل ان يهبطا الى

الارض ويحفظا من عدوه فسر لا فكان حبر بل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وأنشد على بن أبى طالب رضى الله عنه قصة مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف ان يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا * موقى وفى حفظ الاله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونى * وقد وطنت نفسى على القتل والاسر

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدوا له وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد ونثر على رؤسهم كلهم ترابا فى يده وهو يتلو يس الى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون كما قيل

وقريش إذ رام الرحيل مهاجرا * ملؤا المسالك راصدا ومشاجرا
فمضى يحاجبه ولم يرحاجرا * والقوم يقظى والبصائر نوم

* * *

نثر التراب على رؤس الحسد * وسرى وقد وقفوا له بالمرصد
قولوا الاعمى العين مغلول اليد * أنت الشقى بغض أحمد مرغم

ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون هنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله قد خرج محمد عليكم ما ترك منكم رجلا الا وضع عليه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب وقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فجهز ر وحات النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهن جهاز السفر أحسن جهاز وصنعن لهن سفرة أى زادا فى جراب وكان فى السفرة أى فى الزاد شاة مطبوخة فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب المشتمل على الزاد وأبقت الاخرى نطاقا لها فلذلك سميت ذات النطاقين كما روى فى صحيح مسلم عن أسماء بنت أبى بكر الصديق زوج الزبير بن العوام من كبار الصحابة روى عنها ابناها عبد الله وعروة وجماعة أسلمت قديما بمكة وهاجرت الى المدينة وتوفيت بمكة بعد ابنها عبد الله بيسير سنة ثلاث أو أربع وسبعين وقد جاوزت المائة ويروى انها قالت للحجاج بلغنى انك تعيرابنى عبد الله بن الزبير بابن ذات النطاقين اما والله ذات النطاقين اما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام

أبى

أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه عند أشغالها وفي حديث أم اسماعيل أول ما اتخذ الناس النطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا المنطق النطاق وجمعه مناطق وهو أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشئ وترفع وسط ثوبها وترسله على الاسفل عند معاناة الاشغال لئلا تعثر في ذيلها ومنه سميت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ذات النطاقين لانها كانت تطارق نطاقا فوق نطاق وقيل كان لها نطاقان تلبس احدهما وتحمل في الآخر الزاد الى النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما في الغار وقيل شقت نطاقها نصفين فاستعملت أحدهما وجعلت الآخر شدادا لزادهما وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ووقف على الحزورة ونظر الى بيت الله الحرام وقال حين خرج منها من أم القرى والله انك لاحب أرض الله الي وانك خير بقعة على وجه الارض وأحبها الى الله تعالى ولولا أهلك أخرجوني لما خرجت منك وقال صلى الله عليه وسلم ان خير بلدة على وجه الارض وأحبها الى الله مكة وسميت أم القرى لانها قبلة أهل الدنيا فصارت هي كالأصل وسائر البلاد تبعا وأيضا الناس يجتمعون اليها للحج والتجارة كما يجتمع الاولاد للأم وقيل لان الكعبة أول بيت وضع للناس وما أحسن ما قاله بعض الشعراء

لا تسكنن لاهل مكة قسوة * والبيت فيهم والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى جفته أهل طيبة منهم
خاف الاله على الذي قد جاءه * سلبا فلا يأتيه الا محرم

أي خاف الله ان يسلب أهل مكة القادم الى الحرم فصار يقصد مكة الناس بالاحرام وأما حديث اللهم كما أخرجتني من أحب البقاع الي فاسكني أحب البقاع اليك فلم يصح عنه صلى الله عليه وسلم لان مكة أفضل من غيرها بوجوه منها انه تعالى أوجب قصدها للحج والعمرة الواجبين وقصد المدينة سنة وان فضلت باقامة النبي صلى الله عليه وسلم بعد النبوة فمكة أفضل لانه أقام بها ثلاث عشرة أو خمس عشرة وبالمدينة عشرا فان فضلت بكثرة الطارقين فمكة أفضل لكثرة من طرقها من الاولياء والصالحين والانبياء والمرسلين فما من نبي الا حجها وهي مقر ابراهيم واسماعيل ومولد سيد المرسلين وليست المدينة كذلك وان ذهب الى تفضيلها على مكة الامام مالك ولو صح الحديث السابق فهو مجاز لوصف المكان بما يقع فيه كبلد آمن أو خائف ووصف بانه محبوب لما فيه مما يحبه الله من إقامة الرسول به الى القيامة وتكميل ارشاد الامة والدين به وأحسن من

هذا ان يكون المعنى كما أخرجتني من أحب البقاع الي في أمر معاشي فاسكني الأحب اليك في أمر معادي وهو ظاهر فانه لم يزل في زيادة من دينه و بلوغ أمره الى ان تكامل وشرف بذلك في قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم الآية وسيأتي قريبا بيان ذلك على وجه أوضح

(الفصل الثاني)
(في سيره مهاجرا الى المدينة مع صاحبه صديقه رضي الله تعالى عنه)
(وهو ابتداء التاريخ الاسلامي)

لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر أمر أصحابه فهاجروا الى المدينة و بقي هو وأبو بكر وعلي فخرج هو وأبو بكر مستخفين من قريش فلما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها فلم يجدوه فشق عليهم خروجه وجعلوا مائة ناقة لمن يرده ولما خرج أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار جعل طورا يمشي أمامه وطورا يمشي خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال عليه الصلاة والسلام ما هذا يا أبا بكر فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأحب ان أكون امامك وأتخوف الطلب فأحب ان أكون خلفك وأحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبر لا يمس شيئا في رجليه حفي لانه لم يتعود الحفا فحمله أبو بكر رضي الله تعالى عنه على كاهله حتى انتهى الى الغار فلما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخل قال أبو بكر والذي بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخله فأسبره قبلك فدخل أبو بكر رضي الله عنه فجعل يلتمس الغار بيده في ظلمة الليل مخافة ان يكون فيه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم ير فيه شيئا دخل صلى الله عليه وسلم الغار وجعل رأسه في حجره ونام ورأى أبو بكر رضي الله عنه جحرا فألقمه عقبه فلدغ أبو بكر رضي الله عنه في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال له لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده وباتا في الغار وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار وأمر حمامتين فعششتا وباضتا وما أحسن ما قيل

وحاكت بلك العنكبوت من العدا * فأرخت ستار الغار مكرا بها سترا
ووافقها في الذب عنك حمائم * أبين سراعا فانتنين به وكرا

فلما أتى الكفار طرق حديقة * عليا الحبا تلك الحديقة والمكرا

وأقبل فتيان قريش بسهامهم وسيوفهم ومعهم من يقص الاثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم الى هنا انتهى أثره فما أدرى بعد ذلك أصعد الى السماء أم غاص فى الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف ما تنظرون الى الغار وان عليه لعنكبوتا قبل ميلاد محمد فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعم بصرهم فجعلوا يترددون حول الغار لا يرون أحدا ويقولون لو دخلا هذا الغار تكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت فعلنا ان الله تعالى حماهما بالحمام وصرف عنهما كيد الاعداء بالعنكبوت ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك روى ابن وهب ان حمام مكة أظلت النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هى جند من جنود الله الا ان البيوت تطهر من نسجها لانه يورث الفقر والى ذلك يشير صاحب البردة بقوله

وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من ارم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

وقيل فى هذا المعنى

والعنكبوت أجادت حوك حلتها * فما تخال خلال النسج من خلل

(وما أحسن قول ابن النقيب)

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شى

فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وروى لما اطلع المشركون فوق الغار وأشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقال حسان بن ثابت

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

قال أبو بكر كما في الصحيحين نظرت الى أقدام المشركين من الغار على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وأبي بكر في الغار ثلاث ليال وقيل بضع عشر يوما وروى ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما رأى القافة أي القائد وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة قال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا أي بالمعونة والنصرة فأنزل الله سكينته عليه أي على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان السكينة لا تفارقه وهي أمنة تسكن عندها القلوب وأيده أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنود أي ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابي بكر أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض قال الحسين بن الفضيل من قال ان أبا بكر رضي الله عنه لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكار نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعا لا كافرا

قال بعض النقاد ما معناه ولما غار الحق تعالى على نبيه وصاحبه من أعدائهما أدخلهما غار الحفظ والامان وأذهب عنهما الهموم بجميل رعايته والاحزان كما صرح بذلك القرآن بأبي انسيادهما في الغار فكشف في تلك الخلوة لصديقه الحجاب ودعا له بالبركة من عقبه الى يوم الحساب وكان الله معهما في هاتيك الخلوة والمتجلي عليهما في تلك الخلوة فدعمهما اسم الجلالة لفظا ومعنى فانه من حيث اللفظ يقال رسول الله وخليفة رسول الله ولم يكن ذلك الا للصديق رضي الله عنه ومن حيث المعنى فانه معهما بالامداد والاسعاد واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضي الله عنه عند الله ابن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر ابن فهيرة والدليل فساروا على طريق السواحل ونزل صلى الله عليه وسلم بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد فمسح ضرع شاة مجهودة وشرب من لبنها وسقى أصحابه واستمرت تلك البركة فيها فلما جاء زوجها أكثم بن الجون ورأى ما بالشاة من اللبن سألها فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق وصارت تصف أوصافه الى ان قالت له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر يبادرون الى أمره فقال والله هذا صاحب قريش ثم هاجرت بعد ذلك هي وزوجها فأسلما وكان أهلها يؤرخون

سوم

بيوم نزول الرحل المبارك ولما مرت قريش سألوها عنه ووصفوه فقالت ما أدري ما تقولون قد ضافني حالب الحائل فقالوا ذاك الذي نريد وقد أن خرج من مكة سمع صوت لا يرى صاحبه

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى واهتدت به * وقد فاز من أمسى رفيق محمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أبر وأوفى ذمة من محمد
فيال قصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * به من صريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * ترددها في مصدر ثم مورد

فعرف الناس توجهه إلى المدينة ولما سمع حسان بن ثابت قال في جوابه هذه الأبيات

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فزالت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمى وهداة يهتدون بمهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

ثم تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه سراقة بن مالك المدلجي وعلم أنهما اللذان جعلت فيهما قريش ما جعلت لمن أتى بهما فركب فرسه وتبعهما فرآه فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله أوتينا قال كلا فلما دنا سراقة صاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعني العزيز الجبار الواحد القهار ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات وقال اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت فساخت قوائم فرسه فطلب الأمان وقال أعلم أن قد دعوتما علي فادعوا لي والله لكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما قال سراقة ودنا إلى أن ركبت فرسي حتى جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأخبرتهما بما يريد الناس منهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وأنشد بعضهم لأبي بكر رضي الله عنه قصيدة مطلعها

قال النبي ولم يجزع يوقرني * ونحن في سدف من ظلمة الغار

* لا تخش شيئا فان الله ثالثنا * الى آخر القصيدة المذكورة في بعض السير قال ومع ان مثل هذه القصيدة الساقطة لا يسمح الذوق السليم بنسبتها الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه على فرض كونه يقول الشعر فقد كان عبد البر في ترجمة الصديق رضي الله تعالى عنه ما لفظه روى سفيان بن حسين عن الزهري قال سألني عبد الملك بن مروان قال رأيت هذه الابيات التي تروى عن أبي بكر رضي الله عنه فقلت له حدثني عروة عن عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر لم يقل شعرا في الاسلام حتى مات انتهى قد يقال يحتمل ان تكون هذه الابيات نظمت على لسانه وانه أنشدها كما قيل فيما نسب اليه من قوله بعض أبيات منها قوله

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ان أبا بكر لم يقل شعرا في الاسلام أي ولا في الجاهلية كما في رواية عنها أي لم ينشئ الشعر حتى مات وأما ما روي عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه انه قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

فمحمول على انه لم تسمع ذلك منه على فرض انه من انشائه وكذلك ما ذكره صاحب الينبوع في قوله ليس عمل الشعر رذيلة فقد كان الصديق وعمر وعلي رضوان الله عليهم يقولون الشعر وعلي كرم الله وجهه أشعر من أبي بكر وعمر ولوانه بظاهره مناف لقول عائشة الا انه يحمل على الانشاد كثره وقله فان عليا رضي الله عنه دون باسمه ديوان ولا مانع ان يكون كله مما عمل به ان لم يستدعه انشاء الشعر * ولما بلغ أبا جهل أمر سراقه أنشد يقول

بني مدلج اني أخاف سفيهكم * سراقه يستغوي بنصر محمد

عليكم به ان لا يفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسودد

فأجابه سراقة

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لأمر جوادي حيث ساخت قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا * نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه
عليك بكف الناس عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر تود النصر فيه بأنها * لو ان جميع الناس طرا تسالمه

وأسلم سراقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من حنين والطائف وكان شاعرا مجيدا رضي الله عنه

فلما بلغ خروج النبي صلى الله عليه وسلم حبيب بن ضمرة الجعدي قال لا عذر لي في مقامي بمكة وكان مريضا فأمر أهله فخرجوا به الى التنعيم فمات فأنزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله فلما رأى ذلك من كان بمكة ممن يطيق الخروج خرجوا فطلبهم أبو سفيان وغيره من المشركين فردوهم وسجنوهم فافتتن منهم ناس وأقام علي رضي الله عنه بعد مخرجه عليه الصلاة والسلام بمكة ثلاثة أيام حتى أدى ما كان عنده من الودائع وأدركه بقباء وقد نزل على كلثوم بن الهدم وقيل سعد بن خيثمة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع وقيل ثامن ربيع وكانت مدة مقام علي هناك مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أو ليلتين وأمر عليه الصلاة والسلام بالتاريخ من الهجرة لدولة الاسلام قال ابن الجزار وبه يعرف تمام الأدب وقيل ان عمر رضي الله عنه أول من أرخ وجعله من المحرم وقيل يعلى بن أمية إذ كان باليمن وقيل بل أرخ بوفاته صلى الله عليه وسلم

ومن فوائد التاريخ معرفة الآجال وحلولها وأوقات التواليف ووفيات الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم فيعرف بذلك كذب الكذابين وصدق الصادقين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وأخرج البخاري في الأدب والحاكم عن ميمون بن مهران قال رفع الى عمر صك محله شعبان فقال أي شعبان الذي نحن فيه أو الذي مضى أو الذي هو آت ثم قال لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ضعوا للناس شيئا يعرفونه من التاريخ فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فقال ان الروم يطول تاريخهم يكتبون من ذي القرنين فقال اكتبوا على تاريخ فارس فقال ان فارس كلما قام ملك طرح من كان قبله فاجتمع رأيهم ان الهجرة كانت عشر سنين فكتبوا التاريخ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

وكانت الانصار لما بلغهم خروج النبى صلى الله عليه وسلم يخرجون كل يوم الى ظاهر المدينة فاذا اشتدت الهاجرة (ويقال الهجير وهو اشتداد الحر نصف النهار وهو المراد بالعليا والهاجرة السفلى هى التى بعد الضحى وقبل الزوال) رجعوا فلما كان يوم قدومه فعلوا ذلك فرآه رجل من يهود فنادى بأعلى صوته يا بنى قيلة هذا جدكم أى حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الانصار الاوس والخزرج بسلاحهم فتلقوه ونصروه على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم وهم الذين قال تبارك وتعالى فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم فى حقهم آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار وقال صلى الله عليه وسلم للانصار أنتم شعار والناس دثار والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار الثوب الذى يكون فوق ذلك الثوب فهم ألصق به وأقرب اليه صلى الله عليه وسلم من غيرهم والانصار لقب اسلامى لهم لنصرتهم النبى صلى الله عليه وسلم وانما كانوا يسمون أولا أولاد قيلة والاوس والخزرج الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة الواردة فى فضلهم وفضل المهاجرين الذين آثروا رضوان الله ورضوان رسوله صلى الله عليه وسلم على حظوظ أنفسهم فتركوا بلادهم ومهادهم وهاجروا مع المصطفى من مكة الى المدينة التى هى مهاجره وقال حسان رضى الله عنه فى مدح الانصار

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا فى سبيل الله واعترفوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

وكان خروج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الاثنين ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وله صلى الله عليه وسلم من العمر ثلاث وخمسون سنة فأقام بقبا موضع بالمدينة فى بنى عمرو بن عوف على فرسخ من المسجد النبوى أربعة أيام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدها الذى نزل فيه لمسجد أسس على التقوى من أول يوم الآية وهو أول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة ظاهرا وأول مسجد بنى لجماعة المسلمين عامة وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذى بناه ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قباصحى يوم الجمعة فأدركته صلاة الجمعة فى الطريق فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى مسجدهم الذى فى بطن وادى رانونا غير مضمومة وأخرى بعدها الف ممدودة وهو مسجد صغير مبنى بحجارة قدر نصف القامة عن كان معه بالمسلمين وهم مائة فكانت هذه الجمعة أول جمعة صلاها بالمدينة وخطب بها وهى أول

خطبة

خطبة خطبها فى الاسلام

وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قائما وكان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ولعل اشتداد غضبه كان عند انذاره أمرا عظيما ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وكان اذا قام يخطب أخذ عصا فتوكأ عليها وكان أحيانا يتوكأ على قوس ولم يحفظ عنه انه توكأ على سيف وعند الامام أحمد وغيره من حديث سعد بن عائذ وسعد القرظ مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب فى الحرب خطب على قوس واذا خطب فى الجمعة خطب على عصا وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان يلبسهما يوم الجمعة فاذا انصرف من الجمعة طواهما ورفعهما وفى حديث عمرو بن أمية عند النسائى قال كانى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه ومن جملة خطبته صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ثم توجه بعد صلاة الجمعة على راحلته متوجها الى المدينة فلما أشرف عليها قال هذه طابة اسكننيها ربى تنفى خبث أهلها كما ينفى الكير خبث الحديد من أخاف أهل المدينة فلما أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا وكيف لا تطيب بالحبيب حسا ومعنى وهى معمورة أبصانا بطلبين ملائكة إساوجاو لا يدخلها ببركته الطاعون ولم يصب عليه الصلاة والسلام قط بالطاعون ولا بذات الجنب ولا جنون ولا سلب ولا احتلام ولا تثاؤب لان هذه من الشيطان وقد عصمهم الله من ذلك ولا تسمى مدينته الشريفة العلية فى الاسلام يثرب كما كانت تسمى فى الجاهلية لكراهة لفظ التثريب الذى هو كالتعنيف والتعيير والاستقصاء فى اللوم ومنه لا تثريب عليكم قال صلى الله عليه وسلم يقولون يثرب وهى المدينة قال النووى فى شرح مسلم يعنى ان بعض الناس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب واسمها المدينة انتهى

ومع ذلك فما دخوه صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يذكرون يثرب فى مدحهم كقول سيدى عبد الرحيم البرعى

يا ساكن القبر المنير بيثرب * يا منتهى أملي وغاية مطلبي

فلعل قراء المديح يحسن سماعها هذا التعبير والعبرة في مثل هذا بالنية وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فاني أشفع لمن يموت بها لا يريد احد أهل المدينة بسوء الا أذابه الله تعالى ذوب الملح في الماء وكان عليه الصلاة والسلام كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يقولون يا رسول الله هلم الينا الى القوة والمنعة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلوا سبيل الناقة فانها مأمورة من قبل الله تعالى وقد أرخى زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى اذا أتت دار مالك بن النجار بركت حيث مسجده الشريف الآن ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها ومشت حتى بركت على باب أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه من بني مالك بن النجار من كبار الصحابة شهد بدرا والمشاهد ثم قامت ومشت والتفتت خلفها ثم رجعت الى مبركها أول مرة بمحل باب المسجد وبركت فيه ثم تحلحلت يعني أي تحركت وألقت عنقها بالارض وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى اللهم أنزلنا منزلا مباركا ولما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يضربن بالدفوف يقلن

نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتحببني قلن نعم يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام الله أعلم ان قلبي يحبكم وفي هذا دليل لسماع الغناء على الدف من المرأة لغير العرس وبسط الكلام على السماع في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من المقالة الخامسة من الجزء الثاني قال البيهقي رحمه الله وهذا يذكره بعضهم عند مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة من مكة لا أنه عند مقدمه المدينة من تبوك هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد الانصاري رضي الله عنه رحله فادخله صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وأراد قوم في النزول عليهم فقال المرء مع رحله فأقام صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وكان بناؤه من آخر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة أي وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت أبي أيوب سبعة أشهر وكان قبله يصلي حيث أدركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والانصار رضوان الله عليهم أجمعين وكان موضع المسجد مربدا أي محلا

لتجفيف

تجفيف التمر لسهل وسهيل ابني عمرو يتيمين في حجر أسعد بن زرارة أو معاذ بن عفراء
فدعا الغلامين فساومهما المربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى أن
يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضي الله
عنه ولعل اطلاق اليتم عليهما باعتبار ما كان إن كان صدور البيع منهما وقيل بل
كان الموضع لبني النجار وكان فيه قبور المشركين وحرث ونخل فأراد النبي صلى الله عليه
وسلم أن يشتريه من بني النجار فقال لهم ثامنوني بحائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه إلا إلى الله
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت وبالحرث فسويت
وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة ثم بناه باللبن وسقفه
بالجريد وجعل عمده من خشب النخل وكان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن معهم
في ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أي هذا المحمول من اللبن أبر وأطهر يا ربنا لا ما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب
وعمل فيه المسلمون والمحرم عليه صلى الله عليه وسلم من الشعر انشاؤه وانشاؤه أي الاتيان
بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله تعالى وما علمناه الشعر فانه
فرض وقوع الكلام موزونا منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا اصطلاحا لعدم
قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه صلى الله عليه وسلم أنه إذا أنشد بيتا
من الشعر متمثلا أو مستشهدا لقائله لا يأتي به موزونا

وعن عائشة رضي الله عنها لما قيل لها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بشيء
من الشعر قالت كان أبغض الحديث إليه الشعر غير أنه كان يتمثل ويجعل أوله آخره وآخره
أوله أي غالبا كان يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار ويقول كفى بالإسلام
والشيب للمرء ناهيا أي وذلك قول سحيم عبد بني الحسحاس شاعر مشهور مخضرم
أدرك الجاهلية والإسلام كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا ولما غير ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له الصديق رضي الله عنه إنما قال الشاعر كذا فأعاد صلى
الله عليه وسلم كالأول فقال الصديق أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وقد قيل له
صلى الله عليه وسلم من أشعر الناس قال الذي يقول

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها وإن لم تطيب طيبا

الاصل وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

وعن الخليل كان الشعر أحب اليه صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام وهذا لا يخالف قول عائشة رضي الله عنها كان أبغض الحديث اليه صلى الله عليه وسلم الشعر لان المراد بالشعر الذي يحبه ما كان مشتملا على حكمة أو وصف جميل من مكارم الاخلاق والذي يبغضه ما كان مشتملا على ما فيه هجنة أو هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح

وقد كان له صلى الله عليه وسلم شعراء مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وفي الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقد كان صلى الله عليه وسلم يسمع الشعر ويستنشده فقد ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء أخت صخر لامه ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومئ بيده وكذلك سمع الشعر من النابغة الجعدي حين دخل عليه وأنشده

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد القوم أصدرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا فض الله فاك وسماعه صلى الله عليه وسلم قصيدة كعب بن زهير واجازته عليه بالبردة الشريفة أدل دليل على عدم كراهته للشعر المباح وقال بعضهم أجمع أهل العلم بانه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ومن شعرها في أخيها المذكور

أعيني جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى
طويل النجاد عظيم الرماد * وساد عشيرته أمردا

وللجلال السيوطي كتاب سماه نزهة الجلساء في اشعار الخنساء

وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا خفي عليكم شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب وفي كلام عمر رضي الله عنه أفضل صناعات الرجل تعلم الابيات من الشعر يقدمها في صدر حاجته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها لؤم اللئيم

وفي كتاب تحقيق النصرة للزين المراغي قيل وضع صلى الله عليه وسلم رداءه وهو في شرب فوضع الناس أرديتهم وهم يقولون

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك إذن للعمل المضلل

وآخرون

وآخرون يقولون

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائماً وقاعدا
* ومن يرى عن التراب حائدا *

ويروى عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه انه كان رجلاً متنطعاً أي متنزهاً فكان اذا عمل اللبنة يجافي بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنشد يقول أي مباسطة مع عثمان بن مظعون لا معاتبة * لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها الخ وكان عثمان هذا ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال لا أشرب شراباً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني وجعل قبلة المسجد الى بيت المقدس الى ان حولت في السنة الثانية وجعل طوله مما يلي القبلة والى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة وجعل له أربعة أبواب من جهتي المشرق والمغرب من جهة المشرق باب جبريل وباب النساء ومن جهة المغرب باب السلام وباب الرحمة وبنى بيتين الى جنبه باللبن وسقفهما بجذوع النخل والجريد ثم تحول عليه الصلاة والسلام من دار أبي ايوب الى مساكنه التي بناها وبعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع بعيرين وخمسمائة درهم الى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وأم بركة المكناة أم أيمن وخرج عبد الله بن أبي بكر رضي الله تعالى عنه معهم بعيال أبيه وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكان أقام بعد خروج النبي عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما أخرجه عنه ابن عساكر ما علمت أحداً هاجر الا مختفياً الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده سهماً وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم وقال شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه ويؤتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد لانهم كانوا يردون من أراد الهجرة ويحبسونه وكان صحيح الايمان يجتهد في اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم كما وقع لجندب بن ضمرة الجندعي لما بلغه خروج النبي صلى الله عليه وسلم قال لا عذر لي في مقامي بمكة وكان مريضاً فأمر أهله فخرجوا به الى التنعيم فمات فأنزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع

أخوه علي الله وأول كلمة سمعت منه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام

وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع نخلة وفي لفظ يسند ظهره اليه اذا كلم يوم الجمعة أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس فيه فقال له الناس يا رسول الله قد كثر الناس من المسلمين وانهم يحبون ان يروك فلو اتخذت منبرا تقوم عليه يوم الجمعة فيراك الناس قال نعم قال من يحمل لنا هذا المنبر فقام اليه رجل فقال أنا قال تحمله قال نعم ولم يقل ان شاء الله قال ما اسمك قال فلان قال اقعد فقعد ثم عاد فقال من يحمل لنا هذا المنبر فقام اليه رجل فقال أنا قال تحمله قال نعم ولم يقل ان شاء الله قال ما اسمك قال فلان قال اقعد فقعد ثم عاد فقال من يحمل لنا هذا المنبر فقام اليه رجل فقال أنا فقال تحمله قال نعم ان شاء الله قال ما اسمك قال تميم وكان غلاما قال احمله فحمله فصنع له المنبر ثلاث درجات بينه وبين الحائط تمر الشاة فلما كان أيام معاوية جعل المنبر ست درجات وحوله عن مكانه وكسفت الشمس يومئذ وحن الجذع الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم حديث متواتر رواه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمع الكثير والى حنين الجذع أشار الامام السبكي في تائيته بقوله

وحن اليك الجذع حين تركته * حنين الثكالي عند فقد الاحبة

وأشرقت المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم فيها وسرى السرور بحلوله صلى الله عليه وسلم قال انس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ورقي البراء بن عازب قال ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء كفرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت ذوات الخدور على الاسطحة عند قدومه صلى الله عليه وسلم تقول

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع *

وسميت ثنية الوداع لان المسافر من المدينة كان يمشي اليها ويودع عندها قديما وهي موضع من مكة والمدينة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها ومدها والبركة حاصلة لها لا سيما النمو والزيادة في نفس المكيل بحيث يكفي المد فيها ما لا يكفي في غيرها وهذا محسوس لمن سكنها ولمسلم

اللهم

"اللهم بارك لنا في صاعنا اللهم بارك لنا في مدنا اللهم اجعل مع البركة بركتين وفيه أيضا اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك وانه دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بأول الثمر فيقول اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارها وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان ومنها الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها (ويأرز بكسر الراء أي ينضم ويجتمع بعضه الى بعض) وفي رواية ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ويأرز كما تأرز الحية الى جحرها ومكة أفضل من المدينة لان مكة شرف فضل العبادة فيها على غيرها لكون العبادة فيها مرجوحة وهذا قول الجمهور وعند الامام الشافعي مكة أفضل من المدينة وحكي عن مالك ومطرف وابن حبيب من أصحابه لكن المشهور عن مالك وأكثر أصحابه تفضيل المدينة وقد رجع عن هذا القول أكثر المصنفين من المالكية واستثنى القاضي عياض البقعة التي دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم فحكى الاتفاق على انها افضل بقاع الارض وأنشد بعضهم

جزم الجميع بأن خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكا مأواها

وزاد بعضهم بعد هذين البيتين

وبهذه ظهرت مزية طيبة * فغدت وكل الفضل في معناها
حتى لقد خصت بروضة جنة * الله شرفها بها وحباها
ما بين قبر للنبي ومنبر * حيا الاله رسوله وسقاها

ورجح بعضهم المدينة لان ميل كل نفس حيث حل حبيبها كما قال بعضهم

على تربع العامرية وقفة * ليملي علي الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار لاهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم وأكثر اليهود يستقبلون بيت المقدس وأمره الله ان يستقبل بيت المقدس فرحت اليهود فاستقبل بيت المقدس ستة عشر شهرا وكان يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام

ثم إن اليهود افترقوا فرقاً كثيرة ولكن المشهور من فرقهم ثلاث الربانيون والقراؤون والسامريون وهؤلاء مجمعون على نبوة موسى وهارون ويوشع عليهم السلام وعلى التوراة وأحكامها وإن كان فيها تغيير بعض الكلام عن مواضعه لكنهم يفترقون فيها بشبهات وثلاثة عشر فرقة يعدون بها وينفرد الربانيون والقراؤون عن السامرة بثبوت أسفار غير الثلاثة المذكورة ويقولون عنهم سبعة عشر كتاباً ويقسمونها إلى خمسة أسفار التوراة ويعبرون عن الأربعة وعشرين كتاباً التي بأيديهم فرتبوها على مراتب الأولى التوراة وهي خمسة أسفار الأول يذكر فيه بدء الخليقة والتاريخ من آدم إلى يوسف عليهما السلام والثاني يذكر فيه استخدام المصريين لبني إسرائيل وظهور موسى عليه السلام وهلاك فرعون ونصب قبة الزمان وأحوال التيه وإمامة هارون عليه السلام ونزول العشر كلمات وسماع القوم كلام الله سبحانه وتعالى والثالث يذكر فيه تعليم القرابين بالإجمال والرابع يذكر فيه عدد القوم وتقسيم الأرض عليهم بالقرعة وأحوال الرسل الذين بعثهم موسى عليه السلام إلى الشام وأخبار المن والسلوى والغمام والخامس إعادة أحكام التوراة بتفصيل الجمل وذكر وفاة هارون ثم موسى وخلافة يوشع عليهما السلام

المرتبة الثانية أربعة أسفار تدعى الأولى أولها سفر يوشع عليه السلام يذكر فيه ارتفاع المن وأكلهم الغلال بعد غيبة القربان ومحاربة يوشع الكنعانيين وفتحه البلاد وقسمها بالقرعة ووفاته وثانيها يعرف بسفر الحكام فيه أخبار قضاة بني إسرائيل في الشتات الأول وثالثها لصموئيل عليه السلام ونبوته وملك طالوت وقتل داود جالوت ورابعها يعرف بسفر الملوك وفيه أخبار ملك داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما وانقسام الملك بين الأسباط والملاحم والجلاء الأول وخراب بيت المقدس

المرتبة الثالثة أربعة أسفار تدعى الأخيرة أولها سفر أشعيا عليه السلام يذكر فيه توبيخ الله تعالى لبني إسرائيل والإنذار بعقابهم وبشرى الصابرين وإشارة إلى البعث الثاني والخلاص على يد كورش الملك وثانيها لأرمياء عليه السلام يذكر فيه خراب البيت بالتصريح والهبوط إلى مصر وثالثها لحزقيل عليه السلام يذكر فيه حكم طبيعية وفلكية ورموز وشكل بيت المقدس وأخبار يأجوج ومأجوج ورابعها اثنا عشر سفراً فيها إنذارات بجراد وزلازل وغيرها وإشارة إلى المطر والحشر ونبوة يونس عليه السلام

السلام وغرقه وابتلاع الحوت له وتوبة قومه ويحيى وعلوّ وصلاته وقتله وموت زكريا عليه السلام وإشارات إلى اليوم العظيم وبشارة بنور وذكر الخضر عليه السلام

المرتبة الرابعة تدعى الكتب وهي أحد عشر سفرا أولها تاريخ من آدم إلى البيت الثاني ونسب الأسباط وقبائل العالم وبانتهاء أمر داود عليه السلام وعدتها مائة وخمسون مزمورا ما بين طلبات وأدعية عن موسى عليه السلام وغيره وثالثها قصة أيوب عليه السلام وفيه مباحث كلامية ورابعها أمثال حكمية عن سليمان عليه السلام وخامسها اختيارات الحكام وسل الملوك وسادسها نشائد غرامية لسليمان عليه السلام مخاطبات بين النفس والعقل وسابعها تدعى جامع الحكمة لسليمان عليه السلام وفيه الحث على طلب اللذات العقلية الباقية وتحقير الجسمية الفانية وتعظيم الله تعالى والتخويف منه وثامنها تدعى الألواح لأرمياء عليه السلام فيه خمس مقالات على حروف المعجم وندب على البيت وتاسعها قصة ملك ذي القرنين وعاشرها لدانيال عليه السلام فيه تفسير منامات بختنصر وولاية وزمور على ما يقع في الممالك وحال الغيب والسور والحادي عشر لعزرا عليه السلام فيه صفة عود القوم من أرض بابل إلى البيت الثاني وبناؤه وتجديد الزيارة ومن شروح لعزرا نص التوراة وهو تعاليق عليها ينقلونها عن موسى عليه السلام ولله در ابن سهل الإسرائيلي الإشبيلي حيث يقول

تسلّيت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدي

وما عن قلى قد كان ذاك وإنما * شريعة موسى عطلت بمحمد

ثم لما استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأظهرت أحبار اليهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا وانضم إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون منهم عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين واجتمع عليه أصحابه صلى الله عليه وسلم وقاموا بنصرته وصارت المدينة لهم دار إسلام شرع الله الجهاد للأعداء ومن هذا الوقت ظهرت الغزوات

(الفصل الثالث في ذكر الظواهر الحادثة بعد الهجرة إجمالا)

ولما مكث صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة يدعو إلى الله تعالى بغير قتال صابرا على إيذاء العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولأصحابه لأمر الله له بالصبر ووعد الله بالفتح أذن بالقتال لكن لمن قاتله بقوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية ولما نزلت أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (المراد مع

محمد رسول الله وقد يكتفى بالجزء الاول عن كلمتى الشهادة أى عن التصريح بهما لانه صار شعارا لمجموعهما فيشمل كلمة الشهادة أو كلمة الاخلاص أو قول لا اله الا الله فهو لا اله الا الله محمد رسول الله وفى لفظ حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وانى محمد رسول الله) فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى وقيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر بعد اسلام أو قتل نفس وهى أى الكلمة العاصمة والمراد بها العاصمة من استمسك بها فقد سلم ومن اعتصم بعصمتها فقد عصم لقوله صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها فهذا نوع من العصمة الدنيوية وأما نوع العصمة الاخروية فمن قال لا اله الا الله دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى والامر الذى أخبر عنه صلى الله عليه وسلم هو قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال بعضهم وهى أول آية نزلت فى شأن القتال وظاهر هذا السياق يقتضى ان الآية فيها الامر له صلى الله عليه وسلم بالقتال المذكور وقد يتوقف فى ذلك ولعله أمر بذلك بغير الآية المذكورة لان الآية ظاهرها الاباحة والمباح ليس مأمورا به ثم أبيح الابتداء بالقتال حتى لمن لم يقاتل لكن فى غير الاشهر الحرم التى هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية ثم أمر به وجوبا بعد فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة أى جميعا فى أى زمن فعلم ان القتال كان قبل الهجرة وبعدها الى صفر من السنة الثانية محرما لانه صلى الله عليه وسلم كان فى أثناء ذلك مأمورا بالتبليغ وكان الانذار بلا قتال لانه نهى عنه فى نيف وسبعين آية ثم صار مأذونا فى قتال من قاتل ثم أبيح قتال من لم يبدأ بالقتال فى غير الاشهر الحرم ثم أمر بالقتال مطلقا لمن قاتل ومن لم يقاتل فى أى زمن سواء فى الاشهر الحرم وغيرها وقيل ان القتال فى الحالة الثانية كان مأمورا به لا مباحا كالحالة الاولى

ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام الاول محاربون له صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المحاربون اذا كانوا ببلادهم فيجب قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة أى يكفى ذلك فى اسقاط الحرج كاحياء الكعبة واستدل لذلك بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة أى فهلا نفر فدل كونه فرض كفاية

في حق الأنصار وفرض عين في حق المهاجرين الثاني أهل عهد وهم المؤمَّنون من غير عقد الجزية أي الذين صالحهم ووادعهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم وأنفسهم لأنه صلى الله عليه وسلم قال من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وهناك قسم آخر وهو من دخل في الإسلام تقية من القتل وهم المنافقون وكان صلى الله عليه وسلم مأمورا بقبول منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى فكان معرضا عنهم إلا فيما على شعائر الإسلام الظاهرة كالصلاة فلا يخالف ما رواه الشيخان لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم أنطلق ومعي رجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار فإن هذا الحديث ورد في قوم منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون أصلا بدليل السياق أي لأن صدر الحديث أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر (أي جماعتهما) ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت إلى آخره

وكان الجهاد في عهده صلى الله عليه وسلم فرض عين وقيل فرض كفاية وكان إذا غزا بنفسه يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولذا وقع لمن تخلف عنه في غزوة تبوك ما وقع وأما بعده صلى الله عليه وسلم فللكفار حالان مذكوران في كتب الفقه وقد غزا صلى الله عليه وسلم بنفسه

(الباب الرابع)

(في تفاصيل الظواهر التي حدثت بعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى وفاته صلى الله عليه وسلم وفيه فصول)*

(الفصل الأول في ظواهر السنة الأولى من الهجرة وما فيها من الغزوات)

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ظهر يوم الاثنين فنزل بقباء وأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجد قباء الذي نزل فيه لمسجد أسس على التقوى وخرج منها يوم الجمعة فسار على دار بني

دور الانصار الا قالوا له لم مارسول الله الى العدد والعدة و يعرضون بانه يحول حولها سد انها انها أمورهم سار حتى انتهت الى موضع مسجده في عهده الشريف ومسا كان من الاشارة الى ذلك آنفا فلم يزده أبو بكر في أيام خلافته شيئا وزاده عمر وبناه على بنائه في عهده عليه الصلاة والسلام ثم غيره عثمان ابن عفان في خلافته فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جدرانه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج ثم لما صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك الذي عمر جامع دمشق استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز وكتب اليه في سنة ثمان وثمانين من الهجرة بأمره بعمارة مسجده صلى الله عليه وسلم وبإدخال بيوت أزواجه فيه حتى تصير مساحة المسجد مائتي ذراع في مائتي ذراع فأجابه أهل المدينة الى ذلك ففعل عمر ابن عبد العزيز كذلك وقد عمر المسجد الشريف جماعة من ملوك الاسلام وقد احترق هذا المسجد في زمن الملك الاشرف قايتباي الظاهري فعمره ووضع الدرابزينات حول الحجرة الشريفة وعمل قبة منبرا وسقفه وذهب سقفه ثم في سنة ست وعشرين وتسعمائة وقعت صاعقة بالليل على منارة المسجد التي احترق منها سقوف المسجد الشريف النبوي وجميع ما فيه من المصاحف والكتب وغير ذلك ولم يبق سوى الجدران وورد الاخبار بذلك الى السلطان المذكور فجدد عمارته فخابت في غاية الحسن ولما تمت العمارة التي صرف عليها أكثر من مائة الف دينار أرسل الى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها قبة عند باب الرحمة التي عمرها الملك وأرسل عدة مصاحف وأوقف عليها ما لزم ووقفه والمدرسة بأنها عامرة على شبابيك الداخل لحرم الشريف ولم يزل بها أمير الحاج المصري وقد اعترض اهل الزيغ والشقاق ومن في قلبه مرض وهاق بحاول هدم الحاجز بالحرم الشريف وإن لم تصب الحجرة الشريفة مما يخل بالمقام الشريف فكان الرد على الافتين وعصابة الضلال الفاسقين بانه ليس في هذا أدنى نقص في حقه صلى الله عليه وسلم وان حرمة لم يزل عند الله تعالى وعند أهل الايمان في أعلى درجات المقام الاعظم واما المال من مال من أهل طيبة عن سد به زيادة هم الله على هذا الامر لما هي عليه صلى الله عليه وسلم بمسجده كمال رحمة بهم ورأفة بهم قال السيد السمهودي وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة أبرزها الله تعالى للانذار فخص بها النذير الاعظم صلى الله عليه وسلم وقد بان اعمال أمته تعرض عليه فلما ساءت

حسنا من الاعمال المعروضة بسبب ذلك الانذار فاظهار النار الحارقة فيها يوم القيامة والعرض قال الله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون وقال الشاعر في هذا المعنى

لم يحترق حرم النبي لريبة * يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنما ايدي الروافض لامست * ذاك السنا فطهرته النار

وفي هذه السنة دخل بعائشة رضي الله تعالى عنها بعد ثمانية أشهر من الهجرة وهي بنت تسع وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة وكان عقد عليها قبل الهجرة بسنتين وفيها آخى بين المسلمين من المهاجرين والانصار وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة واربعون وقيل مائة فاتخذ صلى الله عليه وسلم عليا أخاه وآخى بين أبي بكر وخارجة ابن زيد الانصاري وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ الانصاري وبين عمر وعتبان بن مالك الانصاري وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الانصاري وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت الانصاري وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك الانصاري وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب الانصاري وأول مولود للمهاجرين بعد الهجرة عبد الله بن الزبير واول مولود للانصار النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهم أجمعين

وكان المقصود من المؤاخاة ان يكون بعضهم معظما لبعض مهتما بشأنه مخصوصا بمعاونته ومناصرته ومواساته حتى يكونوا يدا واحدة على الاعداء بالنسبة للهيئة الاجتماعية وان يكون حب كل أحد لاخيه جاريا مجرى حبه لنفسه حتى قال بعضهم ان هذه المؤاخاة كان فيها حكم التوارث وانهم كانوا كذلك الى ان نزل بعد غزوة بدر وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين بلا توارث فالاخاء وقع مرتين

(وفي هذه السنة الاولى من الهجرة كانت غزوة الابواء)

وهي أول غزواته عليه الصلاة والسلام ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة موضع بناحية ينبع وكانت بعد بواط بأيام قلائل وقيل ان هذه الغزوات كانت في السنة الثانية وغزوة الابواء هي غزوة ودان بفتح الواو وتشديد الدال المهملة آخره نون وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج غازيا حتى بلغ ودان وهي قرية كبيرة بينها وبين الابواء نحو ستة

أميال والابواء قرية بين مكة والمدينة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين يعترض عيرا لقريش ويريد بني ضمرة وكان عقد من معه من رجال من اصحابه وفي هذه الغزوة صالح بني ضمرة وعقد الصلح بينهم مخشي بن عمرو الجهني على ان لا يغزوهم ولا يغزونه ولا يكثروا عليه جمعا ولا يعينوا عليه عدوا وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصرة على من رامهم الا ان يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة أي ما في صفه ما بل الصوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصره اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله أي امانهما انتهى وكان لواؤه أبيض مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله وكان اللواء مع عمه حمزة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وانصرف الى المدينة ولم يلق كيدا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة هذا ما قاله بعض أهل السير والصحيح انها كانت في الثاني عشر من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة

وأما غزوة بواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو وآخرها طاء مهملة فالصحيح انها كانت في شهر ربيع الاول وقيل في ربيع الآخر من السنة الثانية وبواط جبل بالينبع وسبب هذه الغزوة ان النبي صلى الله عليه وسلم بلغه ان عيرا لقريش نحو العشرين وخمسمائة بعير ومائة رجل من قريش معهم أمية بن خلف ذاهبة الى مكة فخرج صلى الله عليه وسلم لاعتراضها في مائتين من اصحابه وحمل اللواء سعد بن ابي وقاص وهو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع امير الجيش وكان ابيض واستعمل على المدينة السائب ابن عثمان بن مظعون وقيل سعد بن معاذ فانتهى الى بواط فلم يلق كيدا أي حربا فرجع الى المدينة بدون حرب

وأما غزوة العشيرة بالعين المهملة والشين المعجمة وبالمهملة أيضا على صيغة التصغير وهي بطن الينبع وهو منزل الحاج المصري لبني مدلج فكانت على الصحيح في جمادى الاولى سنة اثنتين لقصد ادراك عير قريش المتوجهة الى الشام وذلك ان قريشا جمعت اموالها في تلك العير ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مال وصاعدا الا بعثه في تلك العير الا حويطب بن عبد العزى وقال ان في تلك العير خمسين الف دينار والف بعير وكان قائدها ابا سفيان وكان معه سبعة وعشرون رجلا وقيل سبعة وثلاثون رجلا

فيهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وهي العير التي خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجعت من الشام وكانت سبب الوقعة بدر الكبرى خرج صلى الله عليه وسلم في مائتين من المهاجرين خاصة حتى بلغ العشيرة بالتصغير (وأما التي بغير تصغير فهي غزوة تبوك) واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد وحمل اللواء عمه حمزة ابن عبد المطلب وكان اللواء أبيض خرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها فوجدوا العير قد مضت قبل ذلك بأيام ورجع ولم يلق حربا ووادع صلى الله عليه وسلم فيها بني مدلج وكنى فيها عليا بأبي تراب حين وجده نائما هو وعمار بن ياسر وقد علق به التراب الذي سفته عليه الريح فأيقظه عليه الصلاة والسلام برجله وقال له قم أبا تراب فلما قام قال له ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين عاقر الناقة والذي يضربك على هذا ووضع يده على قرن رأسه فتخضب هذه ووضع يده على لحيته وفي السنة الأولى من الهجرة وادع صلى الله عليه وسلم اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم

(الفصل الثاني)

(في ظواهر السنة الثانية من الهجرة وما فيها من الغزوات)

وفي هذه السنة تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الى المسجد الحرام وعن ابن عباس انه قال أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك انه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجروا الى المدينة أمره الله تعالى أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة وصلى بعد الهجرة ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس وكان يحب أن يوجه الى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه ابراهيم عليه السلام فأنزل الله قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وروى ابن وهب عن يونس عن الزهري قال لم يبعث الله نبيا منذ هبط آدم الى الأرض الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس وقد ثبت التوجه الى ذلك قريبا فلما حولت القبلة كان النبي عليه الصلاة والسلام في مسجده الذي في بني سلمة فكان يصلي به الظهر الى بيت المقدس وقد صلى بأصحابه ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فوقع بعضها الى بيت المقدس وبعضها الى الكعبة فسمي ذلك

المقدسة بعد الهجرة بسنتين وفيها في شعبان فرض صوم رمضان وأمر الناس باخراج زكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر أو من شعير أو من بر وقال اغنوهم (يعني المساكين) عن ذل السؤال في هذا اليوم

قال ابن حجر وثواب الصوم الناقص كالكامل في الفضل المرتب على رمضان من غير نظر لايامه أما ما يترتب على صوم الثلاثين من ثواب واجبه أي فرضه ومندوبه عند فطوره وفطوره فهو زيادة يفوق بها الناقص وكان حكمة أنه عليه السلام لم يكمل له رمضان الا سنة واحدة والباقية ناقصة زيادة تطمين نفوسهم على مساواة الناقص للكامل وقوله من غير نظر لايامه بمعنى انه تم قوله قد يقال الفضل المرتب على رمضان ليس الا مجموع الفضل المرتب على أيامه وأجيب بمنع الحصر وان لرمضان فضلا من حيث هو بقطع النظر عن مجموع أيامه كما في مغفرة الذنوب لمن صامه إيمانا واحتسابا والدخول من باب الجنة المعد لصائمه وغير ذلك مما ورد أنه يكرم به صوام رمضان وهذا لا فرق فيه بين كونه ناقصا أو تاما وأما الثواب المرتب على كل يوم بخصوصه فأمر آخر فلا مانع أن يثبت للكامل منه ما لا يثبت للناقص وقوله وكان حكمته الخ قال الشوبري كذا وقع لابن حجر هنا ووقع له في محل آخر أنه قال لم نصم شهرا كاملا الا سنتين وجرى عليه الدميري في شرحه وقال بعضهم وقع له غلط منه اعتمادا على حفظه انتهى أقول لا يلزم ان ما هنا غلط بل يحتمل ان ما قال الدميري مما لم يعرج عليه الذي ظهر له ثم رأيت العلامة الاجهوري استوعب ما ذكر فقال

وفرض الصيام ثاني الهجرة * فصام تسعة نبي الرحمة
أربعة تسع وعشرون وما * زاد على ذا بالكمال اتسما
كذا لبعضهم وقال الهيثمي * ما صام كاملا سوى شهر اعلم
وللدميري انه شهران * وناقص سواه خذ بياني

وفي هذه السنة أري عبد الله بن زيد صورة الاذان في النوم وورد الوحي بذلك والذي قاله النووي في الروضة ان الاذان شرع في السنة الاولى من الهجرة وفيها تزوج علي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله تعالى عقد على فاطمة لعلي في السماء ونزل الوحي بذلك وقيل كان ذلك (أي الاذان) في السنة الثانية عندما شاور عليه الصلاة والسلام أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة اذ كان اجتماعهم بنادي الصلاة

جامعة

سامعه والاذان على المنابر من خصائص هذه الامة وليس لمن سواهم منابر يؤذنون عليها بل ولا هذا الاذان المخصوص

ولما قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة الا ليالي حتى غزا غزوة سفوان في الجمادى الثانية ويقال لها غزوة بدر الاولى خرج خلف كرز بن جابر الفهري وقد أغار ليلا على سرح المدينة أي على النعم والمواشي التي تسرح بالغداة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ وادي سفوان من ناحية بدر ولذا قيل لها بدر الاولى وفاته كرز بن جابر ولم يدركه وكان قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه اللواء وكان أبيض وفي هذه السنة أيضا بعث عبد الله ابن جحش في ثمانية أنفس الى نخلة بين مكة والطائف ليتعرفوا أخبار قريش فغزا بهم عيرا لقريش فغنموها وأسروا اثنين وخمسوا وأتوا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهي أول غنيمة غنمها المسلمون

وفي سنة اثنين من الهجرة كانت غزوة بدر الكبرى وبدر اسم للوادي أو لحفيرة وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وعدة المشركين ألف رجل معهم مائة فرس وسبعمائة بعير وهي أفضل غزواته صلى الله عليه وسلم لانهم بذلوا في نصرته الارواح والاجسام وقاموا على قدم الاخلاص فاستحقوا مزيد الاكرام وظفروا بالسعادة الكبرى والمنزلة الرفيعة في الدنيا والاخرى ونطق بفضلهم أشرف الكتاب فكان الدعاء بذكرهم مستجابا وعدت تلاوة أسمائهم لدفع كل مهمة رضي الله عنهم وعن جميع الامة وليس في غزواته ما يعدل بها في الفضل ويقرب منها الا غزوة الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان ويقال لها بدر القتال وبدر الفرقان لان الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل وأظهر الله فيها الدين من يومئذ ويقال فيها صار بدر بن وذلك ان العير التي خرج صلى الله عليه وسلم في طلبها حتى بلغ العشيرة وجدها قد فاتته لم يزل مترقبا قفولها من الشام فلما سمع برجوعها من الشام دعا المسلمين وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس للاجابة وآخرون لم يخفوا لظنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلق حربا ولم يعتب على المتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اتهمهم بالتهاون بل قال من كان ظهره حاضرا فليركب معنا فكان أبو سفيان حين دنا بالعير من أرض الحجاز يتحسس الاخبار ويسأل

من لقي من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد استنفر أصحابه للعير وانه تركه معهما ينتظر رجوع العير فخاف خوفا
شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا ليسير فرسا ويخبرهم أن محمدا
قد عرض لعيرهم هو وأصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقال يا معشر قريش
اللطيمة اللطيمة أي أدركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبي
سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى ان تدركوها فتجهز الناس سراعا حتى أقام
أشراف قريش يحضون الناس على الخروج ولم يتخلف من أشرافهم الا أبو لهب وبعث
مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا
أفلس بها وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل ألفا وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى
دروع المشاة ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المدينة في ثلاثمائة رجل وثلاثة عشر من المهاجرين سبعة وسبعون
وباقيهم من الانصار وما فيهم سوى فارسين المقداد بن عمرو الكندي والزبير بن العوام
ونزل في بدر وبني له عريش وجلس فيه ومعه أبو بكر رضي الله عنه

وكان قد بعث صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتحسسان خبر العير
فرجعا بخبر العير الى المدينة على ظن انه صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما علما انه ببدر
خرجا اليه فلقياه منصرفا من بدر وأسهم لكل منهما ولو لم يحضرا القتال ودفع صلى الله
عليه وسلم اللواء وكان أبيض الى مصعب بن عمير وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان
سوداوان احداهما مع علي بن أبي طالب ويقال لها العقاب والاخرى مع بعض الانصار
قيل هو سعد بن معاذ وقيل الحباب بن المنذر ولبس صلى الله عليه وسلم درعه ذات
الفضول وتقلد سيفه العضب ولما سار وادي ذفران بكسر الفاء وهو واد قرب من
الصفراء أتاه الخبر عن سير قريش ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم
أصحابه وأخبرهم الخبر وقال لهم ان القوم قد خرجوا من مكة مسرعين فماذا تقولون
فقالت طائفة منهم العير أحب الينا من لقاء العدو وفي لفظ هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له
انا خرجنا للعير فعند ذلك تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهذا
سبب نزول قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين
لكارهون فعند ذلك قام ابو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد
ابن الاسود فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك فوالله لا نقول لك كما قال

قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكنا نقول إنا معكما مقاتلون فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك تابعوهم فأشرق عند ذلك وجهه صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي فقال عمر يا رسول الله إنها قريش والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته ثم استشارهم ثانيا فقال أشيروا علي أيها الناس ففهمت الأنصار أنه يعنيهم لأنهم كانوا أكثر الناس عددا فقال له سعد بن معاذ لعلك تريدنا معاشر الأنصار يا رسول الله فقال أجل قال سعد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وما أخذت منه كان أحب إلينا مما تركت وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنحن عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك فسر النبي صلى الله عليه وسلم وأشرق وجهه بقول سعد ونشطه ذلك وقال أبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين إنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم والطائفتان العير ونفير قريش والعير هو المسرعة في الآية بغير ذات الشوكة لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا وأما الشوكة فهي في النفير لعددهم وعدتهم فقوله تعالى وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يعني وتودون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا شوكة لها أي لا حد لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى ولكن الله يريد الطائفة الأخرى وهي نفير قريش الذي يريد حماية تلك العير وهي المراد من قوله تعالى ويريد الله أن يحق الحق بكلماته الآية ومعنى إحقاق الحق إظهار الوعد من النصر والظفر بالأعداء ومعنى إحقاق الحق الثاني تقوية القرآن والدين ونصرة هذه الشريعة لأن الذي وقع من المؤمنين يوم بدر بالكافرين كان سببا لعزة الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل الذي هو الشرك وذلك في مقابلة الحق الذي هو الدين والإيمان فقد أعلمه الله تعالى بعد وعده بالظفر بالطائفة الثانية وأراه مصارعهم فعلم القوم أنهم ملاقوا القتال وأن العير لا تحصل لهم ثم تحصل

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من بدر فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب
والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون الخبر فأصابوا
راوية لقريش معها غلامان أي الحجاج وغلام لبني العاص فأتوا بهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قائم يصلي فقالوا لمن أنتما وظنوا أنهما لأبي سفيان فقال الغلامان نحن سقاة قريش
بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما فلما أوجعوهما ضربا قالا نحن لأبي سفيان فتركوهما
فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا
كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا
الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى (أي جانب الوادي المرتفع) فقال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال
ما عدتهم قالا لا ندري وجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبراه كم هم فأبيا فقال كم تنحرون
من الجزر كل يوم قال يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين
التسعمائة والألف أي لكل جزور مائة ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش فعدا له
من فيهم من الأشراف وهم كثيرون منهم أبو جهل فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الناس فقال هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها (أي أشرافها وعظماءها) ثم بعث
صلى الله عليه وسلم عدي وبسبس رضي الله عنهما إلى بدر يتجسسان الأخبار (التحسس
بالحاء المهملة أن يفحص الشخص عن الأخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها
بغيره وجاء تجسسوا ولا تحسسوا) قبل وصوله صلى الله عليه وسلم وقبل وصول قريش
إليها أي فأناخا قريبا من بدر ثم أخذا شنا لهما يستقيان فيه وكان مجدي
ابن عمرو على الماء وإذا جاريتان تتخاصمان وتمسك إحداهما الأخرى على الماء
والممسكة الملزمة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم وأقضيك
الذي لك فقال مجدي بن عمرو الذي على الماء صدقت ثم خلص بينهما فلما سمع بذلك
عدي وبسبس جلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبراه بما سمعا ثم إن أبا سفيان تقدم على العير حذرا حتى ورد الماء فلقي ذلك الرجل
الذي على الماء فقال له هل أحسست أحدا قال ما رأيت أحدا أنكره إلا أني قد رأيت
راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما
فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى فقال والله علائف يثرب
فرجع إلى أصحابه سريعا فصرف وجه عيره عن الطريق وترك بدرا بيسار وانطلق

حتى

حتى أسرع فلما علم أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش وكان قد بلغه مجيئهم ليحرزوا العير وكانوا استقروا بالجحفة إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله تعالى فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم عليه ثلاثة أيام فلابد أن ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان أي تضرب بالدفوف وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها وأراد بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدا من الماء بينه وبين الماء مسافة فظمئ المسلمون وأصابهم ضيق شديد وأخذ [illegible] عليهم فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا وكان الوادي [illegible] كثير التراب تدخل فيه الاقدام فأمطرت السماء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولبدت الارض وزال غبارها وشربوا وملؤوا الاسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة وطابت نفوسهم وذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا منه ويصلوا إلى الماء وكان المطر نعمة وقوة للمؤمنين وبلاء ونقمة للمشركين وأصاب المسلمين تلك الليلة نعاس شديد وبات النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم يصلي تحت شجرة وقد حصل النعاس لهم وهو دليل على الطمأنينة فلما أن طلع الفجر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال في خطبة خطبها فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه إلى أن قال وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقد أقبلت بالدروع السابغة والخيول الوافرة والاسلحة الباهرة قال اللهم إن هذه قريش قد أقبلت بخيلائها (أي تكبرها وعجبها وفخرها) تحادك وتخالف أمرك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به أنجزه اللهم أنجز لي ما وعدتني وعدتني إحدى الطائفتين وإنك لا تخلف الميعاد وكان من حكمة الله تعالى أن جعل المسلمين قليلا في أعين المشركين لئلا يستعدوا لهم فيقدموا ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب وجعل الله المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلا ولئلا يقوى خوفهم على قتالهم وأنزل الله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم

في أعينهم ومن ثم قال الله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين وحين رأى المسلمون ما رأوه [illegible] ضجوا بالدعاء الى الله تعالى فأنزل الله تعالى عند ذلك إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (أي متتابعين) فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل عليه السلام في خمسمائة على الميسرة وفيها علي رضي الله عنه في صور الرجال عليهم عمائم بيض وثياب بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم وعلى جبريل عليه السلام عمامة صفراء أرسلها من خلفه وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فأمده الله تعالى بالملائكة ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وقيل أيضا أمده بألف بعد ألف ثم زيد في الوعد ثلاثة آلاف لقوله تعالى بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فوقع الوعد بأن كملهم خمسة آلاف وكان ذلك معلقا على شرط وهو الصبر والتقوى عن خوف العاقبة فلم يصبروا وانقطع الامداد بما زاد على الثلاثة آلاف وقيل كان الامداد يوم بدر بالخمسة آلاف وإنما كانت الملائكة شركاء لهم في بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه وإن الملائكة مدد على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب التي أجراها الله تعالى في عباده والا فجبريل وحده قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ولهذا يهم العدو بعد ذلك فالصحيح أن الملائكة قاتلت يوم بدر ولم تكن لتكثير السواد فقط

وعندما ابتدأ الحرب نادى منادي قريش يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي أو قال قوموا يا بني هاشم فقاتلوا فلما قدم عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي دوابهم وقالوا من أنتم لأن هؤلاء الثلاثة كانوا ملثمين لا يعرفون من السلاح فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي قالوا نعم أكفاء كرام وبارز عبيدة بن الحارث عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة وأما علي فلم يمهل أن قتل الوليد واختلف عبيدة

قوله فذففا عليه أي أسرعا قتله وتمما عليه اه

وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي بسيفيهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه وأحضروه الى جنب موقفه صلى الله عليه وسلم فافرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريف فوضع خده على رجله فقال له عبيدة ألست شهيدا يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد [illegible]

هذه أول مبارزة وقعت في الاسلام وفي الصحيحين عن أبي ذر أنه كان يقسم قسما ان آية
هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في حمزة وصاحبيه يوم بدر ثم تزاحم الناس
ودنا بعضهم من بعض وقد كان عدّل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه
بقدح في يده (أي سهم) فمر بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من
الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم بالقدح في بطنه وقال استو ياسواد فقال يارسول الله
أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني من نفسك (أي مكني من القصاص
من نفسك) فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أي اقتص
فاعتنقه وقبل بطنه فقال ما حملك على هذا ياسواد فقال يارسول الله حضر ما ترى
فأردت ان يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له صلى الله عليه وسلم بخير
ثم لما عدل الصفوف قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل واستبقوا نبلكم
لا ترموهم على بعد لان النبل حينئذ تذهب ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم ثم رجع
صلى الله عليه وسلم الى العريش يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك
هذه العصابة اليوم لا تعبد في الارض وأبو بكر يقول دع بعض مناشدتك ربك فان
الله منجز لك ما وعدك فكان المصطفى في مقام الخوف وهو مقام أعلى والصدّيق
في مقام الرجاء وهو مقام دونه ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر حجرا بين
الصفين وقال لا أفر إلا إن فرّ هذا الحجر

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قوموا الى جنة
عرضها السموات والارض فقال عمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم بن
الجموح الانصاري بخ بخ (كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه بالتنوين وعدمه)
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يارسول
الله الا رجاء أن أكون من أهلها قال فانك من أهلها قال فأخرج تمرات من قرنه
فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة فرمى بما
كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين
عبيدة بن الحرث المطلبي فقتلا يوم بدر جميعا وقال ابن اسحاق قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم بدر لا يقاتل أحد في هذا اليوم فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا دخل
الجنة وكان عمير واقفا في الصف بيده تمرات يأكلهن فسمع ذلك فقال بخ بخ ما بيني

وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء وألقى التمرات من يده وأخذ السيف وقاتل القوم وهو يقول

ركضاً إلى الله بغير زاد * إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد * إن التقى من أعظم السداد
وخير ما قاد إلى الرشاد * وكل حيّ فإلى نفاد

وبعد تعديل الصفوف كان أول من خرج من المسلمين مهجع بكسر الميم وإسكان الهاء ثم فتح الجيم مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله إليه فقيل إنه أول من يدعى من شهداء هذه الأمة وإنه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ مهجع سيد الشهداء وقاتل في ذلك اليوم المؤمنون ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء وفي رواية ناوله إياها علي رضي الله عنه فاستقبل بها قريشاً ثم قال شاهت الوجوه القوم (أي قبحت وذابت) ثم نفحهم بها فلم يبق من المشركين رجل إلا امتلأت عينه وأنفه وفمه فلا يدري أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينه وقال لأصحابه شدوا عليهم فكانت الهزيمة على المشركين وردهم المسلمون يقتلون ويأسرون وأنزل الله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وقد ورد عن عمر رضي الله عنه أنه لما كان يوم بدر انهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتاً السيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ممن قاتله من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن ابن أبي بكر وكان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع فرسان قريش وأسن ولد أبيه فلما أسلم في هدنة الحديبية وهاجر إلى المدينة قال لأبيه لقد هدفت لي يوم بدر مراراً فأعرضت عنك فقال أبو بكر لو هدفت لي لم أعرض عنك وكان حرسه صلى الله عليه وسلم ببدر سعد بن معاذ وذكوان بن عبد الله ويوم أحد حرسه محمد بن مسلمة الأنصاري وحرسه يوم الخندق الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعباد بن بشر وحرسه أيضاً أبو أيوب الأنصاري وحرسه بلال بوادي القرى فلما أنزل الله تعالى والله يعصمك من الناس ترك الحرس

وفي يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركاً وأنزل الله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل ابن خويلد فقال علي أنا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه فإنه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معشر قريش

اليوم

اليوم يوم الرعبة والعلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني نوفل بن خويلد ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي جهل أن يلتمس في القتلى وقال إن خفي عليكم فانظروا إلى أثر جرح في ركبته فإني ازدحمت يوما وهو على مائدة لعبد الله ابن جدعان ونحن غلمان وكنت أشف منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش في إحداهما أي خدش خدشا لم يزل أثره به فحمل عبد الله بن مسعود رأس أبي جهل ابن هشام إليه صلى الله عليه وسلم فسجد شكرا لله تعالى لإراحة المسلمين من هذا الفاجر وكان يكنى أبا الحكم فكناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل وهو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وأمه أسماء بنت مخربة بن نهشل (استطراد) كان المغيرة بن عبد الله بن المعرض الملقب بالأقرع تزوج بامرأة يقال لها الرباب على أربعة آلاف درهم فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئا فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال

كفاني المجوسي مهر الرباب * فدى للمجوسي خال وعم
شهدت عليك بطيب الأروم * فإنك بحر جواد خضم
وإنك سيد أهل الجحيم * إذا ما تردى فيمن ظلم
تجاور هامان في قعرها * وفرعون والمكتنى بالحكم

فقال المجوسي ويحك سألت قومك فلم يعطوك شيئا وجئتني فأعطيتك فجزيتني هذا القول فقال أما رضيت أن جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهل واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون وانهزم الباقون وغنم عليه الصلاة والسلام ما معهم وكان من جملة الأسرى العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انقضى القتال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بسحب القتلى إلى القليب وكانوا أربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فيه ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له أصحابه أتكلم قوما موتى قال لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق وعاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان بعث عبد الله بن رواحة مبشرا وأرسل زيد بن حارثة بشيرا فوصل إلى المدينة وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية بنت النبي عليه الصلاة والسلام

وكان عثمان تخلف في المدينة بأمره صلى الله عليه وسلم ليمرضها وبها هلكت أو ماتت وكانت وقعة بدر المذكورة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية من الهجرة

ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصفراء راجعاً من بدر أمر علياً بضرب عنق النضر بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري وكان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وإذا تلا صلى الله عليه وسلم يقول للقرشيين ما يأتيكم محمد إلا بأساطير الأولين فلما قتل النضر أنشدت أخته النبي صلى الله عليه وسلم وهي قتيلة هذه الأبيات

يا راكباً إن الأثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية * ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليه وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديته * إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً * رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ولأنت صنو نجيبة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من تركت قرابة * وأحقهم إن كان عتق يعتق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * بأعز ما يغلى به من ينفق

ذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال لو سمعت شعرها قبل ذلك لما قتلته وقيل إن الذي أمر بقتله المقداد بن الأسود وقال بعضهم إن الزبير بن بكار قال سمعت بعض أهل العلم يغمز في أبيات قتيلة بنت الحارث ويقول إنها مصنوعة وغيره أثبتها وقال بعضهم الصحيح أن قتيلة أخت النضر هي جدة الثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث الموصوفة بالجمال وهي صاحبة عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم الشاعر المشهور لم يكن في قريش أشعر منه وكان يتغزل في شعره بالثريا المذكورة فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن الزهري ونقلها إلى مصر فقال عمر المذكور في زواجهما وورّى بالثريا وسهيل النجمين المعروفين يضرب بهما المثل في بعد الاجتماع

أيها

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يماني

ثم بعد قتل النضر بن الحارث أمر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أمية
ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيرا لأهل العالية بعد
قربه من المدينة على عدة أميال وزيد بن حارثة بشيرا لأهل السافلة بما فتح الله على
رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فجعل عبد الله بن رواحة يقول في أهل العالية
يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم
ونادى زيد بن حارثة في أهل السافلة بمثل ذلك ويقولون قتل فلان وفلان وأسر فلان
وفلان من أشراف قريش وصار عدو الله كعب بن الأشرف يكذبهما ويقول إن كان
محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها
قال ابن إسحاق وجلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب قريش
في بدر بحجر الكعبة فتذاكرا قومهما وما نزل بهم من القتل والأسر وكان عمير بن وهب
ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة قبل الهجرة وكان ابنه وهب بن عمير
في أسارى بدر فقال له صفوان والله ما في الحياة بعدهم خير فقال له عمير صدقت
أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت
إلى محمد حتى أقتله فإن لي قبله علة ابني أسير في أيديهم وكان عمير شيطانا وكان صفوان
ذا مال كثير فاغتنمها صفوان وقال له أنا أتحمل عنك دينك فعلي قضاؤه وأما عيالك فهم مع
عيالي أواسيهم ما بقوا ولا يكون في يدي شيء فيعجزون عنه فعاهده عمير على ذلك وقال
اكتم شأني وشأنك فقال صفوان أكتم ذلك ثم إن عميرا أمر بسيفه فشحذ وسم وانطلق حتى
قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن
يوم بدر وما أكرمهم الله تعالى به وما فعل بأعدائهم ويشكرون الله تعالى إذ نظر
عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحا سيفه فقال هذا عدو
الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد
فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه فقال أدخله علي فأقبل
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى عمير فأخذ بحمائل سيفه وقال لرجال ممن كانوا
معه من الأنصار ادخلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه
من هذا الخبيث فإنه غير مأمون ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمائل سيفه في عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا عمير وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أنعم صباحا وكانت هذه تحية العرب في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير أكرمنا بالسلام تحية أهل الجنة فما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي عندكم قال فما بال السيف في عنقك قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا قال أصدقني يا عمير ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال يا عمير قعدت أنت وصفوان بن أمية بحجر الكعبة فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال لي لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له والله تعالى حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تأتي من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يعلمه أحد ولم يحضره الا أنا وصفوان فوالله اني لأعلم انما أتاك الآن الله تعالى فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق رضي الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا ذلك ثم قال يا رسول الله اني كنت جاهدا في اطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم الى الله تعالى الى الاسلام لعل الله يهديهم فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وأظهر الاسلام وأسلم ولده وهب أيضا رضي الله تعالى عنهما

قال ابن اسحاق وأسلم بعد ذلك الاسر جماعة منهم أبو وداعة السهمي وعبد الله بن خلف الجمحي ووهب بن عمير الجمحي وقيس بن السائب المخزومي وأسلم السائب بن عبيد وهو الاب الخامس للامام الشافعي رضي الله عنه وكان صاحب راية بني هاشم يوم بدر من كفار قريش وكان صاحب الراية أيا سفيان لكن لعدمه في العير جعلها السائب لشرفه وأما الاب الرابع فهو شافع بن السائب الذي ينسب اليه الامام الشافعي رضي الله عنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع فأسلم فان الامام الشافعي رضي الله عنه هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم فيجتمع الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم في جد الامام الشافعي التاسع الذي هو جد النبي صلى الله عليه وسلم الثالث وهو عبد مناف

ولما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة وكانت وقعة بدر وأسر فيها من أسر من أهل مكة قال عليه الصلاة والسلام لأهل بدر ان بكم عيلة فلا يفلتن منهم يعني الأسارى أحد الا بفداء أو ضربة عنق وقال استوصوا بهم خيرا وكان فداؤهم أربعين أوقية عن كل انسان الا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فان فداءه كان مائة أوقية فكان من لا مال له من الأسارى يقبل منه ان يعلم عشرة من غلمان أهل المدينة الكتابة فاذا حذقوا كان فداءه وبهذا تعلم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من الأنصار ومن هنا نعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على تعلم الكتابة التي هي المدخل الأولي للنوع البشري و أي بيان الوظائف والتعليمات التي كانت جارية في عهده صلى الله عليه وسلم وقد من النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسارى بدر وخلى سبيلهم من غير شيء ولما طلب صلى الله عليه وسلم من العباس أن يفدي نفسه قال علام تؤخذ مني الفداء وقد كنت أسلمت أنا وأم الفضل وفيه آل بيتي ولكن القوم أكرهوني على الخروج فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ظاهر أمرك انك كنت علينا ولكن الله تعالى يعوض مثل عما أخذ منك وأنزل الله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وقد أعطى الله العباس خيرا مما أخذ منه وفي هذه الآية بشرى عظيمة للعباس اذ أخذ أكثر مما أعطى ويغفر له ما أخطأ ولما نزلت قال العباس يا رسول الله وددت انك أخذت مني أضعافها وفي البخاري انه أتي بمال من البحرين (أي خراجها وهو أول خراج حمل الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان مائة ألف) فأمر بنثره في المسجد وكان أكثر مال أتي به فخرج الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاءه العباس فسأله فقال خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه الي فقال لا فقال ارفعه أنت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال كالأول فقال لا ثم نثر منه ثم احتمله فأتبعه صلى الله عليه وسلم بصره عجبا من حرصه وذكر السهمي في الفضائل ان أبا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس أعتقه

ولما فدى العباس نفسه ورجع الى مكة وأظهر اسلامه وجمع أمواله هاجر الى المدينة ولازمه صلى الله عليه وسلم في غزواته كان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويعظمه ووصفه عليه الصلاة والسلام فقال أجود الناس كفا وأحناه عليهم وروى السهمي من حديث

ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال ألا أبشرك يا عم قال بلى بأبي أنت وأمي فقال عليه الصلاة والسلام إن من ذريتك الأصفياء ومن عترتك الخلفاء

وكان الذي أسر العباس أبو اليسر واسمه كعب بن عمرو وكان قصيرا دميما وكان العباس عظيم الخلق طويل القامة من معتدلي الطول حتى إنه كان يدرك قمة الظعينة وهي راكبة على البعير وهو على قدميه في الأرض وفي حديث البراء فقيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر ولو أخذته بكفك لوسعته فقال ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة والخندمة جبل حول مكة وذكر أبو عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد أعانك عليه ملك كريم ولما فدى العباس نفسه وابن أخيه عقيل بن أبي طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تركتني أتكفف قريشا فقيرا معدما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين ما دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما أدري ما يصيبني فإن حدث بي حادث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي فقال العباس أشهد أنك صادق وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما إذا أخبرتني بذلك فلا ريب وأم الفضل هذه لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وولدت أم الفضل للعباس ستة نجباء عبد الله بن عباس صاحب التفسير الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وإخوته الخمسة عبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وكثير واختلف في كثير فقيل إن أمه رومية واسمها أم حبيب وفي أم الفضل يقول الشاعر

ما ولدت نجيبة من فحل * بجبل نعرفه وسهل
كستة من بطن أم الفضل * أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وكان له أبناء سوى هؤلاء الستة من غير أم الفضل عون والحارث وتمام وكان أصغرهم تمام وأمه رومية تسمى سبا وقال بعضهم كثيرا ما عدم الذكر وكان العباس يحمل تماما هذا ويقول

جوانبهم قصار واصغره * بارك فاجعلهم كراما برره
* واجعل لهم ذكرا وأتم الثمره *

وقد أجاب الله دعاء العباس في بنيه الا كانوا كما أراد أبوهم واستوفى كلهم له رواية وغنى ومع ذلك فقال ما رؤيت قبور أشد تباعدا بعضها من بعض من قبور بني العباس بن عبد المطلب ولدتهم أمهم أم الفضل في دار واحدة واستشهد الفضل بأجنادين ومات معبد وعبد الرحمن بافريقية وتوفي عبد الله بالطائف وعبيد الله باليمن وقثم بسمرقند وكثير وأمه سأل المذكورة أحد بنيه الذكور بينبع رضي الله عنهم أجمعين

وخرج محمد بن يزيد في الكامل ان العباس كان الى منكب عبد المطلب وكان عبد الله ابن عباس الى منكب العباس وكان علي بن عبد الله الى منكب أبيه عبد الله وطاف علي هذا بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلي قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا الذي فرع الناس فقيل هو علي بن عبد الله بن العباس فقالت لا اله الا الله ان الناس لبرذلون عهدي بالعباس وهو يطوف بالبيت كأنه فسطاط أبيض اهـ وقال بعضهم ادرك الاسلام من العرب عشرة أنفار طوال احدهم عبادة بن الصامت ومن جملة الاسارى أيضا نوفل بن الحارث بن عبد المطلب تأخر اسلامه الى عام الخندق وقيل بل أسلم حين أسر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك بارماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد ان لي بجدة أرماحا غير الله أشهد أنك رسول الله ثم شهد معه حنينا وأعانه عند الخروج اليها بثلاثة آلاف رمح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين توفي نوفل بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما

وقيل ان العباس أسلم قبل وقعة بدر وكان يخفي اسلامه لما طلب منه صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه قال علام تؤخذ مني الفداء وقد كنت أسلمت أنا وأم الفضل ووجه آل مني ولكن القوم أكرهوني على الخروج فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ظاهر أمرك انك كنت علينا ولكن الله تعالى يجزيك على ما أخذ منك وأنزل الله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا الآية ولما نزلت قال العباس يا رسول الله لوددت انك كنت أخذت مني أضعافا والمأخوذ منه مائة أوقية من الذهب كما في آية وقدم النبي صلى الله عليه وسلم على عزمه أمرا بدر وخلى

سلمهم بن عمرو ووهب بن عمير كالعباس رضي الله تعالى عنه ولما فدى العباس نفسه رجع الى مكة وأظهر اسلامه وجمع أمواله وهاجر الى المدينة ولازمه صلى الله عليه وسلم في غزواته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعظمه وكانت الصحابة تعظمه وتقدمه ويشاوره ويأخذ برأيه ولما قيل له أيما أكبر أنت أو النبي صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر مني وأنا ولدت قبله

قال ابن اسحاق ولما بلغ النجاشي نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكان جعفر إذ ذاك بأرض الحبشة فأرسل الى النجاشي والى أصحابي ذات يوم فدخلنا عليه فوجدناه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقال اني أبشركم بما يسركم انه قد جاءنا من نحو أرضكم عين لي فأخبرني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعدائه بمحل يقال له بدر فكان النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جعفر أيها الملك جالس على التراب وعليك هذه الثياب قال انا نجد فيما أنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام ان حقا على عباد الله تعالى ان يحدثوا لله تواضعا اذا أحدث لهم نعمة قال ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر وأصيب أفاضل رؤسائهم قالوا ان ثارنا بأرض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من أتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة رضي الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك ومعهما هدايا من كفار قريش الى النجاشي ليدفع اليهم من عنده من المسلمين وأرسلوا معهما هدايا ووصفا للنجاشي فلما وصلا اليه ردهما خائبين ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك بعث الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه بكتاب يوصيه فيه على المسلمين الذين عنده بالحبشة

وقد سبق الاشارة الى ذلك في الفصل الثاني في الهجرة الى الحبشة من الباب الثاني من المقالة الخامسة من الجزء الثاني وسيأتي الكلام على ذلك في قدوم جعفر من الحبشة في غزوة خيبر

وقيل ان عمرو بن العاص اسلم حينئذ على يد النجاشي ولهذا يلغز ويقال ما هو الصحابي الذي اسلم على يد تابعي ومما يشهد لما قاله بعض أهل السير حكاية عن عمرو بن العاص عن نفسه من انه قال لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلموا والله اني أرى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا واني قد رأيت أمرا فما ترون فيه قالوا وماذا رأيت قال رأيت ان نلحق بالنجاشي فنكون

فيكون عنده فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فإنا أن نكون تحت يديه أحب
إلينا من أن نكون تحت يدي محمد وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا
خير قالوا إن هذا الرأي قال فاجمعوا لنا ما نهدي له وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا
الأدم فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية
الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه قال
فدخل عليه ثم خرج من عنده قال فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت
على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد
أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال
مرحباً بصديقي أهديت إلي من بلادك شيئاً قال قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً
كثيراً قال ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من
عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا
قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت لي الأرض
لدخلت فيها فرقاً منه ثم قلت له أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه قال
أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه
السلام لتقتله قال قلت أيها الملك أكذاك هو قال ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فإنه
والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قال قلت
أفتبايعني له على الإسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي
وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي ثم خرجت عامداً إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة
فقلت أين يا أبا سليمان قال والله لقد استقام المنسم وإن الرجل لنبي أذهب والله أسلم
فحتى متى قال قلت والله ما جئت إلا لأسلم قال فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله إني أبايعك على
أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها قال
فبايعته ثم انصرفت قال ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي
طلحة كان معهما أسلم حين أسلما

واختلف الصحابة فيما يفعل بالاسارى فمنهم من أشار بقتلهم ومنهم من أشار بفدائهم قال في المواهب وقد استقر الحكم في الاسارى عند الجمهور من العلماء ان الإمام مخير فيهم ان شاء قتل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وان شاء فادى بمال كما فعل باسارى بدر وان شاء استرق من أسر وان شاء من وأطلق من غير شئ وهذا مذهب الشافعي وطائفة من العلماء

ولما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وخرج من مضيق الصفراء قسم النفل (أي الغنيمة) وكانت ابلا وأفراسا ومتاعا وسلاحا وانطاعا وثيابا وأدما كثيرا كان قد حمله المشركون للتجارة فجمعه في بس ونادى النبي صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وأنزل الله تعالى في أصحاب بدر يسألونك عن الانفال الآية وأول من حل له أكل الغنائم وأحلها ربه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الانبياء من قبل يجاهدون ويقاتلون ويسترقون الارقاء ولكن ما كانت الغنائم تحل أكلها لهم واذا غنموا من أموال المجاهدين شيأ كانت تنزل نار فتحرقه وكان ذلك علامة قبولهم

وفي الطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو قال فقد وجبت لكم الجنة ويضرب بأهل بدر المثل في عدم المؤاخذة قال بعض الشعراء

يا بدر أهلك جاروا * وعلموك التجري
وقبحوا لك وصلي * وحسنوا لك هجري
فليصنعوا كيف شاؤا * فانهم أهل بدر

(وقال ابن الفارض)

فاصنع بقوم ما شاؤا لانفسهم * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وأول أبيات الشاعر السابق فيها من المحسنات البديعية عند البليغ نوع يقال له عرب الاتفاق لا سيما اذا كان المخاطب اسمه بدر وهو ان يتفق للشاعر أو الناثر وقعة أو نكتة بشعر جهاتها الكلام أو من الوقائع وهو غير الوقوع وان حصل للشاعر أو الناثر في ذلك قران سعد سار به الركبان بقوله كما في لابن حجة المصري حسام الدين لؤلؤ صاحب الملك الناصر يوسف حين غزا الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم وظفر الحاجب بهم وقال ابن حجة يخاطب الفرنج

عدوكم

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه * والدر في البحر لا يخشى من الغير

ومنه قول الصفي الحلي في بديعيته

ومن غدا اسم أمه نعت الأمة * فتلك آمنة من سائر النقم

ومنه قول ابن الساعاتي وقد قصد الملك الناصر يوسف فلما عدم ذكره مثل يعقوب

من حصون الشام يخاطبها الأمر لا تبرح * دعوا ليث يعقوب فقد جاء يوسف *

ومن غريب الاتفاق ما نقل من أن المأمون صنع تابوتا يحمله خصيان الغلمان على أكتافهم و يطوفون به في خلال البستان والمأمون جالس فيه ومعه جواري أبيه هارون الرشيد وجده موسى الهادي فدعا الشعراء ذات يوم ليقولوا في ذلك شيئا فما أنشدوا ما يعجبه إلا أبا نواس فسأله المأمون فتلا قوله تعالى وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة فلمح بالسكينة لنفسه الخليفة المأمون وبالبقية للجواري موسى وهارون لا سيما وحد وهذا وإن كان من غريب الاتفاق إلا أنه لا يخلو عن التهور والخروج عن اللائق

والمراد أهل بدر في الجهاد الذين حضروا وقعتها مع النبي صلى الله عليه وسلم استشهدوا فيها أم لا لأنهم ارتقوا إلى مقام يقتضي الإنعام عليهم بمغفرة ذنوبهم السابقة واللاحقة فلا يؤاخذهم بها لسبقهم ما يمحوها في الله ونصرهم دينه والمراد إظهار العناية بهم لا الترخيص لهم في كل فعل والخطاب لقوم منهم على أنهم لا يقارفون ذنبا وإن قارفوه لم يصروا وقال القرطبي هذا خطاب إكرام وتشريف تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وأهلوا لأن تغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة ولا يلزم من وجود الصلاحية لشيء وقوعه ولقد أظهر الله تعالى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر به عنهم من ذلك فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا وإن قدر صدور شيء من أحدهم بادر إلى التوبة

والشهداء ثلاثة أقسام الأول شهيد في حكم الدنيا والآخرة في ترك الغسل والصلاة عليه وهو من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا والثاني شهيد في الدنيا دون الآخرة وهو من قاتل رياء وسمعة وقتل فلا يغسل ولا يصلى عليه والثالث شهيد في الآخرة فقط وهو المطعون والمبطون والغريق والحريق والمهموم وطالب العلم إذا مات على طلبه والمرأة تموت في الولادة ومن قتله مسلم أو ذمي أو باغ في غير القتال فكل هؤلاء يغسلون

وتصلي عليهم وهم شهداء في الدار الآخرة لا في الدنيا قاله الامام الرافعي لان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعليا وهما شهيدان بالاجماع اه باختصار المناسبة قال عمر بن عبد العزيز كان أبي اذا خطب وبال من علي لجلج في كلامه فقلت يا ابت انك تمضي في خطبتك فاذا أتيت الى ذكر علي عرفت منك تقصيرا قال أوفطنت لذلك قلت نعم قال يا بني ان الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم لتفرقوا الى أولاده فلما ولي عمر الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكبه في هذا الامر العظيم لاجله فكتب بتركه وقرأ عوضه ان الله يأمر بالعدل والاحسان فحل هذا الامر عند الناس محلا عظيما وأكثروا مدحه حتى قال كثير في أبياته في حق عمر بن عبد العزيز

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف * بريا ولم تتبع مقالة مجرم

وقيل انه قال ان سبب هدايتي على ذلك اني كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن مسعود فبلغه عني شئ من ذلك أي في سب بني أمية له فأتيته يوما وهو يصلي فأطال الصلاة فقعدت أنتظر فراغه فلما فرغ التفت الي وقال متى علمت ان الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم قلت ولم أسمع بذلك قال فالذي بلغني عنك في علي فقلت معذرة الى الله واليك والله لا أعود فما سمع بعد ذلك يذكر عليا الا بخير اه ولا مانع ان يقال انه يحسن سريرته السرية وسيرته العمرية لما رأى الحق للامام علي أبطل من ضمنه اللعنة على المنابر وهذا ما يقتضيه حسن الظن في حق هذا الخليفة الموصوف بالعدل في الباطن والظاهر بدليل استبداله ذلك بالآية الشريفة وهي ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر فمن جملة ذلك الامر بعدم السب والنهي عنه اذ هو من الفحشاء والمنكر لاسيما وان الغالب في الخلفاء والسلاطين والملوك انما يأمرون بما يأمرون به من تلقاء أنفسهم كأمر الخليفة المعتضد الذي نسب معاوية على المنابر كما حكاه ابن جرير وان صح انه أمسك عن ذلك بعد ان انشأ كتابا قرئ على المنابر في ثلب معاوية ومعايبه حيث قيل له ان أهل بيت علي هم الخارجون عليك في كل بلد فاذا سمعوا سب معاوية مال اليهم كثير من الناس وخرجوا عن طاعة الخليفة فيكون عمر بن عبد العزيز بادر بازالة المنكر من بداية الامر بدون ان ينظر لضر ولا نفع وهذا فضله أكمل

روى

وروي انه لما سئل عن علي ومعاوية قال دماؤهم قد طهر منها سيوفنا أفلا نطهر من الخوض فيها ألسنتنا

(وفي منتصف شوال من هذه السنة الثانية كانت غزوة بني قينقاع)

مع القاف واسكان الياء وبنو قينقاع بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي المنافق وحلفاء الخزرج فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد الذي كان صلى الله عليه وسلم عاهدهم عليه وعاهد بني قريظة والنضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وقيل على ان لا يكونوا معه ولا عليه وقيل على ان ينصروه صلى الله عليه وسلم على من دهمه من عدوه فكانوا أول من غدر من يهود وتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وتشبث به عبد الله بن أبي ابن سلول وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى الآية فجمعهم صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله ان ينزل عليكم مثل ما نزل بقريش من النقمة (أي ببدر) اسلموا فانكم قد عرفتم اني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم فقالوا يا محمد انك ترى انا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت لهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس وقد قالوا ذلك لانهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا فأنزل الله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الآية ثم تماديهم على بغيهم وعنادهم بكفرهم ادعاء ان امرأة كانت تحت رجل من الانصار الى سوق بني قينقاع وجلست عند صائغ منهم في أمر حلي لها فجاء رجل من بني قينقاع فجلس من ورائها وهي لا تشعر فعقد درعها الى ظهرها بشوكة فلما قامت انكشفت فضحكوا منها فقام اليه رجل من المسلمين فاتبعه فقتله فقتل اليهود المسلم ونبذوا العهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم واما تخافن من قوم خيانة الآية فتحصنوا في حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواؤه كان أبيض بيد حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار فقذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا سبعمائة منهم أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلي سبيلهم وان يجلوا من المدينة وان لهم نساءهم والذرية وله صلى الله عليه وسلم الاموال والسلاح فخمسها أيضا والهم وأمر صلى الله عليه وسلم أن يجلوا من المدينة ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وان يمهلهم فوق الثلاث

فقال ولا ساعة واحدة وولى اخراجهم عبادة ووصلوا الى أذرعات بلاد الشام ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين بدعوته صلى الله عليه وسلم حيث قال لابن أبي ابن سلول لا بارك الله لك فيهم ووجد صلى الله عليه وسلم في منازلهم سلاحا كثيرا وأخذ صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسي منها القوس الكتوم التي لا يسمع لها صوت اذا رمي بها وهي التي رمى بها صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأخذ صلى الله عليه وسلم درعين منهما الدرع المسماة بالسغدية بسين مهملة وغين معجمة وقال انها درع داود التي لبسها حين قتل جالوت وأخذ صلى الله عليه وسلم ثلاثة أرماح وثلاثة أسياف وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم وكانوا صاغة لا أرض لهم وكان خليفته رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة

(وفي هذه السنة الثانية من الهجرة كانت غزوة السويق)

لما أصاب قريش في بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان ان لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا وأصحابه ومن أصحابه عن أصيب من المشركين يوم بدر فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة بريد ثم أتى ليلا بني النضير وهم حي من يهود خيبر ينتسبون الى هارون بن عمران بحسب النقل فأتى حيي بن أخطب وهو من رؤساء بني النضير وهو أبو صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها العبيرة ليستخبره عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أحب خبره فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له لانه خافه وجاء الى سلام بن مشكم سيد بني النضير وصاحب كنزهم (أي المال الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه للنوائب وما يعرض لهم وكان حليا يعيرونه لاهل مكة) فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به وسقاه خمرا فلما كان السحر خرج أبو سفيان ومن معه فلقي رجلا من الانصار في حرث له فقتله وقتل أجيرا كان معه وحرق بيوتا ورأى ان يمينه قد حلت فمضى هاربا وقد خاف الطلب وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتين من المهاجرين والانصار في طلبهم وكان خروجه لخمس من ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون للهرب وللتخفيف جرب السويق من قمح أو شعير مطحون وهو غالب أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوا بهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته خمسة أيام ولالقاء السويق من جهة المشركين فيها وأخذ المسلمين له سميت غزوة السويق ولم يلق فيها كيدا

وفي

وفي هذه السنة مات عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه وفيها أيضا هلك أمية بن أبي الصلت من رؤساء الكفار قرأ الكتب واطلع على الانجيل فكفر حسدا لانه رجا أن يكون هو المبعوث ونزل في حقه قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها وكان سافر الى الشام ورجع عقب وقعة بدر الساقة مر بالقليب وفيه قتلى بدر وكان ممن في القليب عتبة وشيبة ابنا خاله أمه فجدع أذني ناقته وقال قصيدة

هلا بكيت على الكرا * م بني الكرام أولي الممادح
كبكا الحمام على فرو * ع الأيك في الغصن الجوانح
يبكين حرى مستكينا * ت يرحن مع الروائح
أمثالهن الباكيات المعولات من النوائح
ماذا ببدر والعقنقل من مرازبة جحاجح
شمط وشبان بهاليل مغاوير وحاوح
أن قد تغير بطن مكة فهي موحشة الاباطح

وهي قصيدة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن روايتها لان أمية كان يحرض فيها ويعرض بقدح على المسلمين ومع ذلك فله أشعار يعرب فيها ما يميل به الى اعتقاد أن دين الاسلام حق فمن ذلك قوله

كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة زور

ولما أنشد الذي النبي صلى الله عليه وسلم قوله

الحمد لله ممسانا ومصبحنا * بالخير صبحنا ربي ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنها * مملوءة طبق الآفاق سلطانا
ألا نبي لنا منا فيخبرنا * ما بعد غايتنا من رأس محيانا
بينا يربينا آباؤنا هلكوا * وبينما نقتني الأولاد أفنانا
وقد علمنا لو ان العلم ينفعنا * ان سوف يلحق أخرانا بأولانا

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان كاد أمية ليسلم وروي أن أمية بن أبي الصلت واسم أبي الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف الثقفي لما مرض مرضه الذي مات فيه جعل يقول قد دنا أجلي وهذه المرضة منيتي وأنا أعلم ان الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد ولما دنت وفاته أغمي عليه قليلا حتى ظن من حضره من أهله انه قد قضى

ثم أفاق وهو يقول لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا بري فأعتذر ولا قوي فأنتصر ثم إنه بقي يحدث من حضره ساعة ثم أغمي عليه ما ساهى نحوا من ساعته وأفاق وهو يقول لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

إن تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

ثم أقبل على القوم فقال قد جاء وقتي فكونوا في أهبتي وحدثهم قليلا حتى يئس القوم

* *

وكان أمية متعبدا في الجاهلية ويؤمن بالبعث وأدرك الاسلام ولم يسلم وإنه لما غشي عليه وأفاق قال

كل عيش وإن تطاول دهرا * صائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الوليد يوما ثقيلا
اجعل الموت نصب عينك واحذر * غولة الدهر إن للدهر غولا

ثم قضى نحبه ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن سهل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع قول أمية

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء أعلى منك جدا وأمجدا

قال آمن شعره وكفر قلبه وكفره هو عدم إيمانه بالنبي صلى الله عليه وسلم وما سلف ذكره في الفصل الثاني من الباب الثاني من المقالة الرابعة من عده ممن آمن به صلى الله عليه وسلم كمن بشر بساعده فالقصد منه أنه بشر به صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لا الإذعان بعد البعث فحمله على عدم الإيمان الحسد والحمية الجاهلية وعليه الشقاء وكان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غنمه أيام شبابه كما في عيون فصاح

(وفي هذه السنة الثامنة من الهجرة كانت وقعة ذي قار بين بكر بن وائل والفرس)
(حبس كسرى برويز والعلة على الهرمزان وانهزام الفرس وقتل الهرمزان)

وسبب هذه الوقعة المشهورة في أيام العرب بيوم ذي قار أن كسرى برويز غضب على النعمان بن المنذر وحبسه فهلك في الحبس وكان النعمان قد أودع حلقته وهي السلاح والدرع

والدرع عند هانئ بن مسعود البكري فأرسل برويز يطلبها من هانئ المذكور فقال هذه أمانة والحر لا يسلم أمانته وكان برويز لما أمسك النعمان قد جعل موضعه في ملك الحيرة اياس بن قبيصة الطائي فاستشار برويز اياسا المذكور فقال يا اياس المصلحة التغافل عن هانئ بن مسعود المذكور حتى يطمئن ونتبعه فندركه فقال برويز انه من أخوالك ولا تألوه نصحا فقال اياس رأى الملك أفضل فبعث برويز الهرمزان في ألفين من الأعاجم وبعث ألفا من بهرا (قبيلة) فلما بلغ بكر بن وائل خبرهم أتوا مكانا من بطن ذي قار فنزلوه ووصلت اليهم الأعاجم واقتتلوا ساعة وانهزمت الأعاجم هزيمة فجيعة واكثرت العرب الأشعار في ذكر هذا اليوم وقيل ان هذه الوقعة كانت في سنة أربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن في عام وقعة بدر وهذا القول هو الأقوى والأصح

(وفي هذه السنة كانت غزوة قرقرة الكدر)

وهي أرض فيما يلي جادة العراق الى مكة بها طيور في ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما من بني سليم وغطفان يريدون الاغارة على المدينة فسار اليهم في مائتين من أصحابه وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فوصل الى ذلك الموضع فلم يجد به أحدا منهم وأرسل نفرا من أصحابه الى أعلى الوادي واستقبلهم في بطن الوادي فوجد خمسمائة بعير مع رعاتهم فخمس الابل فخص كل واحد بعيران ورجع الى المدينة وقيل كانت هذه الغزوة في المحرم سنة ثلاث ويمكن ان يجمع بين القولين بانها ابتدأت في أواخر شهر الحجة وتمت الى أول المحرم سنة ثلاث وفي هذه السنة ولد عبد الله بن الزبير وكان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم

(الفصل الثالث)

(في ظواهر السنة الثالثة من الهجرة وما فيها من الغزوات)

(وفي هذه السنة الثالثة من الهجرة كانت غزوة أنمار)

ويقال لها غزوة غطفان وغزوة أنمار وذي أمر بفتح الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء اسم ماء وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال وسكون العين ثم ثاء مثلثة ابن الحارث الغطفاني من بني محارب جمع جمعا من ثعلبة ومحارب بموضع

من محارب غطفان تسمى بذي أمر باسم الماء الذي به يريدون الاغارة على أطراف المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم في أربعمائة وخمسين رجلا من أصحابه لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول في السنة الثالثة من الهجرة واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم هربوا في رؤس الجبال وفي هذا المحل أصاب صلى الله عليه وسلم المطر الكثير فبل ثيابه وغاب أصحابه فنزع صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على الشجرة ليجفا واضطجع فرأى من المشركين فبعث المشركون دعثورا الذي هو سيد القوم وأشجعهم الجمع ثم قالوا والله قد انفرد محمد فعليك به فجاء ومعه سيفه حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من يمنعك مني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم الله فدفعه جبريل في صدره فوقع على ظهره فوقع السيف من يده فأخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني اليوم يا دعثور فقال لا أحد فكن خير آخذ فتركه وعفا عنه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله والله لا أجمع الناس لحربك أبدا فدفع له النبي صلى الله عليه وسلم سيفه فقال دعثور والله لأنت خير مني ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم أنه رأى رجلا طويلا دفعه في صدره فوقع على ظهره فقال علمت أنه ملك وأسلمت فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم الآية ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق حربا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

وفي هذه السنة في شهر رمضان ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما وكانوا قد سموه حربا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم الحسن وحنكه بتمر وفيها قتل محمد بن مسلمة الانصاري كعب بن الاشرف اليهودي وفيها تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر رضي الله عنهما وذلك ان عثمان بن عفان خطب حفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها فرده عمر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر أدلك على خير لك من عثمان وأدل عثمان على خير له منك قال نعم يا نبي الله قال تزوجني ابنتك وأزوج عثمان ابنتي وكان ذلك سبب تزوجه صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج عثمان أم كلثوم

(وفي هذه السنة كانت غزوة بحران)

خرج اليها في جمادى ... وهو موضع بالحجاز بينه وبين المدينة ثمانية برد ولم يلق في هذه الغزوة ...

أما

لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن بنجران اجتمع فيه كثير من بني سليم خرج في ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الأولى من السنة الثالثة من الهجرة أخذ السير حتى بلغ بحران وكان قبل أن يصل إلى ذلك بليلة لقي رجلا من بني سليم فأخبره أن القوم تفرقوا فحبسه إلى أن وصل فوجدهم كذلك قد تفرقوا ورجعوا إلى مياههم فأقام صلى الله عليه وسلم ولم يلق حربا وكانت غيبته عشر ليال وكان قد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم

﴿وفي هذه السنة كانت غزوة أحد﴾

وكانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة باتفاق الجمهور وأحد بضمتين وهو جبل من جبال المدينة على نحو ميلين منها يقصد لزيارة مشهد سيدنا حمزة ومن معه من الشهداء وقيل إنه أفضل الجبال

لما أصاب قريشا يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رضي الله تعالى عنهم فإنهم أسلموا بعد ذلك ورجال آخرون من أشراف قريش إلى أبي سفيان رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك أيضا وإلى من كان له تجارة في تلك العير التي كان سببها وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة في دار الندوة لم تعط لأربابها فقالوا إن محمدا قد وتركم أي قتل رجالكم ولم تدركوا ثأركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا عمن أصابه منا وقالوا نحن طيبو النفوس أن تجهزوا بأرباح تلك العير جيشا إلى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من يجيب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي فجمع لأهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا وقيل نصف دينار وأنزل الله في تلك الحادثة آية إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وكان عددهم ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس وقائدهم أبو سفيان ابن حرب وساروا من مكة حتى نزلوا بذي الحليفة مقابل المدينة يوم الأربعاء لأربع مضين من شوال وذو الحليفة هو ميقات أهل المدينة الذي يحرمون منه

وقد أخرج أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد رأيت كأني في درع حصينة ورأيت بقرا تنحر فأولت أن الدرع المدينة والبقر ...

أقمنا بالمدينة فان دخلوا علينا قاتلناهم فيها فقالوا والله ما دخل علينا في الجاهلية أفيدخل علينا في الاسلام قال فشأنكم اذا فذهبوا فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته فقالوا ما صنعنا رددنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه فجاؤا فقالوا شأنك يارسول الله قال الآن انه ليس لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وأخرج أحمد والبزار والطبراني والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزل المشركون يوم أحد كان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم بالمدينة يقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرا نخرج بنا يارسول الله نقاتلهم بأحد ورجوا ان يصيبوا من الفضيلة ما أصاب اهل بدر فما زالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لبس أداته ثم ندموا فقالوا يارسول الله أقم فالرأي رأيك فقال ما ينبغي لنبي ان يضع اداته اذا لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه اه واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم

وخرج صلى الله عليه وسلم في ألف من الصحابة وصار بين المدينة وأحد ونزل الشعب من أحد وجعل ظهره الى أحد ثم كانت الوقعة يوم السبت لسبع مضين من شوال وقاتل عدة أصحابه صلى الله عليه وسلم سبعمائة وفيهم مائة دارع ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة ولواء رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مصعب بن عمير بن بني عبد الدار وعلى ميمنة المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ولواؤهم مع بني عبد الدار وجعل صلى الله عليه وسلم الرماة وهم خمسون وراءه وقاتل الناس ودنا بعضهم من بعض وقامت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضي الله تعالى عنها فانها أسلمت بعد ذلك وأم حكيم بنت طارق زوج عكرمة رضي الله تعالى عنها في النسوة اللاتي معها تحرض المشركين بضرب بالدفوف خلف الرجال تحرض المشركين على القتال وتحرض المسلمين وتقول

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق

ان تقبلوا نعانق * أو تدبروا نفارق

* فراق غير وامق *

تريد نحن بنات الكوكب وانه لا يماثل وقال ابن رملة بنت طارق وأم حكيم بنت طارق قالت ذلك وقالته النساء معهن وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع قولهن هذا قال اللهم انى بك أحول وأصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل واشتد القتال في أصحاب

لواء المشركين ورأى النساء رجالهن أمرا عظيما حتى ولوا وتركن ما كن فيه
وانهزم المشركون حتى انهزمت هند بنت عتبة وصواحباتها مشمرات ما دونهن مانع ولا
دافع حتى لو شاء المسلمون لأخذوهن ودخل المسلمون عسكر المشركين

وقاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ قتال الأسد شديدا وقتل أرطاة حامل لواء
المشركين إلى أن قتل ضربه وحشي عبد جبير بن مطعم وكان حبشيا بحربة له وكان
حمزة مشغولا عنه بقتال سباع بن عبد العزى وفي قتل وحشي حمزة يقول حسان

فالشر دين أرماحكم * شلت يدا وحشي من قاتل

وقتل أيضا مصعب بن عمير حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن قاتله أنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لقريش إني قتلت محمدا وشاع ذلك وانتهى النضر بن أنس إلى
جماعة من الصحابة وقد دهشوا وقالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما
تصنعون في الحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه فاجتهدوا في القتال ثم إن كعب
ابن مالك الشاعر عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى بأعلى صوته يبشر الناس
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أنصت فاجتمع عليه المسلمون ونهضوا معه نحو
الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير والحارث بن الصمة الأنصاري وغيرهم وأدركه
أبي بن خلف في الشعب فتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وطعنه
بها في عنقه فكر أبي بن خلف منهزما وقال له المشركون ما بك من بأس فقال والله لو
بصق علي لقتلني فمات بسرف وهم قافلون وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم اشتد
غضب الله على رجل قتله نبي فمات عدو الله في مرجعهم إلى مكة

وكان أبو عزة الجمحي أحد رؤساء حزب المشركين ووقع أسيرا في بدر فمن عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يكثر عليه جمعا وأرسله بغير فدية فلما كان غزوة أحد
طلبوه فهرب ... وخرج معهم للحرب فامتنع من ... فلما وجهوه إليه وقال إن
لمحمد عندي حسن أطلقني يوم بدر فلم يزل الوائه حتى خرج معهم فأسر يوم أحد فضرب
عنقه وكان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الذي جدع أنف حمزة ومثل به فيمن مثل
وانهزم يوم أحد فمضى على وجهه فبات قريبا من المدينة فلما أصبح دخلها فأتى منزل
عثمان بن عفان بن أبي العاص فضرب بابه فقالت له امرأته أم كلثوم بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس هو هنا فقال ابعثي إليه فإن له عندي ثمن بعير ابتعته منه عام
الأول وجئته به فأرسلت إليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال

لمعاوية أهلكتني وأهلكت نفسك ما جاء بك قال يا ابن عم لم يكن احد أقرب اليّ ولا أمسّ رحماً بي منك فجئتك لتجيرني فأدخله عثمان داره وصيّره في ناحية منها ثم خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ له منه أماناً فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معاوية بالمدينة وقد أصبح بها وقال اطلبوه فقال بعضهم ما كان ابعد من منزل عثمان فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان فأشارت ام كلثوم الى الموضع الذي صيّره عثمان فيه فاستخرجوه من تحت حمارة لهم فانطلقوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان حين رآه والذي بعثك بالحق ما جئت الا لأطلب له الأمان فهبه لي فوهبه له وأجّله ثلاثاً وأقسم لئن وجد بعدها يمشي من أرض المدينة وما حولها ليقتلن وخرج عثمان فجهّزه واشترى له بعيراً وقال ارتحل وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الأسد وأقام معاوية الى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ويأتي بها قريشاً فلما كان اليوم الرابع قال صلى الله عليه وسلم ان معاوية قد أصبح قريباً لم ينفذ فاطلبوه فطلبوه فأصابوه على ثمانية أميال من المدينة وقد أخطأ الطريق فأدركوه وكان اللذان أسرعا في طلبه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فرمياه بالنبل حتى مات ومعاوية هذا ابو عائشة بنت معاوية ام عبد الملك بن مروان

ولما قتل مصعب أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية علي بن ابي طالب وانهزم المشركون فطمعت الرماة في الغنيمة وفارقوا المكان الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلزومه فأتى خالد مع خيل المشركين من خلفهم وصرخ ابليس لعنه الله ان محمداً قد قتل وانكشف المسلمون وأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء على المسلمين وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعداً وكان عدة الشهداء منهم خمسين رجلاً وعدة قتلى المشركين اثنين وعشرين رجلاً ووصل العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابته حجارتهم حتى وقع وأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفتاه والذي كسر رباعيته عتبة بن ابي وقاص والذي شجه في وجهه عبد الله بن شهاب الزهري فجعل الدم يسيل على وجهه الشريف وهو يقول كيف يفلح أمة خضبت وجه نبيها اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون والى ذلك أشار من قال

وأهلك قومه في الارض نوح * بدعوة لا تذر ربي فأفنى
ودعوة احمد رب اهد قومي * فهم لا يعلمون كما علمنا

فنزل في ذلك قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون

وضرب

ورميه بالمصحف على شفته الأعلى فجرح وجنته ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته الشريفة من الضربة ونزع أبو عبيدة عامر بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنية أبي عبيدة الواحدة ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى ومثلت هند وصواحبها بالقتلى من الصحابة يجدعن الآذان والأنوف وبقرت هند عن كبد حمزة ولاكتها وصعد زوجها أبو سفيان على الجبل وصرخ بأعلى صوته الحرب سجال يوم بيوم يوم أحد بيوم بدر اعل هبل أي زد علوا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا عمر فأجبه فقال الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وفي الصحيح ان أبا سفيان قال لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ثم نادى أبو سفيان عند انصرافه ان موعدكم بدر العام المقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد ثم التمس رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فوجده وقد بقر بطنه وجدع أنفه وأذناه فقال لئن أظهرني الله بهم وحمل على قريش لأمثلن بثلاثين منهم فلما رأى المسلمون حزنه وغيظه على ما فعل بعمه قالوا لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد فأنزل الله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فكفر عن يمينه ونهى عن المثلة

وروى ابن شاذان عن ابن مسعود ما رأينا المصطفى باكيا قط أشد من بكائه على حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم يا أسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات وليس هذا نوح ولا تعديد شمائل بل اخبار عن فضائله وشمائله ثم أمر فسجي ببرده ثم أتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه وهذا دليل لأبي حنيفة فإنه يرى الصلاة على الشهيد خلافا للشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى ثم أمر بحمزة فدفن واحتمل أناس من المسلمين الى المدينة قتلاهم فدفنوهم بها ثم نهاهم صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وقال ادفنوهم حيث صرعوا وقال دفن مع حمزة في قبره عبد الرحمن بن جحش وأصيبت عين قتادة فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت بعد ذلك أحسن عينيه وكان طلحة ترسا لهم جرحت يده فيها على وجهه وهو يقي السهام بوجهه عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد أنس بن النضر عم أنس بن مالك ووجد به بضع وثمانون ... ونزلت من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية

ونزل في شهداء أحد كما رواه الحاكم وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن
عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من
الأنصار قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله (أي لأجل دينه والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد) أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون من ثمار
الجنة قال الشاوي ونزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية
من الأنصار وستة من المهاجرين قال القاضي زكريا وهو غلط إنما نزل فيهم آية
البقرة

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من
يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيته يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن
عبد ياليل فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا
بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل
فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك
لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً
اهـ فكان دأبه صلى الله عليه وسلم الصفح الجميل وكان صفحه شكراً للنصر والظفر
كما قال عند فتح مكة لأهلها وكانوا قد أخرجوه منها وهي أحب البقاع إليه أقول لكم
كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

وكان ممن استشهد في أحد سعد بن الربيع وأخذ ميراثه أخوه وكان لسعد ابنتان وكانت
امرأته حاملاً وكانت المواريث على مواريث الجاهلية ولم تكن الفروض نزلت فنزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شكت فدعا أخا سعد فقال أعط ابنتي أخيك ثلثي
المال وادفع إلى زوجته الثمن وما بقي لك ولم يورث الحمل يومئذ ثم ورث بعد ذلك

قال النووي في الروضة إن تحريم الخمر كان بعد غزوة أحد وذكر أرباب السير أنه كان
في حصار بني النضير في ربيع الأول سنة أربع ولم يباشر صلى الله عليه وسلم القتال
في غزوة من الغزوات إلا في أحد ولم يقاتل معه صلى الله عليه وسلم من الملائكة إلا في بدر
وإلا في حنين وأحد ولم يرم صلى الله عليه وسلم بالحصا في وجوه القوم في شيء من
الغزوات إلا في هذه الثلاث على خلاف في الثالثة ولم يجرح أي لم يجرح صلى الله عليه

وسلم

وسلم جراحة في غزوة من الغزوات إلا في أحد ولم ينصب صلى الله عليه وسلم المنجنيق في غزوة من الغزوات إلا في غزوة الطائف وهي أنه نصبه على بعض حصونهم ولم يحفر الخندق في غزوة إلا في غزوة الأحزاب

(وفي هذه السنة الثالثة من الهجرة كانت غزوة حمراء الأسد)

وهو محل بناحية العقيق بينه وبين المدينة ثمانية أميال وذلك أنه لما كان صبيحة يوم أحد وهو سادس عشر شوال من هذه السنة أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لطلب العدو وأن لا يخرج إلا من حضر معه بالأمس فخرج وهم حاملون على ما بهم من الجهد والجراح حتى كان أسيد بن حضير به تسع جراحات يريد أن يداويها فلما سمع النداء ترك المداواة مسارعة لطاعة الله ورسوله وسار عليه الصلاة والسلام طالبا للعدو وانتهى إلى حمراء الأسد وكان المشركون قد ساروا النهار من أحد ودفع لواءه وهو معقود لم يحل إلى علي أو إلى أبي بكر إظهارا للقوة وإرهابا للعدو وأقام بها ثلاثا ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد معبد بن أبي معبد الخزاعي سائرا إلى مكة ولقي أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم وكانوا قد أجمعوا الكرة على المسلمين ليستأصلوا بقيتهم فقال معبد الخزاعي إني أنهاكم عن ذلك فلا ترجعوا إلى المدينة وثبط عزم أبي سفيان عن الرجعة وكبر عليهم خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا مسرعين على ظهورهم حيث لم يأمنوا أن تكون الدولة للمسلمين حتى أتوا مكة فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية وكان خليفته على المدينة ابن أم مكتوم

(الفصل الرابع)

(في ظواهر السنة الرابعة من الهجرة وما فيها من الغزوات)

(وفي هذه السنة كانت غزوة بني النضير)

ونقل عن النووي في الروضة أن غزوة بني النضير كانت سنة ثلاث وأن تحريم الخمر كان بعد غزوة أحد وكلامه يدل على أن تحريم الخمر كان سنة ثلاث ورجح الدمياطي أيضا في سيرته أن التحريم كان في السنة الثالثة والقول أن التحريم كان السنة الرابعة

المشهور وهناك قول آخر راجح وهو أنها كانت في غزوة الحديبية سنة ست من الهجرة
بدليل أن أنسا كان ساقيا لهم ولما ورد النهي عن ذلك أراقها ولو كان ذلك سنة أربع
لكان أنس يصغر عن ذلك ويرتفع توهم أن تحريم الخمر كان قبل الفتح وربما يجمع
بين الأقوال بما رواه أحمد عن أبي هريرة أنها حرمت ثلاث مرات قال قدم المصطفى
المدينة وهم يشربونها ويأكلون الميسر فسألوه عنهما فأنزل الله تعالى يسألونك عن
الخمر والميسر الآية فقال الناس ما حرم علينا إنما قال فيهما إثم كبير ومنافع للناس
وكانوا يشربون الخمر حتى صلى يوما رجل من المهاجرين وأم أصحابه في المغرب فخلط في
في قراءته فأنزل الله تعالى الآية التي في النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون وكان الناس يشربونها ويقصدون وقت ثم نزلت الآية
التي في المائدة بالتأكيد وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر
والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون
قالوا انتهينا ربنا

قال المفسرون لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم
وقوله كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وقوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكانت الخمر والميسر مما استطابوه حسبهم من الله في
هذه الآية أن الخمر والميسر داخلين في جملة الطيبات والحلال بل هما من جملة
المحرمات وروى أبو ميسرة أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال اللهم بين لنا في
الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما
إثم كبير الآية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت
الآية التي في النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
الآية فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي
في المائدة يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون فدعي عمر فقرئت عليه فقال قد
انتهينا أخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية أبي ميسرة هذه أصح وأخرجه أبو
داود والنسائي

وروى مصعب بن سعد عن أبيه قال صنع رجل من الأنصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك
قبل أن تحرم الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الأنصار وقريش فقالت الأنصار نحن أفضل

منكم

منكم فقال سعد بن أبي وقاص المهاجرون خير منكم فأخذ رجل من الأنصار لحي جمل فضرب رأس سعد ففزره فشجه فأتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر إلى قوله فهل أنتم منتهون

وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا أخي فلان وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن فأنزل الله تحريم الخمر في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون وقوله فهل أنتم منتهون لفظه استفهام ومعناه الأمر أي انتهوا وهذا من أبلغ ما ينهى به لأنه تعالى ذم الخمر والميسر وأظهر قبحهما للمخاطبين كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم منتهون مع هذه الأمور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم لم توعظوا ولم تزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لأن الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الأصنام وعدد أنواع المفاسد الحاصلة منهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال في آخر الآية فهل أنتم منتهون ومعناه الأمر وقال بعضهم الحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن القوم كانوا ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم به كثيرا فعلم الله تعالى أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فاستعمل في التحريم هذا التدريج والرفق

وسبب تلك الغزوة على بني النضير أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إليهم ليستعين بهم في دية رجلين من بني كلاب بن ربيعة موادعين له كان عمرو بن أمية الضمري قد لقيهما في رجوعه من بئر معونة فقتلهما ظانا أنهما حربيان وكان النبي عاهدهما أمانا ولم يشعر به عمرو وكان صلى الله عليه وسلم قد تعاهد مع بني النضير على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات فحضر إليهم وكان معه من أصحابه جماعة دون العشرة منهم أبو بكر وعمر وأسيد بن حضير فأجلسوهم تحت جدار من بيوتهم وأرادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم وأمروا أن يصعد رجل إلى الجدار ويلقي عليه رحى فلما علم بذلك انصرف عنهم إلى المدينة حيث كان ذلك منهم نقضا للعهد وأرسل إليهم أن اخرجوا من بلدي لأن مساكنهم كانت من أعمال المدينة فأبوا الخروج وآذنوا بالمحاربة فحاصرهم وغزاهم وكانت غزوتهم في ربيع الأول وبعد مضي [illegible] من الهجرة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى

 

على ان لهم ثلث ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهم وأرضهم فأجلاهم الا نفر خرجوا منهم الى خيبر والمراد بعلها قصى من بنى
النضير الى خيبر وناس منهم الى الشام وبقيت أموالهم فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خالصة له دون المسلمين لان المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب فقسمها كيف شاء
وخص بها الا سهل بن حنيف وأبا دجانة فذكرا فقرا فأعطاهما منه شيئا
ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أموال بنى النضير قال للانصار ان
اخوانكم من المهاجرين ليست لهم أموال فان شئتم قسمت هذه الاموال بينكم وبينهم
جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم فقسمت هذه فيهم فقال السعدان سعد بن معاذ وسعد بن
عبادة بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت فقالت الانصار مثل ذلك
تبعا للسعدين ففرح صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار
وأبناء أبناء الانصار فأنزل الله فيهم قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة أى فاقة وحاجة الى ما يؤثرون فلهذا قسم صلى الله عليه وسلم الاموال على
المهاجرين بحسب ما اقتضته المصلحة فعين لابى بكر وعبد الرحمن بن عوف وصهيب
وابى سلمة بن عبد الاسد المخزومى صاحب المعروفة ومن الانصار أعطى سهل بن حنيف
وأبا دجانة لشدة فقرهما وفى بنى النضير نزلت سورة الحشر التى سماها ابن عباس رضى
الله عنه سورة النضير كما رواه سعيد بن جبير
وفى سنة أربع قصرت الصلاة الرباعية الى ركعتين فى السفر وهذا مبنى على ان هيئة
الصلاة أربعة تامة ثم قصرت فى السفر وقيل انها فرضت فى الحضر أربعا وفى السفر
ركعتين وهو قول ابن عباس رضى الله عنه قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم
فى الحضر اربعا وفى السفر ركعتين رواه مسلم وغيره كذا فى المواهب اللدنية وفى الوفا
الذى عليه الاكثر ان الصلاة نزلت تامة من بدء الامر والله أعلم وقد سبق الاشارة
الى ذلك فى الفصل الاول من الباب الثانى فى بعثه صلى الله عليه وسلم
وفى هذه السنة الرابعة نزلت آية التيمم وهى قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا قال فى معالم
التنزيل وكان بدء التيمم ما روى عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء وبذات الجيش انقطع عقد لى فأقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى أبى
بكر

بكر فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فقالت عائشة فعاتبني أبو بكر ثم قال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء وكان رئيساً في الجاهلية والإسلام ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته وقوله فتيمموا أي اقصدوا والتيمم من خصائص هذه الأمة لتسهيل عليهم أسباب العبادة ويدل على ذلك ما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت الأرض كلها لنا مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء أخرجه مسلم

وفي السنة الرابعة في ذي القعدة كان رجم اليهوديين اللذين زنيا ونزل قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وفي العمدة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن امرأة منهم ورجلاً زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله ابن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فأمر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة والذي وضع يده على آية الرجم عبد الله بن صوريا

واختلف العلماء في أن الإسلام هل هو شرط في الإحصان أم لا فذهب الشافعي إلى أنه ليس شرطاً فإذا حكم الحاكم على الذمي المحصن رجمه ومذهب أبي حنيفة أن الإسلام شرط في الإحصان واستدل الشافعي بهذا الحديث ورجم النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديين وأجاب الحنفية عنه بأن ما أوقع رجمهما بحكم التوراة فإنه سألهم عن ذلك وأن ذلك عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقالوا إن حد الزنا نزل بعد ذلك فكان ذلك الحديث منسوخاً وهذا يحتاج إلى معرفة التاريخ أعني القول بالنسخ وقوله

فرأيت الرجل يجنأ على المرأة (الحديث) الرواية بفتح الياء التحتية وسكون الجيم وفتح النون والهمز أي يميل ومنه الجنأ وفي كلام بعضهم ما يشعر بأن اللفظة بالحاء المهملة فقال حنى الرجل يحنى حنوا اذا أكب على الشيء) فتحصل من هذا ان السادة الحنفية يشترطون في الرجم الاسلام وقد استدلوا على ذلك بما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الناس وهو في المسجد فناداه يا رسول الله اني زنيت فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فتنحى لشق وجهه الذي أعرض قبله فقال يا رسول الله اني زنيت فأعرض عنه حتى ثنى ذلك أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبك جنون قال لا يا رسول الله فقال أحصنت قال نعم يا رسول الله قال اذهبوا به فارجموه انتهى والرجل ماعز بن مالك رضي الله عنه

وروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سمع جابر بن عبد الله يقول كنت فيمن رجمه فرجمناه بالمصلى فلما أذلقته الحجارة (بالذال المهملة والقاف أي أوجعته وأوهنته) هرب فأدركناه بالحرة فرجمناه ويستدل للرجم أيضا بما روي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني انهما قالا ان رجلا من الاعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنشدك الله الا ما قضيت لي بكتاب الله تعالى فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله تعالى وائذن لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال ان ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته واني أخبرت ان على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني انما على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى أما الوليدة والغنم فرد عليك وأما ابنك فان عليه جلد مائة وتغريب عام ثم قال لرجل من أسلم اغد يا أنيس الى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها قال فغدا اليها فاعترفت فرجمت قوله الا قضيت بيننا بكتاب الله تطلق هذه اللفظة على القرآن خاصة وقد تطلق كتاب الله على حكم الله مطلقا والأولى حمل هذه اللفظة على هذا لانه ذكر فيه التغريب وليس ذلك منصوصا في كتاب الله الا بواسطة أمر الله بطاعة الرسول واتباعه وفي قوله ائذن لي حسن الادب في المخاطبة للأكابر وقوله كان عسيفا

أي بعثر القبر وقوله فاغتسلت منه أي من الرجم وقوله ردّ عليك أي مردود عليك فأطلق اسم المصدر على اسم المفعول وقال في الشمني وجه الرجم لانه صلى الله عليه وسلم أمر برجم الغامدية وماعز وكانا محصنين وأخرج ماعزا الى الحرة وقيل الى البقيع فرّ الى الحرة فرجم بالحجارة حتى مات

وعمل رواة الجماعة انه عليه الصلاة والسلام رجم المرأة التي زنى بها العسيف وقال عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل النفس بغير حق وقال عمر رضي الله عنه وهو على المنبر مما أنزل في القرآن الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة وسيأتي قوم ينكرون ذلك ولولا ان الناس يقولون ان عمر زاد في كتاب الله لكتبتهما في حاشية المصحف وعليه اجماع الصحابة رضي الله عنهم وقيل اجماعهم بالتواتر ولا معنى لانكار الخوارج الرجم لانهم ينكرون القطع برجم النبي صلى الله عليه وسلم فيكون مكابرة وعنادا وقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة عام في المحصن وغيره الا انه خص في المحصن بما ذكر فبقي معمولا به في غيره ويرد على الشارع لعدم الجلد في المحصن بالسنة يعرف عام والرجم على المحصن بما ذكر ولا رجم عليه لانه لا ينتصف وفي المعراج الزاني في قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة نسخ في حق المحصن فبقي في حق غيره معمولا به ونكتة اي نعني الناسخ القطع برجم النبي صلى الله عليه وسلم فيكون من نسخ الكتاب بالسنة القطعية لانه صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد أحصن وثبوت الرجم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواتر المعنى

(وفي هذه السنة في جمادى الاولى كانت غزوة ذات الرقاع)

وقال النووي في الروضة انها كانت لعشر خلون من المحرم سميت بالرقاع لشجر الرقاع قيل سميت به لان فيه بقاعا حمرا وسودا أولان جبلهم كان به سواد وبياض أولان صلاة الخوف كانت بها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها أولانها عرفت فيها أقدام الصحابة وسقطت أظفارهم حتى كانوا يلفون على أرجلهم الخرق وقال المحرر رقاع وهي غزوة الاعاجم لما وقع فيها من الامور العجيبة وغزوة بني محارب وبني ثعلبة وذلك انه لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان بني محارب وبني ثعلبة أجمعوا جموعا من غطفان لحربه خرج في أربعمائة من أصحابه رضي الله عنهم فرا بعد ان رد بني محارب وبني

فعليه ولما بلغ صلى الله عليه وسلم نجدا لم يجد بها أحدا غير نسوة فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ثم لقي جمعا من غطفان فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب حتى خاف المسلمون ان يغير المشركون عليهم وهم غافلون حتى صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت أول صلاة الخوف فهم بهم المشركون وقال قائلهم دعوهم فان لهم صلاة هي الظهر هي أحب اليهم من أبنائهم فنزل جبريل عليه السلام عليه صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى صلاة العصر صلاة الخوف صلى بطائفة ركعتين وبالاخرى أخريين ونزل بها القرآن وهي قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية وكفى الله المؤمنين شرهم بعد أن تعرض لهم بالمشركين منه لهم فلم يقدروا على ذلك انه جاء رجل من غطفان وهو غورث بالغين المعجمة والثاء المثلثة فقال يا محمد أريد أن أنظر الى سيفك هذا وكان محلى بفضة فدفعه اليه فاستله وهزه فكبته الله ثم قال يا محمد أما تخافني فقال له لا ما أخاف منك ثم رده اليه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم والمفسرون على ان هذه الحادثة كانت في غزوة أنمار المذكورة ولا مانع من تعدد النزول لتعدد الاسباب كما هو ظاهر لبعضهم ورجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة

(وفي هذه السنة كانت غزوة بدر الموعد وتسمى غزوة بدر الصغرى وقال)
(الصغرا بالغاء وبدر الثانية والآخرة)

وتسمى بدر الموعد لأن أبا سفيان نادى يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر العام المقبل فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه فأقاموا ثمانية أيام مدة الموسم وكان أبو سفيان قد خرج من مكة في ألفين من قريش حتى نزل خارج مكة وقد قام به رعب من النبي صلى الله عليه وسلم فجمع قريشا وقال لهم انه لا يصلح هذا العام الجدب فقال لهم محمد فارجعوا ورجعوا وباع المسلمون ما كان معهم من التجارة وربحوا ربحا كثيرا وفيه نزل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل الآية وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفيها ولد الحسين رضي الله عنه

(وفي هذه السنة كانت غزوة الخندق وتقال لها غزوة الاحزاب)

وهي الغزوة التي ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الايمان في قلوب أوليائه

المتقين

النقص وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق والشقاق المعاندين ولم يشكروا ... هذه الغزوة في شوال أو في ذي القعدة من السنة الخامسة كما ذكره أرباب السير بل حكى النووي في الروضة أن الأصح أنها كانت في الرابعة ويقويه أن ابن عمر رضي الله عنه يقول ردني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ثم أجازني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فليس بينهما إلا سنة واحدة وغزوة أحد كانت سنة ثلاث فتكون غزوة الخندق سنة أربع فهي قبل غزوة دومة الجندل

وقال الحافظ ابن حجر ولا حجة فيه لاحتمال أن يكون ابن عمر رضي الله تعالى عنه في أحد كان أول ما طعن في الرابعة عشر وكان في الأحزاب التي هي غزوة الخندق قد استكمل الخمس عشرة وبه يكون بين أحد والخندق سنتان كما هو الواقع لا سنة واحدة فعلى ذلك لا مانع أنها كانت في الخامسة

وسبب هذه الغزوة أنه لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم سار منهم جمع من كبرائهم منهم سيدهم حيي بن أخطب أبو صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وعظيمهم سلام بن مشكم ورئيسهم كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس إلى أن قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرضونهم ليحزبوا الأحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأحزاب عشرة آلاف وكان المدبر لأمرها والقائم بشأنها أبو سفيان وأنزل الله تعالى في ذلك صدر سورة الأحزاب

فلما علم صلى الله عليه وسلم بما أجمعوا عليه ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في أمرهم وقال لهم هل نبرز من المدينة أو نكون فيها فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه بالخندق حيث قال يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا فأمر صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة وعند ذلك ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا له ومعه عدة من المهاجرين والأنصار وأمرهم بالجد ووعدهم النصر إن هم صبروا فعمل الخندق من مكائد الفرس لا من مكائد العرب ولما نظر المشركون إلى الخندق قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها

وفي أمره صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة بمشورة سلمان الفارسي وفي قياس عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أبي لؤلؤة غلام المغيرة أن يعمل له رحى تطحن بالريح دلالة على استحسان دخول الإسلام على أدوات الأ[illegible] الموجودة

بالممالك الاجنبية كما هو جار الآن بالبلاد الاسلامية الراغبة في تجديد الفنون الحربية والسلمية

وعمل صلى الله عليه وسلم بنفسه في حفر الخندق ولما بدأ صلى الله عليه وسلم قال بسم الله وبه بدينا (بضم الباء وكسر الدال) ولو عبدنا غيره شقينا * يا حبذا ربا وحب دينا

وقال صلى الله عليه وسلم متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب وقد وارى الغبار عن جلده بطنه الشريف

لاهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
وان الالى قد بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا

بمد صوته بكلمة أبينا ويروى ان حفر الخندق كان في زمان عسرة ومجاعة حتى ان الاصحاب رضي الله عنهم كانوا يشدون على بطونهم الحجر من الجهد والجوع الذي بهم وثلاثة أيام لا يذوقون زادا وعن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه حجرين ذكره الترمذي في الشمائل ولهذا اشار صاحب البردة بقوله

وشد من سغب احشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

وهذا منه صلى الله عليه وسلم تعليم للأمة للصبر على الجوع والا ففي الحقيقة هو مطعم مسقي من فيض مولاه لانه كان يطعم ويسقى من ربه واتباع العادات الظاهرية قد تجري مجراها ولو في حق الانبياء حتى انه صلى الله عليه وسلم في الصوم كان يصير كالطاعم الا بان يكرمه له صلى الله عليه وسلم واذا حصل له في النادر إذاقة جوع ما كان ذلك على وجه الابتلاء الذي كان يحصل لاخوانه من الانبياء والمرسلين تعظيما لأجورهم واظهارا لجواز الاعراض البشرية عليهم صلوات الله وسلامه عليهم

وعن انس رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم لا خير الا خير الآخره * فبارك في الانصار والمهاجره

وفي رواية فأكرم الانصار والمهاجره فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا ابدا

وفي رواية ما بقينا ابدا ولما خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق قطع لكل

عشرة

عشر ذراعا فاختصم المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا ونحن أحق به وقال الانصار سلمان منا ونحن أحق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت ولذلك يشير بعضهم

لقد رقي سلمان بعد رقه * منزلة شامخة البنيان
وكيف لا والمصطفى قد عده * من أهل بيته العظيم الشان

وانما وقع التخاصم في سلمان رضي الله عنه لانه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال وفي رواية كان يحفر كل يوم خمسة اذرع من الخندق في عمقها خمسة اذرع فعانه قيس بن صعصعة فصرع وتعطل من العمل فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان ويجمع وضوءه في ظرف ويغتسل سلمان بتلك الغسالة ويكفأ الاناء خلف ظهره ففعل فنشط في الحال كما نشط البعير من العقال وهو أول مشهد شهده سلمان الفارسي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومكث صلى الله عليه وسلم في عمل الخندق خمسة عشر يوما وجعل النساء والذراري في الآطام وجعل على حصن بعض النساء حسان بن ثابت الانصاري رضي الله تعالى عنه وكان من دأبه ان لا يقتحم المخاوف اما للطبع حتى كان يكون بذاته لا نطاقه ان حمل العداه ومسك عنان الجواد لانه كان معدا للنصرة على القتال بلسان شعره الذي هو أحد من آلات القتال وكان يحط به في هجاء المشركين وتأييد الدين ومع ذلك لم ينسبه أحد من اعدائه الى الجبن ولم يعيره به كما قلت

حسان كان هماما * نصره الشرع وضح
وكم عدو بسهم * وسط الحروب جرح

وكان عليه مدار عظم في الحروب وقوة الاسلام وان لم يخض في بحر المعامع ولا كان له فيها اقتحام ومما يدل على ذلك انه في حصن الآطام وهو مع النساء اذ رأى ان يهوديا جعل يطوف بذلك الحصن فقالت صفية لحسان لا آمن هذا اليهودي ان يدل على عورة الحصن فيأتون الينا فانزل واقتله فقال حسان رضي الله عنه يا بنت عبد المطلب قد عرفت ما انا بصاحب هذا أي لست من ذوي الحرب فلما أيست منه أخذت عمودا ونزلت ففتحت باب الحصن وأتته من خلفه فضربته بالعمود حتى قتلته وصعدت الحصن فقالت يا حسان انزل اليه واسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال ما بي يا بنت عبد المطلب الى سلبه من حاجة يعني انه لم يقتله فليس سلبه له لانه حين ... بل

انسان يستطيع ان يثبت ما عليه من جمع هذه الحكاية بسنده الى الحين الذى لا يليق
بحال الصحابة رضوان الله عليهم مع ان هذا لا ينبغى جنسه وانما لا يدل على شجاعة
ولنسب الشجاعة فى الحروب صفة لكل انسان وعرض الغلمان وهو يحفرون الخندق
وكانوا اجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه فلما التحم الامر امر من لم يبلغ خمس عشرة
سنة ان يرجع الى أهله وأجاز من بلغ خمس عشرة سنة فممن أجازه عبد الله بن عمر بن
الخطاب رضى الله عنهما وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والبراء بن عازب رضى الله
عنهم وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن وكان لواء المهاجرين
بيد زيد بن حارثة ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة رضى الله عنهما

ولما فرغ منه صلى الله عليه وسلم أقبلت قريش ومن معها من بنى قريظة وقبائل العرب
المشركين واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمشركون بضعا وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب الا الرمى بالنبل والحصار وكان جماعة
من المنافقين مثل أوس القبطى وامثاله يستترون خلف الاسلام ويقولون ارجعوا
الى منازلكم واعلموا ان منازلكم عورة خالية عن المحافظة فانها خارج المدينة ونحن
نخاف ان يظفر بها جيش العدو كما أخبر به قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم يا أهل
يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى
بعورة ان يريدون الا فرارا وكان المشركون يداومون الحرب لكن الله تعالى لم يمكنهم
من وراء الخندق فان شجعان الصحابة كانوا يمنعونهم بالنبال والاحجار وكان النبى صلى الله
عليه وسلم بنفسه فى الليالى يحرس بعض مواضع

ثم نصر الله نبيه على المشركين واختلفت كلمتهم وهبت ريح الصبا عاصفة فى ليال شديدة
البرد كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها فجعلت الريح تقطع أطناب خيامهم وتكفئ قدورهم وتلقيهم
على بعض امتعتهم ولا تبقى عسكرهم وتضرب عليهم التراب وترميهم بالحصا ففزعوا وا
خائفين وكان نصره صلى الله عليه وسلم بالصبا وكان اهلاك عاد بالدبور وهى الريح
الغربية ووقع بينهم الاختلاف فرحلت قريش مع أبى سفيان ورحلت غطفان وهم
يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الآن
نغزوهم ولا يغزونا وكان كذلك حتى فتح مكة

وظهرت

وظهرت للنبي صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق معجزات منها أن كدية (أي صخرة) اشتدت عليهم فدعا بماء وتفل فيه ونضحه عليها فانهالت تحت المساحي وروى البيهقي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون ظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء وأخذ المعول منه فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها (أي المدينة) فكأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب أي في بياضها وصغرها وانضمام بعضها إلى بعض والأنياب جمع ناب والحيرة كل أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت من الحر ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها أي الأراضي التي أضاءت فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب أي المدينة قصور الحيرة وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق أي الخوف ونزل قوله تعالى وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا

ومنها أن بنت بشير بن سعد أتت بقليل تمر إلى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة فمرت برسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاها وقال هات ما معك يا بنية فصبته في كفه فما ملأها ثم دعا بثوب فبسط له وبدد ذلك التمر عليه ثم قال لإنسان اصرخ في أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب ومنها ما رواه جابر قال كانت عندي شويهة غير جد سمينة فأمرت امرأتي أن تخبز قرص شعير وأن تشوي تلك الشاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا نعمل في الخندق نهارا وننصرف إذا أمسينا فلما انصرفنا من الخندق قلت يا رسول الله صنعت لك شويهة ومعها شيء من خبز الشعير وأنا أحب أن تنصرف إلى منزلي فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يصرخ في الناس معه إلى بيت جابر وأقبل رسول الله والناس معه فقدم له ذلك فبرك وسمى الله ثم أكل وتواردها الناس كلما صدر قوم جاء قوم حتى صدر أهل الخندق عنها

وقال سلمان الفارسي كنت قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أعمل في الخندق فغلظ علي الموضع الذي كنت أعمل فيه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة المكان أخذ المعول وضرب بيده ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب أخرى فلمعت برقة أخرى ثم ضرب أخرى فلمعت برقة أخرى قال قلت بأبي أنت وأمي ما هذا الذي لمع تحت المعول فقال أرأيت ذلك يا سلمان فقلت نعم فقال أما الاولى فان الله فتح بها علي اليمن وأما الثانية فان الله فتح بها علي الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح بها علي المشرق وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل الخندق وأقبلت قريش في أحابيشها أي حلفائها ومن تبعها من كنانة في عشرة آلاف وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد وكان بنو قريظة وكبيرهم كعب بن أسد قد عاهدوه صلى الله عليه وسلم فما زال عليهم أصحابهم من اليهود حتى نقضوا العهد وصار واقع الأحزاب وعظم الخطب حتى ظن المؤمنون كل الظن كما في نجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى قضاء الحاجة كما قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وقال ابن عباس كان الذين جاؤهم من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان انتهى والمراد من فوقهم من جهة المدينة ومن أسفل منهم من جانب أسفل الوادي

وأقام المشركون بضعا وعشرين ليلة ورسول الله مقابل لهم وليس بينهم قتال غير الرماية بالنبل والحصار كما تقدم ثم خرج عمرو بن عبد ود من ولد لوي بن غالب يريد المبارزة فبرز اليه علي رضي الله عنه فقال عمرو يا ابن أخي والله ما أحب أن أقتلك فقال علي لكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو ونزل عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبا ثم التقيا فاستقبله علي بدرقته فضربه فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع النبي صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا قتله وانكشفت الغبرة واذا علي على صدره يذبحه ثم أقبل الله رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه ولم يكن في العرب درع عمرو وعمر حتى سلبه ولم تكن منهزمة وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو وخرج في إثرهم الزبير وعمر واو سومهم ساعة وحمل الزبير

على رجل منهم فشقه نصفين وقطع سرجه حتى وصل الى كاهل الفرس فقيل له ما رأينا مثل سيفك فقال ما هو السيف انه الساعد ثم اتفق الكفار على ان يحملوا جميعا ولا يتخلف منهم أحد فوافوا رسول الله عند طلوع الشمس وأخذوا بالخندق من كل وجه ووجهوا نحو خيمته كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد فقاتلهم يومئذ الى هوى الليل حتى كفهم الله وتفرقوا وشغل المصطفى عن العصرين والعشاءين فأقام لكل اقامة وقال شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله قلوبهم نارا ولم تكن لهم بعد ذلك قتال جمعا وفرق الاحزاب تخذيل نعيم بن مسعود الاشجعي الذي أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما ولم يعلم قومه وأمره صلى الله عليه وسلم بالتخذيل حيث قال له خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة (بفتح الخاء وسكون الدال أي ينقضي أمرها بالخدعة) وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق يمدح قومه ويعتذر من الهزيمة

ومشفقة تظن بنا الظنونا * وقد قدنا عرندسة طحونا
كأن زهاءها أحد اذا ما * بدت أركانه للناظرينا
ترى الابدان فيها مسبغات * على الابطال واليلب الحصينا
وجردا كالقداح مسومات * نؤم بها الغواة الخاطئينا
كأنهم اذا صالوا وصلنا * بباب الخندقين مصافحونا
أناس لا نرى فيهم رشيدا * وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهم شهرا كريتا * وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدو كل يوم * عليهم في السلاح مدججينا
بأيدينا صوارم مرهفات * نقد بها المفارق والشئونا
كأن وميضهن معريات * اذا لاحت بأيدي مصلتينا
وميض عقيقة لمعت بليل * ترى فيها العقائق مستبينا
فلولا خندق كانوا لديه * لدمرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا * به من خوفنا متعوذينا
فان نرحل فانا قد تركنا * لدى أبياتكم سعدا رهينا
اذا جن الظلام سمعت نوحى * على سعد يرجعن الحنينا
وسوف نزوركم عما قريب * كما زرناكم متوازرينا

يجمع من كنانة غير عزل * كأسد الغاب قد حمت العرينا

فأجابه كعب بن مالك رضي الله عنه فقال

وسائلة تسائل ما لقينا * ولو شهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عدلا * على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبي وزير صدق * به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشرا ظلموا وعقوا * وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعاجلهم إذا نهضوا إلينا * بضرب يعجل المتسرعينا
ترانا في فضافض سابغات * كغدران الملا متسربلينا
وفي أيماننا بيض خفاف * بها نشفي مراح الشاغبينا
بباب الخندقين كأن أسدا * شوابكهن يحمين العرينا
فوارسنا إذا بكروا وراحوا * على الأعداء شوسا معلمينا
لننصر أحمدا والله حتى * نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا * وأحزاب أتوا متحزبينا
بأن الله ليس له شريك * وأن الله مولى المؤمنينا
فإما تقتلوا سعدا سفاها * فإن الله خير القادرينا
سيدخله جنانا طيبات * تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريدا * بغيظكم خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيرا * وكدتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبت عليكم * فكنتم تحتها متكمهينا

قوله عدلا هو بكسر العين أي معادلا اه

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة حم حم لا ينصرون كذا في سيرة ابن هشام

(وفي سلخ ذي القعدة وصدر ذي الحجة من هذه السنة كانت غزوة بني قريظة)

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس وسيد الأوس حينئذ سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه لما رجع صلى الله عليه وسلم من الخندق وكان وقت الظهيرة ودخل بيت عائشة رضي الله عنها فبينما هو يغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتاه جبريل عليهما السلام

بغلة

بعد صلاة الظهر فقال أوقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم فقال جبريل ما وضعت ملائكة الله السلاح منذ نزل بك العدو إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون فقال صلى الله عليه وسلم إن في أصحابي جهدا فلو أنظرتهم أياما فقال جبريل عليه السلام انهض إليهم فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا وكان جبريل على فرس أبلق فقال ولأدعن فرسي هذا عليهم في حصونهم ثم لأضعضعنها فأدبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم وهم طائفة من الأنصار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وأعطى الراية علي بن أبي طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ونادى مناد بأمره صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي ثم سار إليهم صلى الله عليه وسلم وقد لبس سلاحه وركب فرسه والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة وقدم صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه برايته إلى بني قريظة ومر صلى الله عليه وسلم بنفر من بني النجار قد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على فرس أبيض عليه اللأمة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث إلى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحصن ومعه نفر من المهاجرين والأنصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حق النبي صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى علي رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أسلم اللواء لأبي قتادة الأنصاري ورجع إليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال لعلك سمعت منهم أذى فقال نعم يا رسول الله قال لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل دون ذلك وكان طعام الصحابة رضي الله عنهم التمر يرسل به إليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه ولا زال يحاصرهم حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فلما أيقنوا أنه صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال لهم كعب بن أسد يا

يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وأنا عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هي قال
نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه
في كتابكم فإذا آمنتم به أمنتم على أموالكم ودمائكم ونسائكم وأبنائكم وما منعنا من
الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يكن هذا النبي من بني إسرائيل وكان يهود
بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم وأن دار هجرته المدينة
بل كان هذا غير خاص ببني قريظة إذ غيرهم كان كذلك فقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال كانت يهود بني قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون في
كتبهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة قال كعب فإن
أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين
السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا
نسلا نخشى عليه وإن نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين
فما خير العيش بعدهم قال كعب فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى
أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة (أي غفلة)
فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا وقال لهم عمرو بن سعد
إن خالفتم محمدا فيما خالفتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فإن أبيتم أن تدخلوا معه
فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فوالله ما أدري أيقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب
بخراج في رقابنا يأخذونه القتل خير من ذلك قال فإني بريء منكم
و بعد الحصار أرسلوا نباش بن قيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على
ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة أي الدرع فأبى صلى الله
عليه وسلم فأرسلوه ثانيا أنه لا حاجة لهم بشيء من الأموال لا من الحلقة ولا من غيرها
فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعاد نباش إليهم بذلك ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث
إلينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا لأنه كان من حلفاء الأوس
و سود ر بطن من الأوس وكان مناصحا لهم لأن ماله وولده وعياله كانت في
قريظة فأرسله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وأسرع إليه
النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وبسبب ما لهم وقام كعب بن أسد
فقال لأبي لبابة قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق
حصنا

فصنعنا حتى نزل على حكمكم ولو زال عنا لحقنا بالشام أو بمصر ولم نطأ له أرضا ولم يكثر علينا جمعا أبدا ما ترى فإنا اخترناك على غيرك أننزل على حكم محمد قال نعم فانزلوا وأشار بيده إلى حلقه إشارة إلى الذبح ومعناه لا تفعلوا لأنه يذبحكم قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني خنت الله ورسوله لأن في قولي تنفيرا لهم من الانقياد لحكمه صلى الله عليه وسلم وفيه أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية وقيل نزل فيه أولا ثم إنه نزل في ذلك وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا الآية وسالت عين أبي لبابة بالدموع وانطلق على وجهه فلم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وربط نفسه إلى عمود بالمسجد قيل له اسطوانة التوبة كان أكثر نفله صلى الله عليه وسلم عنده وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ أرض بني قريظة أبدا ولا يرى في بلد خان الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال أما لو جاءني لاستغفرت له وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه فنزلت توبته وتولى النبي صلى الله عليه وسلم إطلاقه بيده بعد أن أقام مربوطا بالجذع ست ليال لا يحل إلا للصلاة

ثم إن بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية من السبعمائة والستمائة وأخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثبت الأوس وقالوا يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت تعني بني قينقاع لأنهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول وكانوا قد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول فوهبهم له على أن يفعل طلبت الأوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع لإخوانهم بني الخزرج فلما كلمته الأوس أبى أن يفعل ببني قريظة ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا فذاك سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن لسعد بن معاذ وليس إذنه صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ في ذلك لكونه لا يجوز له صلى الله عليه وسلم الحكم فيه وفي نظائره بل هو جائز له فإن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يحكم لنفسه ولولده فأن يحكم فيه وفي نظائره من باب أولى ومعنى الحكم فيه هو

عبارته أن يقول للمحاربين أترك ما لك على الزمام كذا وكذا أو على ما أنت عليه ورأى فلانه وجه كم به فعلت ومن هذا الفعل تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فالتحكيم في المحاربين من خصائص الامام الاعظم ومن حقوقه فلا يجوز لأحد أن يفتات عليه ولا أن يفعله بغير اذنه فالحكم في الحقيقة منه صلى الله عليه وسلم وقد رده الى سعد وفوض له فيه وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه حين أصابته السهم بالخندق وضع في خيمة في المسجد يداوى فيها الجرحى من الصحابة فأتاه قوم فحملوه على حمار وساروا به وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فقد رأيت عبد الله بن أبي ابن سلول وما صنع في حلفائه كل ذلك وسعد بن معاذ ساكت فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فأتى سعد على حمار فلما دنا من باب المسجد وانتهى رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جالسون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا الى سيدكم فقاموا فقام كل رجل منهم حتى جاء سعد حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احكم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم فقال سعد لبني قريظة أترضون بحكمي قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به سعد قال سعد فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات وما أحسن قول من قال

إن دهري حاكم لي * في عدوي أي غبطه

وهو قد يحكم يوما * حكم سعد في قريظه

وأخرج أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطع أكحله فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فنزفه فلما رأى ذلك قال اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد فأرسل اليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم ليستعين بهم المسلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت حكم الله فيهم فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات رضي الله عنه [illegible] وينسب لحسان بن ثابت في رثائه قوله

لقد سجمت من دمع عيني عبرة * وحق لعيني أن تفيض على سعد

ول

قتيل ثوى في معرك فجعت به * عيون ذوارى الدمع دامئة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة * مع الشهدا وفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودعتنا وتركتنا * وأمسيت في غبراء مظلمة اللحد
فأنت الذي يا سعد أبت بمشهد * كريم وأثواب المكارم والحمد
بحكمك في حيي قريظة بالذي * قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم * ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد
فإن كان ريب الدهر أمضاك في الألى * شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد
فنعم مصير الصادقين إذا دعوا * إلى الله يوما للوجاهة والقصد

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجمع ما وجد في حصونهم فقسمه صلى الله عليه وسلم فجعل للفارس لأنه أسهم سهما له وسهمين لفرسه وللراجل سهما وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارسا ووقع في سهم النبي صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانة بنت عمرو ابن خنافة من بني عمرو بن قريظة ويقال ريحانة بنت شمعون فلم تزل في ملكه حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالأسارى أن يكونوا في دار زيد بن أسامة رضي الله عنه والذرية في دار ابنة الحارث النجارية لأن تلك الدار كانت معدودة لنزول الوفود من العرب وأمر بالمتاع أن يحمل وترك المواشي هناك ترعى الشجر ثم غدا صلى الله عليه وسلم سائرا إلى المدينة ثم خرج إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق أي حفر بها حفائر ثم أمر بهم فكل من أنبت أي ... أرسالا تضرب أعناقهم ويلقون في تلك الخنادق ولم يقتل منهم امرأة واحدة وهي بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت طرحت على خلاد بن سويد بن الصامت رحى من فوق الحائط فاستشهد ... في هذه الغزوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له أجر شهيدين وقتلها به قصاصا لا لكونها كانت في المقاتلين ومما يستدل به الفقهاء في كتب الفقه في قتال المشركين على أن المرأة لا تقتل كما قاله الشافعي قول أبي الخطاب عمر بن دحية الغرسي الهروي

ان من أكبر الكبائر عندي * قتل بيضاء حرة عطبول
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

اليهودي ثم أتي بكعب بن أسد سيد بني قريظة فقال له كعب بعد أن عرض عليه الإسلام لولا أن تعايرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك فأمر صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه وكان المتولي لقتل بني قريظة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما ونسب لحسان بن ثابت قوله

لقد لقيت قريظة ما أساها * وما وجدت لذل من نصير
غداة أتاهم يهوي إليهم * رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى * بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشيء * دماؤهم عليهم كالغدير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم * كذاك يدان ذو العند الفجور
فأنذر مثلها نصحا قريشا * من الرحمن إن قبلت نذيري

وقوله

لقد لقيت قريظة ما أساها * وحل بحصنها ذل ذليل
وسعد كان أنذرهم بنصح * بأن إلهكم رب جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى * غزاهم في بلادهم الرسول
أحاط بحصنهم منا صفوف * له من حر وقعهم صليل

ولما انقضى شأن بني قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فكان كذلك ثم انفجر جرح سعد بن معاذ الذي في يده وسال الدم واحتضنه صلى الله عليه وسلم فجعلت الدماء تسيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبان سعد منه وحمل إلى منزله ولم يعلم صلى الله عليه وسلم بموته فأتى جبريل فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فرحا به فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا إلى سعد بن معاذ فوجده قد مات ولما دفن سعد رضي الله عنه وشيعه النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة والملائكة سبح صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه فقالوا يا رسول الله لم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه وسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك

ذلك فقال كان يعصر في الظهور من الدلو بعض التعصير ثم بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبايا بني قريظة إلى نجد أو الشام ليباع ويشترى بها سلاح

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق بين الأم وولدها في السبايا من بني قريظة
وقال لا يفرق بين أم وولدها حتى يبلغ فكانت أم الولد تباع من المشركين هي وولدها
وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته
يوم القيامة

وفي هذه السنة الرابعة في صفر قدم عليه صلى الله عليه وسلم قوم من عضل والقارة
(عضل بفتح المهملة والمعجمة بعدها لام بطن من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس
ابن مضر ينسبون إلى عضل بن الديش والقارة بالقاف وخفة الراء بطن من الهون أيضا
ينسبون إلى الديش المذكور وقال ابن دريد القارة أكمة سوداء فيها حجارة كأنهم نزلوا
عندها فسموا بها كذا في المواهب اللدنية) وطلبوا منه أن يبعث معهم من يفقههم
في الدين فبعث معهم ستة وهم عاصم بن أبي الأقلح وخبيب بن عدي ومرثد بن أبي مرثد
الغنوي وخالد بن البكير الليثي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وأمر عليهم مرثد بن
أبي مرثد فلما وصلوا إلى الرجيع ماء لهذيل على أربعة عشر ميلا من عسفان غدروا بهم
وقاتلوهم فقتل ثلاثة وأسر ثلاثة وهم زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فأخذوهم إلى
مكة فهرب عبد الله بن طارق في الطريق فقاتل إلى أن قتلوه بالحجارة فلما وصلوا إلى
مكة في ذي القعدة حبسوا كل واحد منهما حتى تخرج الأشهر الحرم ولما انسلخ الأشهر
الحرم أخرجوا خبيبا وزيدا من الحرم إلى التنعيم ليقتلوهما في الحل واجتمع خبيب
وزيد في الطريق فتواصوا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره وقال لهم خبيب
دعوني أصلي ركعتين فتركوه فصلى ركعتين وقال والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع
لزدت وقد نقل عن عقبة أنه صلاهما في موضع مسجد التنعيم وقال اللهم أحصهم
عددا واقتلهم بددا (يعني متفرقين) ولا تبق منهم أحدا فلم يحل الحول ومنهم أحد حي
ثم أنشأ خبيب يقول

فلست أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي * وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

والأوصال جمع وصل وهو العضو والشلو بكسر الشين المعجمة الجسد ويطلق على

الفصول لكن المراد بها هنا الجسد قال أبو هريرة كان خبيب أول من سن الركعتين عند القتل لكل مسلم قتل صبرا لانه فعلهما في حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله وقررهما واستحسن المسلمون فيه والصلاة خير ما ختم به عمل العبد وفي هذه السنة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بتعلم السريانية وسيأتي ذلك مفصلا في ترجمة النبي عليه الصلاة والسلام في الفصل الرابع من الباب السادس من الجزء الثاني من المقالة الخامسة

وفي هذه السنة الرابعة وقيل في الخامسة نزلت آية الحجاب والمراد بالآية الطائفة من القرآن نزل فيها الامر بالستر وهي قوله تعالى (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن (ولا تبرجن) قيل هو التكسر والتغنج وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال (تبرج الجاهلية الاولى) قيل ان الجاهلية الاولى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل هي زمن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدرع غير مخيط من الجانبين فيرى خلقها فيه وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم آخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى ولا يستلزم أخرى كقوله تعالى وانه أهلك عادا الاولى ولم يكن لها أخرى ونزل فيها أيضا قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس بن مالك رضي الله عنه كنت ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما نزل في مبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبي بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر ونزلت آية الحجاب

قال

قال أبو عثمان واسمه الجعد عن أنس قال فدخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى قوله والله لا يستحيي من الحق وهذا أدب من الله أدب به الثقلاء قال ابن عباس نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله يتأذى بهم فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلى قوله وإذا سألتموهن أي نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة فاسألوهن من وراء حجاب أي من وراء ستر بستركم عنهن فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة ونزل فيها أيضا قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين (أي يغطين) عليهن من جلابيبهن الآية والجلابيب جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هي كل ما تستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أي لا يتعرض لهن بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن وكان المنافقون يمشون في طرق المدينة يتعرضون للنساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فإن سكتت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل واحد تخرج الحرة والأمة في درع وخمار فشكوا ذلك لأزواجهن فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزل والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء بقوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك الآية قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقي القناع ولكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والأمة والقليل العقل مثل قولك يا خسيس

وفي هذه السنة توفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أسلمت وتوفيت مسلمة بالمدينة

(الفصل الخامس في حوادث السنة الخامسة وما فيها من الغزوات)

وقد بينا أن غزوة ذات الرقاع ولو ذكرت في حوادث سنة أربعة إلا أنه كما تقدم صحح بعضهم أنها كانت في سنة خمسة

(وفى هذه السنة كانت غزوة دومة الجندل)

بضم الدال المهملة وفتحها واوسا كنه مفتوحة فيها مضاف الى الجندل بفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة آخره لام بلد بين الحجاز والشام وهو أول غروات الشام على خمس مراحل من المدينة وعشرين من الكوفة وعلى من دمشق واثنى عشرة من مصر سميت بدومى بن اسماعيل كان نزلها وكانت بعد غزوة ذات الرقاع بشهرين وأربعة أيام سابقة على ما صحح الا ووى من أن ذات الرقاع كانت فى سنة خمسة وصاحب دومة الجندل يسمى أكيدر ويقال ان هرقل أكيدر كان أولا فى دومة الحيرة وكان يزور أخواله من كلب فخرج معهم للصيد فرفعت له مدينة متهدمة لم يبق الا حيطانها مبنية بالجندل فأعاد بناءها وغرس الزيتون وغيره فيها وسموها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة وكان أكيدر يتردد بينهما وزعم بعضهم ان تحكيم الحكمين بين على ومعاوية كان بدومة الجندل

وسببها انه صلى الله عليه وسلم لغه ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وانهم يريدون ان يدنوا من المدينة فندب الناس واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة بضم العين المهملة الغفارى وخرج لخمس ليال بقين من ربيع الاول فى ألف يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل من بنى عذرة يقال له مذكور رضى الله عنه فلما دنا منهم جاء الخبر فتفرقوا فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يلق بها أحدا وبعث السرايا فرجعت ولم تلق منهم أحدا ورجعت كل سرية بالابل وأخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هربوا حيث سمعوا انك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فأسلم ورجع صلى الله عليه وسلم المدينة ولم يلق حربا

وفى رجوعه وادع أى صالح عيينة بن حصن واسمه حذيفة الفزارى ان يرعى بمحل بينه وبين المدينة ميلا لان أرضه كانت أجدبت وللناس عامرة وحشه واسه لى الى أرضه غرا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة وقيل له عيينة لانه أصابته لقوة فجحظت عيناه فسمى عيينة وعيينة هذا أسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف وكان من المؤلفة ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن وأساء الادب فصبر النبى صلى الله عليه وسلم على جفوته وقال عنه صلى الله عليه وسلم ان شر الناس من

ترك

حتى تركه الناس اتقاء فحشه وقيل ان ذلك انما قيل في مخرمة بن نوفل ولا مانع من تعدد ذلك وقد ارتد عيينة بعد ذلك في زمن الصديق رضي الله عنه فإنه لحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وآمن به فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرسل به الى الصديق في وثاق فلما دخل المدينة صار أولاد المدينة ينخسونه بالجريد ويضربونه ويقولون أي عدو الله كفرت بالله بعد ايمانك فيقول والله ما كنت آمنت فعفا عنه الصديق فأسلم ولم يزل مظهرا للاسلام * وفي غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ماتت أم سعد بن عبادة عمرة بنت مسعود من المبايعات وكان ابنها رضي الله عنه معه صلى الله عليه وسلم

ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبرها وذلك بعد شهر وقال له سعد يا رسول الله أتصدق عنها قال نعم قال أي الصدقة أفضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد رضي الله عنها

(وفي هذه السنة غزوة بني لحيان بن هذيل بن مدركة)

بكسر اللام وفتحها وهم من هذيل لما قتلت وعضل عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وغيرهما من الصحابة الذين قتلهم هذيل وجد النبي صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا على أصحابه الذين قتلوا بالرجيع وأراد أن يغزوهم فأمر أصحابه بالتهيؤ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بني قريظة فقصد بني لحيان يطالب بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي أهل الرجيع وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل فسلك على طريق الشام أولا ليصيب من القوم غرة وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا ثم أخذ ذات اليسار الى صخيرات الثمام ثم خرج الى طريق مكة وأخذ السير حتى نزل غران (بضم المعجمة وفتح الراء وهي منازل بني لحيان وهو واد بين أمج وعسفان وبينه وبين عسفان خمسة أميال) حيث كان مصاب أصحاب الرجيع واستغفر لهم وأقام هناك يوما أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية فوجد بني لحيان قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال وفاتته الغرة فيهم فخرج في مائتي راكب الى المدينة ولم يلق كيدا وكانت غيبته عن المدينة أربع عشرة ليلة قال جابر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجه الى المدينة يقول آيبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر (أي مشقته)

وكما انه الملب (أي حزن المنقلب) وسوء المنظر في الاهل والمال ومنها وقع تمر وما العابة المعروفة بغزوة ذي قرد واستعمل في غزوة بني لحيان على المدينة ابن أم مكتوم وبعض أهل السير جعل غزوة بني لحيان في شهر ربيع الاول سنة ست والصحيح انها كانت في جمادي الاولى من السنة الخامسة على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة * وفي هذه السنة لما رجع صلى الله عليه وسلم من بني لحيان وقع على الابواء وزار قبر أمه ومنها فك رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه عن الرق وكان اسلامه في السنة الاولى من الهجرة ومنها انكسف القمر في جمادي الآخرة فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخسوف حتى انجلى القمر

(الفصل السادس في ظواهر السنة السادسة وما فيها من الغزوات)

(وفي هذه السنة كانت غزوة الغابة وتعرف بذي قرد)

والغابة الشجر الملتف وذي قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وقيل بضم القاف وفتح الثاني موضع على ميلين من المدينة على طريق خيبر كانت هذه الغزوة في السنة السادسة من الهجرة بعد غزوة بني لحيان وقال البخاري كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وفي مسلم نحوه ولكن اجماع أهل السير على خلافهما وهي الغزوة التي أغار فيها عيينة بن حصن في خيل من غطفان وفزارة على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة قبل خيبر وكانت اللقاح عشرين لقحة واللقحة ذات اللبن القريبة من الولادة وكان أول من علم بهم سلمة بن الاكوع الاسلمي رضي الله تعالى عنه فانه غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس لطلحة يقوده ولقي غلاما لعبد الرحمن بن عوف فأخبره أن عيينة بن حصن قد أغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعين فارسا من غطفان فخرج سلمة في أثر القوم كالسبع وكان يسبق الفرس عدوا حتى لحق بهم فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا رمى خذها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع (أي يوم هلاك اللئام) فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا وكان اذا دخلت الخيل في بعض مضايق الجبل علاه سلمة بالنبل ويرميهم بالحجارة حتى خرجوا وخلفوا بها عبادة كثيرة من الرماح والبرد

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع صرخ بالمدينة الفزع الفزع يا خيل الله اركبي وكان ينادي صلى الله عليه وسلم بذلك كما نادى في غزوة بني قريظة

رأول من انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن الاسود رضي الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم له لواء في رمحه ثم قال له اخرج في طلب القوم ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد رضي الله عنهما ثم تلاحقت به الفرسان وأمر عليهم سعد بن زيد وكان شعارهم (أي علامتهم التي يعرفون بها في ظلمة الليل أو عند الاختلاط) يا منصور أمت تفاؤلا بأن يحصل لهم النصر بقتلهم عدوهم واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم

وأقبل صلى الله عليه وسلم في المسلمين حتى نزل بالجبل من ذي قرد وتلاحق به الناس وكان ابن الاكوع قد استنقذ من غطفان أحد عشر من اللقاح فنحر بلال رضي الله عنه ناقة منها وقسم صلى الله عليه وسلم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونه وكانوا خمسمائة وبعث سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه بأحمال تمر وبعشر جزائر فوافت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد فقال اللهم ارحم سعدا وآل سعد نعم المرء سعد بن عبادة فقالت الانصار هو سيدنا وابن سيدنا من بيت يطعمون في المحل ويحملون الكل ويحمون عن العشيرة فقال صلى الله عليه وسلم خيار الناس في الاسلام خيارهم في الجاهلية اذا فقهوا في الدين ورجع صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء وهي القصوى وهي الجدعاء ولم يكن بها عضب ولا جدع مردفا خلفه ابن الاكوع رضي الله عنه وأعطى صلى الله عليه وسلم سلمة بن الاكوع سهم الراجل والفارس جميعا لكونه راجلا وهذا استدل به من يقول ان للامام ان يفاضل في الغنيمة وهو مذهب الامام أبي حنيفة واحدى الروايتين عن أحمد وعند الامام مالك والامام الشافعي رضي الله عنهما الاخرى ولعله لعدم صحة ذلك عندهما

وروى عن سلمة قال قلت يا رسول الله انتخب مني فوارس لأدرك القوم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ضحك اذا ملكت فأسجح (بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة أي فارفق وأحسن من السجاحة وهي السهولة)

﴿وفي هذه السنة كانت غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع﴾

بضم الميم وفتح الراء مهملة مفتوحة فمثناة تحت ساكنة فسين مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة وآخره عين مهملة اسم ماء من مياههم والمصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة وجذيمة هو المصطلق وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحارث بن ضرار

سيد بني المصطلق وقائدهم رضي الله عنه فإنه أسلم قد جمع لحرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فدعاهم إلى حرب المصطلق فأجابوه وتهيئوا
للسير معه فسمع المصطلق بريدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين فعلم علم
ذلك ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى المصطفى فأخبره بذلك فأسرع
الخروج اليوم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع واستخلف على المدينة
زيد بن حارثة وكان معه من أفراسه لزاز والظرب ولما وصل إليهم عرض عليهم الإسلام
فأبوا وحاربوا فأصابهم قتلا وأسرا وغنما واستاق إبلهم وشاءهم وكانت الإبل
ألفين والشاء خمسة آلاف واستعمل عليهم مولاه شقران بضم الشين المعجمة وكان
حبشيا واسمه صالح وكان السبي مائتي أهل بيت

وفي هذه الغزوة كانت قصة الإفك عائشة رضي الله عنها وهي مشهورة في كتب السير
والتفاسير وقد روي عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أقبل من سفره حتى إذا كان قريبا من المدينة وكان معه عائشة رضي الله تعالى عنها
في سفره ذلك فقال فيها أهل الإفك ما قالوا وقد برأ الله عائشة أم المؤمنين في كتابه الكريم
في عدة آيات أولها إن الذين جاؤوا بالإفك إلى قوله أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة
ورزق كريم قال أبو الفرج ابن الجوزي كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج أول
نسائه خديجة ثم عائشة ثم حفصة ثم أم سلمة ثم أم حبيبة ثم زينب بنت جحش ثم
جويرية ثم صفية ثم ميمونة فلما كان في واقعة القصة يحتاج إلى مراعاة الوقت
وخاطره الكريم صلى الله عليه وسلم لا يحتمل جفاء الصحف بقوله تعالى ترجي من تشاء
منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ولم يكن في بيته
صلى الله عليه وسلم آثر من عائشة رضي الله عنها ولا أعلى منزلة منها [illegible]
عائشة بعد خديجة بدون فاصل هو أحد أقوال فإن بعضهم يقول إنه تزوج سودة بنت
زمعة رضي الله عنها ودخل بها في مكة وعقد عقده بعائشة رضي الله عنها بمكة ولم
يدخل بها إلا في المدينة فذا القائل بأنها بعد خديجة في العقد لا في الدخول وجملة
من فضل عائشة رضي الله عنها ومن أعظمها أنه قد أنزل الله القرآن الحكيم ببراءتها
وبرأها الله [illegible] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الصحابة في ذلك فقال
علي [illegible] وقال عمر من زوجكها يا رسول الله قال الله قال أفتظن

ان

تبرئتك وليس علمك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية كذلك وأما أهل الإفك وهم مسطح بن عباد بن عبد المطلب وحسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ابن سلول فجلدهم صلى الله عليه وسلم ثمانين ثمانين إلا عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين فلم يجلده.

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ أن قوما أنكروا أن يكون حسان خاض في الإفك أو جلد فيه وروي عن عائشة أنها برأته من ذلك وكان عبد الله ابن أبي بن سلول هو المقصود بمن تولى كبره فله عذاب عظيم في الآخرة وهو أشد أهل الإفك إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر قال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي (يعني عبد الله بن أبي ابن سلول) فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا (أي صفوان بن المعطل صاحب الإفك) ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام أسيد بن حضير (وهو ابن عم سعد بن معاذ) فقال أعذرك يا رسول الله منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا بني الخزرج أمرتنا ففعلنا فقام سعد بن عبادة (وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن أخذته الحمية) فقال لأسيد بن حضير كذبت والله لا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وقال كذبت لعمر الله لنقتلنه وإنك لمنافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا فالمراجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت بين أسيد ابن حضير وسعد بن عبادة سيد الخزرج كما ذكره ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله وغيره وأما ما قيل من أن المراجعة في ذلك كانت بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فهو وهم نبه عليه ابن خلدون في السير وقد استدل على ذلك أن سعد بن معاذ مات بعد فتح بني قريظة بلا شك في أثناء السنة الرابعة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهرا من موت سعد بن معاذ والملاحاة بين الرجلين أي المراجعة والمخاصمة كانت بعد غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين يوما انتهى

وفي هذه الغزوة قتل رجل من الأنصار رجلا من المسلمين خطأ ظنه كافرا والمقتول هشام من بني ليث بن بكر وكان أخوه مقيس بمكة فقدم المدينة وأظهر الإسلام طالبا دية أخيه فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وأقام قليلا ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدا ومن قوله

حلت به وبرى وأدركت بوترى * وكنت إلى الأوثان أول راجع

وهو من أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة

وفي هذه الغزوة أيضا ازدحم جهجاه الغفاري أجير عمر رضي الله عنه وسنان الجهني حليف الأنصار على الماء وحصل بينهما قتال فصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وصرخ الجهني يا معشر الأنصار فغضب عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم فقال ابن أبي ابن سلول أوقد فعلوها قد كاثرونا في بلادنا أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لمن حضره من قومه هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم على أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا عنكم فأخبر زيد بن أرقم بذلك الأذن الواعية وهو غلام حدث السن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وعنده عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله مر به عباد بن بشر فليقتله فقال صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ثم أمر بالرحيل في وقت لم يكن ليرحل فيه ليقطع ما الناس فيه فلقيه أسيد بن حضير فقال يا رسول الله رحت في ساعة منكرة لم تكن تروح فيها فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يرحل إلا إذا برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بلغك ما قال عبد الله بن أبي بن سلول فقال وماذا قال فأخبره به وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي فأتاه فقال أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فحلف عبد الله أنه لم يقل ذلك روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن أرقم لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فنزلت آية لئن رجعنا إلى المدينة تصديق زيد بن أرقم فبادر أبو بكر وعمر إلى زيد رضي الله تعالى عنهم ليبشراه فسبق أبو بكر فأقسم عمر أن لا يبادره بعدها إلى شيء وقال أخذ بأذنه والله يخرجه أن يبتدئه العزيز وهو والد الذي لعن عبد الله بن أبي ابن سلول وكان حسن الإسلام واسمه أيضا عبد الله وكان بارا بأبيه فلما دنا رسول الله من المدينة قال لأبيه فاعترض أباه عند المدينة وقال والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له فدخل وقال يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي عبد الله فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي

عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأعلمه وأظل مؤمنا بكافر وأدخل النار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا

وكانت في جملة السبي برة بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق ووقعت في سهم ثابت
ابن قيس وابن عم له فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة في حصته من برة وكاتبها على
تسع أواق من ذهب فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم وأخبرته بإسلامها وقالت له أنا
برة بنت الحارث سيد قومه أصابني من الأمر ما قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس
وابن عم له وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على مال لا طاقة لي به
وإني رجوتك فأعني في مكاتبتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير لك من ذلك
قالت ما هو قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم يا رسول الله فأرسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى ثابت بن قيس رضي الله عنه فطلبها منه فقال ثابت هي لك
يا رسول الله وأدى ما كان من كتابتها وأعتقها وتزوجها وهي ابنة عشرين سنة وسماها
جويرية وكان اسمها برة كما تقدم وكذلك ميمونة وزينب بنت جحش كان اسم كل منهما
برة فغيره صلى الله عليه وسلم وكذا كان اسم بنت أم سلمة برة فسماها زينب وكانت بنت
أبي سلمة ربيبته وإنما كره ذلك لما فيه من تزكية النفس

وذكر أن عليا كرم الله وجهه هو الذي أسرها ولا مانع من أن يكون علي رضي الله عنه
أسرها ثم وقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عمه رضي الله عنهما عند القسمة لأنه لم يثبت
في هذه الغزوة أنه صلى الله عليه وسلم جعل الأسرى لمن أسرهم كما وقع في غزوة بدر
وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت جويرية امرأة حلوة مليحة فجاءت تسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابتها فلما قامت على باب الحجرة كرهت دخولها على
النبي صلى الله عليه وسلم (وإنما كرهت ذلك لما علمته فيها من الغيرة)
وعرفت أن رسول الله سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت يا رسول الله أنا جويرية
بنت الحارث وكان من أمري ما لا يخفى عليك ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس
وإني كاتبته على نفسي فجئت أسألك في كتابتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل
لك فيما هو خير من ذلك فقالت وما هو يا رسول الله قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك
قالت قد فعلت قالت فتسامع الناس (يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج
جويرية) فأرسلوا ما في أيديهم من السبي وأعتقوهم وقالوا أصهار رسول الله لا نبقي

أن تسترق قالت فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها وأعتق بسببها مائة
أهل بيت من بني المصطلق خرجه بهذا السياق أبو داود وعن جويرية رضي الله عنها
قالت لما أعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى
كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت
الله سبحانه وتعالى

وقد حدث يزيد بن رومان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق
بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط لأخذ صدقاتهم فلما سمعوا به ركبوا إليه فلما
سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم قد هموا
بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم فبينما هم على ذلك إذ قدم وفدهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه
ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أنا خرجنا إليه لنقاتله والله ما جئنا لذلك فأنزل الله فيه وفيهم يا أيها الذين آمنوا إن
جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا
أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم إلى آخر الآية وكان شعار المسلمين
يا منصور أمت

وفي هذه السنة كسفت الشمس وأما ما قيل من أن آية التيمم نزلت في غزاة بني المصطلق
فقد قال النووي في الروضة إن آية التيمم نزلت في سنة أربع

(وفي هذه السنة كانت غزوة الحديبية)

وتخفف وتشدد وهي بئر قرب مكة بينها وبين المدينة تسع مراحل سمي المكان
باسمها وقيل شجرة وقيل قرية قريبة من مكة على تسعة أميال من مكة وسبب هذه العمرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه
دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وأخذ مفتاح الكعبة بيده وطافوا واعتمروا وحلق
بعضهم وقصر بعضهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك
فأخبر أصحابه أنه معتمر فخرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست لا يريد حربا بالمهاجرين
والأنصار بألف وأربعمائة من أهل مكة ومن حولهم من عربه وساق معه الهدي وأحرم
بالعمرة

سار بعمرة من ذي الحليفة ولبى فاقتدى به جمهور الصحابة واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة المنورة ابن أم مكتوم وقيل أبا رهم كلثوم بن الحصين وقيل استخلف أبا رهم مع ابن أم مكتوم جميعا فكان ابن أم مكتوم على الصلاة وكان أبو رهم حافظا للمدينة وسار حتى وصل الى ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة وأمر بالنزول فقالوا انزل على غير ماء ووقع من معجزاته صلى الله عليه وسلم نبع الماء في ذلك المكان حتى صدر الناس عنه وأصبحت قريش للقتال ثم أرسلوا لهم عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان قريشا لبسوا جلود النمور (أي أظهروا العداوة والحقد) وقد نزلوا بذي طوى وعاهدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة أبدا ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه وهذه عادة العرب أن الرجل يتناول لحية من يكلمه خصوصا عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي عنه من ذلك استمالة وتأليفا له وكان المغيرة بن شعبة قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر وكلما أهوى عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف ويقول كف يدك عن مس لحية رسول الله قبل أن لا تصل اليك فانه لا ينبغي لمشرك ذلك وانما فعل ذلك المغيرة رضي الله عنه اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر لما هو عادة العرب فلما أكثر ذلك غضب عروة وقال ويحك ما أفظك وما أغلظك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ثم قام عروة من عنده وهو يرى ما يصنع أصحابه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى قريش وقال لهم اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والله ما رأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه

وورد أيضا في حديث الحديبية أنه لما نزل صلى الله عليه وسلم على الركية جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من أهل تهامة فقال تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والعوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل ذوات الأطفال الصغار جمع مطفل أي أنهم حضروا مع [illegible] ويثبتوا بذلك ولا يرجعون حتى

الخروج أو العود المطافــل النساء معهن أطفالهن أي انهم خرجوا بنسائهم معهن
أولادهن لارادة طول المقام ليكون أدعى لعدم الفرار ولما قال بديل بن ورقاء لرسول
الله صلى الله عليه وسلم هم مقاتلوك وصادوك عن البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم
انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان
شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس
فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد
سالفتي (وهي أعلى العنق) أو لينفذن الله أمره فانطلق بديل فأبلغهم ما يقول ثم دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه الى أهل مكة
وأشراف قريش يعلمهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا ومعظما لهذا البيت فقال
يا رسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني
وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها
مني عثمان بن عفان [illegible] فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان
ابن عفان رضي الله عنه فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش ليعلمهم بذلك فخرج
عثمان بن عفان رضي الله عنه الى مكة ودخل [illegible] أنه أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] فلما [illegible] عثمان [illegible] ذلك
[illegible] يردون عليه ان محمدا [illegible] عثمان من [illegible] رسالة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان أحببت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت
لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسته قريش وأمسكوه وحبسوه
ثلاثة أيام

ولما حبس عثمان بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان رضي الله عنه قد قتل
[illegible] الذين دخلوا مكة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم
والمشركون [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ذلك
لا نبرح حتى نناجز القوم (اي نقاتلهم) ودعا النبي صلى الله عليه وسلم الى بيعة الرضوان
[illegible] على أن يقاتلوا [illegible] ولا يفروا [illegible] الشهادة ولم يتخلف أحد
[illegible] من [illegible] الناس وكان [illegible] (بكسر
[illegible]) [illegible] صلى الله [illegible] الحديث فيبس
[illegible] قال وأي [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
الكرمى

الجموح وكان صلى الله عليه وسلم جالسا تحت شجرة أو سمرة (وسمرة بفتح السين المهملة وضم الميم بعدها راء مفتوحة مهملة وآخرها هاء شجر الطلح) وكان عدد المبايعين ألفا وثلاثمائة وسميت هذه البيعة بيعة الرضوان لأن الله تعالى ذكر في سورة الفتح الذين صدرت عنهم هذه البيعة بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل فبايع عنه صلى الله عليه وسلم ووضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم إن هذه عن عثمان فإنه في حاجتك وحاجة رسولك وكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم

وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش أربعين أو خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يصيبوا منهم غرة أي غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة إلا مكرزا فإنه أفلت وأتى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وأسر المسلمون منهم اثني عشر رجلا وعند ذلك بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة فيهم سهيل بن عمرو فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه سهل أمركم فقال سهيل يا محمد إن الذي كان من حبس أصحابك عثمان والعشرة رجال وما كان من قتال من قاتلك فإنه لم يكن من رأي ذوي رأينا بل كنا كارهين له حين بلغنا وكان من سفهائنا فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي فقالوا نفعل فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بذلك فبعثوا بمن كان عندهم وهو عثمان رضي الله عنه والعشرة رجال رضي الله عنهم وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابهم [illegible]

ولما علمت قريش [illegible] بعثوا [illegible] أهل الرأي بالصلح على أن يرجع [illegible] من قابل فيقيم [illegible] لا تتحدث العرب [illegible] عنوة [illegible] سهيل بن عمرو وبا [illegible] ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] أن يرجع عنا عامه [illegible] لئلا تتحدث العرب بأنه دخل عنوة [illegible] فلما [illegible] سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] كلام فقال [illegible]

وسلم قال له تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة (بالضم أي بالشدة والإكراه) ولكن ذلك من العام المقبل ثم التأم الأمر بينهما على الصلح على ترك القتال إلى آخر ما أتى ولم يبق إلا الكتاب بذلك وعند ذلك وثب عمر حتى أتى أبا بكر فقال أليس برسول الله قال بلى قال ألسنا بالمسلمين وهم بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية (بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء الخصلة المذمومة) في ديننا فقال يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله قال وأنا ثم أتى رسول الله فقال له ذلك فقال أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فقال سهيل هات اكتب بيننا وبينكم كتاب صلح فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا أعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة اكتب باسمك اللهم فقال المسلمون لا نكتب إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم فكتب ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لرسول الله وإن كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله اكتب محمد بن عبد الله

وفي رواية كان الكاتب علي بن أبي طالب وكان قد كتب محمد رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي امح رسول الله واكتب محمد بن عبد الله فقال علي لا والله لا أمحوك أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأرنيه فأراه إياه فأخذ الكتاب بيده الكريمة ومحا رسول الله وكتب محمد بن عبد الله وكان هذا معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن يكتب قبل ذلك ولم يكن يكتب أو لم يوجد منه صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك بعدما كتب في كتاب الصلح محمد بن عبد الله فقال يا علي ستكون لك يوم مثل هذه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه وإن كان مسلما ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك وأقمت فيها ثلاثا

معه سلاح الراكب السيوف في القرب لا يدخلها بغيرها وأشهدوا على ذلك الكتاب على الصلح رجالا من المسلمين أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وهو كاتب الصحيفة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سهيل بن عمرو ورجالا من قريش حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص

ولما بلغ هذا الشرط أن من أتى محمدا من قريش رده إليهم وإن كان مسلما ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه تعجب المسلمون من هذا الشرط فقالوا سبحان الله كيف يرد من أتانا مسلما وقالوا يا رسول الله أتكتب هذا قال نعم إنه من ذهب إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ثم كتب الكتاب بنسختين فوضعت إحداهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ الأخرى سهيل بن عمرو ولما فرغ من كتابة الصحيفة وثب من كان هناك من خزاعة فقالوا نحن ندخل في عهد محمد وعقده وقال بنو بكر نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم أن هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الإسلام وأن الله يجعل فيه فرجا للمسلمين وهو أعلم بما علمه ربه وإن كان أمر هذا الصلح قد عظم على المسلمين حتى كادوا يهلكون لما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع من غير فتح وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا من المدينة لا يشكون في فتح مكة للرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الشروط الصعبة انضم إليها أمره صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه في كتابة الصحيفة أن يمحو لفظ رسول الله ولم يمحه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم وكتب بدلها ابن عبد الله بيده وكان هذا من الخطب الجسيم الذي وقع الريب في القلوب الضعيفة حتى إن لا يفهم الأسرار في الأزمان الحديثة والحال أنها واردة وثابتة بالأحاديث الصحيحة جاء مع في الوهم من أن هذه الكتابة قادحة في المعجزة باطل لأن الكتابة إذا وقعت من غير معرفة بأوضاع الحروف ولا قوانين الخط وأشكالها بقيت الأمية على ما كانت عليه وكانت هذه الكتابة الخاصة من إحدى المعجزات وعلاماتها كما كان من المعجزات في كتابة شروط الصلح إخباره صلى الله عليه وسلم عليا أنه سيكون لك يوم مثل هذه الواقعة وهو إشارة منه صلى الله عليه وسلم لما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما لما تهما في حرب صفين ووقعت بينهما المصالحة على ترك القتال إلى رأس الحول ووقع ذلك وظهر يوم التحكيم لما قال حكم أهل الشام حين كتبه

هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لو نعلم أنك أمير المؤمنين ما خالفناك كما سيأتي في خلافته

وأما ما ورد من أنه رضي الله تعالى عنه في عام الحديبية وفي غزوة بني المصطلق قاتل الجن وإن جبريل قال يوم غزوة أحد وقد صعد إلى السماء لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فهذا من الموضوع كما ذكره ابن تيمية أي إن هذا موضوع لم يرد من طريق يعتد به وإن كان المدح في علي لا يستنكر ثابته وذلك للإجماع على فضله وكرامته والمراد بالفتى الشجاع السيد وفي الحديث إن ملكا يقال له رضوان نادى يوم بدر من السماء لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى ابن الفتى يعني إبراهيم وأخو الفتى يريد عليا كرم الله وجهه انتهى وقد علمت ما في هذا الكلام وإن كان معناه لا يستنكر على علي رضي الله عنه

وأتى أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيده من مكة في أثناء الكتاب وكان قد أسلم فقال سهيل بن عمرو هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فرده صلى الله عليه وسلم إلى أبيه وعظم ذلك على المسلمين وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جندل أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا واصطلحنا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم

ولما تم الصلح وكتابه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحروا ويحلقوا فتوقفوا فغضب حتى شكا إلى زوجته أم سلمة فقالت يا رسول الله لا تلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ولكن اخرج وانحر واحلق فإنهم يتبعونك فخرج ونحر وحلق رأسه حمد د وكان الحالق له صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي رضي الله عنه فلما رأوا ذلك نحروا وحلقوا ففعلوا له وقسم لحوم الهدايا على الفقراء الذين حضروا الحديبية وبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة مع ناجية حتى نحرها عنه وقسموا لحومها على فقراء مكة قال ابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين وفي لفظ ثم قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين وفي لفظ أعادها ثلاثا قال والمقصرين قالوا لم ظاهرت (أي أظهرت) الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لأنهم لم يشكوا (أي لم يترددوا أن يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين

أي

أي لأن الظاهر من حالهم أنهم أمروا فيه بشيء وقصر من حاله أن يطلبوها فيدفعها إليهم بالبيت)

وكان صلح الحديبية فتحا عظيما فإن الناس أمن بعضهم بعضا ورضي من الله تعالى قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وعن جابر أنهم كانوا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعوه صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة غير الجد بن قيس اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية وقيل عدد الناس خمس عشرة مائة فأكثر وقيل غير ذلك قال أهل السير أقام النبي صلى الله عليه وسلم عشرين يوما بالحديبية ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وما فتح من قبله فتح أعظم من هذا الفتح فلما كانت المهادنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضا التقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام أحدا إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل ما كان فيه قبل ذلك وأكثر ببركة مهادنته صلى الله عليه وسلم ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى إذا كان بين مكة والمدينة كراع الغميم نزل إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى آخرها وسمى هذا الأمر كان بعده فتح كثرة تبع مهادنة الإسلام ولما نزلت قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنزلت علي سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس

ثم إن أبا بصير عتبة بن أسيد بن جارية هرب ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان قد أسلم وحبسه قومه بمكة وهو ثقفي من حلفاء بني زهرة فبعث أمية الأزهر بن عبد عوف وعمه عبد الرحمن بن عوف والأخنس بن شريق بن وهب الثقفي بن زهرة كتابا مع رجل من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم يطلبان أبا بصير فأسلمه النبي صلى الله عليه وسلم فاحتملاه فلما نزلوا ذي الحليفة أخذ أبو بصير السيف من أحد الرجلين ثم ضرب به العامري فقتله وفر الآخر وأتى أبو بصير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد وفت ذمتك رددتني إليهم وأنجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويله (أي ويل أمه) مسعر حرب لو كان له رجال فعقل أبو بصير من هذا القول أنه سيرده فخرج إلى سيف البحر على طريق قريش الذي كانوا يأخذونه إلى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال فخرجوا إلى أبي بصير حتى اجتمع عنده قريب من سبعين رجلا [illegible] أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذي رد إلى قريش بالحديبية [illegible] يوم الصلح [illegible]

هو وانفلت في سبعين راكبا كانوا أسلموا وهاجروا فلحقوا بأبي بصير ونزلوا معه وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة التي هي زمن الهدنة خوف أن يردهم إلى أهليهم بحكم الشروط واجتمع إلى أبي جندل ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير فقطعوا مادة قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ولا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها وقال في ذلك أبو جندل

أبلغ قريشا عن أبي جندل * أنا بذي المروة بالساحل
في معشر تخفق أيمانهم * بالبيض فيها والقنا الذابل
يأبون أن تبقى لهم رفقة * من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا * والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه * أو يقتل المرء ولا يأتلي

فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ويتضرعون إليه ويناشدونه بالله والرحم أن يرسل إلى أبي بصير وأبي جندل بن سهيل ومن معهم فيقدمون عليه وقالوا إنا أسقطنا هذا الواحد من الشروط فمن أتى محمدا منهم وأمسكوه في غير حرج وقالوا من خرج منا إليك فأمسكه في غير حرج فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح إقراره فلما كان ذلك من أمرهم علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنع أبا جندل من أبيه يوم الصلح والقضية أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير فيما أحبوا وفيما كرهوا وأن رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك أن مصالحته صلى الله عليه وسلم كانت أولى لأنها كانت سببا لكثرة المسلمين فإن المشركين لما أمنوا الناس اختلطوا بالمسلمين فعرفوا الإسلام فأسلم كثير منهم

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير أن يقدم عليه بالمدينة هو وأبو جندل الذي كان اجتمع به مع رفاقه ويأمر من معهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش فلما قدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بصير وكان قد أشرف على الموت وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس من أصحاب أبي جندل ورجع سائرهم إلى أهليهم وأمنت عيران قريش

وظاهر

وظاهر بعض الروايات يدل على ان قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة نزلت في قصة أبي بصير

ولم يزل أبو جندل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد ما أدرك من المشاهد بعد ذلك وشهد الفتح ورجع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم أبوه سهيل بن عمرو المدينة أول امارة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فمكث بها شهرا ثم خرج الى الشام مجاهدا وخرج معه ولده أبو جندل فلم يزالا مجاهدين حتى ماتا هنالك رضي الله تعالى عنهما

وهاجرت في مدة الصلح أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وجاء فيها أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه ان يردها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش بالحديبية فلم يفعل وقال أبى الله ذلك وأنزل الله تعالى على رسوله يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية وكان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة انها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت إلا لله ورسوله فكان في الآية بيان ان ذلك الرد في الرجال لا في النساء لان المسلمة لا تحل للكافر فلما تعذر ردهن لورود النهي عنه لزم ردّ مهورهن وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا ترجع المؤمنات الى الكفار لشرف الاسلام وان لا تكون كافرة في نكاح مسلم لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر فمنع الله من رد النساء وفسخ ذلك الشرط المكتتب وحرم الله حينئذ على المسلمين امساك الكوافر في عصمتهم فطلق الاصحاب كل امرأة مشركة في نكاحهم وطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين له مشركتين بمكة وعن ابن عباس نهى من كانت له امرأة بمكة فلا يعدها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وفي غزوة الخندق صار صلح مصر للروم حين غلبت الروم فارسا واخرجوهم من الشام

وفي هذه السنة ماتت أم رومان بنت عامر بن عويمر أم عائشة رضي الله عنها كانت أسلمت قديما وكانت أولا تحت عبد الله بن سخبرة فولدت له الطفيل وهو أخو عائشة لامها ثم مات عنها فتزوجها أبو بكر فولدت له عبد الرحمن وعائشة

وفي السنة السادسة فرض الحج على قول الجمهور وقيل كان قبل الهجرة حكاه امام الحرمين في النهاية وقيل غير ذلك

وفي هذه السنة نزل حكم الظهار وذلك ان أوس بن الصامت غضب على زوجته خولة بنت ثعلبة ذات يوم وقال لها أنت علي كظهر أمي وكان ذلك أول ظهار في الاسلام وكان الظهار طلاقا في الجاهلية ثم ندم على ما قال فأتت خولة النبي صلى الله عليه وسلم

تغسل رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة ذات مال وأهل فلما أكل مالي وذهب شبابي وتفرق أهلي ظاهر مني فقال صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فبكت وصاحت وقالت أشكو إلى الله فقري وفاقتي ووحدتي وصبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم ما أراك إلا حرمت عليه فجعلت ترفع صوتها باكية وتقول اللهم إني أشكو إليك فبينما هي على تلك الحالة إذ تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحي فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما الآيات فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن الصامت وتلا عليه الآيات المذكورة فقالت عائشة تبارك الله الذي وسع سمعه كل شيء إني كنت أسمع كلام خولة ويخفى علي بعضه وهي تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوس اعتق رقبة قال مالي بهذا قدرة قال فصم شهرين متتابعين قال إني إذا لم آكل في اليوم مرتين كل بصري قال فأطعم ستين مسكينا قال لا أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا وكانوا يرون أن عند أوس مثلها وذلك لستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع وهذا أول ظهار في الإسلام

وفي رمضان هذه السنة استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجدب الناس فمطروا فقال صلى الله عليه وسلم أصبح الناس مؤمن بالله وكافر بالكواكب قاله مغلطاي واستسقى في موضع المصلى وصلى صلاة الاستسقاء روي أنه قحط الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه المسلمون وقالوا يا رسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشي ويمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم وصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط إلى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة قبل أن يستسقي ثم قال اللهم اسقنا وأغثنا اسقنا غيثا مغيثا وحيا ربيعا وجدا طبقا غدقا مغدقا عاما هنيئا مريئا مريعا وابلا شاملا مسبلا مجللا دائما دررا نافعا غير ضار عاجلا

غير رائث غيثا اللهم تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر والباد اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدة ميتا واسقه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما برح حتى أقبل قزع من السحاب فالتأم بعضه إلى بعض ثم أمطرت سبعة أيام بلياليهن لا تقلع عن المدينة فأتاه المسلمون وقالوا يا رسول الله قد غرقت الأرض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله تعالى أن يصرفها عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه ثم قال حوالينا ولا علينا اللهم على رؤس الظراب ومنابت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام فتصدعت عن المدينة حتى كانت مثل الترس عليها كالفسطاط تمطر مراعيها ولا تمطر فيها قطرة وفي رواية لما صارت المدينة كالفسطاط ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله أبو طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا رسول الله كأنك أردت

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل

(الفصل السابع)

(في حوادث السنة السابعة وما فيها من الغزوات)

(وفي هذه السنة من الهجرة كانت غزوة خيبر في منتصف المحرم)

وخيبر مدينة بينها وبين المدينة ثمانية برد ذات حصون أعظمها يسمى القموص لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية مكث بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج إلى خيبر ودفع اللواء إلى علي وسار فلما أشرف قال لأصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا باسم الله ونزلوا على خيبر ليلا فلم تصح لهم تلك الليلة ديك وكان صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار فبات لم يسمع أذانا فلما أصبحوا خرجوا إلى أعمالهم بمساحيهم ومكاتلهم لعدم علمهم فلما رأوه صلى الله عليه وسلم فادوا وقالوا محمد والخميس (أي الجيش سمي به لأنه خمسة أقسام مقدمة و

يومئذ مؤمن ومؤمنة وفلت) فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر حرثت خيبر انا اذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وهذا استدل على ان ايراد آيات القرآن في
سبيل الاقتباس والاستشهاد لا بقصد التلاوة والقراءة جائز فيما عسى و يحمل لا في المدح
ولغو الحديث وبه قال النووي في شرح مسلم وفيما نحن بصدده نظائر كثيرة كما ورد في فتح مكة
انه صلى الله عليه وسلم جعل يطعن في الاصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان
الباطل كان زهوقا كما سيأتي وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال قال آمنت بالذي خلقك فسوّاك فعدلك
ومما يدل على ذلك ما اخرجه ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كتب
عبد أبي في وصيته وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن قحافة عهده
خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت
عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذلك ظني فيه ورجائي فيه وان يجر ويبدل فلا أعلم
الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وروى أن عثمان بن عفان يوم الدار
اشرف من داره على الناس وقد أحاطوا به فقال يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم
مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد يا قوم
لا تقتلوني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه فكل هذا كغيره مما يرد في حديث فتح مكة
يدل على جواز الاقتباس انتهى

وفرّق صلى الله عليه وسلم الرايات ولم تكن الرايات الا بعد خيبر وانما كانت الألوية
وكانت رايته يومئذ سوداء تسمى العقاب لتكون لون العقاب أسود ثم حاصرهم وضيق
عليهم وأخذ الاموال وفتح الحصون حصنا حصنا حتى انتهى الى حصنيهم الوطيح والسلالم
وكان آخر الحصون افتتاحا وكان حصارهم بضع عشرة ليلة وأخذت الغنائم من صفية
بنت كبيرهم حيي بن أخطب اصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه وتزوجها وجعل
عتقها صداقها وبهذا أخذ الامام أحمد رضي الله عنه فحكم مذهبه وهو من مفردات
مذهبه وقال غيره ان هذا من خواصه صلى الله عليه وسلم وكانت صفية رأت في المنام
وهي عروس بكنانة بن أبي الربيع بن أبي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فذكرته لزوجها
فقال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ولطمها وعرس صلى الله عليه وسلم
بها في الطريق في قبة وبات أبو أيوب الانصاري يحرسها بسيفه فلما أصبح
رآه

رآها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها ما هذا قالت حلمت ملكا من يثرب فقلت أباها ووجهها وهو بها وهي حديثة عهد

وكانت الراية مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكان يقاتل قتالا شديدا ثم أخذها عمر فقاتل قتالا شديدا فقال صلى الله عليه وسلم أما والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار يأخذها عنوة فتطاول المهاجرون والأنصار إليها ورجا كل واحد أن يكون هو صاحب ذلك وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تخلف بالمدينة لرمد كان به فلما أصبحوا جاء علي فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه فكأن لم يكن بهما شيء ثم أعطاه الراية وعليه حلة حمراء قد أخرج خملها فأتى خيبر فأشرف عليه رجل من يهودها وقال من أنت فقال علي بن أبي طالب فقال اليهودي علوتم وما أنزل على موسى فخرج مرحب صاحب الحصن من الحصن ولم يكن في أهل خيبر أشجع من مرحب وعليه مغفر يماني وعلى رأسه بيضة وله رمح له ثلاثة أسنان ونادى من يبارز وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا وحينا أضرب * إذا الحروب أقبلت تلهب

إن حماي للحمى لا يقرب

فخرج علي كرم الله وجهه وهو يقول

أنا الذي سمتني أمي حيدره * أكيلكم بالسيف كيل السندره

ليث بغابات شديد القسوره

(والسندرة مكيال معلوم) ومعلوم أن حيدرة اسم من أسماء الأسد وهو أي علي أشار بذلك إلى أن أمه فاطمة لما ولدته سمته باسم أبيها أسد وكان أبوه غائبا فلما قدم سماه عليا ولذلك قال علي رضي الله عنه يوم خيبر أنا الذي سمتني إلى آخره فحمل عليه مرحب فضربه علي رضي الله عنه فقد الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع في الأضراس والله أعلم وكان فتح خيبر على يد علي رضي الله عنه بعد حصار بضع عشرة ليلة وإلى ذلك يشير بقوله

وبأدنى إشارة منه ... * ... من ... به مرحبا

ودوادي في الهوى ... * ... في الوغى مرحبا

وفتح المسلمون حصون خيبر كلها عنوة الا حصن الوطيح وحصن سلالم بضم السين المهملة فانهما فتحا صلحا وكان أعظم حصون خيبر حصن القموص كصبور من حصون الكتيبة الثلاثة وكان مدة محاصرة المسلمين عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي رضي الله عنه ومنه سبيت صفية رضي الله عنها وقيل ان اسمها قبل أن تسبى زينب فلما صارت من الصفي سميت صفية والصفي ما كان يصطفيه صلى الله عليه وسلم لنفسه من الغنيمة قبل أن تقسم وكان في الجاهلية للامير الخمس ربع الغنيمة ومن ثم قيل له المرباع قال السهيلي رحمه الله كانت أموال النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه الصفي والهدية وخمس الخمس هذا كلامه ولا يخفى انه يزاد على ذلك الفيء وباقي حصون الكتيبة الثلاثة هو حصن الوطيح وحصن سلالم المتقدمين

وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من النساء المسلمات فرضخ لهن عليه السلام من الفيء ولم يضرب لهن بسهم وقيل ضرب لهن أسهام كالرجال وكانت قد خرجت معهم عشرون امرأة وفي حديث ابن أبي الصلت عن امرأة غفارية سماها قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من غفار وهو يسير الى خيبر فقلنا يا رسول الله قد أردنا الخروج معك لنداوي الجرحى ونعين المسلمين ما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه فلما افتتح خيبر رضخ لنا من الفيء

واستشهد بخيبر من المسلمين نحو من عشرين رجلا منهم عامر بن الاكوع عم سلمة بن الاكوع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في مسيره الى خيبر انزل يا ابن الاكوع فاحد لنا من هناتك فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

والله لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

وقتل عامر بن الاكوع رضي الله عنه بسيف نفسه رجع عليه وهو قاتل فكلمه كلما شديدا فمات منه

وفي غزوة خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة فأخذ منها قطعة ولاكها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وكان بشر قد أساغ تلك اللقمة والمصطفى صلى الله عليه وسلم لم يسغها لكنها أثرت فيه ولهواته قبل أن ينطق الله له ذراعها بالغدر بما دس فيها من السم القاتل من ساعته ودعا صلى الله عليه وسلم باليهودية فاعترفت ثم قال لها ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا أرحت الناس منك فقال ما كان الله ليسلطك

بسلطانه على ذلك ولم يعاقبها الا انه كان لا ينتقم لنفسه والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ثم سمت له اليهودية الشا * ة وكم سام الشقوة الاشقياء
فأذاع الذراع ما فيه من شـ * ـر بنطق اخفاؤه ابداء
وبخلق من النبي كريم * لم تقاصص بجرحها العجماء

أي ثم جعلت اليهودية السم القاتل في الشاة ومرات كثيرة يطلب الشقوة ويتحلى بها الاشقياء الذين لا خلاق لهم فأخبر ذلك الذراع النبي صلى الله عليه وسلم بالنطق بما فيه من سم اخفاؤه ذلك الا نطق عن الجاهلين ابداء واظهار له صلى الله عليه وسلم وبسبب ما تحلى به صلى الله عليه وسلم من كمال الحلم والعفو لم تقاصص تلك المرأة بجرحها أي بجرح سمها لان السم يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر

وما قيل انه أمر بها فقتلت به قصاصا لعله هو بعد ما روي عن ابن عباس انه دفعها الى أولياء بشر بن البراء وهذا هو قول ابن اسحاق أجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقال النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته ان أكلة خيبر لم تزل تعاودني وهذا أوان انقطاع أبهري والأبهر عرق في الظهر وقيل هو عرق مستبطن القلب فاذا انقطع لم تبق بعده حياة وقيل الابهر عرق منشؤه من الرأس ويمتد الى القدم وله شرايين تتصل بأكثر أطراف البدن فالذي في الرأس منه يسمى النأمة ومنه قولهم أسكت الله نأمته أي حياته ويمتد الى الحلق ويسمى فيه الوريد ويمتد الى الصدر فيسمى الأبهر ويمتد الى الظهر فيسمى الوتين والفؤاد معلق به ويمتد الى الفخذ فيسمى النسا ويمتد الى الساق فيسمى الصافن ولما كان اليهود مركانا باسقاط الجزية عنهم واعفائهم النبي صلى الله عليه وسلم على الصفح عن عقابهم وتجريحهم من شأنه

ثم في زمن خلافة القائم بأمر الله اظهر يهودي عند رئيس الرؤساء ببغداد وأظهر كتابا فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة رضي الله عنهم منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء ووقع الناس منه في حيرة فعرضه على الحافظ أبي بكر خطيب بغداد فتأمله وقال ان هذا مزور فقيل له من أين ذلك فقال وفيه شهادة معاوية رضي الله عنه وهو أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة وفتح خيبر سنة سبع من الهجرة ولم يكن

فحملنا في ذلك الوقت ولا نحو من ماء جرى وفيه استشهاد سعد بن معاذ رضي الله عنه ومات بعده
بيوم من جرح سهم أصابه ذلك قبل فتح خيبر بسنتين أشهر

وفي هذه السنة فتح فدك وهي قرية بينها وبين مدينة النبي صلى الله عليه وسلم مرحلتان
وقيل ثلاث مراحل قال أهل السير لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بعث
محيصة بن مسعود الأنصاري الى فدك يدعوا أهلها الى الاسلام فدعاهم اليه فخوفهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى حربهم كما أتى الى حرب أهل خيبر فقالوا ان
عامرا وياسرا وحارثا وسيد اليهود مرحب في حصن نطاة ومعهم ألف مقاتل وما نظن ان
يأخذهم محمد فكيف يأخذنا ولما رأى ان لا يقبلون الصلح أراد أن يرجع
فقالوا له امهلنا حتى نستشير أكابرنا وما نرى معاشر من صالح محمدا وبقي عندهم في
الرأي اذ أتاهم خبر فتح حصن الناعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحه فوقع
في قلوبهم خوف عظيم فأرسلوا جماعة من يهود فدك الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى
يصالحوه فبعد القتل والقال والكثير استقر الامر على ان يعطوا النبي صلى الله عليه وسلم
نصف أرض فدك ولم يقبلها فرضي النبي صلى الله عليه وسلم فصالحهم على ذلك وكانوا
يعملون على ذلك حتى أجلاهم عمر وأهل خيبر الى الشام وأعطاهم نصف
مال نصف المال كما أن فكانت خيبر للمسلمين وفدك خالصة له لانها فتحت
بلا إيجاف (أي بغير قتال وإيجاف في السير) ولا ركاب فلم يقسمها ووضعها
حيث أمره الله وانصرف صلى الله عليه وسلم عن خيبر الى وادي القرى فحاصرها
ففتحها عنوة وغنمها وأصاب بها غلامه مدعما سهم غرب (سهم غرب والاضافة
وسكون الراء والاضافة وهو من لا يعرف راميه) فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم كلا ان الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا فلما
سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار

وعن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد على
الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهلا جلس
في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى اليه أم لا والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا
الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار وان كانت
شاة تيعر (بفتح التاء وسكون الياء) ...

كسرها

بكسرها أي الفأس وبشدة ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر فروة بن عمرو البياضي أن يجمع غنائم خيبر في حصن نطاة فجمع وكان في أثناء ذلك أن ثم جماعة عندهم ... وراءه فجاء يهود يطلبونها فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفعها إليهم ويوم جمع غنائم خيبر وأخذ الغلول أمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي أن من آمن بالله واليوم الآخر لا يصيب أحد امرأة من السبي غيرها حتى يستبرئها (أي حتى تحيض) وفي لفظ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديه ينادي أن من آمن بالله واليوم الآخر لا يسقي ماءه زرع الغير ولا يطأ امرأة حتى تمضي عدتها (أي حتى تحيض) ولم تزل يهود خيبر وأهل فدك على شروطهم هذه إلى أن أجلاهم عمر رضي الله عنه منها ونفاهم من بلاد العرب وهي الحجاز مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقراها كالطائف لمكة وخيبر للمدينة حيث بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه لا يجتمع دينان بأرض العرب وفي رواية بجزيرة العرب ... والعرب أفضل الأجناس وأعرقهم نسبا وأكرمهم أخلاقا وأرقهم طباعا وأكثرهم وفاء وأجمعهم للخلال الكريمة وأبعدهم عن الأخلاق الذميمة وهم بحور الكرم والوفاء قال الأصمعي وخصت العرب بإطعام الطعام والأعاجم بالصوم وقال المأمون فضلت العرب على سائر الأجناس بالسودد ولو لم يكن فيهم إلا أنهم لا يصلحون للأصاغر لكفى وأرق العرب طباعا قريش وأهل الحرمين وقال خصت العرب من بين الأنام بثلاث العمائم تيجانها والسيوف سيجانها والشعر ديوانها وإنما قيل الشعر ديوان العرب لأنهم كانوا يرجعون إليه عند اختلافهم في الأنساب والحروب ولأنه مستودع علومهم وحافظ آدابهم ومعدن أخبارهم ولهذا قيل

السعر يحفظ ما أودى الزمان به * والشعر أفخر ما ينبي عن الكرم
لولا مقال زهير في قصائده * ما كنت تعرف جودا كان في هرم

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها وضع الله عزهم ومن أعز العرب نفسا وأشرفهم هِمما الأنصار وهم الأوس والخزرج أسلافهم لم يؤدوا إتاوة قط في الجاهلية إلى أحد من الملوك وكتب إليهم تبع أبو كرب يدعوهم إلى طاعته وتوعدهم إن لم يدينوا له فكتبوا إليه

الفضل شيم كرام قوم سادة * وسكانه بالمنزل المتذلل
إنا أناس لا ننام بأرضنا * عن الرسول فيا لأم المرسل

فلما دنا الفناء هم كانوا انصارا له نهارا ويحرسون الهادي العربي ليلا فسلم من فعالهم ورجال منهم وحسب الانصار من الفضل ما روى انهم لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته يزداد وجعا طافوا بالمسجد فاشفقوا من موته صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الفضل فاخبره بذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فاخبره بذلك ثم دخل عليه العباس فاخبره بذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة جمعها قوله وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم يحبون من هاجر اليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة ا ... ى وما لحلة فكل واحد من العرب يرى في نفسه العزة وانه سيد قومه وملكه وا كرمها الاعيان رؤساؤهم الذين هم فيهم كالملوك قال الشاعر

وإذا سألت عن الكرام وجدتني * كالشمس لا تخفى بكل مكان

(رجع) ثم سار صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان قد كتب الى النجاشي يطلب منه من عنده من المهاجرين وخطب أم حبيبة رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص بن امية بالحبشة وأصدقها النجاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار وقدم جعفر بن ابي طالب حين فتح خيبر وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يدخلوا الذين حضروا من الحبشة في سهامهم من غنيمة خيبر ففعلوا فاحسن بزواج الحضرة النبوية بهذه الكرامة على يد هذا الملك الموفق والنجاشي الذي طلع بدره على سماء الايمان وأشرق فقد فاق هذا الملك النجاشي عيانه من جهة الجلال سابقي كافور الخصال الذي هو ملك الحبشان وعلى ذكر كافور فنحن نذكر انه ما الخبر المأثور وهو انه لما جرح بعض الصحابة في بعض الغزوات فعولج ان ينقطع دمه فلم ينقطع فقال حسان ائتوني بكافور حتى ادفنه فلما وضعه في الجرح انقطع دمه فقال له صلى الله عليه وسلم ثم أنشد هذا المثل من قول امرئ القيس

وكنت

فذكرت أيام وصلها في هجرها * فجرت مدامع مقلتي كالعندم
فطفقت أمسح مقلتيّ بعذبها * إذ عادة الكافور إمساك الدم

فقال صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة

وفي هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ودعاه إلى الإسلام قال فلما وصل إليه الكتاب أسلم وكتب جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه بإسلامه وأرسل الهدية وكان باقياً على إسلامه إلى زمان عمر بن الخطاب وفي خلافته قدم مكة للحج وحين كان يطوف في الطواف وطئ رجل من فزارة إزاره فانحل فلطم الفزاري لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه فشكا الفزاري إلى عمر واستعان به فطلب عمر جبلة وحكم بأحد الأمرين إما العفو وإما القصاص قال جبلة أتقتص من له مني سواء وأنا ملك وهو سوقة قال عمر الإسلام سوى بينكما لا فضل لك عليه إلا بالتقوى قال فإن كنت أنا وهذا الرجل سواء في هذا الدين فأنا نصراني قال عمر إذاً أضرب عنقك فقال فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري فلما كان الليل ركب في بني عمه وهرب إلى قسطنطينية وتنصر هنالك ومات مرتداً وبعض أهل الإسلام على أنه عاد إلى الإسلام ومات مسلماً

وفي هذه السنة اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم ثبت في صحاح الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم من الملوك يدعوهم إلى الإسلام قيل له إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم أو نحوه فصاغ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب واقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب فلما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه لبسوا أو اصطنعوا خواتيمهم فجاء جبريل عليه السلام من الغد وقال لبس الذهب حرام لذكور أمتك فطرح النبي صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح أصحابه أيضاً خواتيمهم ثم اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر واقتدى به أصحابه فاتخذوا خواتيمهم من فضة

وفي هذه السنة بعث رسله إلى الملوك وقيل كان إرسال الرسل في آخر سنة ست وصحح جماعة من المؤرخين أن إرسال الرسل كان في أواخر السادسة ووصولهم إلى المرسل إليهم كان في أوائل السابعة وقد سبق الكلام على بعث الرسل إلى الملوك في أعمال السادسة

عشر من الباب الاول من المقالة الرابعة من الجزء الاول من هذا التاريخ وستأتي ذلك
في الفصل الرابع من الباب السادس

وفي هذه السنة في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه المشركون كانت عمرة القضاء ويقال لها عمرة القضية لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا على ما صالحهم عليها ومن ثم قيل لها عمرة الصلح ويقال لها عمرة القصاص قال السهيلي رحمه الله وهذا الاسم أولى لقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فتحصل من أسمائها أربعة القضاء والقضية والصلح والقصاص لانها كانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة وهو الشهر الذي صدّه فيه المشركون عن البيت فيها سنة ست واشتقت قضاء عن العمرة التي صدّ عن البيت فيها فانها لم تكن فسخت بصدهم له عن البيت بل كانت عمرة تامة معدودة في عمره صلى الله عليه وسلم التي اعتمرها صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وهي أربعة عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة لما قسم غنائم حنين والعمرة التي قرنها مع حجته في حجة الوداع بناء على ما هو الراجح من انه كان قارنا وكلها في ذي القعدة الا التي كانت مع حجته

وخرج صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة للعمرة على ما عاقدهم عليه في قضية الحديبية من ان يدخل مكة في العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام وأمر أصحابه ان يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية وان لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم أحد الا من استشهد منهم بخيبر ومن مات وخرج معه صلى الله عليه وسلم قوم من المسلمين عمارا غير الذين شهدوا الحديبية وكانوا في عمرة القضاء ألفين واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري وقيل غيره وساق ستين بدنة وقلدها أي جعل شيء في كل بعير قطعة جلد ليعلم انها هدي وجعل عليها ناجية بن جندب وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه وعلى السلاح بشير بن سعد فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه فقيل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا ان لا ندخلها عليهم بسلاح الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح ولكن يكون قريبا فان هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا اليه ثم ان قريشا بعثت مكرز بن حفص في نفر من قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت عليهم

ان

ان لا تدخل الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال صلى الله عليه وسلم اني لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذي يعرف به البر والوفاء ثم رجع مكرز الى مكة سريعا وقال ان محمدا لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذي شرط لكم

فلما اتصل خروجه لقريش خرج كبراؤهم من مكة حتى لا يروه صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت هو وأصحابه عداوة وبغضا وحسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة راكبا ناقته القصوى وأصحابه محدقون به قد توشحوا السيوف يلبون ثم دخل من الثنية وهي ثنية كداء بفتح اوله والمد (وهي طلعة الحجون التي بأعلى مكة ينحدر بها الى المقابر على درب المعلاة) على طريق الابطح وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته وهو يمشي بين يديه ويقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله * بأن خير القتل في سبيله
فاليوم نضربكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله

وحمل صلى الله عليه وسلم السلاح في بطن يأجج (كيسمع وينصر ويضرب موضع قرب من الحرم) وخلف عنده جمع من المسلمين من أصحابه عليهم أوس بن خولي وقعد جمع من المشركين بجبل قعيقعان ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم والى أصحابه وهم يطوفون بالبيت وقد قال كفار قريش ان المهاجرين أوهنتهم حمى يثرب ثم قال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة فأمر أصحابه ان يرملوا الاشواط الثلاثة أي ليرى المشركون ان لهم قوة فلما فعلوا ذلك قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد أوهنتهم انهم لينفرون نفر الظباء ولم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بالرمل في الاشواط كلها رفقا بهم واضطبع صلى الله عليه وسلم أي جعل وسط ردائه تحت عضده الايمن وطرفيه على عاتقه الايسر وفعلت الصحابة رضي الله عنهم كذلك فهذا أول رمل واضطباع في الاسلام فكان ابن عباس يقول كان الناس يظنون انها ليست سنة عليهم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى حجة الوداع فلزمها فمضت السنة ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة قال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون

وأقام صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام بمكة بعد الثلاثة التي هي أمد الصلح فأتاه حويطب
ابن عبد العزى ومعه سهيل بن عمرو رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوانه الى الخروج هو وأصحابه من مكة فقالوا نناشدك الله والعقد
الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
وأصحابه من مكة وكان صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله
عنها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهي أخت أم الفضل
زوج العباس رضى الله عنهما وأخت أسماء بنت عميس لأمها زوج جعفر رضى الله عنه *
وكان تزوجه بها صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم بالعمرة وقيل بعد أن حل منها وقيل
وهو محرم وبنى بها في عوده من مكة بمحل يقال له سرف ككتف بقرب التنعيم على
عشرة أميال من مكة واتفق موتها بعد أنها بسرف ودفنت فيه وفي بعض السير انها
لما ثقلت بمكة قالت أخرجوني من مكة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أني
لا أموت بها فحملوها حتى أتوا بها سرف الى الشجرة التي بنى بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحتها في موضع القبة فماتت هناك سنة ثمان وثلاثين وهناك عند قبرها سقاية *
وفيها حرم الحمر الاهلية والنهي عن أكل كل ذي ناب من السباع وفيها النهي عن متعة
النساء بالضم والكسر وهي أن يتزوج امرأة أجمع بأمد ثم يخلى سبيلها ويحصل الفرقة
بانقضاء الاجل بغير طلاق ثم حللها يوم حنين ثم حرمها بعد ثلاثة أيام تحريما مؤبدا وفيها جاءته
مارية القبطية بنت شمعون أهداها له المقوقس ملك مصر والاسكندرية وأهدى معها
سيرين أختها مع هدية من ذهب وقدح من قوارير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسرى
بها وهدية من عسل من بنها العسل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعسل بنها
بالبركة وبغلة دلدل بضم الدالين ولم يكن في العرب غيرها وهي اول بغلة ركبت في
الاسلام وكانت بيضاء وقيل شهباء أهداها له أيضا المقوقس وكان يركبها في السفر
وعاشت بعده حتى كبرت وسقطت أضراسها وكان يجش لها الشعير وقيل كانت
ذكرا لا أنثى وكل ذلك مع حاطب بن أبي بلتعة

وفي هذه السنة أيضا كان تزوجه بأم حبيبة وفيها أسلم أبو هريرة وعلى أشهر الاقوال
اسمه عبد شمس بن عامر فسمي في الاسلام عبد الله وقيل له لم كنيت أبي هريرة قال
كنت أرعى غنم قومي وكانت لي هريرة صغيرة ألعب بها فكنيت بأبي هريرة وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يكنيه أبا هر وكان أحفظ الصحابة لاخبار رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وتسلم وآثاره ولم يشتغل بالسمع ولا بالغرس ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاب سمى مختارا العدم والفقر ومروياته في كتب الأحاديث خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا

وفي هذه السنة قدم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة وكان قد خرج في أمر المهاجرين الهجرة الأولى التي كان أميرها عثمان بن عفان رضي الله عنه فهاجر جعفر ابن أبي طالب مع أصحابه وزوجته أسماء بنت عميس وتتابع المسلمون إلى بلاد الحبشة فمنهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه ثم بلغ المهاجرين أن المشركين قد لانوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا إلى مكة ثم لما تبين لهم أنهم غدروا له بالشر رجعوا إلى الحبشة ولم يدخل أحد منهم مكة إلا ابن مسعود فإنه دخل ثم خرج ومعه عدد كثير من المسلمين وهذه هي الهجرة الثانية كما سبق التنويه إلى ذلك في الفصل الثاني في الهجرتين إلى الحبشة من الباب الثاني من المقالة الخامسة من الجزء الثاني وقيل إن المهاجرين كانوا يزيدون على مائة نفس أحسن النجاشي جوارهم وكانوا آمنين على دينهم يعبدون الله كما يعبدون فلما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جمعت قريش مالا من كل ما يستطرف من متاع مكة وأهدوه إلى النجاشي وبطارقته جميعا وبعثوا به عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط فقدما على النجاشي والمهاجرون عنده بخير دار وأحسن جوار فلما دخلا عليه سجدا له وقربا هداياهما إليه فقبلها ثم قالا له إن قوما يحذرونك من هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتبعه أحد منا إلا السفهاء وقد كنا ضيقنا عليهم فجاؤوا إلى بلدك ليفسدوا عليك دينك وملكك فادفعهم إلينا لنكفيكهم فغضب النجاشي عند ذلك فقال والله لا أسلمهم إليكما قوما اختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقولون فإن وجدتهم على خلاف ما يقولون أحسنت جوارهم ما جاوروني فأرسل إليهم فجمعهم فدخلوا عليه في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وصاحبه عن يساره والقسيسون والرهبان جلوس عنده فلما انتهوا إليه قالوا إنا لا نسجد للملك فلم يسجدوا له فلما سألهم النجاشي عن ذلك قالوا ما نسجد إلا لله الذي خلقك وملكك وقد علمنا نبيه الصادق أن تحية أهل الجنة وهي السلام فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل فقال أيكم الذي يكلمني فقال جعفر أنا أيها الملك أذن لي أن أتكلم فأذن له فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين يعني عمرا وصاحبه أعبيد نحن أم أحرار فقالا للنجاشي بل أحرار كرام فقال جعفر سلهما أهل

أمر فسادنا نصر دين قومهم فقال عمرو ولا قطرة فقال جعفر سلهما هل أخذنا
أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال النجاشي إن كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال
عمرو ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كانوا وإيانا على دين واحد وأمر
واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا الملك فيهم أشراف قومهم من
آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه فقال
النجاشي لجعفر وأصحابه ما هذا الدين الذي أنتم عليه وفارقتم فيه دين قومكم ولم تدخلوا
في ديني ولا في دين أحد من الأمم فقال جعفر أيها الملك أما ما كنا عليه فهو دين الشيطان
كنا قوما أهل جاهلية نكفر بالله ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء
الجوار ويأكل القوي منا الضعيف وأما الدين الذي تحولنا إليه فدين الإسلام فإن الله
عز وجل بعث إلينا رسولا نعرف صدقه وأمانته وعفافه وهو الذي بشر به عيسى ابن
مريم عليه السلام فقال ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فدعانا إلى الله عز
وجل وحده نعبده ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة وعدد عليهم أمور
الإسلام وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر وأن نخلع ما كنا نعبد من دون الله ونحن وآباؤنا من
هذه الأصنام من الحجارة والأوثان فصدقناه وآمنا به ومعه كتاب كريم مثل كتابكم الذي
أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام فقال النجاشي تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلكم ثم أمر
بضرب الناقوس فاجتمع إليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال لهم أنشدكم الله
الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا
اللهم نعم قد بشرنا به عيسى ابن مريم عليه السلام وقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد
كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقالوا يقرأ
علينا كتاب الله عز وجل ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بصدق الحديث
وأداء الأمانة وحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم وكف الأذى والكف عن المحارم
والدماء وينهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات فحرمنا ما
حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى
عبادة الأوثان عن عبادة الله عز وجل وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما
قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ذلك وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من
سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك فأعجب النجاشي قوله
ثم قال له هل عندك مما جاء به عن الله من شيء قال جعفر نعم فقال النجاشي اقرأه علي
فقرأ

فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عين النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا
يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي ان هذا الكلام
والذي أنزل على عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة ثم أقبل على جعفر وأصحابه وقال
مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده وأنا أشهد انه رسول الله الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه
من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه امكثوا في أرضي ما شئتم وأمر لهم بكسوة وطعام وقال
لعمرو بن العاص وصاحبه انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما أبدا ولا أكاد فخلنا من جاء من
عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينهم غدا ولأعيبنهم عنده بما أستأصل به
خضراءهم فقال له صاحبه وكان أتقى الرجلين لا تفعل فان لهم أرحاما وان كانوا قد
خالفونا قال والله لأخبرنه انهم يزعمون ان المسيح ابن مريم عبد فلما كان الغد غدا اليه
فقال له أيها الملك انهم يقولون في المسيح قولا عظيما فارسل اليهم فاسألهم فأرسل اليهم
فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فقال له جعفر
نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته
ألقاها الى مريم العذراء البتول ثم قرأ عليهم صدرا من سورة مريم فبكى النجاشي حتى
اخضلت لحيته بدموعه وبكوا أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم
وقال والله يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هذا على ما تقولون عن ابن مريم ثم قال لجعفر
وأصحابه اذهبوا فأنتم سيوم أرضي (والسيوم الآمنون) من سبكم أو آذاكم غرم ثم
من سبكم أو آذاكم غرم ثم من سبكم أو آذاكم غرم ثلاث مرات وقال أبشروا ولا تخافوا فلا
دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط
وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فقال عمرو بل نحن حزب ابراهيم فاختصم
الفريقان في ابراهيم فأنزل الله تعالى في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بالمدينة قوله تعالى ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
آمنوا وقال النجاشي اعطوهما هديتهما فلا حاجة لي بها وبقولهما فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين
ملكني فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به وأقام جعفر وأصحابه عنده في خير
دار وأحسن جوار

ـ فهم من وصف عن النجاشي وأصحابه بالدموع حين سماعهم قراءة جعفر رضي الله عنه
ورا ـ اله ـ رآن ان له واحتفاله عمرو يا جر ه اله ـ حـ ه دا ل ا ر ه ل ا ا ـ ـ ب

العلك علماء من الاراضي المجاورة لارض الحبشة ويبعد أن تكون هذه السورة ترجمت لهم من العربية بلسانهم لان الترجمة لا تؤثر في قلوبهم حتى تفيض دموعهم ويدل عليه قوله في الخبر د ومع الجماعة العادمين مع جعفر عليه صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم سورة يس وقد يقال يجوز ان غضب النجاشي على عمرو واصحابه كان في حضور عمرو بن أمية الضمري وان عمرو بن العاص طلب من النجاشي قتله والخطب سهل فلعل الواقعة تعددت والجملة فالقصة واحدة وهي انه لم يقل من عمرو بن العاص صريحا ولا عدلا في اخبار اصحابه صلى الله عليه وسلم

وروت أم سلمة رضي الله عنها ان رجلا نازع النجاشي في ملكه قالت أم سلمة رضي الله عنها فوالله ما علمنا حزنا قط أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرفه قالت وسار النجاشي وبينهما عرض النيل قالت فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يخرج حتى يحضر وقعة القوم فقال الزبير بن العوام انا فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى القوم وحضرهم ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده فظهر واستوثق له امر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي سنة ست من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري مع اصحاب دوسكون اليمن الى النجاشي بكتاب يدعوه فيه الى الاسلام وكتب فيه ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة اما بعد فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى ابن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطاهرة المطهرة الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بي وبالذي جاءني فاني رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين فاذا جاؤك فاقرهم ودع التجبر فاني ادعوك وجنودك الى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى فلما وصل اليه الكتاب اخذه ووضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الارض تواضعا ثم اسلم وقال اشهد بالله انه النبي الامي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل فاسلم وحسن اسلامه

وكتب

وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باجابته وتصديقه واسلامه على يد جعفر كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشى أصحمة ابن أبجر سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته لا اله الا الله الذى هدانى للاسلام أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه وانى أشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت اليك يا نبى الله بابنى أريحا وان شئت ان آتيك بنفسى فعلت يا رسول الله فانى أشهد ان ما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فتحصل من ذلك ان النجاشى هذا هو أصحمة الذى هاجر اليه المسلمون فى رجب سنة خمس من النبوة وكتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه الى الاسلام مع عمرو بن أمية الضمرى سنة ست من الهجرة وأسلم على يد جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه وتوفى فى رجب سنة تسع من الهجرة ونعاه النبى صلى الله عليه وسلم يوم توفى وصلى عليه بالمدينة وأما النجاشى الذى ولى بعده وكتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما

ولما خرج جعفر رضى الله عنه من الحبشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشى أرسل ابنه فى ستين رجلا من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب ابنه فى أثر جعفر وأصحابه حتى اذا كانوا فى وسط البحر غرقوا ولله الحكمة فى ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم لأنهم لو جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصلوا اليه صار بعض الكفار يقولون ان محمدا انما تمكن (اى قوى وسلطان) بارسال ملك الحبشة وأصحابه فأراد الله تعالى أن يظهر لنا أن كل قوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل لا بسبب دخول أحد فى قومه من ملوك أو سلاطين او وزراء او أعوان كما هو مصرح به فى بعض الكتب المعتبرة ووافى جعفر وأولاده [illegible] وجماعة ومن دخل فى الاسلام [illegible] على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى [illegible] [illegible] يقول رجال من الحبشة انهم أصحاب الصوف منهم [illegible] وكان من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس

الى النجاشي فلما مكثوا حتى سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله تعالى ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا من أهل الصوامع وأما قوله تعالى وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة كذا في تفسير البغوي رحمه الله تعالى

ولما أقبل عليه صلى الله عليه وسلم جعفر رضي الله عنه قام صلى الله عليه وسلم إلى جعفر وقبله بين عينيه وقال ما أدري بأيهما أسر بقدوم جعفر أم بفتح خيبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم جعفر رضي الله عنه من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبله بين عينيه وجعل ذلك أصلا لاستحباب المعانقة وقال بعضهم إنها مكروهة وجعل ما جاء في جعفر محتملا أن يكون قبل النهي عنها ولم يجب بذلك الإمام مالك رضي الله عنه فإنه لما قدم سفيان بن عيينة رضي الله عنه صافحه الإمام مالك وقال لولا أنها بدعة لعانقتك فقال له سفيان قد عانق من هو خير منك ومني النبي صلى الله عليه وسلم قال الإمام مالك تعني جعفر بن أبي طالب قال نعم قال ذاك خاص ليس بعام أي فذلك من خصوصياته فقال له سفيان ما يعم جعفرا يعمنا أو ما يخصه يخصنا أي فالأصل عدم الخصوصية ثم قال له سفيان أتأذن لي أن أحدث في مجلسك قال نعم فقال حدثني فلان عن فلان عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكر الحديث المتقدم وأما المصافحة فمنها أن أهل اليمن لما قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة وقال من تمام تحيتكم المصافحة

ولما رأى جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجل أي مشى على رجل واحدة إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الحبشة يفعلون ذلك للمعظم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أشبهت خلقي وخلقي وفي لفظ جعفر أشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان صلى الله عليه وسلم يسميه أبا المساكين لأنه رضي الله عنه كان يحب المساكين ويجالسهم ويحدثهم ويحدثونه وذكر بعضهم أنه لما قال له صلى الله عليه وسلم أشبهت خلقي وخلقي رقص من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم

رقصه

رقصه وجعل ذلك أصلا لجواز رقص الصوفية عندما يجدونه من لذة المواجيد في مجالس الذكر والسماع

(الفصل الثامن)

(في حوادث السنة الثامنة وما فيها من الغزوات)

وفي هذه السنة قدم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة فأسلموا وفيها في جمادى الأولى غزوة مؤتة وهي قرية من قرى البلقاء بالشام قبل الكرك وهي أول الغزوات بين المسلمين والروم وكانت الروم والعرب المتنصرة نحو مائة ألف وسبب هذه الغزوة أنه أرسل صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير إلى ملك بصرى بكتابه فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل له صلى الله عليه وسلم رسول غيره فبعث صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف وأمر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال إن أصيب فأميركم جعفر بن أبي طالب فإن أصيب فأميركم عبد الله بن رواحة الأنصاري فإن أصيب فسيفتح الله على يدي رجل من المسلمين وأشار بذلك إلى خالد بن الوليد فلما التقوا مع الروم أخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قطعت يده اليمنى فأخذها بشماله فقاتل حتى قطعت شماله فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل رضي الله عنه وسمي ذا الجناحين لأنه صلى الله عليه وسلم قال إن له جناحين يطير بهما حيث شاء من الجنة ويحكى أنه وجد في مقدمه أربعة وخمسون ما بين طعنة رمح وضربة سيف وقتل في السنة الثامنة من الهجرة وهو ابن نحو من أربعين سنة وكان أسن من أخيه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ودخلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكي وتقول واعماه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على مثل جعفر فلتبك البواكي ثم انصرف إلى أهله وقال اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم وضم عبد الله بن جعفر إليه ومسح رأسه ودمعت عيناه وقال اللهم اخلف جعفرا في ذريته بأحسن ما خلفت به أحدا من عبادك الصالحين وكان لجعفر من الولد عبد الله الجواد وعون ومحمد استشهدا بصفين وقيل إنهما قتلا بالطف مع الحسين عليه السلام وحمل ابن زياد رؤوسهما مع رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية ولم يكن لعون عقب

ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة الأنصاري واستشهد وفي أثناء استشهاد هؤلاء الصحابة الكرام كان صلى الله عليه وسلم جالسا على المنبر وقد كشف الله له عن معركتهم فكان يخبر باستشهاد كل واحد منهم ويصلي عليه ويأمر أصحابه بالاستغفار له

وفي الصفوة عن محمد بن جعفر قال لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج الى مؤتة قال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم السوء وردكم سالمين غانمين فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وتهيئوا لحربهم وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع نحو مائة ألف وقدم الطلائع أمامه ولما نزلوا معان من أرض الشام بلغهم ان هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضمت اليه المستعربة من لخم وجذام والقين وبهراء ووائل فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فاما ان يمدنا بالرجال واما ان يأمرنا بأمر فنمضي له فشجعهم عبد الله بن رواحة فقال والله يا قوم ان الذي تكرهونه للذي خرجتم له تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين إما الظهور وإما الشهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضوا الوجوههم

وفي الاكتفاء ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف وانحاز المسلمون الى مؤتة التي تنسب اليها الغزوة فالتقى الناس عندها فتعبى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الانصار يقال له عباية بن مالك ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ثم أخذها جعفر فقاتل حتى اذا ألجمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل رضي الله تعالى عنه وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * علي إذ لاقيتها ضرابها

وقد سبق ذكر هذه الغزوة عند الكلام على قيصر هرقل في الفصل الرابع عشر من الباب الاول من المقالة الرابعة من الجزء الاول من هذا التاريخ وفي هذه السنة على ما في أسد الغابة أو السابعة أو التاسعة من الهجرة اتخذ المنبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أثل الغابة وفي رواية من طرفاء الغابة والخطبة وهي الكلام المنثور المسجع وهو أول منبر عمل في الاسلام وفيها كان مولد ابراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام وهو ثالث أولاده وفيها زوجه زينب ابنته صلى الله عليه وسلم وهي أكبر بناته صلى الله عليه وسلم

وفي هذه السنة كان نقض الصلح وغزوة فتح مكة الذي هو أعظم الفتوح الإسلامية لأن الله أعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله أفواجا وأشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا وأزال الله به الشرور وزاد به المصطفى السرور وذلك أن بني بكر بن عبد مناة اعتدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير وكان في صلح الحديبية أنه لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش ولا يتعرضون لمن دخل في عقده يعني اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وكانت خزاعة ممن دخل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده وبنو بكر ممن دخل في عهد قريش وعقدهم وكانت بينهم حروب في الجاهلية فكلمت بنو بكر أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح فوعدوهم ووافوهم فبيت بنو بكر خزاعة أي جاءوا البلد بغتة فقتلوا منهم عشرين ثم ندمت قريش على ما فعلوا وعلموا أن هذا نقض للعهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في طائفة من قومه حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم المدينة مستغيثين به وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد وأنشده أبياتا منها

لاهم إني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فوالدا كنا وكنت الولدا * وواحدا كنت وكنا العددا
إن قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا

فلما سأله بهذه الأبيات أن ينصره قال له صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم ودمعت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب مما أنصر به نفسي وبنو كعب هم خزاعة ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة عليه صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين

إلى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم بأبي سفيان وقد جاء
ليشدد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال من
أين أقبلت يا بديل وظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت إلى خزاعة في هذا
الساحل وفي بطن هذا الوادي قال أو ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان
لئن كان بديل جاء المدينة لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه
النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة ليشدد
العقد فدخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما ذهب
ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ما أدري أرغبت
بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنت رجل مشرك نجس وما أحببت أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر ثم خرج وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم
يرد عليه شيئا فذهب إلى أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى علي رضوان الله عليهم على أن يكلموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره ويشفعوا فيه فلم يفعلوا ثم قال لفاطمة أن تأمر ابنها
الحسن وهو غلام فيجير بين الناس فأبت فقال لعلي كرم الله وجهه يا أبا
الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني فقال والله لا أعلم شيئا يغني عنك ولكنك
سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس (أي اطلب الأمان) ثم الحق بأرضك قال له أو ترى
ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في
المسجد فقال يا أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره وانطلق فلما قدم
على قريش قالوا ما وراءك فقص ما جرى له مع أبي بكر وعمر وعلي وأنه قد أجار بين الناس
فقالوا فهل أجاز محمد ذلك قال لا قالوا والله إن الرجل ما زاد على أن لعب بك فما يغني
عنا ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك

ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه ولم يعلموا به أحدا ثم أعلم الناس
بأنه يريد مكة وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتهم في بلادهم أي
نأخذهم بغتة أي على حين غفلة من قبل أن يعلموا به وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا
إلى أهل مكة وبعثه مع سارة مولاة بني هاشم يعلمهم بذلك فأطلع الله رسوله على ذلك
وأرسل عليا والزبير فأخذا منها الكتاب فقال لحاطب ما حملك على هذا فقال
والله إني مؤمن ما كفرت بعد أن أسلمت ولا غششتك بعد أن نصحتك ولكن لي بين أظهرهم

أهل

أهل وولد وليس لي عشيرة فصانعتهم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه منافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فأنزل الله عز وجل في حاطب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة الآية وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من حوله من الأعراب فجلبهم وهم أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وقد أهدر صلى الله عليه وسلم دم سارة حاملة كتاب حاطب بعد الفتح ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لعشر مضت من رمضان ومعه المهاجرون والأنصار عامدا إلى مكة وكان جيشه عشرة آلاف فصام وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد وهو الماء الذي بين قديد وعسفان أفطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر ولم يبلغ ذلك قريشا فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار وكان العباس رضي الله عنه أسلم قديما وكان يكتم إسلامه فخرج بعياله مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل بذي الحليفة ثم حضر أبو سفيان بن حرب على يد العباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن استأمن له فأسلم وأسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وفي رواية عروة فلما دخل أبو سفيان مع العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة أسلم قال أبو سفيان يا محمد إني قد استنصرت إلهي واستنصرت إلهك فوالله ما لقيتك من مرة إلا ظهرت علي فلو كان إلهي محقا وإلهك مبطلا لظهرت عليك فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وممن أسلم يومئذ معاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد وأمه هند بنت عتبة وكان معاوية يقول إنه أسلم يوم الحديبية فكتم إسلامه عن أبيه وأمه وقال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون في قومه فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فلما ذهب أبو سفيان لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسه يا عباس عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها قال فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة كبرت ثلاثا عند محاذاته قال من هؤلاء يا عباس فأقول سليم فيقول ما لي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة ثم مرت بنو غفار بكسر الغين

الخشيبة ثم أسلم بنو كعب ثم جهينة ثم كنانة ثم أشجع لا تمر قبيلة الا سألني عنها فاذا أخبرته فيقول مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء (وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة) فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد لان فيها ألفي دارع فلما رأى ذلك أبو سفيان قال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك يا أبا سفيان انها النبوة قال نعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج حتى اذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويلك وما تغني دارك عنا شيئا قال من أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد واستثنى صلى الله عليه وسلم جماعة أمر بقتلهم وان وجدوا متعلقين بأستار الكعبة وبهذا استدل على ان مكة فتحت صلحا لا عنوة وبه قال الامام الشافعي وفي بعض السير لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق بالابواء أبا سفيان ابن عمه الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فأعرض عنهما صلى الله عليه وسلم فجاءا اليه أبو سفيان وعبد الله بن أمية من قبل وجهه فقال صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وقبل منهما اسلامهما فأنشده أبو سفيان معتذرا اليه أبياتا فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال أنت طردتني كل مطرد وكان أبو سفيان بعد ذلك ممن حسن اسلامه وقيل انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ويقول أرجو أن يكون خلفا من حمزة وقال صلى الله عليه وسلم لابي سفيان ابن الحارث حين جاءه مسلما بعد أن كان عدوا له كثير الهجاء كل الصيد في جوف الفرا (وهو بفتح الفاء حمار الوحش والمعنى ان حمار الوحش من أعظم ما يصاد وكل صيد دونه كما انك من أعظم أهلي وأمسهم رحما بي ومن أكرم من أدنى وكل دونك) وكان أبو سفيان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملة من يشبهونه وهم خمسة والثاني جعفر بن ابي طالب والحسن بن علي وقثم

ابن

ابن العاص والسائب بن عبيد بن عبد الله بن نوفل بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف وعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن تركز راية سعد بن عبادة بالحجون لما بلغه أنه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة وفيه أنه تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان في العمارة التي قبل هذه العمارة المعروفة لا يخفى ما قال بعضهم الأول أول الفكر آخر العمل فالساعي في التعمير يحتمل أن يكون سابقا في الذهن لا يعيبه السير الذي أوليس أنه صلى الله عليه وسلم كان في بناء قريش للكعبة ينقل في بنائها معهم وأنه لما اختلفوا حكموه حين اختصم إليه في رفع الركن إلى موضعه كان هو الآخذ بالثوب وواضعه بالركن والآمر للإصلاح أخذ كل قبيلة طرفا من الثوب ورفعه إلى ما يحاذي موضعه والمتناول للحجر من الثوب والواضع له بيده الشريفة فيبعد على من رفع بناءها أن يروم بناءها

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يدخل الزبير بعض الناس من كداء وسعد بن عبادة بعض الناس من ثنية كدى وأمر عليا أن يأخذ الراية منه فيدخل بها لما بلغه من قول سعد اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة ثم أمر خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء في بعض الناس وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتال إلا أن خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش فرموه بالنبل ومنعوه من الدخول فقاتلهم خالد فقتل من المشركين ثمانية وعشرين رجلا فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال ألم آمركم عن القتال فقالوا إن خالدا قوتل فقاتل وقتل من المسلمين رجلان ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة من كداء وهو على ناقته مر أسود الفتح ويرجع

وكان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وخرج من مكة مهاجرا يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ونزلت عليه سورة المائدة يوم الاثنين وعن عائشة رضي الله عنها كان لواؤه يوم فتح مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وهي التي كانت بخيبر وعن جابر رضي الله تعالى عنهما أنه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من كداء بفتح الكاف والمد أي من جبل أعلى مكة وهو المعروف بالحجون فالحاصل أنه دخل من أسفل وهي ثنية كدى بضم الكاف والقصر

ويقولون ... وخرج صلى الله عليه وسلم من هذه وبهذا استدل على أنه
يستحب دخول مكة من الأولى والخروج منها من الثانية واغتسل صلى الله عليه وسلم
لدخول مكة وبه استدل على استحباب الغسل لداخل مكة ولو حلالا وكان شعار
المهاجرين يا بني عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الأوس يا بني عبيد الله
أي شعارهم الذي يعرف به بعضهم بعضا في ظلمة الليل عند اختلاط الحرب ولوجه
وبعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا إلى الأصنام التي حول مكة فكسروها ونادى
مناديه بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره وكذلك إلى
الناس يدعوهم إلى الإسلام ولم يأمرهم بقتال وكان بنو جذيمة قد قتلوا في الجاهلية
عوفا أبا عبد الرحمن وعم خالد كانا أقبلا من اليمن وأخذوا ما معهما وكان من السرايا التي
بعثها صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام سرية مع خالد بن الوليد فنزل على ماء لبني
جذيمة فأقبلوا بالسلاح فقال لهم خالد ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فوضعوه
فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فأمر بهم خالد
فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما بلغ النبي صلى الله عليه ذلك رفع
يديه إلى السماء حتى بان بياض إبطيه وقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ثم
أمر عليا رضي الله عنه أن يودي لهم الدماء والأموال ففعل ذلك ثم سألهم هل بقي لكم دم أو
مال فقالوا لا وكان قد قتل مع علي قتيل فدفعه إليهم زيادة تطييبا لقلوبهم فأعجب
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وأنكر عبد الرحمن بن عوف على خالد فعله فقال خالد أثرت
بأبيك فقال عبد الرحمن بل ثأرت بعمك الفاكه وفعلت فعل الجاهلية في الإسلام
وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بينهما فقال يا خالد دع لي أصحابي فوالله
لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته في سبيل الله تعالى ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته
وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة
وملكها عنوة بالسيف وإلى ذلك ذهب مالك وأصحابه وهو الصحيح من مذهب أحمد رضي
الله عنه وقال أبو حنيفة والشافعي رضي الله تعالى عنهما إنها فتحت صلحا ولما دخل صلى
الله عليه وسلم مكة وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما مشدودة بالرصاص لكل حي
من أحياء العرب صنم وكان هبل أعظمها وهو على باب الكعبة فلما طاف جعل يشير
بقضيب في يده إليها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فما أشار
لصنم إلا وقع لوجهه وفي ذلك قال تميم الخزاعي

وفي الاصنام معتبر وعلم * لمن يرجو الثواب أو العقابا

ثم أمر بهبل فكسر وهو واقف عليه

وروى ان الزبير بن العوام قال لابي سفيان ان هبل الذي كنت تفخر به يوم أحد قد كسر قال دعني ولا توبخني لو كان مع اله محمد إله آخر لكان الامر غير ذلك وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة يوم الفتح كان بها من الاصنام ثلثمائة وستون صنما حول الكعبة منها اساف ونائلة فكسرا مع الاصنام وفي ذلك يقول فضالة الليثي

لولا رأيت محمدا وجنوده * بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت نور الله أصبح بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

وكان عليه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم ذكر صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها جملة من الاحكام منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من انكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح (أي من النوافل) ولا يصام يوم الاضحى ولا يوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية ثم قال يا معشر قريش فاجتمع به المشركون في المسجد الحرام آيسين من أرواحهم فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد الحرام وأحاط بالمسجد ودخل معه خواصه وفتح له باب الكعبة حتى دخل وصلى بها وأقام الخواص حول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيديهم على مقابض سيوفهم وهم ينتظرون أمره بوضع السيف في أعدائهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على عتبة الباب وأهل قريش وهم منكسو رؤسهم خوفا وحزنا فقال يا أهل مكة بئس العشيرة كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس والآن قد أظفرني الله عليكم كافرين فما ترون أني فاعل بكم فقام سهيل ابن عمرو وهو كان من رؤساء قريش وقال يا محمد أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت ان عذبت فجرم عظيم وان عفوت فافعل فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يعيرهم وقال بل أقول مثل ما قال أخي يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم صلى الله عليه وسلم جميعا ولم يصب ذراريهم وكان الله قد أمكنه منهم فكانوا له فيئا ولذلك سمي أهل مكة الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق هو الأسير إذا أطلق وروي أن عائشة رضي الله عنها نذرت إن فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصلي في البيت ركعتين فلما فتحت مكة وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يفتح لها باب الكعبة ليلا وفي بدرها كان عثمان بن طلحة رضي الله عنه بالمفتاح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إنها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها وأدخلها الحجر وقال صلي هاهنا فإن الحطيم أي الحجر من البيت إلا أن قومك قصرت بهم النفقة (أي الحلال) فأخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت بناء الكعبة وأظهرت قواعد الخليل وأدخلت الحطيم في البيت وألصقت العتبة على الأرض ولكن خشيت أن يقال لا نفعل ذلك ولم ينقض صلى الله عليه وسلم ولم يعرج الخلفاء لذلك

ولما اطمأن الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطواف فطاف بالبيت سبعا على راحلته واستلم الركن ودخل الكعبة ورأى فيها المنقوش على صور الملائكة وصورة إبراهيم وفي يده الأزلام يستقسم بها فقال صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن إبراهيم والأزلام ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم أمر بتلك الصور فطمست وصلى في البيت ثم جلس على الصفا فاجتمع الناس لبيعته على الإسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله وبايع الرجال ثم النساء وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى أمرائه حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أحد عشر رجلا وست نسوة فإنه أمر بقتلهم أينما ثقفوا بين الحل والحرم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة فأما الرجال الأحد عشر فأحدهم عبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب بن فهر وقد كان قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فغير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عبد الله والثاني عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان بن عفان من الرضاعة فتلطف عثمان في شفاعته ثم قال بعد ما أعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا يا رسول الله أمنه فصمت طويلا ثم آمنه فأسلم وقال صلى الله عليه وسلم أما صحبت أحد يقوم

أحدكم

أحدكم فيقتله فقالوا هلا أومأت الينا فقال ان الانبياء لا تكون لهم خائنة الاعين وكان
أسلم قبل الفتح وكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يبدل القرآن ثم ارتد
وهرب الى مكة ثم أسلم يوم الفتح وعاش الى خلافة عثمان وولاه مصر والثالث عكرمة بن
أبي جهل اسلمت له زوجته أم حكيم وجاء عكرمة حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا محمد ان هذه أخبرتني انك أمنتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدقت فانك آمن فقال عكرمة أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك
عبد الله ورسوله والرابع الحويرث بن نقيذ كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقتله علي رضي الله عنه والخامس مقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح
الياء التحتية وآخره سين مهملة وابن صبابة المذكور بالصاد المهملة المضمومة
وبالموحدتين وهو ان أخاه هشام بن صبابة قدم المدينة وأسلم وكان مع النبي صلى الله
عليه وسلم في غزوة المريسيع فقتله أنصاري من بني عمرو بن عوف ظنه مشركا فقتله
خطأ فقدم مقيس المدينة يطلب دم أخيه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الانصاري بالدية
فقبل ديته فأسلم مقيس وبعدما أخذ الدية قتل الانصاري وارتد ورجع الى مكة مشركا
والسادس هبار بن الاسود وكان كثيرا ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر
عرض هبار مع جماعة لطريق زينب ومعها وضرب سرتها بالرمح فسقطت عن ظهرها
وكانت حاملا فالقت حملها ولم تزل ضعيفة من هذا المرض فغضب عليه النبي صلى الله
عليه وسلم غضبا شديدا وأهدر دمه ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
جاءه هبار معتذرا وقال يا محمد أنا كنت منكرا للاسلام وقد كنت ضالا هداك بعد ولا
ضالا والآن هداني الله للاسلام وأنا أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
واعتذر اليه مما صدر منه فظهر الحياء في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فقبل اسلامه وقال
يا هبار عفوت عنك والاسلام يجب ما كان قبله والسابع صفوان بن أمية ولما علم ان
النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه يوم فتح مكة هرب مع غلامه ثم سار الى جدة يريد
أن يركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا نبي الله ان صفوان بن أمية سيد
قومي وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه عليك قال هو آمن قال
يا رسول الله أعطني شيئا يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي
دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان
فداك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك ان تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله

عليه وسلم فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان هذا يزعم أنك أمنتني قال صدق قال فاجعلني في أمري بالخيار شهرين قال أنت فيه بالخيار أربعة أشهر فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين وهوازن واستعار منه النبي صلى الله عليه وسلم مائة درع فقال صفوان أغصبا يا محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل عارية مضمونة وحين قفل النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف إلى الجعرانة مر مع صفوان على شعب مملوء من الإبل والغنم وسائر أنعام الغنيمة وكان صفوان يجد النظر إلى تلك الأموال ولم يرفع بصره عنها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلاحظه فقال يا أبا وهب أيعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك بما فيه فقال صفوان ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي وأسلم هنالك والسادس حارث بن طلاطلة وهو من جملة مؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يوم فتح مكة قتله علي بن أبي طالب والسابع كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني الشاعر صاحب بانت سعاد القصيدة المشهورة وكان هجا النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه وهو جالس في المسجد فدخل وأسلم وأنشده قصيدته التي أولها * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * فلما بلغ إلى قوله

إن الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
أنبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول

قال النبي صلى الله عليه وسلم إنه عفوا مقبول وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم وكساه بردة جائزة له فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب أن بعنا بردة النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم وقال الملك المؤيد أبو الفدا إسماعيل صاحب حماة في تاريخه أنه اشتراها بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون حتى أخذها التتار منهم والصحيح أن هذه البردة غير بردة كعب بن زهير وهي التي اشتراها معاوية وتعاقبت بها خلفاء بني أمية والثانية هي التي أهداها صلى الله عليه وسلم لأهل أيلة في غزوة تبوك وكتب لهم أمانا واشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار ولعلها هي التي أخذها التتار وإلا فقد كانت عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوسا وركوبا وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمي طوله أربعة أذرع وعرضه

مرادان وشمر فهو عند الخلفاء بعد خلق وطووه بين ثياب تلبس يوم الأضحى والفطر انتهى
ولعل هذا هو الموجود في الخزينة الخديوية المصرية

وكان اسلام كعب في السنة التاسعة * والعاشر وحشي بن حرب قاتل حمزة وكان كثير
من المسلمين يريد قتله ويوم فتح مكة هرب الى الطائف وأقام هنالك الى زمان قدوم
وفد الطائف الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء معهم ودخل عليه وقال أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنت وحشي قال نعم قال
أأنت قتلت حمزة قال قد كان من الأمر ما بلغك يا رسول الله قال اجلس واحك لي كيف
قتله ولما قص عليه قصة قتله قال أما تستطيع أن تغيب وجهك عني وكان وحشي بعد
ذلك إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم غرّبه وتخفّى * والحادي عشر عبد الله بن الزبعرى
وكان من شعراء العرب وكان يهجو أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض
المشركين على قتالهم ويوم الفتح لما سمع أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه هرب الى
نجران وسكنها وبعد مدة وقع الاسلام في قلبه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه من
بعد قال هذا ابن الزبعرى ولما دنا منه قال السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أنك رسول الله

وأما النساء الست اللاتي أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دماءهن يوم الفتح فإحداهن
هند بنت عتبة وهي امرأة أبي سفيان روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر جالس أسفل
منه يبلغهن بأمره ويبلغه عنهن فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وهي متنكرة
خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحمزة في كونها بقرت
بطنه ومضغت كبده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعكن على أن لا تشركن
بالله شيئا فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا يسرقن فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح فإن أصبت من ماله هنات فقال
أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها
وإنك لهند فقالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله فقال عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت
أوتزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتم كبارا فأنتم وهم أعلم
فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم صلى الله عليه وسلم ولما قال صلى الله عليه
وسلم ولا يأتين ببهتان يفترينه قالت والله إن إتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد

ومكارم الأخلاق ولما قال ولا تعصينني في معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء معروف وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فلما رجعت جعلت تكسر صنمها وتقول كنا منك في غرور الثانية والثالثة فرتنى بالفاء والموحدة مصغرا وقريبة بالقاف المفتوحة والراء المهملة الساكنة والنون والباء الموحدة وأرنب كذا سماهما القسطلاني في المواهب اللدنية وهما قينتان يعني أي مغنيتان لابن خطل وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما مع ابن خطل فأما فرتنى فقتلت مصلوبة وأما قريبة فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمنها فأسلمت الرابعة مولاة بني خطل وقتلت يوم الفتح الخامسة مولاة بني عبد المطلب وقيل ولاء عمرو بن صيفي بن هاشم السادسة سارة وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة من المدينة ذاهبة إلى مكة إلى قريش وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وكانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وبقيت يوم الفتح حتى استؤمن لها فعاشت حتى أوطأها رجل فرسا في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها وفي فتح الباري في شرح صحيح البخاري أنها أسلمت

وأذن بلال الظهر على الكعبة فقالت جويرية بنت أبي جهل لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال على ظهر الكعبة وقال الحارث بن هشام ليتني مت قبل هذا وقال خالد بن أسيد لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم ثم ذكر لهم ما قالوه فقال الحارث أشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد فنقول أخبرك وقام علي رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعاه فقال هاك مفتاحك يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته وكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف

وفي رمضان هذه السنة يوم الفتح أسلم أبو قحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما روي أن أبا بكر جاء بأبيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أيام فتح مكة ليسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم لا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه في منزله فقال أبو بكر بأبي أنت وأمي هو أولى أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة أبي قحافة أم

الخير

ابن عامر توفي في السنة الرابعة عشرة من الهجرة في خلافة عمر بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه
بسنة وكان ابن سبع وتسعين سنة

قال ابن هشام وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت الأنصار به فقالوا فيما بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن إسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان

واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية رضي الله عنه خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم وفرقها صلى الله عليه وسلم في أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها من غنائم هوازن وقال إنما جزاء السلف الحمد والأداء

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر يوما يقصر الصلاة ثم خرج إلى هوازن وثقيف وقد برز لواؤه بها وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن خزاعة قتلت رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل منهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الشريف إلى الكعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ألا وإنها لم تحل لأحد كان قبلي ولا لأحد يكون بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار ألا وإنها أعني هذه الساعة حرام لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يودى وإما أن يقاد فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه إلا الإذخر فإنه لقبورنا وبيوتنا فقال إلا الإذخر ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الأكوع المدلي من بني بكر فإنه دخل مكة وهو على شركه فعرفته خزاعة فأحاطوا به فطعنه خراش بمشقص في بطنه حتى قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا والمشقص ما طال من النصال وعرض قال ابن هشام وبلغني أنه أول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وسلم ورؤي امرأة فأراد صلى الله عليه وسلم قتلها

يدها ففزع قومها الى اسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم يستشفعون به فلما كلمه اسامة فيها تلون وجهه صلى الله عليه وسلم وقال أتكلمني في حد من حدود الله تعالى فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فانما أهلك الناس قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها

ثم قام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لأبي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم

*(وفي هذه السنة كانت غزوة حنين وهي غزوة هوازن)

وحنين اسم واد بينه وبين الطائف سنة وبين مكة ثلاث ليال وتسمى غزوة أوطاس وهو وادي هوازن وسبب غزوة حنين انه لما فتحت مكة تجمعت هوازن بحرفهم وأموالهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقدمهم مالك بن عوف النصري وانضمت اليهم ثقيف وهم أهل الطائف وسعد بن بكر وهم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم مرتضعا عندهم وحضر بنو جشم وفيهم دريد بن الصمة وليس فيه الا التيمن برأيه وقال دريد

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم باجتماعهم خرج من مكة لست خلون من شوال سنة ثمان من الهجرة وكان يقصر الصلاة بمكة من يوم فتحها الى خروجه هذا وخرج معه اثنا عشر ألفا ألفان من أهل مكة والعشرة آلاف التي كانت معه ففتح الله بها مكة والتقى بحنين والمشركون باوطاس وقال رجل من المسلمين لما رأى كثرة جيش المسلمين لن نغلب هؤلاء من قلة وفي ذلك نزل قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا فلما التقوا انهزم المسلمون لا يلوي أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين في نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته واستمر صلى الله عليه وسلم ثابتا وتراجع المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لبغلته الدلدل البدي البدي فوضعت بطنها على الارض وأخذ حفنة من تراب

ورمى

فرمى بها في وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه (أي قبحت) فلم يبق منهم إلا امتلأت عيناه من ذلك التراب فكانت الهزيمة عليهم ونصر الله المسلمين وأنزل الله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وقال عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب * وهذا يدل على كمال شجاعته وتمام صولته وقوته صلى الله عليه وسلم إذ في هذا اليوم الشديد اختار ركوب البغلة التي ليس لها كر ولا فر كما يكون للفرس ومع ذلك يوجهها نحو العدو ويحثها عليهم وينوه باسمه وما هذا كله إلا لوثوقه بالله وتوكله عليه وليس قوله صلى الله عليه وسلم أنا النبي لا كذب إلى آخره من الشعر لأن شرطه كما تقدم في بناء المسجد أن يكون عن قصد وروية وإنما قال صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب ولم يقل أنا ابن عبد الله لأن العرب كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم إلى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله في حياته فليس من الافتخار بالآباء الذي هو من عمل الجاهلية كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك واستشهد من المسلمين أربعة وقتل من المشركين أكثر من سبعين ولما أفضى المسلمون في القتال إلى الذرية فنهاهم عن ذلك زيادة على نهيه من قبل [illegible]

ولما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعث عبيدا أبا عامر الأشعري لغزو أوطاس لطائفة دريد بن الصمة وأصحابه فهزمهم وقتلهم واستشهد أبو عامر رضي الله عنه بعد قتله تسعة منهم وكان في السبي الشيماء أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة واسمها حذافة وإنما غلب لقبها فلا تعرف في قومها إلا به

ولما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن وأمر بطلبهم قال لخيله إن قدرتم على بجاد رجل من بني سعد فلا يفلتن منكم فأخذته الخيل وضموه إلى الشيماء بنت الحارث (وتكنى أبا ذؤيب كما تكنى بأبي كبشة) أخت النبي صلى الله عليه وسلم وأتعبوها في السياق أي وعنفوا بالشيماء عليهم فجعلت تقول والله أخت صاحبكم فلم يصدقوها فأخذها طائفة من الأنصار وكانوا أشد الناس على هوازن فأتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا محمد إني أختك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علامة ذلك فأرته عضة إبهامها وقالت هذه عضضتنيها وأنا متوركتك بوادي السدر ونحن يومئذ نرعى البهم أبوك أبي وأمك أمي وقد تذكر يا رسول الله حلابي لك عنز أبيك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فوثب قائما فبسط رداءه ثم قال اجلسي عليه ورحب بها ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما ثم قال إن أحببت

فقالت قد بايعته بمكة وان أحببت ان ترجعي الى قومك وصلتك ورجعت الى قومك قالت بل أرجع الى قومي فأسلمت وأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أعجبه جاريته وأرضها بعيرا أو بعيرين وشاها من نعم فأخبرته بأخيها وأختها وبعمها وأخبرته بقوم سألها عنهم ثم قال ارجعي الى الجعرانة تكونين مع قومك فاني أمضي الى الطائف فرجعت الى الجعرانة ووافاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة فأعطاها نعما وشاء وكلمته في بجاد أن يهبه لها ويعفو عنه ففعل صلى الله عليه وسلم وقد سبق بعض ذلك في الفصل الاول من الباب الاول من المقالة الخامسة من الجزء الثاني

وورد في الحديث النبوي انه صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابني ابنته رضي الله عنها وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وان آخر وطأة وطئها الله بوج اه قال العلماء ان هذا الحديث من خفي الغريب وجامعه فان وج واد من الطائف وحنين واد قبله فأراد صلى الله عليه وسلم غزاة حنين لان غزوة حنين آخر غزوة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأما غزوتا الطائف وتبوك التي بعدهما فلم يكن فيهما وطأة أي قتال وانما كانا مجرد خروج الى الغزو من غير ملاقاة عدو ولا قتال ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج على ما قبله من الحديث هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لان غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ووفاته كانت في ربيع الاول سنة احدى عشرة وبينهما سنتان ونصف فكأنه قال وانكم لمن ريحان الله أي من رزقه وانا مفارقكم عن قريب الا انه ضاع عن قوله وانا مفارقكم عن قريب على سبيل التعريض بقوله وان آخر وطئة وطئها الله بوج اشارة لما أراده وقصده من قرب وفاته بحصول الغزوة المذكورة * وفيها توفيت زينب وفيها غلا السعر فقالوا سعر لنا وفيها ولد ابراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام وفيها مات حاتم الطائي وكان شاعرا جوادا يضرب بجوده المثل ومن لطيف ما ورد ان الذين أسمع عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في زمن الفترة كانوا أربعة الاول الملك أنوشروان لعدله والثاني أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم لتربيته والثالث حاتم الطائي لكرمه والرابع امرؤ القيس لشعره

في

عليه وقال فيها كثير من المسلمين أجزل الله أجره وانهزمت ثقيف إلى الطائف وكان هذا
سبب غزوة الطائف

وفي هذه السنة كانت غزوة الطائف والطائف بلدة كثيرة الفواكه وهي أبرد
مكان بالحجاز وربما جمد الماء في ذروة الجبل التي هي على ظهره وأكثر ثمرها الزبيب
وهي طيبة الهواء ينتجع إليها أهل مكة أيام الصيف وسبب هذه الغزوة أنه لما
انهزمت ثقيف من حنين إلى الطائف وأغلقوا أبواب مدينتهم سار النبي صلى الله عليه
وسلم وحاصرهم بضعة عشر يوما وقاتلهم بالمنجنيق ودخل نفر من المسلمين تحت دبابة
(تدخل فيها الرجال ويتقون بها من العدو وهي آلة من آلات الحرب يدفع
في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها) ودنوا إلى سور الطائف فصب عليهم
سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا منهم قوما وأمر صلى الله عليه وسلم
بقطع أعنابهم ثم رحل عنهم ونزل بالجعرانة واجتمع فيها الغنائم وأتى إليه وفد هوازن
ودخلوا عليه بعد ما أسلموا وقالوا قد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك وإن في حظائرهم
الأمهات والأخوات والعمات والخالات يريدون عماتك وخالاتك وحواضنك
اللاتي كن يكفلنك لأن مرضعته صلى الله عليه وسلم من هوازن فرحمهم وعطف وقال
صلى الله عليه وسلم إن أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم
فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب
شيئا اردد علينا نساءنا وأبناءنا فهم أحب إلينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فرد عليهم
نصيبه ونصيب بني عبد المطلب قائلا أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وإذا أنا
صليت الظهر بالناس فقوموا وقولوا إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى
رسول الله في نسائنا وأبنائنا فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم فلما صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الظهر قاموا إليه فتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد أن أثنى على الله بما هو أهله أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين وإني
رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون
على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين وقد
خيرناهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئا فمن كان عنده من السبايا شيء وطابت
نفسه أن يرده فليرده فقال الناس رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ثم لحق مالك

ابن عوف مقدم هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه واستعمله
على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل وكانت عدة السبي الذي أطلقه ستة آلاف

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه سبي هوازن كان ممن
عرض عليه بنت حاتم الطائي فقالت يا رسول الله أنا بنت من كان يحمل الكل (أي
الشيء الذي يحصل منه التعب) ويكسب المعدوم (أي يعطيه له تبرعا) ويعين
على نوائب الزمان أنا بنت حاتم الطائي فمن عليها صلى الله عليه وسلم وردها إلى أهلها
وقال اغفروا لعزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فقالت يا رسول الله وصوب ساقي
فقال وصوب فمالك كريمة بنت كريم فقالت يا رسول الله أتأذن لي أن أدعو لك
بدعوات فأذن لها وقال لأصحابه انصتوا وعوا فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى
ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلى
لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم إلا وجعلك سببا لردها وحسب لك هذا في اصطناع
المعروف وإغاثة الملهوف وقد سبق التنويه إلى ذلك في الفصل الثاني من الباب
الخامس من المقالة الخامسة من الجزء الثاني من هذا التاريخ

قال القاضي محمد بن سلامة القضاعي في كتاب الأنباء كان فيها من السبايا ستة آلاف
ومن الإبل والغنم ما لا يدرى عدده واستعمل أبا الجهم بن حذيفة بن غانم العدوي على
النفل (أي الغنيمة) يوم حنين وذكر ابن الأثير في الكامل في أخبار يوم حنين أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسبايا والأموال فجمعت إلى الجعرانة (وهي ما بين
الطائف ومكة) وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعي انتهى وبالجعرانة قسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الغنائم

وقيل كانت عدة الإبل أربعة وعشرين ألفا والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة
أربعة آلاف أوقية وأعطى المؤلفة قلوبهم مثل أبي سفيان وابنيه يزيد ومعاوية
وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام أخي أبي جهل وصفوان بن
أمية وغيرهم من قريش وكذلك أعطى الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن
ومالك بن عوف مقدم هوازن فأعطى لكل واحد من الأشراف مائة من الإبل
وأعطى الآخرين أربعين أربعين وأعطى العباس بن مرداس السلمي أباعر لم يرضها
وقال في ذلك أبياتا

أتجعل

أتجعل نهبي ونهب العبيـــد بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لم يرفع

أي ومن خفضته بعدم الاعطاء لا يرتفع بعد ذلك والعبيد اسم فرسه ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقطعوا عني لسانه فأعطي حتى رضي ومدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال

رأيتك يا خير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظلما
فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرئ يجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وكان قديما ركنه قد تهدما
تعالى علوا فوق عرش إلهنا * وكان مكان الله أعلى وأعظما

وقال ابن أسد هذه الأبيات وامتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه حلة فقطع بها لسانه أي منعه من الهجو

ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى ولم يعط الأنصار من ذلك شيئا وجدوا في أنفسهم فدعاهم صلى الله عليه وسلم وقال إن قريشا حديثو عهد بالجاهلية أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم قالوا بلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ويومئذ قال ذو الخويصرة من بني تميم لم تعدل هذه القسمة ولا أريد بها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم سيخرج من ضئضئ (أي أصل) هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم تراقيهم يخرج حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية لأن في رأس عضده مثل حلمة الثدي على ما سيأتي بيانه وهو أول من بويع من الخوارج بالإمامة وأول مارق من الدين والخوارج قوم يكفرون بالكبيرة ويحكمون بأن فاعل الكبيرة كافر ويخالفون الأئمة ويحكمون بأن دار الإسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر ولا يصلون جماعة ثم اعتمر صلى الله عليه وسلم من الجعرانة وعاد إلى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة ورزقه في كل يوم درهما

[illegible] الناس حج بالمسلمين هذه السنة عتاب المذكور وهو أول أمير أقام الحج في الإسلام وكان عليه الورع والزهد وحج المشركون على مشاعرهم

وفي هذه السنة أسلم عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه وكان من حديث قصته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوك فقال عروة يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم وكان فيهم كذلك محببا مطاعا فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف لهم على علية وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله فقيل له ما ترى في دمك قال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه

(الفصل التاسع)

(في حوادث السنة التاسعة وما فيها من الغزوات)

وفي هذه السنة كانت غزوة تبوك وهي آخر غزواته وتبوك بفتح التاء المثناة الفوقية وضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها كاف في طرف الشام من جهة القبلة لها بينها وبين المدينة المنورة نحو أربع عشرة مرحلة وسميت الغزوة بعينها وتبوك هي العين التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمسوا من مائها شيئا حتى أتى صلى الله عليه وسلم إليهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي قال معاذ فجئناها وقد سبق إليها رجلان من المنافقين والعين مثل الشراك تبض بشيء قليل من الماء فسألهما النبي صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا فقالا نعم فقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم أمر برفع ماء منها فرفعوا له من تلك العين قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بعد ذلك بماء كثير فشرب النبي صلى الله عليه وسلم والناس وكفاهم

وقال

ويقال لها غزوة العسرة سميت بذلك لوقوعها في زمن الحر والجدب والبلاد مجدبة والناس في عسر ويقال لها الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها

وحض صلى الله عليه وسلم من عنده من المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه وأمرهم بالصدقة فحملوا صدقات كثيرة وكان أول من جاء بها أبو بكر جاء بماله كله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء العباس بن عبد المطلب بمال كثير وجاء طلحة بمال وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية من الفضة وجاء سعد بن عبادة بمال وجاء محمد بن مسلمة بمال وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقا من تمر وجهز عثمان بن عفان ثلث ذلك الجيش وكفاهم مؤنتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضر عثمان بن عفان ما فعل بعد اليوم

وسار صلى الله عليه وسلم إلى تبوك واستخلف عليا رضي الله عنه على المدينة وعلى عياله فقال علي أتخلفني في الصبيان والنساء قال أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي وليس المراد بهذا الحديث أن جميع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلي من النبي صلى الله عليه وسلم وإلا لما صح الاستثناء كما زعم الشيعة والرافضة من دلالته على استحقاقه الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم بل المراد أن عليا خليفة عن النبي صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هارون خليفة عن موسى مدة غيبته للمناجاة وأما الاستثناء فمنقطع والمعنى لكنك لست نبيا كهارون لأنه لا نبي بعدي ولئن سلم أن الحديث يعم المنازل كلها فهو عام مخصوص إذ من منازل هارون كونه أخا نبي والعام المخصوص غير حجة في الباقي أو حجة ضعيفة على الخلاف وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف وتخلف عبد الله بن أبي المنافق ومن تبعه من أهل النفاق وتخلف ثلاثة من الصحابة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ولم يكن لهم عذر ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن أقام بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم النبي صلى الله عليه وسلم علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى ثم جاءه كعب بن مالك وكان قد تقدمه مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فسألهم عن سبب تخلفهم فأقروا أن لا عذر لهم وأمرهم بالمضي حتى يقضي الله فيهم ونهى النبي صلى الله

[illegible] عن كلامهم من بين من تخلف عنه فاجتنبهم الناس وضاقت عليهم الأرض
بما رحبت فلبثوا على ذلك خمسين ليلة ولما مضت أربعون ليلة من الخمسين أمرهم
النبي صلى الله عليه وسلم باعتزال نسائهم وجاءت امرأة هلال اليه صلى الله عليه وسلم
تستأذنه في خدمته فأذن لها من غير أن يقربها فلما مضت عليهم خمسون ليلة من حين
النهي عن كلامهم نزلت توبتهم فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بتوبة الله عليهم وذهب
الناس يبشرونهم وجاء كعب الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور
فقال له صلى الله عليه وسلم أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فقال أمن عندك
يا رسول الله أم من عند الله عز وجل فقال بل من عند الله عز وجل وأنزل الله على
رسوله صلى الله عليه وسلم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين الى قوله تعالى وكونوا مع
الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله علي نعمة قط بعد أن هداني للاسلام أعظم
في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك
الذين كذبوه فان الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي سيحلفون بالله لكم اذا
انقلبتم اليهم الى قوله تعالى فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

وأما ما ورد في هجر المسلم أخاه فوق ثلاث أنه حرام فمحله اذا كان لحظوظ النفس
أو لمتعلقات الدنيا وأما اذا كان المهجور مبتدعا أو متجاهرا بالفسق ونحو ذلك فلا
تحرم هجرته لما ثبت من هجر النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة الذين خلفوا

ولم يجاوز صلى الله عليه وسلم تبوك حين استشار أصحابه في مجاوزتها فقال له عمر
رضي الله تعالى عنه ان كنت أمرت بالسير فسر فقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير
لم أستشركم فيه فقال يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل
الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنونا فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث
الله أمرا وهذا صريح بأن تبوك لم تفتح عنوة ولا صلحا ولا حصل فيها غنيمة وانما أتاه
صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بها يحنة بضم التحتية وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة
مفتوحة ثم هاء ابن رؤبة بالموحدة صاحب أيلة وصالحه وأهل جربا بالمد
أرض عذرة مقصورة بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة الساكنة والراء المهملة
المضمومة والحاء المهملة مدينة تلقاء الشراة وأهل مينا وأهدى يحنة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه صلى الله عليه وسلم بردا وهو البردة التي كانت عند خلفاء
بني العباس اشتراها من أهل أيلة أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار وكانت التي
اشتراها

اشتراها معاوية من ذرية كعب بن زهير وبقيت عند بني أمية وقد تقدم
في غزوة فتح مكة أن بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي خلعها على كعب بن زهير جائزة
على قصيدته المشهورة قد اشتراها معاوية من ذريته ثم تنقلت بزوال بني أمية فخلفاء
هذه فلم أجمع في عقبه فصالح النبي صلى الله عليه وسلم يحنة على إعطاء الجزية فقطعت
جزيتهم ثلاثمائة دينار بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم وكتب له ولأهل أيلة كتاب
الصلح وكتب أيضا لأهل أذرح وجرباء كتاب الصلح وأن عليهم مائة دينار في كل رجب
وصالح أيضا أهل مقنا على ربع ثمارهم من هذا فهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يعرض
في غزوة تبوك لقتال الروم وقد سبق الكلام عليه في الفصل الرابع عشر من الباب
الأول من المقالة الرابعة من الجزء الأول من هذا الشرح

ولما وصل صلى الله عليه وسلم إلى تبوك كان هرقل بحمص وقدم من القسطنطينية إليها
وكان يعتقد ملكه بالشام وكانت في زمانهم أعظم من دمشق ولم يكن هم بالذي بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه من جمعه ولا حدث نفسه بذلك وبعث صلى الله
عليه وسلم دحية بكتابه إليه فلما جاءه جمع بطارقة الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم
وقال قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل يدعوني إلى ثلاث خصال إما أن أتبعه على
دينه أو أن أعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا أو نلقي إليه الحرب والله لقد عرفتم
فيما تقرؤون من الكتب ليأخذن موضع قدمي هاتين فهلم فلنتبعه على دينه أو أن
نعطيه مالنا فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا تدعونا إلى أن نذر
النصرانية أو نكون عبيدا لأعرابي من الحجاز فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده
أفسدوا عليه الروم قال إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم ثم دعا رجلا من
عرب تجيب كان على نصارى العرب فقال ادع لي رجلا حافظا للحديث عربي اللسان
أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه فجيء بالتنوخي فدفع إليه هرقل كتابا وقال اذهب
بكتابي هذا إلى هذا الرجل فما سمعته من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال هل
يذكر صحيفته إلي كتب بشيء وانظر إذا قرأ كتابي هل يذكر الليل وانظر إلى ظهره
هل به شيء يريبك قال فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين ظهراني
أصحابه محتبيا على الماء فقلت أين صاحبكم قيل ها هو ذا فأقبلت أمشي حتى جلست
بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال ممن أنت فقلت أنا أحد تنوخ قال هل

لك في الحنيفية ملة أبيك ابراهيم قلت اني رسول قوم وعلى دين قوم حتى أرجع اليهم
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله
يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين يا أخا تنوخ اني كتبت بكتاب الى كسرى فمزقه
والله ممزقه وممزق ملكه وكتبت الى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس
يجدون منه بأسا ما دام في العيش خير قلت هذه احدى الثلاث التي أوصاني بها
صاحبي فأخذت سهما من جعبتي فكتبتها في جفن سيفي ثم ناول الصحيفة رجلا عن
يساره قلت من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم قالوا معاوية فاذا في كتاب صاحبي
تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فأين النار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله أين النهار اذا جاء الليل فأخذت سهما من جعبتي
فكتبته في جفن سيفي فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال ان لك حقا وانك رسول
فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها انا سفر مرملون فناداه رجل من أصحابه فقال
أنا أجوزه ففتح رحله فاذا هو بحلة صفورية فوضعها في حجري فقلت من صاحب الجائزة
قيل لي عثمان ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ينزل هذا الرجل فقال فتى
من الانصار أنا فقام الانصاري وقمت معه حتى اذا خرجت من طائفة المجلس ناداني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعال يا أخا تنوخ فأقبلت أهوي حتى كنت قائما
في مجلسي الذي كنت بين يديه فحل حبوته عن ظهره وقال ههنا امض لما أمرت به
فجلت في ظهره فاذا أنا بخاتم النبوة في موضع غضروف الكتف مثل المحجمة الضخمة
فانصرف الرجل الى هرقل وذكر له ذلك فدعا قومه الى التصديق بالنبي صلى الله عليه
وسلم فأبوا حتى خافهم على ملكه وهو في موضعه بحمص لم يتحرك ولم يزحف وأهدى
هرقل له صلى الله عليه وسلم هدية ففرقها على المسلمين وأقام صلى الله عليه وسلم
بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ثم انصرف قافلا الى المدينة وفي هذه الغزوة خرج النبي صلى
الله عليه وسلم من المدينة الى الشام في العدد الذي لم يقع مثله كان العدد فيها ثلاثين
ألفا أو أكثر وكانت الشقة بعيدة ولهذا لم يورها بل أعلم الناس بوجههم ليكونوا بأهبتهم
بحسب ذلك ومع هذا الاحتياط في الاستعداد لم يقع بها حرب ولا وقع قتال وذلك لأن
أهل وجه الشام لم يكن بعد قد سبق العزم بالقدر وتعلق العلم ورجع النبي صلى
الله عليه وسلم الى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب عند انصراف
الروم وقد قدمنا نص ذلك في الفصل الرابع من المقالة الرابعة من الجزء الاول

وفي هذه السنة هدم مسجد الضرار الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في سورة براءة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الآية أنزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا أضافوه الى مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وكانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة ولما فرغوا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك وقالوا يا رسول الله قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية وانا نحب ان تأتينا وتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ولما انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك ونزل بذي أوان موضع قريب من المدينة أتوه فسألوه اتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن وأخبره الله خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله

يقول الفقير محمد مؤلف هذه السيرة المحمدية في مدة رفاعة كان الوالد أحسن الله اليه وأسبغ نعمة الرحمة والرضوان عليه اشتهى أن في نفسه أن يضع ضابطا للغزوات مجملا للسيرة ويذكر كل غزوة من الغزوات بالاجمال ولكن أبى الله الا ما أراد وما كان الا ما المقصود في حياته والمراد فبادرت لعام أمده الى تحرير وجمع هذا الجدول بانقاء جعلته الاصل معتمدا على سيرة في تاريخ السنين باعتبار الباب والفصل

(جدول يتضمن ما عرف من الغزوات التي سبق ذكرها مفصلا)

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد القتلى من المسلمين	عدد المشركين	ملحوظات
١	١	غزوة الأبواء وتسمى غزوة ودّان	٧		ودّان قرية كبيرة بينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال والأبواء قرية ما بين مكة والمدينة وفي هذه الغزوة عقد صلى الله عليه وسلم الصلح مع سيد بني ضمرة مخشي ابن عمرو الضمري على أن لا يغزوهم ولا يغزونه ولا يكثروا عليه جمعا ولا يعينوا عليه عدوا وكتب بينه وبينهم كتابا ثم ذكره عند ذكر هذه الغزوة في هذا الكتاب وكان العامل على المدينة سعد بن عبادة وكون هذه الغزوة كانت في السنة الأولى هو ما قاله أهل السير والصحيح أنها كانت في السنة الثانية
٢	١	غزوة بواط	٢		١ بواط بضم الموحدة وفتحها قيل إنها كانت في السنة الأولى والصحيح أنها في الثانية وبواط جبل بناحية رضوى وكان كبير المشركين أمية بن خلف وحامل اللواء في هذه الغزوة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه والعامل على المدينة السائب بن عثمان ابن مظعون وقيل سعد بن معاذ وانتهى صلى الله عليه وسلم الى بواط فلم يلق كيدا ورجع الى المدينة بدون حرب
٣	١	غزوة العشيرة	٢ ٠		العشيرة بالعين المهملة والشين المعجمة وبالمهملة أيضا على صيغة التصغير موضع ببطن ينبع والصحيح أنها كانت في السنة الثانية

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد المجاهدين	عدد المشركين	ملحوظات
					الشام وكان قائد المشركين فيها أبا سفيان وكان فيهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وقد كانت هذه الغزوة سبب الوقعة بدر الكبرى واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد والحامل للواء حمزة بن عبد المطلب ولم يكن في هذه الغزوة حرب لكون العير التي كان فيها أبو سفيان قد مضت قبل أن يصل اليها صلى الله عليه وسلم وقد وادع فيها بني مدلج
،	٢	غزوة سفوان ويقال لها بدر الأولى			استعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة والحامل للواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	٢	غزوة بدر الكبرى	٣١٣	١	هذه الغزوة أفضل الغزوات ويقال لها بدر القتال وبدر الفرقان ولم يكن في المجاهدين سوى فارسين المقداد بن عمرو الكندي والزبير بن العوام وكان الحامل للواء مصعب بن عمير وكان الامداد فيها من قبل الله تعالى بالملائكة بنص القرآن في قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وأول غزوة وقعت في الاسلام كانت هذه الغزوة واستشهد أربعة عشر رجلا من المهاجرين والانصار وقتل



(نهاية الإيجاز)

نمرة	سنة	أسماء الغزوات	عدد القتلى	عدد الأسرى	ملحوظات
					من المشركين ... وأسروا ... وانهزم باقيهم
٦	٢	غزوة بني قينقاع		٧	قينقاع شعب اليهود واستكان إلا أنه وثبت اليهود بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وحلفاء الخزرج ولما كانت وقعة بدر نبذوا عهده صلى الله عليه وسلم وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب ومدة الحصار خمسة عشر ليلة
٧	٢	غزوة السويق	٢	٢	سبب هذه الغزوة وهو أول حدث في سنة أبو سفيان بعد هزيمته في غزوة بدر الكبرى نذر أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا ويأخذ بثأره وثأر أصحابه ممن أصيب من المشركين يوم بدر وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسة أيام وسميت غزوة السويق لإلقاء السويق من رحال المشركين عند هزيمتهم لجمعها ولا أحد للمسلمين لذلك ولم يكن في هذه الغزوة كيد
٨	٢	غزوة قرقرة الكدر	٢		قرقرة الكدر أرض ... جادة العراق إلى مكة وكان الحامل للواء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقيل كانت هذه الغزوة في المحرم سنة ثلاث ويمكن الجمع

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد المسلمين	عدد المشركين	ملحوظات
					بن العوايس أمها السداب في أواخر الحجة وأحدث من المحرم أياماً وكان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم
٩	٣	غزوة إمر وقال لها غزوة غطفان وغزوة أنمار	٤٥		إمر بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء اسم ماء وسبب هذه الغزوة أن دعثور بن الحارث الغطفاني جمع جمعاً وصنع من ديار غطفان يريد الإغارة على أطراف المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في أصحابه واستخلف عثمان بن عفان على المدينة فهرب المشركون في رؤس الجبال وفي هذا المحل لبث انه صلى الله عليه وسلم وأصابت أصحابه من كثرة المطر فنزع صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على الشجرة واضطجع فرأى من المشركين فجاءه دعثور وقال من يمنعك مني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم الله ودفعه جبريل في صدره فوقع ووقع السيف من يده فأخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار به فأجار فأسلم وجمع أصحابه على الإسلام ونزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية

عام	شهر	اسماء الغزوات	عدد الشهداء	عدد قتلى المشركين	ملحوظات
١	٣	غزوة بحران وتسمى غزوة بني سليم	٣		بحران بضم الباء أو فتحها وحاء مهملة ساكنة موضع على ثمانية برد من المدينة لم يلق صلى الله عليه وسلم حربا لتفرق المشركين ورجوعهم إلى أهاليهم وكانت غيبته عشر ليال وكان المستخلف على المدينة ابن أم مكتوم
١١	٣	غزوة أحد	١	٣	كان عدد جيش المشركين ثلاثة آلاف وقال إن عدة أصحابه صلى الله عليه وسلم سبعمائة وفيهم مائة دارع ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين أحدهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر لأبي بردة وكان اللواء مع مصعب بن عمير وفي هذه الغزوة قتل حمزة رضي الله عنه قتله وحشي وكان حبشيا وكان عدة الشهداء من المسلمين سبعين وعدة قتلى المشركين اثنين وعشرين
١٢	٣	غزوة حمراء الاسد			حمراء الاسد جبل بناحية العقيق على ثمانية أميال من المدينة وكان الحامل للواء عليا أو أبا بكر رضي الله عنهما
١٣	٤	غزوة بني النضير			وفي هذه السنة قصرت الصلاة الرباعية في السفر ونزلت آية التيمم وسبب الغزوة أنه صلى الله عليه وسلم استعان بهم في دية رجلين موادعين له كان عمرو بن أمية الضمري قتلهما غلطا فأتاهما جرسان

حكا

رقم	سنة	أسماء الغزوات	عدد الغزاة	عدد القتلى منهم	ملحوظات
					وكان صلى الله عليه وسلم قد عاهد بني النضير على ترك القتال وأعانهم له في الديات فلما حضر إليهم هو وبعض من أصحابه أرادوا الغدر به فانصرف إلى المدينة فجهز إليهم وغزاهم
١٤	٤	غزوة ذات الرقاع	٤		الرقاع كثير الأجد قيل سميت بذلك لأن فيه جبلا فيه بقع حمر وسود وبيض أو لأن حجارة الجبل كانت تنقب أقدام الصحابة وتسمى هذه الغزوة أيضا غزوة الأعاجيب وغزوة بني محارب وغزوة بني ثعلبة ثم بعد هذه الغزوة رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة
١٥		غزوة بدر الموعد	١٥		٣ [illegible] هذه الغزوة أيضا غزوة بدر الصغرى وبدر الآخرة [illegible] وكان على قريش أبو سفيان بن حرب [illegible] وخرج النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وأقام ثمانية أيام ولم يحصل حرب [illegible] ثم رجع [illegible] (٣)

عدد	سنة	اسماء الغزوات	عدد الغازين	عدد القتلى	ملحوظات
					ورجعوا كثيرا وفيها نزلت آية فانقلبوا بنعمة من الله وفضل وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة
١٧	٤	غزوة الخندق			١ وتسمى هذه الغزوة أيضا غزوة الاحزاب وذكر بعض أهل السير انها كانت في السنة الخامسة والصحيح في الرابعة كان المدبر لامر هذه الغزوة والقائم بشأنها أبا سفيان وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق باشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه فكان من مكايد الفرس لا من مكايد العرب ولما فرغ منه صلى الله عليه وسلم أقبلت قريش ومن معها من بني قريظة وقبائل العرب المشركين واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن ومكث العدو قريبا من شهر لم يكن بينهم الا الرمي بالنبل والحصار ولم يتمكن المشركون من عبور الخندق ثم نصر الله النبي صلى الله عليه وسلم فهبت ريح عاصفة في ليلة شديدة البرد فقلعت أطنابهم واكفأت قدورهم وملأت أعينهم ومع ذلك لم يتجاوز عسكرهم فرحلوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزوننا حتى فتح مكة

عدد	السنة	أسماء الغزوات	عدد الغزاة	عدد القتلى	ملحوظات
١٧	٤	غزوة بني قريظة	٣	٠	بنو قريظة قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس خانوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين هم أهل الوحي عقب غزوة الخندق فسار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحاصروهم خمسا وعشرين ليلة إلى أن نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يجمع ما وجد في حصونهم فقسمه صلى الله عليه وسلم بين أصحابه
١٨	٥	غزوة دومة الجندل	١		دومة الجندل بضم الدال إلى الجيم وفتح الجيم وكذا الدال [illegible] اسم مدينة بين الحجاز والشام وهي قرب العرب وأول غزوات الشام وصاحب دومة الجندل أكيدر وهو الذي أسرها وزعم بعضهم أن تحكيم الحكمين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان بدومة الجندل وسبب الغزوة أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة وكان بينها وبين المدينة [illegible] [illegible] غزوة [illegible] بدون حرب [illegible] [illegible] إنهم [illegible] وهرب أهل دومة الجندل وفي رجوعه صلى الله عليه وسلم صالح عيينة ابن حصن [illegible] [illegible]

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد الغزاة	عدد المشركين	ملحوظات
					رعى بجبل ... من المدينة ... الأولى لايحلف أرضه ولما سمع خافه وجده را... الى أرضه أغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ثم انتهى به الحال الى أن أسلم بعد الفتح و... بعض الصحابة وكان من المؤلفة ... الصديق رضي الله عنه ثم أسلم ولم يزل مظهرا للإسلام
١٩	٥	غزوة بني لحيان	٢		لحيان بكسر اللام وفتحها ... بن هذيل ... هذه الغزوة وهو إرادته عليه صلى الله عليه وسلم ... هذيل بعد ما ... عاصم بن ثابت ... بن عدي وغيرهما من الصحابة الذين ... هذيل ولما وصل صلى الله عليه وسلم اليهم ... رؤس الجبال ... فلم ... ثم ... لغزوة الغابة المعروفة بغزوة ذي قرد وكان المستخلف على المدينة ابن أم مكتوم
٢	٦	غزوة الغابة المعروفة بغزوة ذي قرد	٥		قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وضع على ... من المدينة على طريق ... قال البخاري و... كانت قبل خيبر ... أيام ولكن أجمع أهل السير على خلافه ما وهذه هي الغزوة التي أغار فيها

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد أيام الغيبة	عدد أيام الإقامة	ملحوظات
					عيينة بن حصن في أربعين فارساً من غطفان وفزارة على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة واللقاح ذوات اللبن القريبات من الولادة فنادى صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وأول من أقبل عليه صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن الأسود رضي الله عنه فعقد له لواء في رمحه ثم ... به الفرسان وأمر عليهم سعد بن زيد
٤١	٦	غزوة بني المصطلق			ويقال لها المريسيع وسبب هذه الغزوة أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق أي ... قد جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم جموعاً وبعث بريدة بن الحصيب يعلم له ذلك فلقي الحارث وكلمه ورجع إليه صلى الله عليه وسلم وأخبره ... على الماء ... المريسيع ... فلما وصل ... عرض عليهم الإسلام ... فأبوا ... قتلهم ... [illegible]

(نهاية الايجاز)

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد المسلمين	عدد المشركين	ملحوظات
٢٢	٦	غزوة الحديبية	٠	١٤	الحديبية بئر قريب من مكة وقيل قرية وقد سميت هذه الغزوة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا منام وهي أن خرج الى الحديبية وأنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وأخذ مفتاح الكعبة بيده وطافوا واعتمروا وحلق بعضهم وقصر بعضهم فأخبر بذلك أصحابه وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك فأخبر أصحابه أنه معتمر فخرج من المدينة في ذي القعدة بالمهاجرين والأنصار لا يريد حربا حتى وصل الى ثنية المرار فهبط الحديبية وأمر بالنزول ووقع من معجزاته صلى الله عليه وسلم نبع الماء في ذلك المكان ولم يقع بين الفريقين قتال
٢٣	٧	غزوة خيبر		٠	خيبر بلدة بينها وبين المدينة ثمانية برد وفرق صلى الله عليه وسلم الرايات يومئذ وكانت قبل ذلك الألوية واستشهد بها من المسلمين نحو من عشرين رجلا
٢٤	٨	غزوة مؤتة	٢	١	مؤتة قرية من قرى البلقاء بالشام وهذه الغزوة هي أول الغزوات بين المسلمين والروم وانضم الى الروم بعض العرب المتنصرة
٢٥	٨	غزوة فتح مكة	١		خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة لعشر مضين من رمضان ومعه المهاجرون والأنصار واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم

[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]	ملحوظات
٢٠	٨	غزوة حنين	٠	١٢		حنين واد قرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال وتسمى هذه الغزوة بغزوة أوطاس وخرج معه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا ألفان من أهل مكة والعشرة آلاف التي كانت معه وفتح بها مكة
٢	٨	غزوة الطائف				الطائف بلدة كثيرة الفواكه وهي أبرد مكان بالحجاز [illegible] اليها أهل مكة أيام الصيف
٢١	٩	غزوة تبوك	٠	٣		تبوك في طرف الشام من جهة القبلة بينها وبين المدينة نحو أربع عشرة مرحلة وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم واستخلف على المدينة وعلى عياله عليا رضي الله عنه وقال لما [illegible] والعمرة وقال له أما [illegible] لا [illegible] المنافقين وتخلف عن الخروج معه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي المنافق ومن معه من أهل النفاق

وفي سير الأمين المأمون لابي الفتح محمد بن سيد الناس رحمه الله وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين غزوة وقيل سبعا وعشرين قاتل في تسع منها بنفسه بدر وأحد والخندق وبني قريظة وبني المصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف [illegible] وقاتل في [illegible] وفي [illegible] الغرب والغابة وفي [illegible] صلى الله عليه وسلم الا [illegible] هو [illegible] بن جحش [illegible]

وفي دخول هذه السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قبل غزوة تبوك تتابعت الوفود من جميع الجهات فإنهم كانوا منتظرين ما يقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه فلما حصل الفتح دخل الناس في دين الله أفواجا وورد عليه عروة بن مسعود الثقفي وكان غائبا عن حصار الطائف فأسلم وحسن إسلامه فقال أمضي إلى قومي وأدعوهم فقال له صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوك فكان كما قال حيث رمي بسهم في سطح بيته وهو يؤذن للصلاة فمات ومنع قومه من الطلب بدمه وقال هي شهادة ساقها الله وأوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين ثم قدم ابنه أبو المليح وقارب ابن الأسود ابن مسعود فأسلما وضيق مالك بن عوف على ثقيف واستباح سرحهم وقطع سابلتهم أي سبيلهم ولعلهم رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك فوفدوا عليه فأسلموا وسألوه أن يدع اللات التي كانوا يعبدونها لا يهدمها إلى ثلاث سنين فأبى فنزلوا إلى شهر فأبى وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال لا خير في دين لا صلاة فيه فأجابوا وأرسل معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب فهدما اللات وخرج نساء ثقيف حسرى يبكين عليها وفيها بعث أبا بكر رضي الله عنه ليحج بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبثلاثمائة رجل فلما كان بذي الحليفة أرسل عليا رضي الله عنه في أثره وأمره بقراءة آيات من أول سورة براءة على الناس وأن ينادي أن لا يطوف بالبيت بعد السنة عريان (أي مكشوف العورة كما كانت الجاهلية تفعل ذلك) ولا يحج مشرك

وعن أبي هريرة قال كنت أؤذن مع علي رضي الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ببراءة فأذن أن لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله

فعاد أبو بكر وقال يا رسول الله هل نزل في شيء قال لا ولكن لا يؤدي عني غيري أو رجل من أهل بيتي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وصاحبي على الحوض قال بلى فكان أبو بكر أميرا على الموسم وعلي يؤذن ببراءة يوم الأضحى وأن لا يحج مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فلم يحج البيت في العام الذي حج فيه المصطفى حجة الوداع مشرك أنزل الله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا

الفصل

(الفصل العاشر)

(فيما وقع من وفود العرب عليه صلى الله عليه وسلم وفي حجة الوداع)

في هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربيع أو جمادى في سرية أربعمائة إلى نجران وما حولها يدعو بني الحارث بن كعب إلى الإسلام ويقاتلهم إن لم يفعلوا فأسلموا وأجابوا داعيه وبعث الرسل في كل وجه فأسلم الناس وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب إليه أن يقدم مع وفدهم فأقبل خالد ومعه وفد بني الحارث بن كعب منهم قيس بن الحصين ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادي وشداد بن عبد الله القناني وعمرو بن عبد الله الضبابي فأكرمهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية فقالوا كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم فأسلموا وأمر عليهم قيس بن الحصين ورجعوا صدر ذي القعدة من سنة عشر ثم أرسل إليهم عمرو بن حزم من بني النجار ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة وكتب إليه كتابا عهد إليه فيه عهده وأمره أمره وأقام عاملا على نجران وهذا الكتاب رواه أهل السير بتمامه وعدوه من الاستدلال وهو أحد كتب الأحكام الفقهية ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهد من محمد النبي لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه وأن ينهى الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم وأن يلين لهم في الحق ويشتد عليهم في الظلم فإن الله حرم الظلم ونهى عنه وقال ألا لعنة الله على الظالمين وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها وينذر الناس النار وعملها ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه وما أمر الله به والحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعا يثني طرفيه على عاتقيه وينهى أن يحتبي أحد في ثوب واحد ويفضي بفرجه إلى السماء وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى دعوى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له

إلى الله ودعا إليه فإذا أطاعوه وتابوا حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له
ويأمر الناس بإسباغ الوضوء في وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين
وأن يمسحوا برؤوسهم كما أمرهم الله وأمر بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن
يغلس بالصبح ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس وصلاة العصر والشمس في الأرض
مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء والعشاء أول الليل وأمره
بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح إليها وأمره أن يأخذ من المغانم خمس
الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء
وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل عشرين
أربع شياه وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة
جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التي
افترض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له وأنه من أسلم من يهودي أو
نصراني إسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل
ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم
ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف أو عوضه ثيابا فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة
رسوله ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا صلوات الله على محمد والسلام
عليه ورحمة الله وبركاته

وقدم عليه وفد غامد سنة عشر فأسلموا وتعلموا شرائع الإسلام وأقرأهم أبي القرآن
وانصرفوا

وقدم في شوال وفد سلامان سبعة نفر رأسهم حبيب فأسلموا وتعلموا الفرائض
وانصرفوا

وفيها قدم وفد جرش وقدم بهم صرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر من قومه ونزلوا
على فروة بن عمرو وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلموا صردا على من أسلم
منهم وأن يجاهد المشركين حوله فحاصر جرش وبها قبائل من اليمن وكانت
مدينة حصينة اجتمع إليها أهل اليمن حين سمعوا بخروج المسلمين فحاصرهم قريبا من
شهر فظنوا أنه انهزم فاتبعوه إلى جبل شكر فصف وحمل عليهم وقاتلهم وكانوا بعثوا رجلين إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رائدين وأخبرهما بذلك اليوم وأنه بشكر وقال إن بدن

الله

الله لم يحضر عنده الآن فرجعا الى قومهما وأخبراهم بذلك فأسلموا وحمى لهم حول قريتهم

ومنها كان اسلام همدان ووفادتهم على يد علي رضي الله عنه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أهل اليمن يدعوهم الى الاسلام فمكث معه ستة أشهر لا يجيبونه ثم بعث عليه السلام علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالدا فلما بلغ علي أوائل اليمن والقوم قد جمعوا فتقدم على الانذار وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم وكتب بذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرأ كتابه خر ساجدا ثم قال السلام على همدان ثلاث مرات ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام

وقدم وفد زبيد وفيهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي قال لقيس بن مكشوح المرادي اذهب بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فأمره فاتى قيس من ذلك فقدم عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان فروة بن مسيك المرادي على زبيد وقد قال عمرو مفارقا للملوك كندة فأسلم ونزل على سعد بن عبادة وتعلم القرآن وشرائع الاسلام واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى كانت الوفاة

وفي هذه السنة قدم وفد عبد القيس وفيهم الجارود بن عمرو وكانوا على دين النصرانية فأسلموا ورجعوا الى قومهم ولما كانت الوفاة وارتدت عبد القيس ثبت وا الله [illegible] الجارود على الاسلام وكان له المقام المحمود وحلف ولأن يرجعوا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة الى المنذر بن ساوى العبدي فأسلم وحسن اسلامه وبقي بعد الوفاة [illegible]

[illegible]

وفي هذه [illegible] ثلاثة عشر رجلا

[illegible] فأسلموا [illegible]

القرآن [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه [illegible]

[illegible]

الله عليه وسلم وكتب إليه مسيلمة من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فإني قد أُشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم لا يعدلون وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقد قيل إن ذلك كان بعد منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع

وفيها قدم وفد كندة عليهم الأشعث بن قيس في بضعة عشر وقيل في ستين وقيل في ثمانين وعليهم الديباج والحرير وأسلموا ونهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنه فتركوه وقال له الأشعث نحن بنو آكل المرار فتبسم لذلك لأن لهم عليه ولادة من الأمهات ثم قال لهم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا وقدم مع وفد كندة وفد حضرموت وهم بنو وليعة وملوكهم جمد ومخوس ومشرح وأبضعة فأسلموا ودعا لمخوس بإزالة الرتة من لسانه وقدم وائل بن حجر راغبا في الإسلام فدعا له ومسح رأسه ونودي الصلاة جامعة سرورا بقدومه وأمر معاوية أن ينزله بالحرة فمشى معه وكان وائل راكبا فقال له معاوية أعطني نعلك أتوقى بها الرمضاء فقال ما كنت لألبسكها وقد لبستها وفي رواية لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة لبس نعل ملك فقال أردفني قال لست من أرداف الملوك ثم قال معاوية إن الرمضاء قد أحرقت قدمي فقال امش في ظل ناقتي كفاك به شرفا ويقال إنه وفد على معاوية في خلافته فأكرمه ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب له كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي لوائل بن حجر قيل حضرموت وذلك أنك أسلمت وجعلت لك ما في يديك من الأرض والحصون وأن يؤخذ منك من كل عشرة واحد ينظر في ذلك ذوا عدل وجعلت لك ألا تظلم فيها ما قام الدين والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أنصار عليه

وفي هذه السنة قدم وفد محارب في عشرة فأسلموا وفيها قدم وفد الرهاويين من مذحج في خمسة عشر رجلا فأهدوا فرسا فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض وقدم نفر منهم وحجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى لهم بجاد مائة وسق من خيبر جارية عليهم من الكتيبة وباعوها من معاوية

وفي هذه السنة قدم وفد نجران النصارى وكان عليهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة ورأسهم أبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل والسيد الأيهم وجادلوا عن دينهم فنزل

فنزل صدر سورة آل عمران وآية المباهلة فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة
عن أمر ربه تعالى ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل
لعنة الله على الكاذبين فقال عبد المسيح لقومه لا تباهلوا محمدا فإني أرى وجوها لو
أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ولا تباهلوا فتهلكوا إلى آخر الأبد فأبوا المباهلة وأسعفوا
به وسألوا الصلح وكتب لهم به على ألف حلة في صفر وألف في رجب وعلى دروع ورماح
ونحو ذلك وجعل لا بد من كل صنف وطال [illegible] عنهم والساكن [illegible]
[illegible] الجراح [illegible] العاقب والسيد وقد أسلما وقد أشار إلى ذلك الصفي الحلي في
بديعيته [illegible] قال مشيرا إلى هذه القصة

والماء [illegible] * [illegible]
والمباهلة [illegible]

لو أن [illegible] أجسامها * [illegible]

وهذا [illegible] من البراهين [illegible] وهي عبارة عن [illegible]
يكون [illegible] إذا أصابه العذاب [illegible] لا [illegible]
وهذه الواقعة مما يدل [illegible] على نبوته صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] نزول العذاب عليهم لو توجهوا لذلك وإلا لأقدموا على نزول العذاب عليهم [illegible]
أن تركهم [illegible] يدل على أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل [illegible] والإنجيل [illegible]
عن [illegible] على [illegible] هذا [illegible] والله أعلم [illegible]
[illegible] التوراة والإنجيل [illegible] كان ذلك [illegible]
[illegible] على [illegible] كان عليهم [illegible]
[illegible] على أهل [illegible]
[illegible] فجعل الله تعالى [illegible]
[illegible] على رؤوس [illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله [illegible]

ابن زيد اللهم [illegible] على ما قام وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوهم إلى الله [illegible] فأسلموا وقيل [illegible] ان دحية بن خليفة الكلبي [illegible] [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم بمعه تجارة فأغار عليه الهنيد بن عوص [illegible] [illegible] [illegible] وأصيبوا كل شيء معه وبلغ ذلك مسلمين من بني [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] وقدم دحية على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] فبعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في خمس من المسلمين فأغاروا [illegible] [illegible] في جماعة وكان معهم ناس من بني الضبيب فاقتتلوا [illegible] [illegible] [illegible] بن زيد ومعه زيد بن عمرو من قومه فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر فقال كيف أصنع بالقتلى فقالوا يا رسول الله أطلق لنا من كان حيا [illegible] معهم علي بن أبي طالب ووجهه على جمل وأعطاه سيفه وأمره برد [illegible] [illegible] على زيد بن حارثة [illegible] [illegible] وأمره برد أموالهم فردها

[illegible] في هذه السنة قدم وفد بني [illegible] بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن ربيعة [illegible] [illegible] فقال عامر للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد اجعل لي الأمر بعدك قال ليس ذلك [illegible] [illegible] قال عامر [illegible] لي الوبر ولك المدر قال لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل [illegible] [illegible] [illegible] فقال لأملأنها [illegible] [illegible] [illegible] فقال اللهم اكفنيهم اللهم [illegible] عامرا [illegible] [illegible] عن عامر فرجعوا إلى [illegible] وأخذ الطاعون عامرا في عنقه [illegible] في بيت امرأة من بني سلول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] قدم [illegible] بن [illegible] بن عوف وعوف بن خالد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] الأسود بن [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وأقطع له [illegible] [illegible] [illegible] ذلك [illegible]

وفي هذه السنة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الإسلام وسميت حجة الوداع لأن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس [illegible] وأوصاهم وقال لعلكم لا تروني بعد عامي هذا [illegible] [illegible] هل كان صلى الله عليه وسلم [illegible] مفردا أو قارنا أو متمتعا قال [illegible] [illegible] الصحيح أنه كان أولا مفردا ثم أحرم بالعمرة [illegible] وأدخلها على الحج فصار قارنا [illegible] [illegible] [illegible] والأصل [illegible] [illegible] آخر الأمرين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأحاديث وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج [illegible]

بقين من ذي القعدة سنة عشر وكان معه من أشراف الناس جماعة ومائة من الإبل هديا
ودخل مكة يوم الأحد لأربع خلون من ذي الحجة.

وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من [illegible] بعد ما [illegible]
[illegible] وأصحابه [illegible] إزاره ورداءه [illegible] فلما [illegible]
[illegible] ذي الحليفة فصلى ركعتين ثم ركب ناقته القصواء فلما استوت على ظهر البيداء
أهل بالحج ودخل صلى الله عليه وسلم مكة نهارا على راحلته حتى انتهى إلى البيت فلما
رأى البيت [illegible] زمام ناقته وأخذ [illegible] بالموقف [illegible]
[illegible] ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] إلى [illegible] الا [illegible] صلى [illegible] يوم التروية يوم
الظهر ويوم عرفة حين زالت الشمس وهو على راحلته [illegible] من يوم
النحر بعد الظهر [illegible] مائة بدنة نحر [illegible]
سائرها [illegible] ولم يصم صلى الله عليه وسلم يوم عرفة [illegible]
[illegible] عرفة ودفع [illegible] الشمس [illegible] صلى [illegible]
[illegible] بات بالمزدلفة [illegible] على [illegible] ثم دفع ورمى جمرة
العقبة يوم النحر على راحلته [illegible] وقال كل منى منحر [illegible]
ثم كان يرمي الجمار [illegible] ويرمي يوم [illegible] الجمار [illegible]
ولا يفعل ذلك [illegible] يوم النحر [illegible]
[illegible] فلما كانت آخر [illegible] من [illegible] إلى
[illegible] وقال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] والدوم
[illegible]

[illegible] على بن أبي طالب [illegible] وكان [illegible] فقال حل كما حل أصحابك فقال
إني أهللت [illegible] رسول [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] على إحرامه [illegible] ولد الله
صلى الله عليه وسلم [illegible] الناس [illegible] الحج والسنن
وخطب الناس [illegible] الأحد [illegible] أيها الناس
[illegible] أدري [illegible] بعد عامي هذا [illegible]
[illegible]
[illegible] فاشهدها

الى من ائتمنه عليها وان كان ربا فهو موضوع ولكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون
قضى الله انه لا ربا وان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وان كل دم في الجاهلية
موضوع كله وان أول دم أضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعا
في بني سعد فقتله هذيل أيها الناس ان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم
هذه أبدا ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه
على دينكم انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ألا وان الزمان استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم
خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب الفرد الذي بين جمادى وشعبان (ومعنى الحديث ان الامر
رجع الى ما كان عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية
وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة
والنسيء هو تأخير حرمة شهر الى آخر كما كانت الجاهلية تفعل كانوا اذا جاء شهر حرام وهم
محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر ورفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد
العدد وكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمون صفر ويستحلون المحرم
فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى ربيع وهكذا شهرا بعد شهر حتى استدار
التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي القعدة عامين
ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي الشهور فوافقت حجة أبي بكر
في السنة التاسعة في ذي القعدة وقبل حجة الوداع بسنة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم
في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف
بعرفة في اليوم التاسع واختلفوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس بنو مالك بن كنانة
وكان آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يقوم على جمل بالموسم
فينادي ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرموه وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم
ابن ثعلبة وقيل أول من فعل ذلك عمرو بن لحي وهو اول من سيب السوائب وقال
النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه أي أمعاءه في النار)

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي فإني قد بلغت قولي وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوا ان كل مسلم أخو المسلم وأن المسلمين إخوة ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس ولا تظلموا أنفسكم اللهم هل بلغت فذكر أنهم قالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد

وفي حجة الوداع نزلت عليه في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة وهو صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم يعني الفرائض والسنن والحدود والأحكام وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فلم ينزل بعد هذه الآية شيء من الحلال ولا الحرام ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود والأحكام وقيل إكمال الدين بهذه الآية أنه لا يزول ولا ينسخ وأن شريعته باقية إلى يوم القيامة ومعنى إتمام النعمة يعني بإكمال الدين والشريعة لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام وعن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية في كتاب الله تقرؤونها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال وأي آية فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فقال عمر إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه نزلت بعرفة يوم الجمعة أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان عيدا لنا وعن ابن عباس أنه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيدا فقال ابن عباس فإنها نزلت في يوم عيدين يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع أعياد لأهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروي أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص قال

صدقت وكانت هذه الآية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش بعدها أحداً
وثمانين يوما

ولما رجع صلى الله عليه وسلم من حجته الى المدينة أقام بقية ذي الحجة تمام سنة عشر من الهجرة ثم دخلت سنة احدى عشر فأقام بها الى نصف المحرم وصفر وفي يوم الاربعاء آخر صفر بدأ بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع وأشار فيه اشارة ظاهرة بخلافة أبي بكر بنيابته عنه على المنبر لما فهموا دون بقية الصحابة قوله في خطبته ان عبداً خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده فعلم انه صلى الله عليه وسلم عنى نفسه فبكى وقال فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا فقال له صلى الله عليه وسلم قوله ان أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ثم قال لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبي بكر واذ تبين ان ذلك كان قبل موته بخمس ليال ثم أكد أمر الخلافة بأمره صريحا ان يصلي بالناس ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد ان فرض الحج الا حجة الوداع وكانت وقفته يوم الجمعة وحج معه ألوف حتى جمعه من لم يره قبلها ولا بعدها ولم يحج بعد الهجرة غيرها وأما قبلها فقد قيل انه حج ثلاث حجات وقيل حجتين وقيل كان يحج كل سنة قبل ان يهاجر واعتمر بعد ان هاجر أربع عمر عمرة الحديبية وعمرة القضية وقيل لها عمرة القضاء وعمرة القصاص وعمرة الجعرانة بكسر الجيم وسكون العين في آخر وقعة حنين وعمرة مع حجته ولم يعد مالك بن أنس في الموطأ الرابعة عمرة وقال انما اعتمر ثلاثا فقط لانه اعتقد ان حجة الوداع مفردا بالحج دون العمرة وتابعه على مقالته جماعة بعدهم وهو أحد قولي الامام الشافعي رضي الله عنه

وفي هذه السنة أسلم جرير بن عبد الله البجلي ونزلت سورة اذا جاء نصر الله والفتح بمنى يوم النحر في حجة الوداع والمعنى اذا جاءك نصر الله يا محمد صلى الله عليه وسلم على أعدائه والفتح فتح مكة وقيل نزلت قبل موته صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وعلم بها انه قرب أجله قال أبو هريرة رضي الله عنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وعن جابر رضي الله عنه انه كان ذات يوم يبكي فكأنه بدا له شيء فقيل له ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

فتقول دخل الناس في دين الله أفواجا والمراد بالناس أهل اليمن وفي هذه السنة مات
ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الباب الخامس)

في وفاته صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخلاقه وصفاته ومعجزاته وأزواجه وأعمامه وعماته وأخواله ومواليه وخدمه وخيله صلى الله عليه وسلم وفيه فصول

(الفصل الاول في ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بذلك)

لما كمل الله له دينه الدين وأتم عليه نعمته واختص عليه الى دار كرامته ثم لما بين أكمله بأن بلغ الى قوم الهدى لمقر من الرسالة والشهادة والنبوة والسعادة وابتداء المرض في أواخر الأخير من صفر عام أحد عشر من الهجرة الشريفة وكان قد قدم صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع سنة عشر من الهجرة وأقام بالمدينة الى ان ... كان صلى الله عليه وسلم الوجع مرض موته ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم مرضه قالت عائشة رضي الله عنها يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم وكان ابتداء تلك المرض في بيت ميمونة بنت الحارث وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه فجمع نساءه واستأذنهن في ان يمرض في بيت احداهن وأذن له ان يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها قال الـ... ...را الى ... لانه كان يدور عليهن في بعض الايام ان في يوم ... ولما حضر صلى الله عليه وسلم الى بيت عائشة أمر ابا بكر في الناس ان ... توفي صلى الله عليه وسلم ... في المدينة ... ذكر ... ... وذكر ... فنظروا الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ... ... الله ابن وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما حتى جلس على المنبر ... الناس ... ... ولا ... ... الى ... ... اهون من ... الآخر ثم صلى على أصحاب ... ... الناس ...

بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر وقال فديناك بأنفسنا ثم أوصى
بالأنصار

ولما اشتد وجعه قال ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ثم اختلفوا واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ومنهم من يقول غير ذلك فلما أكثروا اللغو والتنازع قال لا ينبغي عندي تنازع فذهبوا يعيدون عليه فقال دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه وكان في أيام مرضه يصلي بالناس وإنما انقطع ثلاثة أيام فلما أذن بالصلاة أول ما انقطع قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها إن أبا بكر رجل أسيف (أي رقيق القلب) وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء فلو أمرت عمر فقال مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فقالت عائشة لحفصة قولي إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقال إنكن لأنتن صواحب يوسف أي مثل صاحبة يوسف عليه الصلاة والسلام وهي زليخا أظهرت خلاف ما تبطن أظهرت للنساء التي جمعتهن إظهارا لإكرامهن بالضيافة وإنما قصدها أن ينظرن لحسن يوسف عليه الصلاة والسلام ليعذرنها في محبته والنبي صلى الله عليه وسلم فهم من عائشة رضي الله عنها أنها تظهر كراهة ذلك لشيء يخالف باطنها هكذا ينبغي فهم ظاهر اللفظ والذي يقول عن عائشة رضي الله عنها إنما قصدت بذلك خوف أن يتشاءم الناس بأبي بكر ويكرهونه حيث قام مقامه صلى الله عليه وسلم وقد جاء عنها رضي الله عنها أنها قالت ما حملني على كثرة مراجعتي له صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به فصلى بهم ثلاثة أيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجد النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأيام خفة فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد فلما سمع أبو بكر رضي الله تعالى عنه صوته ذهب يتأخر فأومأ إليه صلى الله عليه وسلم أن لا يتأخر فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا وأبو بكر يصلي قائما وأبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم وجلسوا قال صلى الله عليه وسلم معاشر المسلمين ما من نبي يموت حتى يصلي خلف

من خلف صالح من أمته وإن النبي صلى خلف رجلين من أمته عبد الرحمن بن عوف في السفر وأبو بكر الصديق في الحضر وأما ما رواه البخاري بإسناده إلى عروة عن أبيه عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه فكان يصلي بهم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة فخرج إليه فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله والناس يصلون بصلاة أبي بكر أي بتكبيره [illegible] فكان في وقت آخر وفي المواهب أن إمامة النبي صلى الله عليه وسلم استخلافه أبا بكر في الصلاة حال مرضه واقتدى به وما غير له بذلك قال علي قدمك رسول الله في أمر ديننا أفلا نقدمك في أمر دنيانا

قال أنس بن مالك رضي الله عنه لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه اجتمعت جماعة من الصحابة ودخلنا عليه صلى الله عليه وسلم وجلسنا بين يديه وهو نائم على فراشه فجلس أبو بكر عند رأسه ونظر في وجهه وبكى فقعد النبي صلى الله عليه وسلم عنده وقال ما الذي يبكيك يا أبا بكر فقال يبكيني أني أذكر شيئاً من أنا بعدك منه فقال أهو قال في قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين فرادى في بعدك وخائف أن يضيع على الأعداء من بعدك ويقولون إن الله أمر نبيكم بجهاد الكفار والمنافقين فجاهد الكفار ولم يجاهد المنافقين وخائف أن يكون ذلك طعن في الدين فتمضي ذلك ونجاهد المنافقين من بعدك فعزم النبي صلى الله عليه وسلم بيد أبي بكر وقال أنت قاضي ديني والقاتل لمن يرتد عن ديني أما سمعت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية

وقالت عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه لا إله إلا الله إن للموت سكرات وينظر بعض بصره إلى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الأعلى أي جماعة الأنبياء مقام الأرواح وهو الخير الواحد به والمنزل الحسنة ما جعل الذين [illegible] أحد في الأحد [illegible] وفي حديث مرسل أنه قال اللهم اغفر لي وألحقني بالرفيق من بين الغضب والغضب والآيات قال اللهم أعني على الموت وهونه علي والعضب عروق الرقبة وارثه مشهور محفوظ وأما حديث اللهم الرفيق الأعلى فكان آخر كلمة تكلم بها ولما رأت فاطمة [illegible] قالت واكرباه فقال لا كرب على أبيك بعد اليوم وكان أوصى بالجماعة [illegible] والصلاة [illegible] في الصلاة [illegible] وكان [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو [illegible] في [illegible] أبي بكر

وعمر وعائشة ثلاث وستون سنة وهذا أحسن مدة العمر بعد اتمام الفتح المبين واختلف في مدة مرضه فقيل اثنا عشر يوما وقيل أربعة عشر يوما ولم يوص صلى الله عليه وسلم بمال لأنه لم يترك دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شاة ولا بعيرا الا بوقي ولم يجد اهله درع حربه الزرديه وهي ذات الفضول بالضاد المعجمه لطولها أرسل بها اليه سعد بن عباده حين سار الى بدر وكانت من حديد وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على ثلاثين صاعا من شعير وكان الدين الى سنه انما أوصى بكتاب الله المبين وبالصلاة والزكاة وما ملكت اليمين حتى ان صدره لا يزال يغرغر بذلك وما يكاد لسانه يبين وفعله صلى الله عليه وسلم من باب التوزيع والا فالنبي صلى الله عليه وسلم أسخى العالمين على الاطلاق وكذا الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يقيموا الا اليسير وانما كان دينه صلى الله عليه وسلم تشريعا للامه وتعوذ الدين برهن وغير رهن وقد ورد في الحديث نفس المؤمن مرهونة بدينه اذا كان عليه دين وورد في حديث آخر نفس الشهيد تغفر له الذنوب ما دام سوى الدين وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه حسب الدين الحديث حتى يدخل في الحديث

وبعد وفاته دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات علوت رأسه بسيفي هذا وانما ارتفع الى السماء فقرأ أبو بكر رضي الله عنه وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزي الله الشاكرين فرجع القوم الى قوله وبادروا الى سقيفة بني ساعدة وهي دار سعد بن عباده وكان سعد بن عباده مريضا وقالوا نوليه هذا الامر فبايع عمر أبا بكر وتابعه الناس بلا جماعة

وغسل صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات الاولى بالماء القراح والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء وغسله علي والعباس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم وكان العباس وابناه يقلبونه وأسامة وشقران يصبان الماء وعلي يغسله وعليه قميص ولم يرى منه شيء فقال أبي أنت وأمي ما أطيبك حيا وميتا وانهم معصوبة أعينهم من علي لان النبي قال له لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه وغسل صلى الله عليه وسلم من بئر غرس بفتح العين المعجمة وسكون الراء وسين مهملة وبينه وبين قبا نحو من ميل وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية بفتح السين وضمها والفتح أشهر والفتح منسوبا الى سحول وهو القصار لانه سحلها أي نقاها

ثم الى سحول وهي بلدة باليمن وأما بالضم فهو جمع سحل وهو الثوب الابيض النقي
ولا يكون الا من قطن ليس فيها قميص ولا عمامة أي لم يكن فيها شيء من غير حساب ورد
قبره أدرج فيها ادراجا ونزع من تحت ثيابه يوم الاثنين ووضع على سريره وصلى عليه
المسلمون صفوفا لا يؤمهم أحد وكان أبو بكر وعمر في الصف الاول الذي حيال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالا اللهم إنا نشهد أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أنزل اليه
ونصح لامته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته فاجعلنا يا الهنا ممن يتبع
القول الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه فانه كان بالمؤمنين
رؤفا رحيما لا نبتغي بالايمان به بدلا ولا نشتري به ثمنا أبدا فيقول الناس آمين آمين
وهذا يدل على أن المراد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الدعاء لا الصلاة على الجنازة
المعروفة عندهم والصحيح أن هذا الدعاء كان مع الصلاة المعروفة التي أربع
تكبيرات فعندها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم وكبر أربع
تكبيرات ثم دخل عمر رضي الله عنه فكبر أربعا ثم دخل عثمان رضي الله عنه فكبر
أربعا ثم دخل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما ثم تتابع الناس
ارسالا يكبرون عليه أي على هذا اجتمعوا الا ما شذ لانه الذي يليق به صلى الله
عليه وسلم ومن ثم استشاروا كيف يدعون له فأشير بذلك

وروى البيهقي عن ابن عباس أنه صلى على المصطفى صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال
فصلوا عليه ارسالا (أي فرادى) وقال الشافعي وذلك لعظم أمره وتنافسهم
في أن لا يتولى الامامة أحد في الصلاة عليه وقيل لانه أوصى بذلك قال السهيلي وجه الفقه فيه
أن الله افترض الصلاة عليه بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وحكم الصلاة التي تضمنتها
الآية أن لا تكون بامام والصلاة عليه عند موته داخلة في لفظ الآية ثم صلى عليه أهل
بيته ثم الرجال ثم النساء ثم الصبيان بعد دعاء الجنازة المعروف وفرش له في لحده قطيفة
وكان يلبسها أو يفترشها فقالوا والله لا يلبسها أحد بعده كما قال شقران واختلفوا في نصب
سقفه ... وجعلوه مسنما ... ... بعد الغسل ... ووضع
... لان كلا منهم في حياته صلى الله عليه وسلم ...
... أحبهم ... ذلك الله ...
... الله ... ذلك

والراجح ان حياة الشهداء بالجسد لا بالروح فقط ولا يقدح في ذلك عدم الشعور من الحي
وأعظم دليل على ذلك ان حياة الروح ثابتة لجميع الاموات والمؤمن والكافر بالاجماع
فلو لم يكن حياة الشهداء بالجسد لاستوى هو وغيره ولم يحصل له تميز على غيره ولم يكن
لقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون معنى
وقال ابن جرير في تفسيره ولكن لا تشعرون أي لا ترونهم فتعلموا انهم أحياء
فظاهره ان رزق الشهداء بالاكل والشرب في البرزخ ليس الا مجاز بل للاكرام
والنعيم وورد ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء قال العلامة القرطبي
في التذكرة ان الارض لا تأكل لحوم الانبياء والشهداء والعلماء والمؤذنين المحتسبين
وحملة القرآن قال ابن كمال باشا

لا تأكل الارض جسما للنبي ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب * أذانه لاله مجري الفلك

ولا يتغير في قبره وكذلك الانبياء ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم ويحرم
الصلاة على قبره واتخاذه مسجدا

واختلفوا في موضع دفنه فقال بعضهم عند المنبر وقال بعضهم بالبقيع وقال آخرون
يحمل الى أبيه ابراهيم ويدفن عنده حتى قال الصديق الاكبر صديق الامة ادفنوه في
الموضع الذي قبض فيه وهو يشير الى بيت عائشة فان الله لم يقبض روحه الا في مكان طيب
[illegible] فرفع وحفر له أبو طلحة الانصاري
تحت فراشه الذي مات عليه ونزل في قبره علي والفضل وقثم وفي الاكليل ان آخر الناس
عهدا به صلى الله عليه وسلم علي وقيل قثم وهو أصح ولما دفن صلى الله عليه وسلم
جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت كيف طابت أنفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشدت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد * ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الايام صرن لياليا

وقد عاشت فاطمة رضي الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فما ضحكت
تلك المدة وقال علي لما الحرثا دفنها أتى ووقف على قبرها وبكى وقال

لكل اجتماع من خليلين فرقة * وكل الذي دون الفراق قليل
وان افتقادي فاطما بعد أحمد * دليل على ان لا يدوم خليل

وعن عطاء بن رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب وروي أنه جاءت من نبي الله الخضر عليه السلام التعزية لأهل بيت النبوة حين وقعت المصيبة العظمى يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال بعد أن سلم عليهم ورحمة الله كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب وقد ذكر الشيخ أبو إسحاق في المهذب أول باب التعزية أنه يستحب أن يعزى بتعزية سيدنا الخضر أهل بيت النبوة إن في الله الى آخره وكان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فإن في رسول الله أسوة حسنة وقال بعضهم في ذلك

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها * نوب تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبي محمد

ورثاه جماعة منهم صفية عمته رضي الله عنها بمراث كثيرة وأبو سفيان بن الحارث وأبو بكر الصديق رضي الله عنه

وتوفاه الله وحصل له درجة الشهادة فوق ما أعطاه الله من مراتب النبوة وزيادة لأنه لم تزل سمة اليهودية في الشاة تسري ذلك السم حتى قال في مرضه الآن انقطع أبهري يعني من ذلك السم والأبهر عرق مستبطن القلب فإذا انقطع لم تبق معه حياة وكانت وفاته يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة وقيل حين اشتد الضحى كالوقت الذي دخل فيه إلى المدينة وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ولد في يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء وكانت الصحابة لعظم ما فقدوا من انقطاع الوحي عكس دخوله إياها في الهجرة قال أنس لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ولم أجده وقد قال عليه الصلاة والسلام لأهل بيته أخرجوا عني حتى يغسلوني ولا تدعوا الحجرات حجرة للأجانب في دفنه أولا ثم لكل أمرا ما أكرمه ... وتدعوا أمهات ...

حتى استقر الأمر فبايعوا أبا بكر ثم رجعوا بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في دفنه وغسله وتكفينه وهو صلى الله عليه وسلم وإن غاب الجسمان بقدوم روحه الكريمة إذا كان عرس الرجل أهم أوقات أيامه فرحا واستبشارا بقدوم زوجه فكيف بقدوم روح الأرواح صلى الله عليه وسلم على هذه الرواية يوم وفاته موافق ليوم مولده قال الصلاح الصفدي في شرح لامية العجم *(فائدة)* ذكر ما أوقفني عليه ووجدته بخط الشيخ تقي الدين ابن الصلاح رحمه الله تعالى ما صورته ذكر أبو القاسم السهيلي قال أجمع المسلمون على أن حجة الوداع كانت يوم عرفة فيها يوم الجمعة وكان أول شهر ذي الحجة في تلك السنة الخميس هذا لا شك فيه ثم قال بعد ذلك وقال أكثر أهل التاريخ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول بعد الحجة المذكورة بثلاثة أشهر وكيف حسب الإنسان الشهور وهي ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وجعل أول ذي الحجة الخميس ما يتصور أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سواء حسب الجميع نواقص أو كوامل أو بعضها نواقص وبعضها كوامل فاعرفه فتجده كذلك وأجاب عن هذا السؤال قاضي القضاة شرف الدين البارزي الحموي بما صورته يحتمل أنه لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى هلال ذي الحجة من مكة والمدينة ليلة الخميس وغم على أهل المدينة فلم يروه لأول الحجة إلا ليلة الجمعة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بالمدينة أرخ أهل المدينة موته على حكم ما رأوا وأرخوا في أول ذي الحجة وهو يوم الجمعة فجاءت الشهور الثلاثة ذو الحجة والمحرم وصفر كوامل وجاء أول ربيع الأول الخميس وكان ثاني عشر ربيع الأول يوم الاثنين وكان بين رؤيته صلى الله عليه وسلم وبين رؤية أهل المدينة مسافة القصر والصحيح من مذهب الشافعي اعتبار اختلاف المطالع والله أعلم انتهى

ولما توفي صلى الله عليه وسلم ترتب على وفاته ارتداد أكثر العرب [illegible] إلا أن أهل المدينة ومكة والطائف لم تدخلهم الردة وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد فاستخفى خوفا على نفسه فارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بقريش وغيرهم فاجتمعوا إليه فقال يا أهل مكة كنتم آخر من أسلم فلا تكونوا أول من ارتد والله ليتمن الله هذا الأمر كما قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منع أهل مكة من الردة وسيأتي ما يتعلق بذلك في الفصل الاول من الباب الخامس

قال ابن اسحاق ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة رضي الله تعالى عنها فيما بلغني تقول لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق فكان المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم حتى جمعهم الله على أبي بكر اهـ وقال أهل السير خرج أبو بكر رضي الله عنه الى الناس وهم في المسجد يموجون فخطبهم و... الى ختم سيد الاولين والآخرين وقرأ عليهم الآيات الى ما بعد ذلك و... وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (وهذا اسم ... ابي بكر) ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين ولم يكن فيهم أثبت منه ومن اله ... ولم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيأ الا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة

وعن عائشة ان فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثها من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك فقال أبو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فأبى أبو بكر أن يدفع الى فاطمة شيأ فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تزل مهاجرته حتى توفيت
وروى البيهقي عن الشعبي ان أبا بكر عاد فاطمة في مرضها فقال لها علي هذا أبو بكر ... قالت أتحب أن آذن له قال نعم فأذن له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت

(الفصل الثاني في ذكر شيء من خارق وصفه صلى الله عليه وسلم)

من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم النبيين وسيد المرسلين وآية الله ... الاولين والآخرين وفضله على سائر الخلق أجمعين جعله ... لا يحصيها احد ... وكم ظهر ... الدين القويم وأنارت به الصراط المستقيم فكل فضل ... وكل علم ... من علمه ... فهذا ... ذكر من ... والاخبار وقد تقدم ذكر بعضها
فمن ذلك ... ما روي من أرضاعه ... ما روي عن عمر بن الخطاب انه سمع

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي هذه الكلمات بأبي أنت وأمي يا رسول الله (أي أفديك بأبي وأمي وهي كلمة تستعملها العرب لتعظيم المفدى) لقد كان لك جذع تخطب عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم عليه فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بذنبك فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون لو كانوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لا تأكلني فإني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفؤا لك ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفؤا لك ما آكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وآكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك بالأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليه وسلم

و وصفه علي رضي الله عنه فقال ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الرأس كث اللحية شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس مشربا وجهه حمرة أدعج العينين سبط الشعر سهل الخدين كان في عنقه ابريق فضة وقال أنس لم يكن في لحيته الشريفة كان في مقدم لحيته عشرون شعرة بيضاء وفي مفرق رأسه شعرات بيض وروى انه كان يغسل لحيته بالماء والسدر وعن ابن عمر انه قال وادهانه أشكالا الصدق وأحسن الناس وكان يلبس كمة بخاتم الدوم وهو قطعة أي قطعة لحم ناشزة أي مرتفعة حولها شعر وروى سلمان الفارسي انه قال نظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه وقد كان يتعه كلون بدنه وقيل كان شامة خضراء محفورة في اللحم وقيل كزر الحجلة فقدم الراء على الزاي والمراد به الزر واما الحجلة فيقدم الحاء على الجيم بيت كالقبة لها ازرار والعرى وهذا المقدار فان بعضهم جعله الاقوال واقعا في كل حال ولا يكونها متعارضة المعنى وليس ذلك باختلاف بل كل راو منهم تشبيها له وظهر له واحد قال كزر الحجلة وآخر كبيضة الحمامة وآخر كالتفاحة وآخر بضعة لحم ناشز وآخر كجمعها ثم آخر كالجمعة ونحوها انه طابق ما رآه واحد وهو قطعة لحم ونبت عليها شعر حوله مراكم عليه وقال ابن رحب رحمه الله الاحاديث الدالة على ان الخاتم كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمامة واذا كبر جمع اليد وفي وسئل البرهان الحلبي هل خاتم النبوة من خصائصه صلى الله عليه وسلم او كل نبي مختوم بخاتم النبوة فأجاب لا أستحضر في ذلك شيئا ولكن الذي يظهر انه يختص بذلك لمعنى فيه اشارة الى انه خاتم الانبياء وليس كذلك غيره ولان باب النبوة ختم به فلا نبي بعده وفي هذا المعنى أنشد الزمخشري في بعض رباعياته

* ها ... * ...

* ... * ...

قال ... ولم ... كما ... يعني ... به ... كما ...

... كما ... والعلم ... احد ... الذي ...

رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

...

...

...

كالقصبة الهيفاء واسع الجبين عرقه أطيب رائحة من المسك وفي وجهه تدوير مع سعة الفم حسن الثغر براق الثنايا في أسنانه تفليج وشعر ... حلو المنطق يتكلم بجوامع الكلام لا يضحك إلا تبسماً إذا جلس مع أصحابه رضي الله عنهم فكأنما على رؤوسهم الطير من حسن تواضعهم بين يديه صلى الله عليه وسلم أزهر اللون إذا مشى كأنما تطوى له الأرض وفي مشيه لا ... وإذا التفت التفت جميعاً حسن الوجه حسن الصوت خصوصاً بتلاوة القرآن العظيم

وقد جاوز النبي صلى الله عليه وسلم المرتبة العليا من الفصاحة وكان أفصح العرب لساناً وأوضحهم بياناً وأعذبهم نطقاً وأسدهم لفظاً وأبينهم لهجة وأقومهم حجة وأعرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طرق الصواب تأييداً إلهياً ولطفاً سماوياً وعناية ربانية ورعاية روحانية حتى لقد قال علي رضي الله عنه وسمعه يخاطب وفد بني نهد يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال أدبني ربي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم كلاً بما يفهمون ويحادثهم بما يعلمون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم فكأن الله تعالى قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه وجمع فيه ما تفرق ولم يوجد في قاصي العرب ودانيهم

وكان الله لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ... القرآن وكان صلى الله عليه وسلم يترجم لكل قبيلة بحسب لغتها وقبائل قريش وكنانة وتميم وهذيل وطي وهوازن ومذحج وغيرهم فربما مد صلى الله عليه وسلم قدر الألف والألفين والثلاث لمن لغته كذلك وربما فخم لمن لغته التفخيم وربما أمال لمن لغته الإمالة وربما أدغم لمن لغته الإدغام وربما رقق لمن لغته الترقيق وهكذا إلى سائر نحو الآداب والأحكام التي أمر الله بها وهي إنما هي في القرآن كلها واحدة لا تفترق جميع القراءات فلما وقع الخلط واختلف القراء القرآن عن القبائل ضبط كل إنسان ما سمع وحفظ أداء الناس له وجمع ... التراجم كلها قرآناً منزلاً أوحي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو جاز أن يترجم صلى الله عليه وسلم عن القرآن بغير ما أوحي به إليه لم يخرج عن ترجمته لفظاً يترجم لفظاً لسانياً والوحي أو دونه فإن كان دونه

لم يصدق عليه انه صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل اليه من ربه وذلك محال في حقه صلى الله عليه وسلم وان كان مساويا فأي فائدة للعدول عن الوحي من الله بلفظ مساو له فما بقي الا انه صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل اليه من ربه بحروفه الحاملة لمعاني القديمة وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ما أنزل الله عز وجل كتابا الا بالعربية إذ هي أوسع اللغات ولكن كان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبي بلسان قومه وليس في القرآن العظيم الا لغة العرب وربما وافقت اللغة منه لغة غير العرب والاصل عربي لا يخالطه شئ

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من العرب يعرفون أكثر ما يقوله وما جهلوه يسألونه عنه وصحبة لهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلم يتكلم كلاما فصلا مبينا يعده العاد ليس بهذر مسرع لا يحفظ قالت عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه وقال له عمر رضي الله عنه يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا قال ان لغة اسماعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها وقال أنا أعرب العرب ولدت في قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأنى يأتيني اللحن وقد كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الخليقة سودا وحمرا ولا يوجد متكلم … الا … ترجمة عن صاحب … له في … صلى الله عليه وسلم فانه كان … يكلم كل … من العرب … وجدير بذلك … في جميع القرى العربية الموجودة … أكثره وبالجملة فقد … في فصاحته وجوامع كلمه … أفصح اللغات لغات العرب … لسان … العربية … على … الناس انه صلى الله عليه وسلم قال أنا أفصح من نطق بالضاد وقال الحافظ ابن كثير … ابن الجوزي … أصل … رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد …

من أهل اللغة العربية من لم يعرف روايته وهو صحيح المعنى إذ معناه أنا أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بها ولا يوجد في لغة غيرهم

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم فقد كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويسارع إلى ما يحث إليه ويمتنع عما زجر عنه فلهذا كان يضاعف جوده وإحسانه في شهر رمضان لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذي يحث على مكارم الأخلاق والجود ولا شك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقا من المخالط كما قال بعضهم شعرا

تجانب كل ذي بدعة * ولا تصحبن من بها يوصف
فيسرق طبعك من طبعه * وأنت بذلك لا تعرف

وقد سئل الشمس الرملي كيف كان جبريل يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب بأنه كان يقرأ عليه أولا جملة آيات ثم بعد ذلك كان يدارسه القرآن أي يقرأ هذا على هذا والآخر كذلك وكان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله فيغضب لله وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد وكان أرجح الناس عقلا وأفضلهم كثير الذكر طويل الصمت دائم البشر وكان أصدق الناس وأوفاهم ذمة وأوسعهم صدرا وأكرمهم عشرة وأحسنهم خلقا وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ويكرم كل كريم قوم ويوليه عليهم ويثني على مكارم الأخلاق وأثنى بذلك على حاتم الطائي حين تعرفت إليه ابنته وأثنى على أبيها وذلك أنها أتت في جملة نساء قومها في غزوة هوازن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد قامت إليه فقالت يا محمد مات الوالد وغاب الوافد فلا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة من كان يقري الضيف ويفك العاني ويطلق الأسير ويعطي السائل فقال صلى الله عليه وسلم من أبوك فقالت حاتم الطائي قال خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وأثنى على أبيها كثيرا وخلى عنها ومن معها لأجله فهذه آثار صنائع المعروف مع الكفر والعصيان فكيف مع الطاعة والإيمان وقيل إن ابنة حاتم الطائي دعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين من عليها بالخلاص من الأسر فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم إلا وجعلك سببا لردها وقال [illegible]

خذ العفو وأمر بعرف كما * أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لجميع الأنام * فمستحسن من ذوي الجاه لين

وكان صلى الله عليه وسلم يولي من الناس [illegible] والذي يليه منهم خيارهم وكان أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة وما [illegible] ولا قال له في شيء صنعه لم صنعته ولا في شيء تركه لم تركته بل يقول لو قدر لكان ولا [illegible] أحدا إلا في الحق [illegible] على الأكابر [illegible] اللهم [illegible]

[illegible]

وحده ويعاف الضب والطحال وأتى بلبن وعسل وقال أدمان في اناء لا آكله ولا
أحرمه وأكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابع ويتتبع ما سقط من السفرة ويقول من
فعله غفر له ويسمي الله أولا ويحمده آخرا ويأكل مع الاستكثار ويقول آكل كما يأكل
العبد وأجلس كما يجلس العبد وقوله كما يأكل العبد أي كما يأكل العبد في هيئة
التناول ومصاحبة الرضى بما حضر تواضعا لله لا كما يأكل أهل الكبر وأهل الشره
فالمراد بالعبد الانسان المتذلل المتواضع لربه كما قاله المناوي وقوله وأجلس أي في
حالة الاكل كما يجلس العبد أي لأن التخلق بالاخلاق العبدية أشرف الاوصاف
لا كما يجلس أهل الكبر وأهل الشره من الاتكاء وما أكل قط متكئا كراهية لنزول
الملك عليه بالوحي ومجالسته ولعسر الملك من نسائه والناس ولا يجمع بين لبن
وسمك ولا لبن وحامض ولا بين حارين ولا باردين ولا قابضين ومسهلين ولا غليظين
ويدفع ضرر البعض بالبعض كثمر بزبد وبطيخ أو قثاء برطب ويسمع التمر ويريد
للهضم ولا ينام بعد الاكل وكان يشرب اللبن خالصا ومخلوطا والماء في ثلاثة أنفاس
ويمص ولا يعب ويقول الكباد من العب (الكباد وجع الكبد) ولا يتنفس في الاناء
واذا شرب دفع الباقي لمن عن يمينه وان كان عن يساره أشرف أو أسن وقال للأيمن
الا تأذن لي فان منع آثره ويشرب قاعدا وربما شرب قائما وكان لبس الكتان أو
الصوف أو القطن وهو الغالب قميصا أو بردا أو ازارا أو عمامة ويحب القميص والحبر
ولبس البردة والحبرة والجبة والحلة الحمراء والقباء والساذج والاسود والفرو والمعلم أطرافه
بسندس وأحبها اليه القميص وروي انه لبس السراويل ولبس جبة ضيقة الكمين
مفرجة على ... من ديباج والطيلسان في الحر كالثوب الذي فاح ريحه وله ثوبان
للجمعة وبرد أخضر للعيد والعمامة السوداء والقلنسوة وهي الأكبر بغير قلنسوة وربما
وبلا عمامة ويجعل لها عذبة بين كتفيه ولم تكن عمامته صلى الله عليه وسلم
كبيرة تؤذي ولا صغيرة لا تقي ولم يحرر في طولها وعرضها وما قال الطبري من ان الطول
سبعة في عرض ذراع وانما ... وكان ثيابه فوق الكعبين وربما جعلها
الى نصف الساق والكم الى الرسغ أو رؤوس الاصابع ولبس الخاتم ... بالعكس
ويقول عند لبسه الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به واذا استجد ثوبا
سماه وقال اللهم لك الحمد كما كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من ش

وشر

وشرما صنع له ولده وأعطى الحالق مسكا اوله ملحمة وعنة من عمران أو ورس له
خاتم فضة فصه منه ونقشه محمد رسول الله لكن على هذا الشكل محمد سطر ثم رسول

الله

فوق ثم لفظ الجلالة فوق ذلك وهذه صورته رسول

محمد

والقراءة من أسفل السطر الثالث وتختم في خنصره اليمنى وتارة اليسرى والأكثر الاول
وانتهى الخاتم الى الصديق فالفاروق فعثمان وكان قدره من أدم حشوه من ليف وطوله
ذراعان أو نحو وعرضه ذراع ونحو شبر

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على
حصير وقد أثر الحصير في جنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما يبكيك يا عمر فقال ذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من الدنيا وأنت رسول رب
العالمين قد أثر في جنبك الحصير فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى يا عمر أن
تكون لهم خالصة في الدنيا ولنا خالصة في الآخرة وكان صلى الله
عليه وسلم إذا لم يفرش له فراش جلس على ... على الارض
وما عاب مضجعا قط ان فرش له اضطجع عليه والا على الارض وكان يحب الطيب
ويكره الريح الكريهة ... ويتبخر بالعود ويكتحل بالإثمد في
كل عين ثلاثا وأمر الناس (...) و ... عن ...
... في الاسلام ... ولا ... كله و ...
... وكان ...
... وقال ...

من اطعام جائعهم ووعظ جهالهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم فكان أجود بالخير من الريح المرسلة وكان اذا دخل رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل وانما كان جوده يتضاعف في شهر رمضان زيادة على جوده في غيره من الشهور لان جود ربه تضاعف فيه وقد جبل صلى الله عليه وسلم على جميع أخلاق الله ولانه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام في رمضان وهو أفضل الملائكة وأكرمهم ويدارسه الكتاب الذي أوتي اليه وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الاحسان ومكارم الاخلاق وفي مسلم قال ما سئل صلى الله عليه وسلم شيئا الا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وعن صفوان بن أمية قال لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وانه لمن أبغض الناس الى فما برح يعطيني حتى انه لأحب الناس الي وفي مغازي الواقدي انه صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان واديا مملوءا ابلا وغنما فقال أشهد ما طابت بهذا الا نفس نبي ولذلك قالت له خديجة رضي الله عنها في أول بعثته حين رجع من غار حراء يرجف فؤاده خائفا من خبر ما حصل له أمره بالقراءة والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل (اي الشيء الذي يحصل منه التعب لغيرك) وتكسب المعدوم (أي تعطيه من عنده له) وتعين على نوائب الدهر (أي حوادثه) وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تواضعا يجيب من دعاه من غني أو فقير أو حر أو عبد وكان عليه الصلاة والسلام في سفر وأمر باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها وقال آخر وعلي سلخها وقال آخر وعلي طبخها فقال صلى الله عليه وسلم وعلي جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك ذلك فقال قد علمت ولكني أكره ان أتميز عليكم وان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه وقام فجمع الحطب وكان أرحم الناس [illegible] وأشدهم اكراما لأصحابه لا يمد رجليه [illegible] ولم يكن يركب [illegible] ركبته جليسه [illegible] يسأل عنهم فمن مرض عاده ومن غاب [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] [illegible] حتى يكون هو الذي ينصرف [illegible] وكان من خالطه أو أتاه لحاجة

مجلسه صابراً حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف وما جلس إليه أحد فقام حتى يقوم الرجل
وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد
الناس منه وكان لا يعاتب أصحابه ولا يقول في مداه [illegible] وكان يحب الصلاة إذا
سمع بكاء الصبي [illegible] وخدام الصبي [illegible] وأسرى سعد ونسبة
والأعلى [illegible] وبعد [illegible] ورد وآخر وأساور
وهو الأعلى وآخر [illegible] والأبصار وسارك ووكل ووكل ووهب
ووهب له [illegible] عن الله [illegible] واسع وسمع [illegible] ان وصارع
وطلق وآلى وصاف وأصاف وداوى و [illegible] ورد ومركب وركب وأسرق [illegible]
من الحسنة وكبر [illegible] كل [illegible] حتى [illegible] عطر وعكسه رأيت [illegible] أمه في
[illegible] وكان يوم من الأيام حتى [illegible] قدماه ويقول له عائشة [illegible] تكلف هذا وقد غفر
الله لك فيقول أفلا أكون عبداً شكوراً وكان أكثر دعائه [illegible]
قلبي على دينك [illegible] وكان إذا [illegible]
[illegible] وإذا [illegible]
من الجوع [illegible] الله [illegible] الأرض [illegible] وهذا
على وجه الاختيار على وجه الاضطرار [illegible] يدل على ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم عرض على ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب أشبع
يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك [illegible] وإذا شبعت شكرتك وحمدتك
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ولا بأس [illegible]
قال بعضهم [illegible] الجوع [illegible]
إذا [illegible] الحرارة [illegible]
[illegible]
[illegible] الجوع [illegible]
وقال [illegible] أصحاب [illegible]
[illegible] واحد [illegible]
[illegible]
[illegible] الله [illegible]

وجرايه وقال بعضهم يقال ان يؤمر بالصبر نظرا على فلك جراه كان صلى الله عليه وسلم يؤمر بالصبر وأمر أمته بالصبر حالا ومآلا

وفي كتاب السنن لسعيد بن منصور من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم من أبغضني وعصاني فأكثر له المال والولد اللهم من احبني وأطاعني فارزقه الكفاف اللهم ارزق آل محمد الكفاف اللهم يوم بيوم ونسبه ما اورد النسائي ان يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع لي فقال اللهم أصح جسمه وأكثر ماله وأطل حياته

وورد في الجامع الصغير ان الله اذا أحب عبدا جعل رزقه كفافا نبوي قال العزيزي أي بقدر كفايته لا يزيد عليها فيطغيه ولا ينقص عنها فيؤذيه فان الغنى مبطرة والفقر مذلة

وأما اعانته صلى الله عليه وسلم بالفقر وسؤاله ربه ان يجعل رزقه قوتا ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان عامة خبزهم الشعير

وقد خيره الله بين أن يكون نبيا ملكا وان يكون نبيا عبدا فقال بل نبيا عبدا وانظر الى همته العالية كيف عرضت عليه مفاتيح الارض فأعرض عنها وأباها مع انه صلى الله عليه وسلم لو أخذها لم يصرفها الا في طاعة ربه لكن اختار الله وتبه الحكمة والتامين هممه نظره الى ما اختارها وعن ركنه كرعه الركاها وقال البدر الزركشي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان أغنى الناس فقد كفي أمر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي انه لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك وقال بعضهم الفقر لباس الانبياء وزينة الاولياء لان الفقر يورث الخشوع والخشوع يورث الكرامة وقد نقل ان الله تعالى يكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرا

وحمله صلى الله عليه وسلم على أضرب الاول الواجب الضحى والاضحية والوتر والتهجد والسواك والمشاورة وصبر العدو ولو كثر وزاد على الضعف وقضاء دين من مات وعليه دين لم يخلف وفاء وقد كان يفعله تكرما او وجوبا خلاف

وقال كان مستحقاً للنبي ما أنه صرح به من المحرمات فيكون الأجر في اجتنابه أكثر وهو قسمان أحدهما في غير النكاح وهو الشعر والخط والأكل متكئاً وأكل الثوم والبصل والكراث وقيل مكروه وأما النص لأمته لا ينزعها حتى يلقى العدو وقيل مكروه وإذا شرع نافلة أتمها وأن لا يتمنى ما متع به الناس من الدنيا وخائنة الأعين الثاني في النكاح وهو إمساك من كرهت نكاحه وقيل مكروه الثالث المباحات منه الوصال في الصوم واصطفاء ما اختاره من الغنيمة قبل القسمة ودخول مكة بلا إحرام وإباحة القتال فيها ساعة والقضاء بالعلم والحكم لنفسه وولده وشهادته لنفسه وولده وقبول شهادة من يشهد له ويحمي الموات لنفسه ولا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعاً ويباح له أخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج صلى الله عليه وسلم إليهما ويجب على صاحبهما البذل ويفدي بمهجته مهجته عليه الصلاة والسلام وإباحة تسع نسوة والصحيح الزيادة له وانعقاد نكاحه بلا ولي ولا شهود وحرمت النعم من أزواجه وأما ما يختص به أزواجه مما خص به من الفضائل والإكرام فمنها أن أزواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره أبداً ومن فارقها في حياته أوجه أصحها التحريم وأن أزواجه رضوان الله عليهن أمهات المؤمنين وأن [illegible] أفضل من غيرهن من النساء وجعل ثواب [illegible] وأنه خاتم النبيين وخير خلق الله وأمته أفضل الأمم وهي معصومة من الاجتماع على ضلالة وأصحابه خير القرون وشريعته مؤبدة وناسخة لجميع الشرائع وكتابه معجز محفوظ عن التحريف والتبديل وهو حجة على الناس بعد وفاته ومعجزاته [illegible] ونصر بالرعب مسيرة شهر وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت له الغنائم [illegible] وبعث إلى الناس كافة وهو سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وأول من يقرع باب الجنة وأكثر الأنبياء تبعاً [illegible] في الصلاة [illegible] ولا يجوز لأحد أن يرفع صوته فوق صوته ولا ينادي باسمه ومخاطبة المصلي [illegible] ولو خاطب أحداً [illegible] صلاته [illegible] إذا دعا [illegible] ومن رآه في المنام فقد رآه حقاً [illegible] وإن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فلما كان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين وآتاه الله علم الاولين والآخرين ولا يحيط بما أفاده أحد من العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين قال البوصيري

فاق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر او رشفا من الديم
وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم
فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

فقد أطلعه الله تعالى على ما شاء من المغيبات ووقفه على دقائق أخبارها فيما مضى وما هو آت واستأثر سبحانه دون جميع الخلق بأمور منها مفاتح الغيب الخمس ولقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عما يتعلق بالروح وقال الحق ان الروح مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ولا يجوز لاحد البحث عنه بأكثر من أنه موجود ونقل عن ابن عباس انه كان لا يفسر الروح أي لا يعين المراد به في الآية

وقد اختلف في مسألة اشتهرت بالديار المغربية ستر الله بها اعلام السنة المحمدية وهي هل أحاط رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم الله كما أحاط الحق علمه أولا فأجاب عن ذلك بعضهم بقوله لا يصح ذلك بل الذي ينبغي اعتقاده ان الله أعلم رسوله صلى الله عليه وسلم بما لم يعلمه أحدا من الخلق وحاشاه تعالى ان يساويه أحد فان يستووا به في العلم وأين رب الارباب وأين العبد الذليل ان للحق الانفراد بالسيادة على كل حال فاحذر الغلط واياك من ركوب الاشد من السقط الذي وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى أي لا تجاوزوا الحد في مدحي وفي معنى الحديث قال البوصيري

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

ولقد أجاد القائل

الامر اعظم من مقالة قائل * ان رقق البلغاء أو ان فخموا
اذا يقول المادحون ومدحه * بمعانيه نص الكتاب المحكم

ويحكى ان العارف الاكبر ابا حفص عمر بن الفارض رحمه الله تعالى قيل له لم لا تمدح النبي صلى الله عليه وسلم فانشد قائلا

ارى

(فى سرمـا كى الحار) *

أرى كل مدح فى النبى مقصرا * وان بالغ المثنى عليه وأكثرا
اذا الله أثنى بالذى هو أهله * عليه فما مقدار ما يمدح الورى

ومن تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم اعتقاد انه لم يجتمع فى بدن آدمى من المحاسن الظاهرة ما اجتمع فى بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم ويكون تمام ساعلمى محاسنه الظاهرة علامة على محاسنه الباطنة ولا أكمل منه صلى الله عليه وسلم ولا مساوى له فى هذا المدلول كذلك فى الدال ولذا نقل القرطبى عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا فى الدنيا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم والا لما أطاقت أعين الصحابة النظر اليه صلى الله عليه وسلم فاذا كان فى الآخرة ظهر تمام ذلك ولذا قال صاحب البردة

فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقد جمع الله له صلى الله عليه وسلم محاسن البشر وأحاسن البشرية والخبر مع انه أمى لا يكتب ولا يقرأ ولا يعلم له من البشر معلم من جهال شمائل أوتيه وعلمه الله مكارم الاخلاق وجمع له من أكارم الآداب أوفر حظ وما أحسن قول القائل

أحمد الاله أنا الرسول ولم يزل * برسوله الفرد الكريم رحيما
يا أيها الهادى المبعوث رحمة * والحق أحسن ما يكون نعيما

وكذلك جمع صلى الله عليه وسلم ما فرق فى الانبياء من مكارم الاخلاق ومحاسن عظيما قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فكان صلى الله عليه وسلم خلق آدم (جميع الاسماء وساوى الملك) ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضى اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى

ثم علم الله تعالى عباده الثناء عليه وأجمل احترامه وحفظ قدره فكان أكرم فى رسول الله أسوة حسنة وجعل ثناء الله عليه فى القرآن الكريم آثار ظاهرة وعلامات باهرة فى الدنيا والآخرة صلى الله عليه وعلى آله وعترته الطاهرة وصحابته أجمعين قال الشيخ جلال الدين السيوطى

يا عين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

ولقد سبقه الى ذلك الصلاح الصفدي فقال

أكرم بآثار النبي محمد * من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فانظري وتمتعي * ان لم تريه فهذه آثاره

واقتدى بهما في ذلك أبو الحرم المدني فقال

يا عين كم ذا تسجمين مدامعا * شوقا لقرب المصطفى ودياره
ان كان صرف الدهر عاقك عنهما * فتمتعي يا عين في آثاره

وبالجملة فآثاره صلى الله عليه وسلم وما أثره هي الواسطة العظمى في تشييد هذا الدين المحمدي العظيم الشأن الذي هو ببركته صلى الله عليه وسلم باق الى آخر الزمان وكذلك دامت معجزة القرآن التي هي أكبر المعجزات بقاءه ظاهرا وباطنا فلا تسمع الماضي الآن فيمن بعد المصطفى عليه الصلاة والسلام باقية الى يوم القيامة ومعجزة القرآن الباهرة الدلائل لذلك سبق الله الحمد داخلة في قول القائل

تلك الآثار عن أصحابها * حتى كأنا ندركها الآن نسمع

(الفصل الثالث)

(في ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم)

أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن الذي أعجز الانس والجان وتحدى به بلغاء العرب وفصحاؤهم الذين هم الرؤساء في فنون المعاني والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة والبيان عن معارضته على أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ثم نزل معهم الى الاتيان بسورة من مثله وفي السور ما هو ثلاث آيات فلم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ونكصوا على أعقابهم حائرين فعرفهم ان عارض أولى بالعجز والخذلان اذ لا محالة سكوتهم لا يكون الا عن عجز عن معارضته لو قدروا والعلم بانحصاره مع كونه صلى الله عليه وسلم ينادي عليهم بالعجز عن معارضته والقصور عن نوع له رضي به بين ظهرانيهم ويوبخهم ويسب آلهتهم فلم يستطع أحد منهم أن يرفع رأسه ويأتي بسادته جواب واعتبار يرادون به مراعاة المعارضة ويعتذرون لبعضهم في الامرار في قولهم هذا

سحر

سحر يؤثر وسحر مستمر وأساطير الاولين و يعتذرون ظاهرا بقولهم فلو نشاء لقلنا مثل هذا [illegible] فيما تدعونا اليه ولما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ولما قالوا انما يعلمه بشر رد الله عليهم بقوله وان لم تفعلوا ولن تفعلوا وما قدروا ولو قدروا على أدنى معارضة لما عدلوا الى سب القرآن وأشقوا الخصوم الا انهم كانوا يحافظون على اطفا نوره [illegible] [illegible] وعرفانه أسلوبه و بلاغة [illegible] في الفصاحة الى الطرف لا يتسع فانه لا أفصح ولا أوضح ولا أكمل ولا أجزل ولا أعذب من الفاظه ولا أسد ولا اسد [illegible] كلا [illegible] نظمه وأما معانيه فكل ذي [illegible] [illegible] في التقدم في أبواب البلاغة والترقي الى درجات الاعجاز [illegible] الواضح و [illegible] المختار هو كونه خارجا عن جنس كلام البشر من النثر والنظم [illegible] الخطب وما كان من المعرات [illegible] و[illegible] كالقرآن ولا يسلك ذكره [illegible] وارداده وانه [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم في [illegible] [illegible] كذلك فان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] صلى الله عليه وسلم و[illegible] [illegible] المشهور ولكن [illegible] [illegible] [illegible] كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والمحن أوضح [illegible] [illegible] ولا أصدع [illegible] و أوضح من [illegible] ولا أرجح من [illegible] ولا أكرم [illegible] [illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن [illegible] وسأمر [illegible] حكم ما [illegible] وقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية وقال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قال [illegible] اذا اردت [illegible] الحق [illegible] احسن [illegible] [illegible] ذا اردت [illegible] أحسن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والآخرين [illegible] [illegible] كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هو [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه و[illegible] [illegible] صلى الله عليه و[illegible] [illegible] الهوى ان هو الا وحي يوحى

[illegible] الغزالي رحمه الله [illegible] آيات القرآن [illegible] آية [illegible] آية [illegible] آية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] آية [illegible] [illegible] آية [illegible] [illegible]

آية ومائة وسبع وبالجملة مائة آية ومائة وأربع وست وستون آية وقال بعضهم

ألا إنما القرآن تسعة أحرف * أتيت بها في بيت شعر بلا خلل
حلال حرام محكم متشابه * بشير نذير قصة عظة مثل

ووفد غالب بن صعصعة على الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت فقال غالب بن صعصعة قال ذو الإبل الكثير قال نعم قال فما فعلت بإبلك قال أذهبتها النوائب ثم قال له يا أبا الأخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه في سنة وذلك قوله

وما صب رجلي في حديد مجاشع * مع القد إلا حاجة لي أريدها

فقد جمع الله له صلى الله عليه وسلم كلما أوتيه الأنبياء من معجزات وخصائص ولم يجمع ذلك لغيره بل خص كلا بنوع من المعجزات وذهب كل نبي بمعجزاته ولم يبق منها أثر ظاهر خلا الروايات عنها والأخبار وأبقى لنا صلى الله عليه وسلم القرآن بحرا زاخرا ظاهرا بيننا إلى يوم القيامة يتلذذ بتلاوته لا يمكن معارضته ولا تنقضي عجائبه فعلم ذلك من أدركه فيه من صريح الآيات المحكمة وأسباب نزولها وما اشتملت عليه من الأمر والنهي والأحكام والمعاني والإعجاز والإيجاز والفصاحة والبلاغة والبيان والبديع وأخبار الأولين والآخرين وشرائع الأمم السالفة والوعد والوعيد وذكر الدنيا وأحوالها والآخرة وأهوالها فكل من تطرق كتاب الله تعالى من العصاة والطغاة في سائر الأعصر وأمعن النظر فيه واستخرج بفهمه جواهر المعاني من كنوز الآيات الكريمة واطلع على أسرار البلاغة وعلم ما تضمنته من أسرار الإعجاز فقد علم بالقرآن الذي تحدى به صلى الله عليه وسلم صدق دعوى النبوة مع ما جرى به لما ادعاه إذ لا يقدر أحد على الإتيان بمثله مع ما ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من المعجزات والأمور الخارقة للعادة بطريق التواتر والآحاد وما لم العدد المشترك في هذه الخوارق المعجزات وإن كانت قاصرة الوسائط مروية آحادا قال بعضهم

هذا وقصب معجزات الرسل قد قصروا * عنها وأعظمها في ذلك الحفل
ومعجزات رسول الله باقية * محفوظة ما بقي الدهر يحول
كم نال أهل الله هذا الذكر قبلكم * فلن يضيع الذي بالله موصول
هدى المهاجر لا يعطى الملوك بها * الملك منقطع والوحي موصول

وأنزل

وأنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا جملة ثم فرقه في ثلاث وعشرين سنة مدة الوحي بمكة لأنه عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فكان جبريل ينزل بالسورة أو الآية لأمر يحدث وعرض النبي صلى الله عليه وسلم عرضتين من القرآن وعلى هذا الترتيب كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين وما استقر عليه الأمر في العرضة الأخيرة هو الذي وقع عليه ترتيب المصحف العثماني وأما ما وقع في غيره من مصاحف بعض الصحابة كمصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب من الترتيب والقراءات وزيادة بعض السور مما هو مخالف للمصحف العثماني فقد وقع ذلك أولا ثم نسخ ذلك بما استقر عليه الأمر في العرضة الأخيرة وكتب في المصحف العثماني ولم يطلع الذين ذكر من الصحابة ولا ما استقر عليه الأمر فاستمر أصحابهم على ما كان عندهم فإن قيل نزوله جملة إلى السماء هل كان قبل نبوته صلى الله عليه وسلم أو بعدها أجيب بأنه يجوز أن يكون فيه الأمرين والأظهر هو الأول والجلال السيوطي إلى أن قال والآثار صريحة [illegible] وربما يفهم من كلام بعض الأئمة [illegible] فإن قيل ما السر في نزوله منجما وهلا نزل كسائر الكتب جملة أجيب بأن هذا سؤال تولى الله جوابه فقال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله كذلك أي أنزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك أي لنقوي به قلبك فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجديد العهد به بما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل عليه السلام وقيل معنى لنثبت به فؤادك [illegible] لحفظه [illegible] فإن قيل هل في القرآن شيء أفضل من شيء [illegible] الأشعري [illegible] أو [illegible] بعض [illegible] وكلامه [illegible] [illegible] ظواهر الأخبار كحديث أعظم سورة في القرآن [illegible] قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن [illegible] إلى [illegible] والى الله لا إله إلا هو [illegible] وآية الكرسي وسورة الإخلاص [illegible] [illegible]

وحده والثاني على ضربهما كما علت قاله شيخ الاسلام وسميت السورة سورة لقطعها من السورة الاخرى اذ السور القطع فلما قرن بعض السور ببعض سمي المجموع قرآنا كما سمي بعضه قرآنا لذلك أيضا قاله شيخ الاسلام في شرحه على البخاري

وقد روي ان الله تعالى أنزل القرآن دفعة الى سماء الدنيا ووضع في بيت العزة فحفظته الحفظة وكتبته الكتبة ثم نزل منها على لسان جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا بحسب المصالح فان قيل ما قدر المنزل أجيب بأنه كان على حسب المصالح فقد وكثيرا ما نزل العشر من الآيات كما صح في قصة الافك وأول المؤمنين ونزل الخمس منها ونزل بعض آية كما صح في نزول غير أولي الضرر وحده وهي بعض آية وكان جبريل يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بموضعها من القرآن والقرآن في اللوح المحفوظ على النحو الذي في مصاحفنا الآن فان قيل ما معنى الانزال أجيب بأن لهم فيه اختلافا فمنهم من قال انه عبارة عن اظهار القراءة ومنهم من قال ان الله ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وعلمه قراءته ثم أداه جبريل في الارض فان قيل فما كيفية الاداء أجيب بأنهم ذكروا فيها طريقين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل وثانيهما ان الملك انخلع الى البشرية حتى أخذه الرسول منه والاول أصعب الحالين والمراد بالانخلاع الظهور بتلك الصورة لا مفارقة الطبع بالمرة كما هو ظاهر فان قيل فما كيفية تلقي جبريل له أجيب بما قاله الطيبي لعله تلقفه من الله تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه عليه وقرر بعض الحفظة عن الالقاء الروحاني بالالهام فان قيل فما المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم أجيب بأن فيه ثلاثة أقوال أحدها انه اللفظ والمعنى وان جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به والثاني ان جبريل انما نزل بالمعاني خاصة وانه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب وتمسك قائله بقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك والثالث ان جبريل ألقى عليه المعنى وانه عبر بهذه الالفاظ بلغة العرب وان أهل السماء يقرؤونه بالعربية ثم انه نزل به كذلك وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري انه لم ينزل وحي الا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه بدليل قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه والمراد قومه أهل

بلده

ملته أي جنسه الذي هو قريش ... وعمهم غير أهل دعوته إذ دعوته عامة لجميع الناس بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا وقال بعضهم

كتاب الله أفضل كل قيل * قراءة المصطفى عن جبرئيل
عن اللوح المحيط بكل شيء * عن الملك الرفيع عن الجليل

وقد اختلف العلماء في ترتيب السور هل هو توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم أو باجتهاد من الصحابة بعد الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي والقطع بذلك فذهب جماعة من العلماء إلى أن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة منهم الإمام مالك والقاضي أبو بكر في أحد قوليه وجزم به ابن فارس ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور وذهب جماعة آخرون إلى أنه توقيفي منهم القاضي أبو بكر في أحد قوليه وخلائق قال بعضهم ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب

وقد أثبتوا صورة عالم المثال وجعلوه عالما وسطا بين عالم الأجساد والأرواح وقالوا هو ألطف من عالم الأجسام وأكثف من عالم الأرواح وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا فيكون الروح الواحدة كروح جبريل في وقت واحد مدبرة لشبحه الأعلى ومدبرة للشبح المثالي الذي تمثل لمريم وحل بهذا ما قد استشكل عن بعض الأئمة أنه سأله بعض الأكابر عن جسم جبريل عليه السلام فقال أين كان يذهب جسمه الأول الذي سد الأفق بأجنحته لما تراءى للنبي صلى الله عليه وسلم في صورته الأصلية عند إتيانه إليه في صورة دحية وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز أن يقال كان يندمج بعضه في بعض إلى أن يصغر حجمه فيصير بقدر صورة دحية ثم يعود ينبسط إلى أن يصير كهيئته الأولى على قاعدة تجويز التخلخل والتكاثف في الأجسام وما ذكرناه أخصر وأحسن وهو أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير وقد أقام الله له شبحا آخر وروحه متصرف فيهما جميعا في وقت واحد قال السيوطي وعلى هذا الأصل تتخرج مسائل كثيرة وتنحل به إشكالات غير يسيرة

ورأيته [illegible] وقد أجمع المفسرون وأهل [illegible] صلى الله عليه وسلم قال كفار قريش [illegible]

طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا يقدر بشر على إيجاد مثلها دلالة على صدقه عليه الصلاة والسلام في دعواه الوحدانية لله تعالى وأنه مؤيد بالربوبية وأن هذه الآلهة التي يعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر وأن العبادة لا تكون إلا لله وحده لا شريك له

قال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا وتأيد بالآية الكريمة انتهى وفي الترمذي من حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ووقع في نظم السيرة للحافظ أبي الفضل العراقي وانشق مرتين بالإجماع قال الحافظ ابن حجر وأظن قوله بالإجماع يتعلق بانشق لا بمرتين فإني لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله عليه وسلم انتهى وما أحقه صلى الله عليه وسلم بقول أبي الطيب

متى ما يشر نحو السماء بطرفه * تخر له الشعرى وينكسف البدر

وأن الملأ من قريش تعاقدوا على قتله فخرج عليهم فخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب وقال شاهت الوجوه وحصبهم بها فما أصاب رجلا منهم من ذلك الحصى شيء إلا قتل يوم بدر ورمى يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى ونسج العنكبوت وتعشيش الحمام الوحشيين عليه في الغار ونبات الشجرة التي تجاهه سترا له وحفظا من الكفار ونصره بريح الصبا أيام غزوه وبالرعب للعدو يسير بين يديه مسيرة شهر وأيده بالملائكة وعصمه في السر والجهر وما كان من أمر سراقة بن مالك إذ تبعه في الهجرة فساخت قوائم فرسه في الأرض الجلد ومسح على ظهر عناق لم ينز عليها الفحل فدرت وشاة أم معبد ودعوته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يعز الله به الإسلام ودعوته لعلي رضي الله عنه أن يذهب عنه الحر والبرد وتفله في عينيه وهو أرمد فعوفي من ساعته ولم يرمد بعد ذلك ورده عين قتادة بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه وأحدهما ودعاؤه لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالتأويل والفقه في الدين وكان يسمى الحبر والبحر لعلمه

ودعاؤه

ودعاؤه لجمل جابر فصار سابقا بعد أن كان مسبوقا ودعاؤه لأنس بن مالك رضي الله عنه بطول العمر وكثرة المال والولد فعاش مائة سنة أو نحوها وولد له مائة وعشرون ولدا ذكرا لصلبه وكان نخله يحمل في السنة مرتين ودعاؤه في تمر جابر بالبركة فأوفى غرماءه وفضل ثلاثة عشر وسقا

ومن معجزاته نزول الغيث المستسقى باستسقائه عليه الصلاة والسلام مرة للمشركين بمكة ومرة للمسلمين بالمدينة يشير فيها [illegible]

وإذا السوابق أطبقت أحداثها * لبيمن وجهك أحسن الإشراق

ودعاؤه على عتبة بن أبي لهب بقوله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد بالزرقاء من الشام وشهادة الشجرة له بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الإسلام فقال هل من شاهد على ما تقول فقال نعم هذه الشجرة ثم دعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثا ثم رجعت إلى منبتها وأمر إنسانا أن يأتي إلى سدرات فيقول لهن أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجتمعن فاجتمعن ثم أمرهن بالعود إلى أماكنهن فعدن وقوله إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث وحنين الجذع لما فارقه لا يزال يحن حتى سمع منه صوت كصوت الإبل فضمه فسكن فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة

وكان الحسن البصري رضي الله عنه إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه وتسبيح الحصى في كفه قال أنس بن مالك رضي الله عنه كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفا من حصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في يد عمر فسبحن ثم في يد عثمان فسبحن ثم صبهن في أيدينا فما سبحن وكذلك الطعام [illegible] وسلام [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible]

خواتيم منقلبات منهم فكان كذلك وقال لعثمان رضي الله عنه تصيبه بلوى شديدة فكانت وقتل وقوله للأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة (أي به اوسده) وكانت زمن معاوية وقوله في الحسن رضي الله عنه إن ابني هذا سيد وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وكان في زمن معاوية وأخبر بشأن قتل العنسي الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله وعن قاتله وقال لثابت بن قيس بن شماس تعيش حميدا وتقتل شهيدا فقتل يوم اليمامة وارتد رجل من المسلمين ولحق بالمشركين فبلغه أنه مات فقال إن الأرض لا تقبله فكان كذلك وقال لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال له لا استطعت فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد ودخل مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلقة وبيده قضيب فجعل يشير إليها ويقول جاء الحق وزهق الباطل وهي تتساقط وقصة مازن بن الغضوبة الطائي وسواد بن قارب فإنهما كانا في نبوته صلى الله عليه وسلم مخاطبا وأشعارا ومن نظم سواد بن قارب

فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ومنها تكثير الطعام ببركته وإطعامه ألفا من صاع شعير بالخندق فشبعوا والطعام أكثر مما كان وأطعم منهم من تمر يسير وجمع فضل الأزواد على نطع ودعا لها بالبركة ثم قسمها في العسكر فقامت بهم وأتاه أبو هريرة بتمرات قد صفهن في يده وقال ادع لي فيهن بالبركة فدعا له قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع في زمن عثمان رضي الله عنه ودعا أهل الصفة لقصعة ثريد قال أبو هريرة رضي الله عنه فجعلت أتطاول ليدعوني حتى قام القوم وليس في القصعة إلا اليسير في نواحيها فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار لقمة فوضعها على أصابعه وقال كل بسم الله فوالذي نفسي بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت وأهل الصفة فقراء لا أهل لهم ولا عشائر ينامون في المسجد ويظلون فيه وصفة المسجد أي الموضع المظلل منه وإليهم ينسب الواحد ويقال لهم ضيوف الإسلام وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بعضهم ويفرقهم على الصحابة يعشونهم ومن مشاهيرهم أبو هريرة وواثلة بن الأسقع وأبو ذر رضي الله عنهم

ومن معجزاته انه أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر
كان في اجتماعه كربضة البعير فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه كما كان ووضع اصابعه بين
في أصابعه الكريمة كأن الماء يفور من الأصابع حتى شرب القوم وتوضؤوا وهم ألف
وأربعمائة قال ابن العربي في قبسه وذلك خصيصة لم تكن لأحد قبله وأتى بقدح
فيه ماء فوضع أصابعه في القدح فلم تسع فوضع أربعة منها وقال هلموا فتوضؤوا أجمعين
وهم من الستين الى الثمانين ووردت في غزوة تبوك على ماء لا يروي واحدا والقوم
عطاش فشكوا اليه فأخذ سهما من كنانته فغرسه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا
[illegible] وكان القوم [illegible] في [illegible] من أصحابه حتى وقف على [illegible]
[illegible] بالماء العذب [illegible] أصابعه فمسح على رأسه [illegible]
[illegible] يوم بدر [illegible]
ولم يزل [illegible] عن ابن [illegible]
[illegible] على رجل أي [illegible]
وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك أمتي ما زوي لي منها قال [illegible] وقد صدق الله قوله [illegible]
أمته بلغ أقصى المشرق والمغرب ولم ينتشر في الجنوب ولا في الشمال وقال لرجل
ادعى الاسلام وهو معه في القتال انه من أهل النار فصدق الله قوله [illegible]
[illegible] وهذا لا يعرف [illegible] ولا [illegible] الا [illegible]
الله تعالى [illegible] موجود [illegible]
[illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible] وصحابه الى [illegible]
[illegible] في ذلك [illegible]
[illegible] واحد [illegible]
[illegible]
[illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible]

الطول يده انا الصدقة وقيل الحسن وصرعه وأملاه فكان كذلك وخطب امامه بنت الحارث بن أبي عوف وكان أبوها أعرابيا جافيا فقال ان بها برصا ولم يكن بها فقال فلتكن كذلك فبرصت من وقتها فتزوجها ابن عمها يزيد فولدت له الشاعر شبيب بن يزيد وهو المعروف بابن البرصا وحكى الحكم بن أبي العاص مشيته صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيته فالتفت يوما فرآه وهو يتخلج في مشيته فقال كن كذلك فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذ الى ان مات في خلافة عثمان وقد نفاه النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الطائف فلذلك كان طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه فقيل كان يسمع سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلع عليه من باب بيته وانه الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفقأ عينه بمدرى في يده لما اطلع عليه من الباب وقيل سببه انه كان يحكيه في مشيته وبعض حركاته وقد ذكره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في هجائه لمروان بن الحكم فقال

ان اللعين أبوك فارم عظامه * ان ترم ترم مخلجا مجنونا
يمسي خميص البطن من عمل التقى * ويظل من عمل الخبيث بطينا

وهو يقول عبد الرحمن ان اللعين الى آخره ما روي عن عائشة رضي الله عنها من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة انها قالت لمروان بن الحكم حين قال لاخيها عبد الرحمن بن أبي بكر لما امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد ما قال والقصة مشهورة اما انت يا مروان فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه وقد روي في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة ولا حاجة الى ذكرها الا أن الامر المقطوع به أن النبي صلى الله عليه وسلم مع حلمه واغضائه على ما يكره ما فعل به ذلك الا لامر عظيم ولم يزل منفيا حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده الى المدينة فقال ما كنت لاحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك عمر فلما ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة رده وقال كنت قد شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه فالى غير ذلك مما لا يحصى وكل ان فيها كرامات الاولياء التي لا تحصى ومما يذكر من القصاص من ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن

العماد

الصادق كثير وكذلك لم يتعلق الوبر من عرقه ولا من غيره كما يحصل لبعض العوام انه من عرقه أو البراغيث أو غير ذلك لم خلقه الله كسائر الأزهار ولم يكن وطؤه صلى الله عليه وسلم يؤثر في الصخر دون الرمل كما أورده بعضهم كثيرون بل كان كغيره من الناس أي في عدم التأثير وطء قدمه الشريفة في الحجر وأثرها في الرمل وقال بعضهم معتذرا لا آياته صلى الله عليه وسلم

ومن أكبر الآيات وحي أتى به * فريد المباني معجز العجائب
به أضرب الأفكار عنه فلم تطع * لمعنى ولم يخطر على قلب خاطب
حوى كل علم باهر وكل حكمة * وفات مرام المستعبر الموارب
أيادي آياته لا تعد روايته * ولا يعتريه مهل ولا وصف كاتب
تراه على طول التلاوة غضا * وألفاظه تحلو وتعذب للطالب
وآيات برهان وفرض شرائع * وقص أحاديث وقص مآرب
وجم ضيا الهدى ونور * وتنوير هدى للمسترشد الكاتب
وفي جمع الاداب وبحر الوعظ * وتحذير من الأعمال الغرائب
ففي نورها الأعين تهتدي كما * لرحمة منه كان للسائر الراكب
وباتي على ماشئت من طرقاته * يوهم المعاني حسن التصرف
وكم ... عن ان يحاولها * وصف ما معلوم بطول التجارب

وذكر الإمام فخر الدين انه كان يعتريه أظهر يكون بوات أصحابه قال ابن السبكي الاسد الحبه ... حرات ... طهرر ... ... لام وهذا حد العلماء ... ... في سيرته ... كره ومثاله ... (كان اكثر ... كو) ... ...

... ... * ... ...
... ... المصطفى ... * وكم ... ...

(... ...)

(... ذكر ... صلى الله عليه وسلم ...)

... ...

... ...

منهن ولم يدخل بأربع وتوفي في حياته اثنتان وقبض عليه الصلاة والسلام عن تسع
وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة بنت خويلد ولها أربعون سنة وكانت
سمعت لورقة بن نوفل ما بشر الله عز وجل بنبوته صلى الله عليه وسلم وأقامت معه صلى
الله عليه وسلم بعد الزواج أربعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام خمس عشرة سنة
قبل الوحي والباقي بعده ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها ولم تكن شرعت
الصلاة على الجنائز ودفنها بأم أيمن وأم الفضل ودفنت بالحجون عن نحو خمس وستين
سنة وهي سيدة النساء وأسبقهن إيمانا وإسلاما ولا خلاف في أن أول أزواجه صلى الله
عليه وسلم خديجة وكان تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة قال في المواهب
وخرج الإمام أحمد عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال أفضل نساء أهل
الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون
وصحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين
قالت له قد رزقك الله خيرا منها لا والله ما رزقني خيرا منها آمنت بي حين كذبني
الناس وأعطتني مالها حين حرمني الناس ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها
وسئل ابن داود أيهما أفضل فقال عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام
من جبريل وخديجة أقرأها جبريل من ربها السلام على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
فهي أفضل فقيل له فمن أفضل خديجة أم فاطمة فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فاطمة بضعة مني فلا أعدل ببضعة أحدا ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة واحتج من فضل عائشة بأنها في الآخرة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة مع علي فيها وقال شيخ الإسلام
في شرح البهجة الذي اختاره ابن العماد تفضيله محمول على أحوال فعائشة أفضل من حيث
العلم وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له صلى الله عليه وسلم في المهمات وفاطمة من
حيث البضعة والقرابة ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها وذكرها في القرآن
مع الأنبياء وآسية من حيث الاختلاف في نبوتها وإن لم تذكر مع الأنبياء في
ثم رأيت السبكي بين ذلك فقال الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم أمها خديجة
ثم عائشة وأما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم ابنة عمران ثم خديجة بنت خويلد
ثم فاطمة بنت محمد ثم آسية امرأة فرعون فأجاب عنه ابن العماد بأن خديجة إنما

فضلت

فضلت فاطمة بنت ... الامومة لانبياء ... اراد ... واختار السبكي ان مريم افضل من خديجة لهذا الخبر وللاختلاف في نبوتها ووقع الاختلاف في نبوة اربع نسوة مريم وآسية وسارة وهاجر وزاد العلامة المفتي السراج ابن الملقن في شرحه لعمدة الاحكام حوّاء وأم موسى عليهما السلام وسيأتي ما يرد على التفضيل بالاكتساب

ومما يناسب ذكره هنا انه وجد في بعض الرسائل ما نصه في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب الفرد من سنة ... وتسعين ... وتسعمائة ... السلام قطب الامام من جمعت له رتب الكمال وارتفع ... ذي معارفه ... العارف بالله تعالى الشيخ ... في ... وابدع ... وقدم للناصرين أحسن ... ووقف ... هل الافضل ابراهيم ابن ... او ... ابو بكر الصديق فاجاب بأن ابا بكر افضل ... ومن ... كلام ... في ذكر ... من ... سؤالا ورد الى العلماء ... اهل ... شيخ الاسلام ... الجواب ... وصورة السؤال

الحمد لله ... [illegible] ... الله ... [illegible] ... واجمعين ... اهل ... الى يوم ... ورسوله ... افضل ... واشرف ... السلام ...

هل احد ... آدم صلى الله عليه و سلم ... والمرسلين ... أ ... صلى الله ... [illegible] ... رضي الله ... [illegible] ... ابراهيم افضل ... [illegible] ... الموجودين ... ابراهيم ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

الحمد لله الهادي للصواب وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد فالحق
ان شاء الله تعالى وهو الذي دلت عليه نصوص الشرع ونصوص أئمة الشرع ان مولانا
الصديق أفضل من هذا الانسان من الناس من غير استثناء لأحد بعد ذلك مطلقا وهذا
هو الذي ندين الله به ولم نعلم أحدا من العلماء الذين أخذنا عنهم حكى خلاف ذلك
ولولا خوف الاطالة التي لا يحتملها المقام لنقلنا نصوص الشرع ونصوص أئمته وبيناها
بما يندفع به توهم القاصرين واغترار المغرورين وأما ما ذكر عن الجلال السيوطي من حكاية
العلم العراقي فلا يجوز التعويل عليه ولا العمل به عند من ألهم رشده وكان له إلمام بكلام
الأئمة وتصرفاتهم فانه مجرد دعوى مخالفة لنصوص الشرع وأئمته من غير مستند يعتد به
وليست دعوى الاتفاق بالهين ولا كل من ادعاه يسلم له ذلك وكم دعاوى للاتفاق بل
وللاجماع مردودة لا يلتفت اليها كما لا يخفى على ممارس العلوم ويكفي في رد هذه الدعوى
انهم حكوا في التفضيل بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما ثلاثة أقوال تفضيل عائشة
تفضيل فاطمة الوقف وممن حكى هذا الخلاف العلامة الامام عز الدين بن جماعة وقال
اختلف في التفضيل بين عائشة وفاطمة على مذاهب ثالثها الوقف والأسلم الوقف انتهى
ومعلوم انحطاط رتبة عائشة عن الصديق رضي الله عنهما فاذا جرى قول بتفضيل
عائشة على فاطمة رضي الله عنهما وقول آخر بالوقف بينهما فكيف يصح دعوى
الاتفاق على تفضيل فاطمة رضي الله عنها على الخلفاء الاربعة الذين منهم وأفضلهم
الصديق رضي الله عنه ودعوى الخلاف مقدمة على دعوى الاتفاق لان الاول من
قبيل الاثبات والثاني من قبيل النفي والاثبات مقدم على النفي لان معه زيادة علم كما تقرر
ذلك في الاصول وبهذا يتبين رد دعوى الاتفاق بالنسبة لفاطمة رضي الله عنها
فانه يترد بالنسبة لاخواتها اذ لا قائل به أ ومن هذا المدعي لذلك الاتفاق بالتفضيل
مجردا نظرا الى رده بالنسبة لفاطمة رضي الله عنها فرسه فوته غريب من الصريح ان لم
يكن مبنيا على اختزال تلك الدعوى بعدم تحري صاحبها وعدم احتياطه في نقله بما
يرده بأشد المعارضة ان لم يكن مصرحا برده ما قول العلامة محمد بن أبي بكر الرازي في
مختصر نزل المهتد واعلم انه تعالى قد فضل محمدا على جميع الانبياء ثم بعده أفضل هذه
الامة وخيرهم من جميع الصحابة والآل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال ومن قال
ان أحدا أفضل من أبي بكر كان مبتدعا أو رافضيا ثم قال أيضا واعلم ان بعد أبي بكر وعمر
وعثمان لم يكن أحد في أمة محمد ولا في أصحابه وأهل بيته أفضل من علي رضي الله

عنه انتهى فتأمل قوله في أمة محمد ولا في أصحابه وأهل بيته فإنه صريح في أنه لم يكن صرح فيها بتفضيل علي رضي الله عنه على جميع من عدا الثلاثة من أهل السنة وغيرهم من غير استثناء أحد منهم وإذا كان هذا في علي رضي الله عنه فكيف بمن هو أفضل منه كالصديق رضي الله عنه ولما استدل الكمال بن الهمام على تقدم علي رضي الله عنه بعدهما لأنه قوله ما نصه ولما أجمعوا أي الصحابة على تقديمه على بقيتهم دل على أنه كان أفضل من بحضرته فكان منهم الزبير وطلحة فيثبت أنه كان أفضل الخلق بعد الثلاثة تعقبه في هذا الاستدلال تلميذه الكمال بن أبي شريف فقال لا يلزم من كونه أفضل من بحضرته كونه أفضل الخلق بعدهم إلا أنه من بحضرته ومن غاب عنه أو قدمه وإنه بني الاجماع المذكور كأبي عبيدة بن الجراح وجعفر وآله أبي وفاطمة ثم إذا ضم إلى ذلك الاجماع على أنه أفضل ممن عدا الخلق بعد ذلك وبعد أفضليته عليهم بأدلة أخرى فانظر قول هذا العلامة إلا أن يوضع الاجماع إذا ضم إلى ذلك الاجماع إلى آخره مع أنه ... فاطمة رضي الله عنها ... تفضيل علي رضي الله عنه على فاطمة رضي الله عنها فكيف بمن هو أفضل من علي كرم الله وجهه وهو الصديق رضي الله عنه وهذا كما ترد دعوى الاتفاق بالنسبة لفاطمة رضي الله عنها وكفى رده على الطريق الذي قدمناه وأما ما نقل عن المرجوح من المشار إليه فقد علم حاله وحال ما ادعاه وما رواه والرأي أعرض عنه صفحا لأنه لا أثر له لا سيما وقد علم أن أحدا من أهل الانصاف لم يعول على ما قاله ومن صنف الانصاف فما يخطر ببال ... كل من أراد أن يغتر ... على الكلام ... وعلى أساس الأدب في حق علماء الدين وسادات المجتهدين ... أولى الأمر من أهل الحكم وسادتهم من السلف ومن صالحيهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأما قول السائل فإن غالب الناس ... إلى آخره فهو كلام ... يدل على ... أنه لا يعرفه ... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والله تعالى أعلم (قال ذلك وكتبه العبد ... عفا الله عنه ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين)

قال العزيزي في شرح الجامع الصغير في حديث أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ما نصه قال العلقمي وأفضلهن فاطمة بل هي وأخوها إبراهيم أفضل من سائر الصحابة حتى الخلفاء الأربعة انتهى وقال الرملي أفضل نساء العالم مريم بنت عمران ثم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم عائشة رواه الإمام أحمد والطبراني عن ابن عباس انتهى وقد تقدم في جواب السبكي وابن قاسم العبادي ما يخالف ذلك وأن الصديق أفضل الناس بعد الأنبياء على أن العزيزي قال في حديث إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا وإن خليلي أبو بكر هو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء انتهى

وقول ابن قاسم فيما تقدم وتكفي في ردهذه الدعوى إلى آخره قال شيخ الإسلام في شرح البهجة الذي اختاره أن الأفضلية محمولة على أحوال فعائشة أفضل من حيث العلم وخديجة أفضل من حيث تقدمها وإعانتها له صلى الله عليه وسلم في المهمات وفاطمة من حيث البضعة والقرابة ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها وذكرها في القرآن مع الأنبياء وآسية من حيث الاختلاف في نبوتها وإن لم تذكر مع الأنبياء انتهى وأقول إن جميع التفصيل بالجهة يرجع الخلاف لفظا ويدفع التعارض في الأقوال إلا أنه لا يمكن أحد القول على عمومه في جميع الجهات لأنه صح أن نبينا صلى الله عليه وسلم قال في حق السيدة فاطمة وأخيها فلا يصل في حق الإمام علي كرم الله وجهه بالنسبة إلى أبي بكر رضي الله عنه نظرا إلى جهة القرابة العرسية أو الصهارة على أنه يلزم من ذلك اعتبار الجهة في حق السيدة رقية وأم كلثوم زوجتي عثمان بن عفان رضي الله عنه كما يلزم أن الشخص الواحد يكون فاضلا من جهة ومفضولا من أخرى فيرجع إلى التساوي مع أن مطمح النظر الأفضلية وإعادتها وأما المحبة بل علي رضي الله عنه المحبة بالنسبة من ذرية على اختلاف طباعهم وشيء آخر إذا كان معها حب أبي بكر رضي الله تعالى عنه وبقية الصحابة ولذلك قال علي كرم الله وجهه لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر لأنهما ضدان وهما لا يجتمعان والمحبة المرادة الممدوحة هي ما كانت مع اتباع سنة المحبوب إذ محبة من غير اتباع سنته كما عليه الشيعة وإرادة من عظيم مع محبة النبي لأنه لا يدعيها شيئا من الخير لإهمالهم السنة بل هي حالة عن النادب ما كان المحبوب فأجمع على المحبة من هم أهل السنة لا الشيعة وعليه الحديث الذي

أخرجه

أخرجه الدارقطني مرفوعا يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك (أي من تولاك المؤمنون بعدك أكثر من عشرك) في الجنة وإن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فإذا أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون قال الدارقطني ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد موت خديجة سودة بنت زمعة بنت قيس بن عبد شمس بن ... بمكة قبل الهجرة وكبرت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأراد فراقها فوهبت يومها من عائشة وقالت لا رغبة لي في الرجال وإنما أريد أن أحشر مع أزواجك فأمسكها وكان يقسم لثمان من أزواجه ويقسم لها ... وتوفيت بعده في شوال سنة أربع وخمسين بالمدينة والقسم في حقه صلى الله عليه وسلم غير واجب وإنما هو من باب العدل والإنصاف

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وهي بنت ست سنين أو سبع وقالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني لألعب مع الجواري فلما ... حتى حبستني أمي عن الخروج ووقع في نفسي أني قد زوجت وما ... أخبرني أبداه ودخل بها صلى الله عليه وسلم في المدينة وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع وتزل في قبرها عبد الله ابن الزبير وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر ولم يتزوج بكرا غيرها وروي عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة أم المؤمنين ... [illegible]

[illegible]

[illegible] ... وكان عروة ... رحمه الله ثم المؤمنين ... [illegible] ... هشام رحمه الله ... [illegible]

[illegible] وقال حماد رحمه الله ... [illegible]

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... وكانت ... [illegible] ... بعد وفاة زوجها خنيس ابن حذافة ... [illegible]

[illegible]

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فأتاه جبريل فقال ان الله يأمرك ان تراجع
حفصة فانها صوامة قوامة وروى انه لما بلغ عمر طلاقها حثا على رأسه التراب وقال
ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل من الغد وقال للنبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يأمرك ان تراجع حفصة رحمة لعمر

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم ام حبيبة رملة بنت أبي سفيان وكانت تحت عبيد الله
ابن جحش وولدت له جارية ثم تنصر وهلك بها وهاجرت معه الى أرض الحبشة
وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار وروى أربعة آلاف وبعث بها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة وهو الذي تولى نكاحها وكتب بذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وروى عن ام حبيبة انها رأت في المنام كأن
زوجها عبيد الله بن جحش بأسوأ حال وأشنعها فلما أصبحت أعلمها انه قد تنصر وأراد
ها على الاسلام وأكب على الخمر فلم يزل يشربها حتى مات ورأت في المنام
اتاها آت يقول لها يا أم المؤمنين ولما بلغ أباها ان تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
أم حبيبة ابنته قال ذلك الفحل لا يقدع أنفه وعن ابن عباس في قول الله تعالى عسى الله
ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قال نزلت حين تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان وقيل ان الذي ولي نكاحها عثمان بن عفان وقيل
خالد بن سعيد بن العاص وتوفيت سنة أربع وأربعين وهي السنة التي حج فيها معاوية
وصلى عليها مروان

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة وقيل
سهيل بن المغيرة القرشية المخزومية وأخوها عامر بن أبي أمية وقيل بن الرضاع تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها أربعة أشهر وعشر وأعرس بها
في شوال سنة أربع من الهجرة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي سلمة بن
عبد الاسد وفاطمة الزهراء وروى عنها ابن عباس وأسامة بن زيد وخلق ماتت
في شوال سنة تسع وخمسين وقيل ماتت سنة … ثنتين وستين وعمرها أربع وثمانون سنة
وهي آخر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وفاة وقيل ميمونة آخرهن موتا وكانت قبله تحت
أبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد وولدت له سلمة وعمر ودرة وكانت أم سلمة هاجرت مع
زوجها أبي سلمة الى أرض الحبشة ورمي يوم أحد ثم مات منه في جمادى الآخرة سنة
أربع وكان ابنها عمر مع علي بن أبي طالب يوم الجمل وولاه البحرين وله عقب بالمدينة

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة وهي
ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند مولاه
زيد بن حارثة الكلبي مولى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاها إليه وقال إنها سيئة
الخلق واستأمره في طلاقها فقال له صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك يا زيد
وهو قول الله عز وجل وإذ تقول للذي أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالعتق
أمسك عليك زوجك الآية وكان صلى الله عليه وسلم رآها فأعجبته فقال سبحان
الله مقلب القلوب ثم إن زيدا طلقها بعد ما رأى من سوء خلقها فلما انقضت عدتها زوجها
الله عز وجل من السماء نبيه صلى الله عليه وسلم بلا خطبة فخصصت بذلك بغير مهر
ولا تولى أمرها أحد كسائر أزواجه ولم يكن بعقد نكاح ولما بشرت زينب بتزويج الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم إياها ونزول الآية في ذلك جعلت على نفسها صوم
شهرين شكرا لله عز وجل وأعطت من بشرها حليا كان عليها وقيل تزوجها سنة
أربع وقيل خمس من الهجرة بالمدينة وهي بنت خمس وثلاثين سنة وقد سبقها أم سلمة
شيئا ولم يعدلها صلى الله عليه وسلم غير الله وهي التي قال الله تعالى فيها فلما قضى
زيد منها وطرا زوجناكها وأولم عليها وأطعم المساكين خبزا ولحما وفيها نزلت آية
الحجاب وكانت كثيرة الصدقة وصح أنها كانت تقول لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم
زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات وتوفيت في خلافة عمر رضي
الله عنه بالمدينة سنة عشرين وقيل عاشت ثلاثا وخمسين ودفنت بالبقيع وهي أول
من مات من أزواجه بعده وأول من حمل على نعش وروي عن عائشة أنها قالت
رحم الله زينب بنت جحش لقد نالت الشرف الذي لا يبلغه شرف في الدنيا إن الله عز وجل
زوجها نبيه صلى الله عليه وسلم ونطق بذلك كتابه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ونحن حوله أسرعكن لحوقا بي أطولكن باعا فبشرها بسرعة لحاقها به وأنها
زوجته في الجنة وعن الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه أطولكن
أسرعكن بي لحاقا فكانت سودة أطولهن يدا فلما توفيت زينب علمن صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانت أطولهن يدا في الخير

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ ابن
مالك بن جذيمة وهو المصطلق من خزاعة ...

قد هزم وهو المريسيع وهي غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها على تسع أواق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها وكانت امرأة ذات ملاحة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك فلما فعلت فدى عنها النبي صلى الله عليه وسلم كتابتها ثم أعتقها وتزوجها في سنة ست من الهجرة وعتق أربعون من أهل بيتها ولم يبق مصطلقية عند رجل من المسلمين إلا أعتقها أصهارا فكانت أعظم امرأة بركة على قومها وكان اسمها برة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية لما في برة من تزكية النفس وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم وتوفيت بعده بالمدينة سنة ست وخمسين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة وقد بلغت سبعين سنة

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة بعدها تحتية نسبة إلى النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجمة من بني إسرائيل من نسل هارون بن عمران أخي موسى بن عمران ولدها مائة نبي ومائة ملك حتى صارت إليه صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وكانت عروسا بكنانة بن أبي الحقيق اليهودي فرأت أن القمر وقع في حجرها وقيل رأت الشمس وقعت على صدرها فقصتها على أمها أو زوجها فلطمها وقال أتريدين ملك يثرب وفي رواية ما تمنيت إلا هذا الملك الذي نزل فأخذها وجميع السبي فقال دحية يا رسول الله أعطني جارية من السبي فأخذها فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه سبعة أرؤس مكانها وأخذها صلى الله عليه وسلم وأعتقها وجعل عتقها صداقها وهو مذهب الإمام أحمد وهو من مفردات مذهبه وقدمنا ذلك في الفصل السادس من الباب الرابع من المسألة الخامسة من الجزء الثاني ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعها إلى أم سليم تهيئها فلما ارتحل صلى الله عليه وسلم بنى بها بعد أن حاضت حيضة ولما دخل صلى الله عليه وسلم بها بات أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد على باب القبة أو غيرها شاهرا سيفه فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال يا أبا أيوب ما لك فقال أسهرت بسبب ملك فقال إنها جارية حديثة عهد بعرس وقد قتلت أباها وزوجها فلم آمنها فضحك وقال له خيرا ثم صنع صلى الله عليه وسلم حيسا في نطع صغير وقال الناس لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد فلما أراد أن يركب حجبها فقعدت على عجز البعير فعرفوا أنه تزوجها وقيل كانت [illegible] من الحجر وكانت صفية تستحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم خيبر وكان لها من كل يوم حظ من حظ في عبد او امة او بعير او غير ذلك قبل الخمس وتوفيت سنة خمسين وصلى عليها سعيد بن العاص رضي الله عنه وقيل انها آخر أمهات المؤمنين موتا

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وبالنون بن بحير بضم الباء الموحدة وفتح الجيم وسكون الياء ابن الهزم بضم الهاء وفتح الزاي وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل الواهبة نفسها خولة بنت حكيم ويجوز أن يكون وهبتا أنفسهما فلا تضاد وكانت قبله تحت أبي رهم ابن عبد العزى وتوفي عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة سبع وماتت سنة ثمان وثلاثين وقيل غير ذلك قال السهيلي أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين خرج لعمرة القضاء ثلاثة أيام فبعث اليه حويطب بن عبد العزى ان أجلك قد مضى واقض الشرط واخرج من أرضنا فقال له سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل كذبت البلد بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآبائه فقال صلى الله عليه وسلم مهلا يا سعد فقال حويطب أقسمت عليك لما خرجت فخرج وخلف أبا رافع وقال ابن الجوزي ميمونة فحملها على قلوص فجعل أهل مكة يعيرون بها ويقولون لا بارك الله لك فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف وكان دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم بها بسرف وهي على أميال من مكة وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر من توفي من أزواجه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن وصلى عليها عبد الله بن عباس ونزل في قبرها وهؤلاء التسعة سوى خديجة اللاتي توفي صلى الله عليه وسلم وهن في عصمته خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة هند وواحدة من العرب من غير قريش ميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث ومن غير العرب صفية بنت حيي والى ذلك أشار الحافظ أبو الحسن بن المفضل المقدسي بقوله

توفي رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست ذكرهن مهذب

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة وكانت تدعى في الجاهلية أم

للمساكين لإطعامها إياهم وكان زواجها سنة ثلاث من الهجرة وكانت تحت عبيدة ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف فقتل يوم بدر شهيدا فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تلبث إلا يسيرا شهرين أو ثلاثة وتوفيت ودفنت بالبقيع ولم يمت من أزواجه في حياته إلا هي وخديجة رضي الله عنهما

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت الضحاك الكلابية بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير وهي قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الآية فاختارت الدنيا ففارقها وكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول أنا الشقية اخترت الدنيا وتزوج صلى الله عليه وسلم شراف الكلبية بفتح الشين المعجمة وبعضهم بالراء والفاء بنت خليفة وأخت دحية بن خليفة الكلبي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها وتزوج صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان بن أبي الجون بفتح الجيم وبالنون ابن الحارث الكندية وطلقها قبل أن يدخل بها وتزوج صلى الله عليه وسلم عمرة بنت يزيد وطلقها ولم يدخل بها وتزوج صلى الله عليه وسلم امرأة من غفار فلما نزعت ثيابها رأى بها بياضا فقال الحقي بأهلك وتزوج صلى الله عليه وسلم بامرأة تميمية فلما دخل عليها قالت أعوذ بالله منك فقال لقد استعذت بمعاذ الحقي بأهلك وقيل إن بعض نسائه علمها ذلك وقالت إنك تحظين به عنده هكذا قاله بعض أرباب السير وهو بعيد لأن المعلمة سابقة ولا تليق بحال أزواجه الطاهرات وتزوج صلى الله عليه وسلم عالية بنت ظبيان وقيل اسمها سنا بالسين المهملة وبالباء الموحدة السلمية وقيل إنها ماتت قبل أن تصل إليه وتزوج صلى الله عليه وسلم مليكة ابنة كعب الليثي فلما دخل عليها قال هبي لي نفسك فقالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فسرحها وخطب صلى الله عليه وسلم امرأة من مرة فقال أبوها إن بها برصا ولم يكن بها فرجع فإذا هي برصاء وخطب صلى الله عليه وسلم امرأة من أبيها فوصفها له وقال أزيدك أنها لم تمرض قط فقال ما لهذه عند الله من خير فتركها وقيل إنه تزوجها فلما قال أبوها ذلك طلقها ولم يبن بها وتزوج صلى الله عليه وسلم خولة بنت الهذيل هلكت في طريق الشام قبل وصولها إليه وتزوج صلى الله عليه وسلم أم شريك ففارقها صلى الله عليه وسلم وفي الدخول بها خلاف وقد ذكر أبو سعيد في شرف النبوة أن جملة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرون طلق منهن ستا ومات عنده خمس وتوفي عن عشر واحدة لم يدخل بها وكان صلى الله عليه وسلم يقسم

لتسع

تتبع وكان صداق نسائه خمسمائة درهم لكل واحدة منهن هذا أصح ما قيل إلا صفية فإنه جعل عتقها صداقها وأم حبيبة أصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار

وأما سراريه عليه الصلاة والسلام فأربع مارية القبطية وريحانة بنت شمعون النضرية وجميلة أصابها في السبي وجارية وهبتها له زينب بنت جحش فهؤلاء زوجاته صلى الله عليه وسلم وسراريه وهن أمهات المؤمنين وكلهن فضليات طاهرات وكما فضل الله تعالى أصحابه على سائر الأصحاب ورفع بعضهم فوق بعض درجات كذلك فضل زوجاته على سائر الزوجات ورفع بعضهن فوق بعض درجات لقوله تعالى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء وكما كان أفضل الصحابة أبو بكر الصديق رضي الله عنه كذلك أفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة عائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما فكفى بها فضلا وهي التي نزلت براءتها في سورة النور وقال صلى الله عليه وسلم أحب النساء إلي عائشة ومن الرجال أبوها وقال صلى الله عليه وسلم فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة على النساء ضرب المثل بالثريد لأنه أفضل طعامهم ولأنه مركب من خبز ولحم ومرقة ولا نظير له في الأغذية ثم إنه جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ وسرعة المرور في الحلقوم والصواب أن الخاصة للخبز أعم واللحم أفضل وهو أشبه بعنصر الذي من كل شيء وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بالثريد إيذانا بأن عائشة جمعت مع حسن الخلق وحسن الخلق وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل التحبب إلى البعل ومن ثم علمت منه ما لم يعلم غيرها من نسائه وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال والنساء وقد فضلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعشر خصال فيما روي عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فضلت على نساء النبي بعشر خصال تزوجني بكرا ولم يتزوج بكرا غيري وأسلم أبي وجدي وأمي وأم أبي وأخوتي وأخواتي وأنا ... من النساء وأبي ... من الرجال ومات في صدري وفي ... ودفن في حجري وأمرني بالقيام ... لا أفارقه فإني ... كان يأتيه ... كل يوم أسلم عليه ... وأسمع في ولي رد السلام وكم لها رأيه في الإسلام وهو قول لعائشة ... أصحاب الإسلام وأصبح ... سلامه ومات ... الحجرة ... إلى الإسلام ولا أشرك بالله ...

ولا كتب الملائكة لي بسببي ربيت في حجر الصديق ثم انتقلت الى حجر الصادق وصليت الى القبلتين وما نزل الوحي في لحاف غيري ورأيت جبريل وكان رضي لنسائه غيري رأيته على صورة دحية الكلبي وأعطيت شطر العلم وكان لكل امرأة من نسائه يوم وليلة ولي يومان وليلتان وصور الله صورتي في الجنة في خرقة حمراء وأهداني الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بزواجي بنص رب العالمين وولي أبو بكر خاتم الصديقين وبعلي محمد الصادق الامين خاتم المرسلين وانا أفضل أمهات المؤمنين وفي علم عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا شطر دينكم عن الحميرا تصغير حمراء ومعناه البيضاء قال قوم الشطر هو النصف لأن نصف الشيء شطره وقال قوم الشطر هو الكل وقال عليه الصلاة والسلام عائشة عالمة هذه الامة ولذلك كان أكابر الصحابة يأتون اليها ويسألونها عما أشكل عليهم من الفرائض كما روي عن أبي موسى الاشعري قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله حديث قط وسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها منه علما ولقد سئل عروة بن الزبير عن علم عائشة فقال والله ما رأيت امرأة أعلم بالقرآن والفرائض والسنن والتنزيل والتأويل من عائشة رضي الله عنها حتى أشعار العرب وأيامهم وأنسابهم والطب والادوية فقلت لها من أين لك علم الطب والابدان فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا مرض تداوى واذا مرض صاحبه يصف لي فأقرأ واذا اشتكى بعض المرضى علمت منه فعلمت ومن أين لي المعرفة بأنساب العرب وأيامها وأشعارها قالت والله يا ابن أختي ما سمعت أذني شيئا فيه نفع للناس الا حفظته ولا أنساه وقال عروة والله ما ندمت على شيء قط أشد من ندمي على ما فاتني من علم عائشة رضي الله تعالى عنها وما الذي فيها وقد رباها أعلم العلماء وأحكم الحكما وأفصح الفصحاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوها علامة قريش المقدم في حضرة النبي والولد سر أبيه وأما فصاحتها فقد رواه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها بعض الايام ورأيتها جالسة وعليها هيبة من يرجع فحمدت الله تعالى بما هو أهله وندبت بالصلاة على نبيه وذكرت بعض ما فتح الله تعالى من فضله وأثنت على أبي بكر وعمر وعثمان بما كان فيهم من العدل والاحسان ثم حضت بالاقتدا بهم واتباع أمرهم فوالله ما سمعت أذني من سائر النساء أفصح منها وأنظم من كلامها وأرشد من رأيها فقلت لها أنت والله أم المؤمنين حقا والعالمة بالله ورسوله الناصحة المشفقة الواعظة العالمة الدالة الناس على الحق وأمرتهم بطاعة ونهيتهم عن خطأ أهمهم وأنت

سوات أهل أن يسمع قولك ويطاع أمرك ويقبل نعلك ثم مشوا ومشوا واصابدي على
كتفيه فكوا وقلت والله يا ذكوان ما سمعت أذني خطابا من أكثر الفصاحة أفصح
من عائشة ولا أبلغ من موعظتها فلو كان إمرة لامرأة بعد النبوة لاستحقت عائشة
الخلافة روي عن الأحنف بن قيس انه قال سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام
عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى مضى وكلام عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى مضى
وكلام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حتى مضى ولا والله ما سمعت فيهم أبلغ من
عائشة رضي الله عنها

وأما تسميتها وجميع النساء بهذه الاسم فما ورد في ذلك ما رواه عروة بن الزبير رضي الله
تعالى عنه لما نزل قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم
قالت عائشة رضي الله تعالى عنها يا رسول الله وأنا أم المؤمنين فقال أنت أفضل أمهات
المؤمنين فقالت والذي بعثك بالحق رسولا ان أمهلني ربي يوم القيامة لا دخلت الجنة
حتى يدخل معي أولادي فنزل جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله قل لعائشة ابشري
كل من أحبك وأحب أباك واقتدى بكما أو بعضكما فهو معكم في الجنة فإن صح
حديث عروة هذا كان تسمية فيها لها رضي الله تعالى عنها ولذا ان كان صحيحا جاز
الاستدلال به على المذهب وقول الله تعالى وأزواجه أمهاتهم سواء من ماتت عنها أو
مات وهي تحته في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن لا في نظر ولا خلوة ولا يقال
بناتهن أخوات المؤمنين ولا آباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات ولا اخوتهن ولا
أخواتهن أخوال وخالات كذا في المواهب وقال الرملي في شرح المنهاج تحرم زوجاته
صلى الله عليه وسلم على غيره ولو مطلقات وبعد مفارقته فرقة ولو قبل الدخول وقال في
الشرح المذكور أيضا ان الأمة التي وطئها تحرم على غيره وإن عتقت وإنما حرمت على غيره
لأنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره أو رعاية لشرفه ولأنهن أزواجه في الجنة والمرأة في
الجنة مع آخر أزواجها ولأنهن أمهات المؤمنين كما ذكره الغمر الخصيصة في مسيره
النبوي ومراد أمهات المؤمنين الرجال دون النساء لما أخرجه مسروق ان امرأة قالت لعائشة
رضي الله عنها يا أمه فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فالمراد بالأمومة تحريم
نكاحهن على الناس كالأمهات وتأكيد ... بعد ... عائشة في صدر رسول
... من الفضل والعلم كل منقول ... وأخرى ... قول وأبى الله ان
يجمع حبها وحب فاطمة في قلب مجهول معلول ... في مسند ... العاص ... رسول

(بهايه الاعجار)

ولا فصلها الا ان كان من جهة البضعه النبويه فاطمه البتول وقد أنشدنا الامام العالم الكامل الشيخ كمال الدين بن العديم قاضى حلب الشهباء رحمه الله فى مدح الصديقه بنت الصديق عائشه رضى الله تعالى عنها وعن أبيها وذكر فضلها والرد على من ابغضها او نقصها من جهة التشيع ونظمها رضى الله عنها فقال

ماشان أم المؤمنين وشانى * هدى المحب لها وضل الشانى
انى أقول مبينا عن فضلها * ومترجما عن قولها بلسانى
يا مبغضى لا تأت قبر محمد * فالبيت بيتى والمكان مكانى
انى خصصت على نساء محمد * بصفات بر تحتهن معانى
وسبقتهن الى الفضائل كلها * فالسبق سبقى والعنان عنانى
مرض النبى ومات بين ترائبى * فاليوم يومى والزمان زمانى
زوجى رسول الله لم أر غيره * الله زوجنى به وحبانى
وأتاه جبريل الامين بصورتى * فأحبنى المختار حين رآنى
وتكلم الله العظيم بحجتى * وبراءتى فى محكم القرآن
والله عظمنى وعظم حرمتى * وعلى لسان نبيه برانى
والله فى القرآن قد لعن الذى * بعد البراءة بالقبيح رمانى
انى لمحصنة الازار بريئة * ودليل حسن طهارتى احصانى
الله حصننى بخاتم رسله * وأذل أهل الكفر والطغيان
وسمعت وحى الله عند محمد * من جبرئيل ونوره يغشانى
أوحى اليه وكنت تحت ثيابه * فحنى على بثوبه وحبانى
من ذا يفاخرنى وينكر مجدى * ومحمد فى حجره رببانى
وأبى أبو الصديق صاحب أحمد * وحبيبه فى السر والاعلان
وأخذت عن أبوى دين محمد * وهما على الاسلام مصطحبان
فالفخر فخرى والخلافة فى أبى * حسبى بهذا مفخرا وكفانى
وأبى امام الدين بعد محمد * فالفضل فضلى والشأن شانى
نصر النبى بماله وبنفسه * وبروحه معه من الاوطان
ثانيه فى الغار الذى سد الكوى * بردائه أكرم به من ثانى
وجفا الغنى حتى تخلل بالعبا * زهدا وأذعن أيما اذعان

وبحالسه

وعلت بنعمة ملائكة السما * وأتته بشرى الله بالرضوان
وهو الذي لم يخش لومة لائم * في قتل أهل الكفر والطغيان
قتل الذي منع الزكاة بجهله * وأذل أهل البغي والعدوان
سن الصلاة والتراويح بالهدى * هو سنتهم في العدل والاحسان
والله ما سبقوا المملا بفضله * عن استباق الخيل يوم رهان
الاوصاف أبي الى علمائنا * فمكانه منهم أجل مكان
وإذا أراد الله نصرة عبده * من ذا يطيق ولو له ثقلان
جمع الاله المؤمنين على أبي * واستدلوا من خوفهم بأمان
من حسبي فلعنة ربي من بغى * ان كان صان عرضي وزماني
وإذا العتيق وقد ألم عمى * فكالاعمى في نصفها نسيان
اني لطالبه حلف لطالبه * وبنا أحمد أطاعه السوان
والله حسبي لطالب نسبه * والى الصراط المستقيم هداني
اني لام المؤمنين هي أمي * حبي فحوى سوء بالخسران
والله يكرم من أراد كرامتي * ويهين ربي من أراد هواني
والله أسأله زيادة فضله * وحمدته شكرا لما أولاني
يامن لود بأهل بيت محمد * ترجو بذلك رحمة الرحمن
صل أمهات المؤمنين ولا تحد * عنهن تسلب حلة الايمان
وتوله بعد حبهن آل محمد * اعداده الارواح والاحسان
أكرم بأزواجه أئمة شرعنا * فهم أسس الدين كالاركان
نحبهم ونحبهم بتدين بحبهم * بدليلها من أحسن البرهان
رحما بينهم صفت أخلاقهم * وخلت قلوبهم من الشنآن
الله ألف بين ود قلوبهم * في بعض كل منافق طعان
طوبى لمن والى جماعة صحبهم * فحسابهم بدأت الى الحرمان
حبهم الملك فاعلمي روضة * فحقوقه بالروح والريحان
على المؤمنين إذا لاهاضلهم * وعلى الروافض لعنة الرحمن
صلى الاله على النبي وآله * فهم كم أزاهر البستان
وإذا بين وبائهم ما ندب * في دوحة ورق على الاغصان

وقد تقدم ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم في الفصل الثالث من الباب الأول من المقالة الخامسة من الجزء الثاني

وأما أعمامه صلى الله عليه وسلم فهم تسعة وهم أولاد عبد المطلب الأول الحارث وبه يكنى عبد المطلب لأنه أكبر ولده وولد ولده جماعة لهم صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو سفيان بن الحارث أسلم عام الفتح وشهد حنينا وقال في حقه النبي صلى الله عليه وسلم أبو سفيان سيد فتيان الجنة ونوفل بن الحارث هاجر وأسلم أيام الخندق وله عقب وعبد شمس بن الحارث وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقثم مات صغيرا الثاني قثم وهو أخو الحارث لأمه الثالث الزبير صحيح الرأي يوزن أمير ويكنى أبا الحارث وكان من صناديد قريش وابنه عبد الله بن الزبير شهد حنينا وثبت يومئذ واستشهد بأجنادين وذكر أنه وجد إلى جنب سبعة قد قتلهم وقتلوه وكان عبد الله بن الزبير شاعرا وهو أول من تكلم في حلف الفضول ودعا إليه وكان سبب ذلك الحلف أن الرجل من العرب أو العجم كان يقدم بالتجارة وربما ظلم بمكة فقدم رجل من بني زبيد بسلعة فباعها من العاص بن وائل السهمي وظلمه فيها وجحده ثمنها فاستعدى بالله فلم ينفعه فنادى ذات يوم عند طلوع الشمس وقريش في أنديتها

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائي الحي والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا آل فهر وبين الركن والحجر

وقال أيضا

يا للقصي كيف هذا في الحرم * وحرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

فقال الزبير ما لهذا مترك فجمع إخوته واجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة في دار أبي زهير عبد الله بن جدعان القرشي فتحالفوا ألا يجدون بمكة مظلوما إلا نصروه وردوه وأعانوه حتى يؤدي إليه حقه و [illegible] مظلمته من ظالمه وعاهدوا على فضول أموالهم [illegible] وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الحلف وكان يقول ما سرني بحلف شهدته في دار عبد الله بن جدعان حمر النعم وسمي الحلف حلف الفضول لأنهم فضول أموالهم وكانوا فضولا لا يحب عليهم وقام

الزبير

الزبير ومن معه بأمر الزبيدي حتى أنصفه العاص بن وائل ومات الزبير ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن بضع وثلاثين سنة وكان للزبير بنت يقال لها أم الحكم وكانت [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم الرابع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأخوه من الرضاعة أسلم قديما وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا ولم يكن له إلا ابنة [illegible] الخامس العباس أسلم وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة وكان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وقيل بسنتين وكان له من الولد الفضل وهو أكبر ولده وبه كان يكنى وعبد الله وعبيد الله وقثم [illegible] وكانت له السقاية وزمزم دفعها إليه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وتوفي سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه في المدينة [illegible] السادس أبو طالب واسمه عبد مناف وهو أخو عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم من أمه ومات على دين قومه وفيه قال بعضهم

أبا طالب لما [illegible] بنصره * لأنك في الدين [illegible]

دعاك إلى الهادي فلم تجب * [illegible] بكل لسان

وما حكاه صاحب [illegible] عبد الله وأبي طالب وإسلامهما [illegible] وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ولأبي طالب من الولد طالب ومات على دين قومه وعقيل وجعفر وعلي وأم هانئ وجمانة [illegible] أم هانئ فاختة وقيل هند وقيل فاطمة أسلموا [illegible] أبي طالب [illegible] أمهم فاطمة بنت أسد [illegible] أسلمت [illegible] وكان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى الإسلام [illegible] [illegible] أكبر [illegible] على دين [illegible] إلى أن [illegible] وكانت قريش [illegible] أبو طالب [illegible] ومن كلامه

[illegible] رسول الله [illegible] * [illegible]

[illegible] وأخي رسول الله [illegible] * [illegible]

[illegible]

[illegible]

من الشام بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وسببه وبعضهم ذكر من أولاد حمزة ولعله لعب المنية وقسم محمد وأمامة وعمارة وعمارة ولده ولم تثبت لهم رواية الثامن عبد الكعبة واسمه المغيرة ولقبه حجل بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وباللام وفي كتابة عبد البر تقديم الجيم على الحاء وقد صحح غلطه وهو أخو العباس لامه التاسع الغيداق بن عبد المطلب بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وبالدال المهملة والقاف لقب به لجوده وكان أكثر قريش مالا واسمه مصعب وقيل نوفل العاشر ضرار بن عبد المطلب بكسر الضاد المعجمة وبعدها راء بعد الالف وهو شقيق العباس الحادي عشر المقوم بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ويكنى أبا بكر وروى ابن ماجه بسنده عن علي بن صالح قال كان ولد عبد المطلب عشرة كل واحد منهم يأكل الجذعة ... منهم عشرة بدون عبد الله الذي مات صغيرا وقد ذكر الخلاف في عددهم فيه وكرة في الفصل الاول من الباب الاول من المقالة الخامسة من الجزء الثاني ولم يدرك الاسلام منهم غير أربعة أبو طالب وأبو لهب وحمزة والعباس ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وفضلهما مشهور وحبه صلى الله عليه وسلم لهما مما ذاع عند جميع الناس

وأما عماته صلى الله عليه وسلم وأولادهن فهن بنات عبد المطلب ست فصفية أسلمت وهاجرت وهي أم الزبير بن العوام توفيت بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي أخت عبد الله لامه وشقيقة حمزة الثانية عاتكة بنت عبد المطلب قيل انها أسلمت وهي صاحبة الرؤيا في بدر وكانت عند أبي أمية بن عبد الله بن مخزوم وولدت له عبد الله أسلم وله صحبة الثالثة أروى وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد الدار ابن قصي فولدت له طليبا كان من المهاجرين وقتل شهيدا في بدر وقيل أجنادين وليس له عقب الرابعة أميمة كانت تحت جحش بن رئاب بن يعمر فولدت له عبد الله بن جحش وزينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم وحمنة وحبيبة كلهم له صحبة وعبيد الله بن جحش أسلم ثم تنصر ومات بالحبشة الخامسة برة كانت تحت عبد الاسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم فولدت له أبا سلمة واسمه عبد الله وكان زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج برة بعد عبد الاسد أبو رهم بن عبد العزى بن قيس فولدت له أبا سبرة بن أبي رهم السادسة أم حكيم واسمها البيضاء وكانت عند كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أروى بنت كريز وهي أم عثمان ابن

ابن عفان ولم يسلم منهن بالاتفاق غير صفية وشهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود فضرب لها عليه الصلاة والسلام بسهم واختلف في إسلام أروى وعاتكة والقائل بإسلامهما منهم أبو جعفر العقيلي وعدهما في الصحابة

وأما أخواله صلى الله عليه وسلم فأربعة الأول عبد يغوث والثاني عبيد بن يغوث وهما من جهة زوجة وهب أبي آمنة فهما أخواها لأبيها ذكرهما الزبيدي في أنساب قريش وكان معاصر النصارى ولم يثبت فيهما الإسلام والثالث الأسود بن وهب والرابع عمير بن وهب وكانا صحابيين ذكرهما السخاوي في المقاصد الحسنة وابن حجر في الإصابة في معرفة الصحابة روي أن عميرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه فقال كيف أجلس على ردائك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنما الخال أب وكذلك وقع له الأسود بن وهب كما ذكره السخاوي في المقاصد ولم يكن له خالة ولأن آمنة لم تلد غير النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك لم يكن له أخ ولا أخت كذا في الذخائر

وأما مواليه صلى الله عليه وسلم من الرجال فهم فوق الثلاثين رجلا منهم زيد بن حارثة ابن شرحبيل وقال ابن مراحيل الكلبي بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عبد ود وأم زيد هذا هي سعدى بنت ثعلبة من طيء وقد كانت سعدى زارت قومها فأغارت خيل الى القين في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام فوافوا به سوق عكاظ فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم استوهبه منها فوهبته له فقبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وتبناه كما سيأتي وكان يقال له زيد بن محمد وكان عمره ثمان سنين وكان حارثة أبو زيد قال فيه حين فقد أبياتا منها

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا * أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * وتعرض ذكراه إذا عارض الطفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره * فيا طول أحزاني عليه ويا وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا * ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو يأتي عليّ منيتي * وكل امرئ فان وإن غرّه الأمل
سأوصي به عمرا وقيسا كليهما * وأوصي يزيد ثم من بعده جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد وكان أكبر من زيد ويزيد كان أخا زيد لأمه وهو يزيد بن كعب بن شراحيل فحج ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم أبلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا عليّ فقال

أحنّ إلى قومي وإن كنت نائيا * فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم * ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة * كرام معدّ كابرا بعد كابر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه حارثة بمكانه وأخبروه فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل وحملا بن حارثة بفدائه فقدموا مكة فسألوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلوا عليه فقالوا يا ابن عبد الله ويا ابن عبد المطلب وابن هاشم سيد قومه أنتم حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير جئناك في ابننا عندك فامنن علينا وأحسن في فدائه إلينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا غير ذلك أدعوه فأخيره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا قالوا قد زدتنا على النصف وأحسنت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فقال أتعرف هؤلاء قال نعم أبي وأخي وعمي فقال أنا من قد علمت وقد رأيت صحبتي فاخترني أو اخترهم فقال ما أنا بالذي أختار عليك أحدا أنت مني مكان الأب والأم فقال له أبوه وعمه يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أهلك قال نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من زيد أخرجه إلى الحجر وقال يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني أرثه ويرثني فطابت نفوسهم فكان زيد يدعى زيد بن محمد حتى جاء الله عز وجل بالإسلام فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وهي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب فطلقها زيد وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم المنافقون وطعنوا في ذلك وقالوا محمد يحرم نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه فأنزل الله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما وأنزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم فدعي يومئذ زيد بن حارثة

ونسبه

وينسب كل رجل تبناه رجل من قريش إلى أبيه مثل سالم مولى أبي حذيفة وعامر بن ربيعة وكان زيد يسمى الحب لأنه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقال له الحب ابن الحب وكان أسامة أيضا يدعى الردف لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يردفه كثيرا عن عروة عن أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على إكاف على قطيفة فأردف أسامة خلفه وأتى سعد بن عبادة يعوده قبل وقعة بدر ولم يذكر في القرآن أحد من الصحابة باسمه إلا هو وكأنه لم يذكر امرأة باسمها في القرآن إلا مريم ولم يزل زيد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه وشهد بدرا وأحدا والمشاهد روى عنه ابنه أسامة وابن عباس والبراء بن عازب وغيرهم رضي الله عنهم

وفيهم ثوبان صح وقال المؤلف ثوبان بن بجدد بضم الباء الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة وهو من حمير من اليمن وله نسب فيهم وقيل هو من السراة موضع بين مكة واليمن وقيل هو من بني العشيرة من مذحج أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وقال له إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم وإن شئت أن تكون أهل البيت فثبت على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل معه سفرا وحضرا إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الشام ونزل إلى الرملة وابتنى بها دارا وابتنى بمصر دارا وبحمص دارا وتوفي بها سنة أربع وخمسين وقيل غير ذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وأسند روى عنه شداد بن أوس وأبو إدريس الخولاني ومعدان بن أبي طلحة وأبو أسماء الرحبي وأبو الخير اليزني وغيرهم روى عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال لي يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا وعن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قال قلنا من قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله عز وجل المهابة من صدوركم ولا [illegible] الوهن في قلوبكم

وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت . قال النبي صلى الله عليه وسلم من تضمن لي
خصلة أضمن له الجنة فقال ثوبان أنا يا رسول الله قال لا تسأل الناس شيئاً فكان ثوبان
يقع سوطه من يده فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل فيأخذه وكانت عائشة تقول
تعهدوا ثوبان فإنه لا يسأل الناس شيئاً

ومنهم أسامة بن زيد بن حارثة السابق الذكر ويكنى أبا محمد أمه أم أيمن حاضنة النبي
صلى الله عليه وسلم فهو وأيمن أخوان لأم وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أبويه روى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أسامة بن زيد لأحب الناس
إلي أو من أحب الناس إلي وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيراً
واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة على جيش كما تقدم
وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أميطي عنه فكأني تقذرته فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمصه ثم يمجه وقال لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى
أنفقه ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس فرض لأسامة بن زيد خمسة
آلاف وفرض لعبد الله بن عمر ألفين فقال ابن عمر فضلت علي أسامة وقد شهدت
ما لم يشهد فقال إن أسامة كان أحب إلى رسول الله منك وأبوه أحب إلى رسول الله
من أبيك ولم يبايع علياً ولا شهد معه شيئاً من حروبه وقال له لو أدخلت يدك
في فم تنين لأدخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا إله إلا الله وهو ما أخبرنا به أبو جعفر
عبد الله بن أحمد بن علي البغدادي بإسناده عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني
محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال أدركته
(يعني كافراً كان قتل في المسلمين في غزاة لهم) أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا
عليه السلاح قال أشهد أن لا إله إلا الله فلم ننزع عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره فقال يا أسامة من لك بلا إله إلا الله فقلت
يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل فقال من لك يا أسامة بلا إله إلا الله فوالذي
بعثه بالحق ما زال يرددها حتى وددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن وأني أسلمت يومئذ
فقلت أعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله وروى محمد بن إسحاق
عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله قال رأيت أسامة بن زيد يصلي عند قبر
النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فدعي مروان الى جنازة صلى عليها فصلى عليها ثم رجع وأسامة
يصلي عند باب بيت النبي فقال له مروان انما أردت ان نرى مكانك فعل الله بك
وقال قولا قبيحا ثم أدبر فانصرف أسامة وقال يا مروان انك آذيتني وانك فاحش متفحش
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يبغض الفاحش المتفحش
وقال بعضهم ويجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمؤدب ان يقول لمن يخاطبه
في ذلك الامر يا ناقص الحال أو يا قليل النظر لنفسه أو يا ظالم نفسه وما أشبه ذلك بحيث
لا يتجاوز الى الكذب ولا يكون بلفظ قذف لان الغرض به التأديب والزجر
وليكون الكلام ارجع في النفس لما روى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة قال اركبها قال انها بدنة
قال في الثالثة اركبها ويلك وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لابنه عبد الرحمن
لما لم يعشّ اضيافه يا غنثر وهي غير نهار القمراء والفعلاء والذم والسائل
وغيرهم لا يليق بهم القول ولا نحو ذلك لقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل
فلا تنهر وقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين

وكان أسامة أسود افطس وتوفي آخر أيام معاوية سنة ثمان أو تسع وخمسين وقيل
توفي بعد قتل عثمان بالجرف وحمل الى المدينة روى عنه أبو عثمان وعبد الله بن
عبد الله بن عتبة وعروة أخرجه الثلاثة وقد ذكر ابن ... النبي صلى الله عليه
وسلم أمر أسامة بن زيد على الجيش الذي سيره الى مؤتة على اهالي ... بالناس
... قال النبي صلى الله عليه وسلم انه عمل على الجيش الذي سار الى مؤتة أبا زيد بن
حارثة فقال ان أصيب ... فجعفر بن أبي طالب فان أصيب ... فعبد الله بن
رواحة ... فان أصيب ... على ... رجل من ... سار ...
الى ...
...
...
...
... رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
... صلى الله عليه وسلم ...

ومنهم أبو كبشة واسمه سليم من مولدي السراة وقيل من مولدي مكة وقيل من أرض دوس شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي في أول يوم من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ومنهم أنسة من مولدي السراة يكنى أبا مسرح اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقه قيل قتل يوم بدر وقيل بل شهد يوم أحد وتوفي في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم

ومنهم شقران واسمه صالح قيل ورثه صلى الله عليه وسلم من أبيه وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف شهد بدرا وهو مملوك فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسرى ولم يسهم له فأهداه كل رجل كان له أسير فأصاب أكثر مما أصابه رجل من القسم وأعتقه صلى الله عليه وسلم وكان شقران ممن نزل في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنهم رباح ويكنى أبا أيمن وهو عبد أسود نوبي اشتراه صلى الله عليه وسلم من وفد عبد القيس وأعتقه وكان يأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا وهو الذي استأذن لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على النبي لما اعتزل نساءه في المشربة (بضم الميم هي الغرفة) ثم صيره صلى الله عليه وسلم مكان يسار حين قتل فكان يقوم بأمر لقاحه

ومنهم يسار الراعي النوبي أصابه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وأعتقه وجعله في لقاحه يرعاها فأغار عليها قوم من عرينة وأخذوا يسارا وقطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في عينيه ولسانه واستاقوا اللقاح وأدخل المدينة ميتا فقام بأمر اللقاح بعده رباح كما سلف

ومنهم أبو رافع واسمه أسلم كان عبدا قبطيا للعباس بن عبد المطلب فلما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار العباس إسلامه أعتقه وزوجه سلمى مولاته صلى الله عليه وسلم وولدت له عبد الله ووجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع مع زيد بن حارثة من المدينة ليحملا أهله من مكة وبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بولادة ابراهيم فوهب له غلاما وكانت سلمى زوجته قابلة ابراهيم وشهدت خيبر مع زوجها وكان عبد الله ابنه خازنا لعلي بن أبي طالب وكاتبا له أيام خلافته وشهد أبو رافع أحدا والخندق وما بعدهما من المشاهد ولم يشهد بدرا لأنه كان بمكة كما يدل عليه قصته مع أبي لهب الآتية قال أبو رافع كنت غلاما للعباس فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه فلما جاء

مصاب

فصاب أهل بدر وجدنا في أنفسنا عزة وقوة وكنت ضعيفا أعمل الأقداح وأنحتها في حجرة زمزم فبينا أنا أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من خبر أهل بدر إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه وجاء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال أبو لهب إلي يا ابن أخي ما خبر الناس فقال ما هو إلا أن لقيناهم حتى منحناهم أكتافنا ولقينا رجالا على خيل بلق فقلت تلك الملائكة فلطمني أبو لهب لطمة شديدة وثاورته فضرب بي الأرض فقامت له أم الفضل أراك استضعفته أن غاب عنه سيده وأخذت شيئا فضربته به فشجته فقام ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله عز وجل بالعدسة فقتله وقد تركه بنوه حتى أنتن وما دفنوه ثلاثا لا يقربونه ولا يدفنونه فلما خافوا السبة دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بأعلى مكة وقذفوا عليه الحجارة من بعد حتى واروه فيها كما سبق في الفصل الأول من الباب الأول من المقالة الخامسة وروي أن رافع مولى عثمان وقيل في خلافة علي رضي الله عنهم والعدسة قرحة تخرج على الناس تزعم العرب أنها تعدي شديدة كالطاعون

وعلى ذكر ذلك فقد روي عن عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان الوباء بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه رواه الشيخان وقد سبق التنويه إلى ذلك في الفصل الأول من الباب الأول من المقالة الخامسة وفي نهيه صلى الله عليه وسلم عن الدخول في الأرض التي حل بها الطاعون فائدتان الأولى لئلا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضوا والثانية لئلا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك فتتضاعف عليهم الآفة بوجود الأمرين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من القرف التلف (والقرف مداناة الوباء ومداناة المرضى) وقوله فلا تدخلوا عليها نهي تحذير ونهي عن التعرض للتلف وفي قوله فلا تخرجوا فرارا منه إثبات التوكل والتسليم لأمر الله وأحد الأمرين تأديب وتعليم والآخر تفويض وتسليم وقال الحافظ الخوري إنما نهى عن الخروج لأن الأصحاء إذا خرجوا هلكت المرضى ولا يبقى من يقوم بأمرهم ويجهزهم لا يمنع ... وهو واضح ... قوله صلى الله عليه وسلم ... كما ... وقال صلى الله عليه وسلم إنه في الطاعون ... ما دام ... ولو ... وقد ... [illegible]

استنشاق الهواء وبقيته مات بعضها والوباء مضر بالأبدان مزيل لقصبها معرض لهلاكها
فلذلك نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الدخول بأرض حل بها الوباء فيحرم
دخولها خوفا عليهم وتعليما لهم وقال بعضهم في نهيه عن الخروج منها معنيان أحدهما
ثقة بالله وتوكلا عليه فيحرم ذلك بقصد الفرار قال الشيخ ابن سينا يجب على كل محترز
من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل إلى التدبير المجفف
من كل وجه ويجتنب الرياضة والحمام فإنهما مما يجب أن يحذرا لأن البدن لا يخلو
غالبا من فضل رديء كامن فيه فيثيره وذلك يغلب عليه عطبه بل يجب عند وقوع
الوباء السكون والراحة وتسكين هيجان الأخلاط إذ لا يمكن الخروج من أرض
الوباء إلا بحركة وهي مضرة

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أبو عبيدة
ابن الجراح وأصحابه فأخبروه بأن الوباء والطاعون قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال
لي عمر ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام
فاختلفوا فقال بعضهم خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال آخرون معك بقية
الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء
والطاعون فقال عمر ارتفعوا عني ثم قال ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا
سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني فقال ادع لي من هنا
من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم اثنان فقالوا نرى أن
ترجع بالناس ولا نرى أن تقدم على هذا الوباء والطاعون فأذن عمر في الناس إني
مصبح على ظهر فأصبحوا عليه قال أبو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين أفرارا من قدر
الله فقال لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل
فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة
رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان
متغيبا في بعض حاجته فقال إن عندي في هذا علما وذكر الحديث المتقدم ذكره
فحمد الله ثم انصرف فعلم من هذه الأحاديث حكم النهي عن دخول بلد بها الطاعون
والخروج منها بقصد الفرار منه وعن أبي نعيم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الطاعون شهادة لأمتي ووخز أعدائكم من الجن غدة كغدة الإبل تخرج

في الآباط والمراق من مات منه مات شهيدا ومن قام منه كان كالمرابط في سبيل الله
ومن فر منه كان كالفار من الزحف رواه الطبراني وقال صاحب الصحاح الطاعون من
حيث اللغة الموت بالوباء ومن حيث الطب ورم رديء قتال يخرج معه تلهب شديد جدا
ويصير ما حوله في الأكثر أسود وأخضر وغير ذلك ويؤول أمره إلى التقرح سريعا
وقال بعضهم المسك عظيم في دفع ضرر الطاعون والوباء شربا وشما وكون العنبر
وكذلك العنبر يدفع ضرر الطاعون والوباء بخورا وشما وهو أفخر أنواع الطيب بعد
المسك وألوانه مختلفة فمنه الأبيض والأشهب والأحمر والأصفر والأخضر والأزرق
والأسود وأجوده الأشهب القوي الذكي ... ثم الأزرق ثم الأصفر وأردأه الأسود
يغش بالشمع واللاذن ونحوه وهو ... اعتدل للوباء إذا أدمن شمه والتبخر به
وشربه يدفع ضرر الطاعون والوباء وأكله يمنع ... الطبع ويمنع ... كان
بخورا وطلا وكذلك العود عظيم في دفع ضرر الطاعون والوباء بإذن الله تعالى
شربا وبخورا والعود أنواع أفضلها الهندي ثم الصيني وأجود الأسود الذي من
الناس ... ثم ... في ردي وقال ...
... في ضرر الطاعون والوباء بخورا ... المنزل ... من برد
الوباء ... رواه البخاري أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ... والطواعين ... في الوباء ... البلاد
الوبائية ولما كان ذلك كذلك كانوا يعبرون بالطاعون عن الوباء ...
... الوباء في أكثر الأحوال ... الوباء الطاعون ... وكل
... الطاعون ... الجارحة في الجسد
والوباء ... وكل طاعون وباء
وليس كل وباء طاعونا ... إن الوباء مرض
... ويكون ... في
الأكثر ... واحد ... ووباء ... عن ...
من ... الطاعون ... عمرو
ابن العاص ... الإمام ...
في ... (...) ... الطواعين ... في ...
... رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

من الهجرة الثاني طاعون عمواس في زمن عمر بن الخطاب كان بالشام ومات فيه خمسة وعشرون ألفا الثالث طاعون في زمن خلافة عبد الله بن الزبير في شوال سنة سبع وستين مات فيه بالطاعون في ثلاثة أيام كل يوم سبعون ألفا ومات فيه لانس بن مالك ثمانون ولدا ومات فيه لعبد الرحمن بن عوف أربعون ولدا الرابع طاعون الفتيات كان في شوال سنة سبع وثمانين بالبصرة وواسط والشام والكوفة ويقال له طاعون الاشراف لما مات فيه من الاشراف الخامس طاعون سنة احدى وثلاثين ومائة في رجب واشتد في رمضان وكان يحصى في كل يوم ألف جنازة ثم خف في شوال السادس طاعون كان بالكوفة سنة خمسين وفيه توفي المغيرة بن شعبة ولم يقع الطاعون بالمدينة المنورة ولا بمكة قط قاله الامام النووي وعن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا طلع النجم ارتفعت العاهة عن كل بلد وأراد بالنجم الثريا قال ابن عباس يعني الثريا والعرب تسمي الثريا نجما والمراد بالعاهة الآفة التي تلحق الزرع والثمار في فصل الشتاء وصدر فصل الربيع فيحصل الأمن عليها عند طلوع الثريا في الوقت المذكور وقال ابن عمر اذا طلعت الثريا فقد أمن يعني صاحب الزرع والثمار ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمرة وثمارها قبل أن يبدو صلاحها انتهى ومن شعر سيدي عبد العزيز الديريني

وصفرت ثريا المكرمة * والخصب في طلوعها والنثرة

(رجع الى ذكر مواليه) ومنهم أبو مويهبة وهو من مولدي مزينة اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وشهد المريسيع وكان يقود لعائشة رضي الله تعالى عنها بعيرها

ومنهم فضالة اليماني نزل الشام ومات بها

ومنهم رافع وهو ذو ... كان لسعيد بن العاص فابتاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلنا يا نبي الله من خير الناس قال ذو القلب المخموم واللسان الصادق قلنا قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المخموم قال هو التقي النقي الذي لا اثم فيه ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قلنا ما نعرف هذا الا رافعا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن على أثره قال مؤمن في خلق حسن وقال ان أولاد سعيد بن العاص لما ورثوه عن أبيهم أعتقه بعضهم وأمسكه بعضهم فجاء رافع الى النبي صلى الله عليه وسلم يستعينه فوهب له وكان يقول أنا مولى النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أرباب السير

غلط

فقال أبا رافع النبي أسلم رافع فقول إن رافعا وأبا رافع [illegible] واحد ويقال رويفع [illegible] وإن النبي صلى الله عليه وسلم أعتقه

ومنهم مدعم بكسر الميم وسكون الدال المهملة وفتح العين المهملة هو عبد أسود أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة بصيغة التصغير أهداه له [illegible] وهو الذي قتل بوادي القرى بسهم أصابه فقال الناس هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا وكان [illegible] الإسلام

ومنهم كركرة [illegible] الكاف [illegible] وكسرها [illegible] مكسورة [illegible] كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها

ومنهم زيد جد هلال بن يسار بن زيد [illegible] ومنهم مأبور [illegible] وهو [illegible] ومنهم هشام وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث أن رجلا أتاه فقال يا رسول الله إن لي امرأة [illegible] لا ترد يد لامس فقال طلقها

ومنهم أبو ضميرة وقال له [illegible] وهو من العرب مما أفاء الله على رسوله [illegible] وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] كتابا أن يعطى كل من لقيه من المسلمين [illegible] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

و [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وكان [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

عليه وسلم فقال ابسط كساءك فقال الله ثم اطرحوا فيه ثم قال احمل انما أنت سفينة وقال فلو كان وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة ما ثقل وهو أسود من مولدي الأعراب

ومنهم أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضي ابتاعه النبي صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية فأعتقه وكان حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم يا بني بياضة زوجوا أبا هند وزوجوا إليه ففعلوا ولم يشهد بدرا وشهد المشاهد كلها قيل اسمه عبد الله وقيل يسار

ومنهم أنجشة بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة كان عبدا أسود وقيل حبشيا يكنى أبا مارية وكان حادي النبي صلى الله عليه وسلم وكان حسن الصوت بالحداء فحدا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فأسرعت الإبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا أنجشة رفقا بالقوارير والقوارير أواني الزجاج الواحدة قارورة فشبههن لضعف قلوبهن بقوارير الزجاج ويروى أن أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال وممن حدا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة فقد روى النسائي عن عبد الله بن رواحة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره فقال له يا ابن رواحة انزل فحرك الركاب فقال يا رسول الله قد تركت ذلك فقال عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فرمى بنفسه وقال

لاهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا

والحدو والحداء سوق الإبل والغناء لها قال الشاعر

دع ذا وهي لك الفداء * إن غناء الإبل الحداء

ومن مواليه أيضا [illegible] بن [illegible] من بني قريظة كان لبعض عماته فوهبته له فأعتقه وقيل ابتاعه صلى الله عليه وسلم وهو مكاتب فأعتقه وهؤلاء الموالي المشهورون وله صلى الله عليه وسلم غيرهم قيل يكونون أربعين مولى

وأما إماؤه صلى الله عليه وسلم فسلمى أم رافع وقيل كانت مولاة لصفية عمته وهي زوجة أبي رافع وقابلة فاطمة الزهراء وقابلة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وأم أيمن واسمها بركة الحبشية ورثها النبي صلى الله عليه وسلم من أبيه وهي أم أسامة بن زيد

كانت

كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وقيل كانت لأم النبي عليه السلام وكانت من الحبشة فلما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما توفي أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر فأعتقها ثم زوجها [illegible] وزوجها عبيد بن زيد الحارث الحبشي فولدت له أيمن وكنيت به [illegible] أم أيمن يوم حنين ثم زوجها زيد بن حارثة بعد النبوة فولدت له أسامة وقال فيها النبي عليه السلام وهي التي [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي السماء روي أن أم أيمن كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان له قدح من عيدان يوضع تحت سريره [illegible] بالليل [illegible] ثم افتقده فلم يجده فسأل [illegible] بركة [illegible] فقالت [illegible] ما [illegible] مكي [illegible] أبدا [illegible] الترمذي [illegible] وصححه [illegible] ينكرون على [illegible] وأخرج [illegible] بن [illegible] أبي [illegible] وأبو [illegible] من [illegible] مالك [illegible] أم أيمن [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] فلما [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الحجارة [illegible] صلى الله عليه وسلم حتى [illegible] ثم قال أما [illegible] أن النبي صلى الله عليه وسلم كان [illegible] فإذا [illegible] الذي [illegible] كان [illegible] وكيف [illegible] كان [illegible] واحد [illegible] كان [illegible]

إدخاله في الخطة الاسلامية واهتدى به فيها الخلفاء الراشدون وتوسع فيها الملوك والسلاطين المهتدون

قال صاحب كتاب تخريج الدلالات السمعية ما ملخصه ان من لم يرسخ في المعارف قدمه وليس لديه من أدوات الطالب الاداة وقلة بحثه يحسب كثيرا من الاعمال السلطانية مبتدعة وأن العامل على خطة دينية ليس عاملا في عمالة شرعية وظن أن عمالها مبتدعة فلهذا جمعت ما علمته من تلك العمالات في كتاب وضعت شرحها وبينت الامر لمن جهل أمرها وعرفت الحامل وبينت العامل فذكرت في كل عمالة من ولاه عليها الرسول من الصحابة ليعلم ذلك من يليها الآن فيشكر الله على ان استعمله في عمل شرعي كان يتولاه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلح له وأقامه المولى في ذلك مقامه فيجتهد في اقامة الحق فيه بما أوجبه الشرع وفرضه ويكون قد أحرز ثوابه وأجره انتهى ومن هذا الكتاب استخرجت الزبدة اللائقة والخلاصات الفائقة الآتية في أبوابها النافعة لطلابها ثم لم يف بذلك غالب مؤلفي كتب السير بل فاتهم انضمام هذه العمالات والوظائف السياسية الشرعية الى ما حوته هذه السيرة من ماجرياته صلى الله عليه وسلم ابتداء وانتهاء فهو بعض ما لهم من الفوائد ويرضي بعونه تعالى الخالق والخلق

(الباب السادس في الوظائف والعمالات المدنية خصوصيه وعموميه أهليه داخليه وجهاديه التي هي عبارة عن نظام السلطنة الاسلامية وما يلتحق بها من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فصول)

(الفصل الاول في خدمه الخاصة به صلى الله عليه وسلم)

تولى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو حمزة أنس بن مالك الانصاري وهو ذؤابة أساطين الاسلام وربيعة بن كعب الاسلمي

وقد روى عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما

قال

قال لي أف (بضم الهمزة وفتح الفاء مشددة وكسرها بلا تنوين وهو اسم فعل بمعنى أتضجر وأتكره ويقال لكل ما يضجر ويتثقل منه أف له ويستوي فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى ولا تقل لهما أف) وروى البخاري عن ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فخدمته عشر سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما كنت أرى أسماء وهندا ابني حارثة إلا خادمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول ملازمتهما بابه وخدمته وأما ربيعة بن كعب الأسلمي فكان من أهل الصفة وكان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحضر والسفر ويبيت على بابه ويخدمه وهو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرافقته في الجنة فقال له صلى الله عليه وسلم أعني على نفسك بكثرة السجود وقال عبد الله ابن المبارك في معنى ذلك

ما بال نفسك ترضى أن تدنسها * وثوب لبسك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * إن السفينة لا تجري على اليبس

وأما عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني فكان صاحب بغلته يقود به في الأسفار وكان عالما بكتاب الله وبالفرائض فصيحا شاعرا وولي مصر لمعاوية سنة أربع وأربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة ثمان وخمسين

ومن خدمه صلى الله عليه وسلم من كان له خدمة مخصوصة فمنهم صاحب الوسادة التي يتكئ عليها صلى الله عليه وسلم وهي المخدة وقد روى البخاري عن علقمة قال قدمت الشام وأتيت المسجد فصليت ركعتين فقلت اللهم يسر لي جليسا صالحا فجلست إلى أبي الدرداء فقال ممن أنت قلت من أهل الكوفة قال أليس فيكم صاحب السر الذي كان لا يعلمه غيره يعني حذيفة أوليس فيكم الذي أجاره الله على لسان رسوله من الشيطان يعني عمارا أوليس فيكم صاحب السواك والوساد يعني ابن مسعود كيف كان عبد الله يقرأ والليل إذا يغشى فقرأت والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى فقال ما زال بي هؤلاء حتى كادوا يستنزلوني أي في قراءة سمعتها بخروجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... والذي ... ابن مسعود والذي ... والذكر والأنثى ...

وما خلق أي وما خلقه الله تعالى أي ومخلوقات الله ثم جعل الذكر والأنثى بدلا منه أي ومخلوق الله الذكر والأنثى

وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان وساد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتكئ عليه من أدم حشوه ليف وعن عمر رضي الله عنه أنه استؤذن له في الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم فدخل فاذا هو على حصير قد أثر بجنبه واذا تحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف والمرفقة المخدة وهذا لكمال زهده صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يدني الوسادة للداخل وقد تعد الجلساء الوسادة للاتكاء عليها فقد روي انه دخل سلمان على عمر وهو متكئ على وسادة فألقاها له فقال سلمان الله أكبر صدق الله ورسوله فقال عمر حدثنا يا أبا عبد الله فقال سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فألقاها الي ثم قال لي يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقي له الوسادة اكراما له الا غفر الله له

وكذلك عبد الله بن مسعود هو صاحب النعلين أيضا ففي كتب الحديث أن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه كان يلج على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبسه نعليه وفي مختصر السير لابن جماعة كان عبد الله بن مسعود صاحب نعلي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ألبسه اياهما واذا جلس جعلهما في ذراعه حتى يقوم وقد تقدم أن هذا الصحابي أيضا هو صاحب الوسادة وهو أيضا صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان أيضا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يلي الوسادة والنعلين هو صاحب السواك والكرى أي يليهما

ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة ركبا مسافرين فأمر رجلا ينادي من أين القوم وكان في الركب ابن مسعود فأجابه من الفج العميق فقال الى أين فقال الى البيت العتيق فقال اي آية في القرآن أعظم قال آية الكرسي قال أي آية في القرآن أحكم قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال أي آية في القرآن أجمع قال فمن يعمل مثقال ذرة الآية قال أي آية في القرآن أرجى قال قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فقال أفيكم ابن مسعود أي لان هذه الاجوبة لا تكون الا من مثله فقال نعم وقال علي علم عبد الله الكتاب والسنة وقال أبو موسى الاشعري لا تسألوني ما دام

هذا

هذا الخير عنكم وقال أيضا كان يؤذن له إذا تحدثنا ويشهد إذا غبنا وقال مسروق
انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اثنين علي وابن مسعود رضي الله
عنهما ونظر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ذات يوم فضحكوا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد ونظر
جماعة إلى أولاده ثلاثة فقالوا ضحكا أيهم الدنيا ترحما فعرفوا منهم فرفع رأسه
إلى سقف البيت وقد نسج به خطاف فقال والذي نفسي بيده لأن أكون
أنفض يدي عن قبورهم أحب إلي أن يسقط عش هذا الخطاف كما ترى ومن
كلامه أكثر آمالكم بعيدة وأعمالكم مضبوطة والموت آتيكم من زرع خيرا
حصد غبطة ومن زرع شرا حصد ندامة الا مولى ساد والفقهاء قادة ومجالستهم
زيادة وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ومن الضلالة الضلالة بعد الهدى وخير
الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى وخير ما ألقي في القلب اليقين ومن العمى عمى
الكفر والخمر جماع الإثم والنساء حبائل الشيطان والشباب شعبة من الجنون
ومن تواضع رفعه الله ومن تطاول تعظما خفضه الله من لم تأمره صلاته بالمعروف
وتنهه عن المنكر لم يزدد من الله إلا بعدا ومن صلاته باب يقرع باب الملك ومن
يقرع باب الملك يفتح له

قال في الإحياء سن الأنبياء الخاتم ... لئلا يكون ... أو شوكة أو نحو ذلك لما رواه صلى الله عليه وسلم دعا ... فلبس أحدهما ... عن الآخر ... فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يمش في نعل واحدة وروى
الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد
الحاجة ... ذات يوم ... ثم ... أحدهما
... فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه كرامة من الله اللهم إني أعوذ بك من شر
ما يمشي على بطنه

وأما ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فقد ذكر ... في حديث
علي رضي الله عنه قال ... رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل غداة وإذا
... فقال ...

خبيئة في الدار فإذا أنا بجرو فقال جبريل عليه السلام فقلت ما منعك من دخولك قال إن في البيت كلبا قال فدخلت فإذا جرو للحسن تحت كرسي لنا وفي حديث مسلم عنه صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة قال العلماء سبب امتناع الملائكة عن بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى إذا المراد بالصورة الصورة التامة الخلقة ومن بعض الصور ما يعبد من دون الله وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب كثرة أكله النجاسات وقبح رائحة الكلب بسبب أكله النجاسة والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأن الكلاب منهي عن اتخاذها في داخل البيوت فعوقب متخذها بحرمان دخول الملائكة بيته وصلاتهم فيه واستغفارهم له وتبريكهم عليه والملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة هم الملائكة الذين يطوفون بالرحمة والتبرك والاستغفار وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها والبركة كما قال الراغب ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير

وقال بعضهم عدم دخول الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة مقيد بما يحرم اقتناؤه من الكلاب واتخاذه من الصور وأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوساد وغيرها وما يكون بحالة لا تعيش بها فلا يمنع دخول الملائكة ولا نظر إلى استظهار بعضهم أن هذا عام في كل كلب وصورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الحديث وروى مسلم والنسائي رحمهما الله تعالى واللفظ لمسلم عن حميد عن هلال قال قال أبو رفاعة العدوي انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب قال فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فأقبل علي صلى الله عليه وسلم وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديدا قال فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلمني مما علمه الله

وذكر المبرد في الكامل في قصة الحطيئة حين حبسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاستعداء الزبرقان عليه في هجوه وهجو رهطه وقصته بين عمهم عليهم أن عمر رضي الله تعالى عنه دعا بكرسي فجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه ودعا بشفرة يوهمه أنه عامل على قطع لسانه حتى ضج من ذلك وكان فيما قال الحطيئة يا أمير المؤمنين والله

لقد

الله هو بأبي وأمي وجهه بمنى فتبسم عمر ثم قال هذا الذي قلت قال بأبي
وأمي والصلاة قائمة

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني * وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقال لها

تنحي فاقعدي مني بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

وقال لامرأته

أطوف ما أطوف ثم آوي * إلى بيت قعيدته لكاع

وقال عمر رضي الله عنه فكيف إذا هجوت فقال وقال الحطيئة في شعر قرأت
وجهه في ماء فقال

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما * بسوء فما أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها قبح الله وجهه * فقبح من وجه وقبح حامله

ومما اتخذه علي رضي الله عنه الكرسي روى ... في ... رحمه الله تعالى
قال شهدت عليا رضي الله عنه دعا بكرسي فقعد عليه ثم دعا بكوز (والكوز إناء
يشرب منه) فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثا ثم غسل
وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا ويده اليسرى ثلاثا ومسح رأسه ثم غسل رجليه
بالماء ثلاثا ثم قال من سره أن ينظر إلى وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا وضوء
رسول الله صلى الله عليه وسلم

واتخذ صلى الله عليه وسلم السرير قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان ...
... من ... صلى الله عليه وسلم ... إلى أبي أيوب قال ما ... أبا ... قال لا ... زرارة ...
... صلى الله عليه وسلم ... وكان ... عليه ...
... حتى توفي ...
... عليه أبو بكر وعمر
والناس ... بركة ...
... الله تعالى من موالي
... ... رضي الله عنه

وأما قوله في السقي وتعذيب الماء وتبريده له صلى الله عليه وسلم فقد روى مسلم رضي الله عنه عن أنس رضي الله عنه قال لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب كله العسل والنبيذ والماء واللبن وروى البخاري عن ثعلبة بن أبي مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطا (جمع مرط بالكسر وهو كساء من صوف أو خز وربما أطلق على ما ينسج من الشعر قال بعضهم وهو خاص بالإزار والخمار) بين نساء من نساء المدينة فبقي مرط جيد فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك يريد أم كلثوم بنت علي فقال عمر أم سليط أحق (أم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم) فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد أي تحملها ملأى على ظهرها تسقي الناس منها وحث صلى الله عليه وسلم على تغطية الإناء وربط السقاء كما في مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غطوا الإناء وأوكوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء انتهى والوكاء ما يربط به وقال الليث بن سعد الأعاجم عندنا يتقون ذلك في كانون الأول انتهى

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعذب له الماء من بئر السقيا أي يؤتى له بالماء العذب من عين السقيا التي بينها وبين المدينة يومان والماء العذب هو الطيب الذي لا ملوحة فيه فقيل له ذلك لأنه يمنع معاودة العطش كما يمنع العتاب معاودة الذنب واستعذب القوم ماءهم إذا استقوه عذبا واستعذبه أي أعده عذبا وأعذبنا واستعذبنا أي شربنا عذبا ونقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أن الماء الحلو البارد يخلص الحمد لله وفيه إشارة إلى أن طلب الماء الحلو لا ينافي الزهد في الدنيا وليس من باب التنعم المقتضي لعدم التقشف انتهى قال ابن القيم والماء الحلو البارد يقمع الحرارة ويحفظ على البدن رطوباته الأصلية ويرد عليه ما تحلل منها ويرقق الغذاء وينفذه إلى العروق والماء الملح والمعص يفعل ضد هذا

وروى مسلم عن جابر في حديثه الطويل في سيره مع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه قال يعني جابرا فأتينا العسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بوضوء فقلت ألا

وضوء

وصوبالاوصر فقال قلت يارسول الله ما وجدت في الركبة من قطره وكان رجل من
الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في اشجاب (جمع شجب بفتح الشين
وسكون الجيم وهو ما تقدم من القرب) له على حمارة من جريد (وهي الاعواد التي
تعلق عليها هذه القرب) فقال لي انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في اشجابه
من شيء فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم أجد فيها الا قطرة في عزلاء (والعزلاء مزادة فليسه
الفم) قال اذهب فأتني به فأتيت به فأخذه بيده ثم جعل يتكلم بشيء ما أدري ما هو
ويغمزه بيده ثم أعطانيه فقال يا جابر ناد بجفنة فقلت يا جفنة الركب فأتيت بها
تحمل فوضعتها بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في الجفنة هكذا
فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي
وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فرأيت الماء يفور من بين اصابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال يا جابر
ناد من كان له حاجة بماء قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا قال فقلت هل بقي احد
له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى

(الفصل الثاني)

(فيما يضاف الى الامامة العظمى من الاعمال الاولية كالوزارة
والحجابة وولاية البلدان والسعاية والكتابة)

الامامة العظمى بالاصالة هي منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي استحقاق
التصرف العام على المسلمين وحيث أطلقت الامامة فانما ينصرف لهذا وهي بهذا
المعنى رياسة عامة في أمور الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كانت
... الى الامامة ... كالامام ... وهي المرادة ...
الامامة هي ... صلى الله عليه وسلم خلافة له الى ...
الزمان وقال بعضهم لولا الامام لم يقدر عالم على نشر علمه ولا الحاكم على انفاذ حكمه
ولا الغازي على جهاده ولا الصانع على صناعته ولا الحراث على حرثه ولا الزارع على
زراعته ولضعف العدل ووقعت الامور وظهرت المفاسد والشرور ولكن من
لطف الله تعالى ... وحكمته في كل زمان أن ...
... معلوم ... ويردع أهل الفساد ...

ويجمع للرعية جميع المصالح ويقابل كل أحد بما يستحقه من صالح وطالح
ولما كانت عمارة البلاد وحفظ نهج العباد دليلا على فضل السلطنة الشريفة قال
تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على
العالمين والاشارة في ذلك الى الذين بهم الدفع ومنهم النفع وهم السلاطين أي ولولا
دفع الملوك لغالب الناس وتهارجت وطمع بعضهم في بعض واستولى الاقوياء على
الضعفاء وتمكن الاشرار من الاخيار فيضطرون الى التشرد والتفرد وفي ذلك خراب
البلاد وفناء العباد ولان الجنس الانساني مضطر الى التألف والتجمع في اتمام معيشته
واستطام حال نفسه فيحتاج الى سائسه يقيم أمره على الاستقامة وقد شبه بعضهم الملك
بالروح والرعية بالجسد فلا قوام للجسد الا بالروح ولو لم يكن في شرف الملك وعظم
خطره إلا إشارة الحديث النبوي في قوله عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله
في الارض يأوي اليه كل ملهوف وينتصف المظلوم من الظالم ومن أكرم سلطان الله
في الدنيا أكرمه الله لكان كافيا في الاحتياج الى السلطان وقال بعضهم السلطان
مطالب بوجوب التحلي بحلية العدل والانصاف والتخلي عن الشواغل في طلب العلى
ببذل الاسعاد والاسعاف وقضاء حوائج السائلين واغاثة المظلومين والملهوفين
والعدل هيئة في الانسان يطلب بها المساواة وقيل هو وضع الشيء في محله وهذا
بالنسبة للناس وأما بالنسبة الى الله فهو التصرف في الملك

وقال العلماء صلاح الدنيا بصلاح الملوك وصلاح الملوك بصلاح الوزراء ولا يصلح الملك
إلا لأهله ولا يصلح الوزراء الا لمستحقيها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
السلطان ظل الله في الارض فاذا دخل أحدكم بلدا ليس به سلطان فلا يقيمن به وروي
عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا تسبوا السلطان فانه فيء الله في أرضه وهذه الادلة دالة على شرف مرتبة السلطان
وعلو منزلته ولهذا كان السلف الصالح كالفضيل بن عياض والامام أحمد بن حنبل
وغيرهما يقولون لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان لان في صلاحه صلاح
المسلمين فالملك فضل إلهي يمنح الله به على من يصطفيه من خلقه فيجب على من أنعم الله
عليه بهذه النعمة والمرتبة الجسيمة أن يقيدها بالشكر كما قال عليه الصلاة
والسلام قيدوا النعم بالشكر وقال شكر النعم أمان لزوالها أن يزداد تواضعه لله تعالى
والعبادة لمن رفعه وقال الجاحظ ليس شيء أبلغ ولا أسر من عز الامر والنهي والظفر
بالاعداء

بالاعتناء وتقليد المناصب أعيان الرجال لأن هذه الأمور تسبب الروع وتحط الذهن وتتعب النفس ومن الواجب الذي لا بد منه لولاة الأمور لا سيما الوزراء والسلاطين هو العدل فإنه سبب صلاح الدين والدنيا والفوز بالسعادة الأبدية في العقبى وبه ينتظم أمور الممالك وسلوك طريقه من أحسن المسالك وهو الموجب لدوام الملك ولهذا قيل إن الله تعالى ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الظالمة وإن كانت مسلمة والدولة تدوم مع العدل والشرك ولا تدوم مع الظلم والإسلام وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وسئل بعضهم أي شيء أرفع لذكر الملوك فقال نشر أمرهم بالعدل وقالوا عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان وإذا لم يعمر الملك ملكه بالإنصاف خرب ملكه بالعصيان وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو إليه خراب مدينته ويطلب منه مالا يرمها به فكتب إليه عمر قد فهمت كتابك فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام

ولما كانت الإمامة التي هي التصرف العام على المسلمين ونصب الإمام واجب على الأمة بالشرع وجوب كفاية لتدوم لهم بالإمام تنفيذ أحكامهم وإقامة حدودهم وتجهيز جيوشهم وأخذ صدقاتهم وسد الثغور وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات بين الخصوم وقسمة الغنائم إن كانت وإن كان المنصوب معزولا فإن قام بذلك أهل الحل والعقد وهم العلماء ووجوه الناس سقط الحرج عن الناس وإلا أثم المسلمون جميعا ورأى أهل الحل والعقد من اجتمعت فيه شروط الإمامة والعدالة والرأي والمباشرة بنفسه ويكفي أنه من أدلة وجوبه قوله صلى الله عليه وسلم من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية والإجماع لإجماع الصحابة على ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم حتى قدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم لما ظهر لهم أنه من أهم الواجبات ولم يزل الناس يرون ذلك في الأعصار الماضية وهلم جرا إلى وقتنا هذا وقيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمد * ولا عماد إذا لم ترس أوتا

(فصل)

واستعظمت قومَ الناس أمته * الى الدخول الأبي سود دهمها

وانما يجب علينا ذلك عند عدم النص من الله ورسوله على التولية لمعين وعند عدم العهد من الامام السابق لغيره باقامة معين والا فلا يجب علينا نصبه ثم يجب على الامة الانقياد كما وردت الاحاديث بذلك حقنا لدماء المسلمين وحذرا من شق العصا فمما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة والمراد بالخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم وعن بقية الصحابة وقوله والسمع أي اجابة قول الأمير وطاعة أوامره واجتناب ما يأمر بمعصية والا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد ورد من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني ومن عصاني فان له النار وانما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فان أمر بتقوى الله وعدل فان له بذلك أجرا وان قال بغيره فان عليه وزرا وقوله جنة أي كالترس يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة ويتقى به شر العدو وأهل الفساد والظلم وهذه الطاعة ملازمة لان الله تعالى أمر بطاعة رسوله وهو أمر بطاعة الامير وقوله وإن تأمر عليكم عبد هذا من باب ضرب المثل بغير الواقع على طريق التقدير والفرض والا فهو لا يصح ولايته وأظرف من بني الله مجدعا ولو كحبشي فطابق الله به سياق الحديث وانما من باب الاخبار بالغيب وأن استطالة الشر بعده يطول حتى يوضع الولايات في غير أهلها والامر بالطاعة حينئذ اختيار لأهون الضررين أي الصبر على ولاية من لا يجوز ولايته أهون من اثارة الفتنة التي لا دواء لها ولا خلاص منها وترشد الى هذا بعينه ذلك قوله وان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم الاخبار بما يقع بعده من كثرة الاختلاف وغلبة المنكر أو يكون اخبره الله في الامراء والعمال دون الخلفاء لان الائمة من قريش ولا يتقرر تجويزه ولا يجوز الخروج عليه وان جار وقال علي كرم الله وجهه ان الناس لا يصلحهم الا امام بر أو فاجر وقال الحسن رضي الله عنه ما يصلح الله به أكثر مما يفسده وروى انه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا

وأنوار كانت أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم وورد عنه صلى الله عليه وسلم
خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم
ويشترط في خليفة النبوة أو العهد أن يكون مسلمًا ذكرًا لقوله صلى الله عليه وسلم لن
يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة حرًا لما علم أن العبد لا يجد [illegible] سميعًا بصيرًا ناطقًا شجاعًا ذا خبرة
بالحروب سليم الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض خلاف العمى
والسكر والجنون لا بعضهم وأن يكون قرشيًا لقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من
قريش ولاحتجاج الأنصار رضي الله عنهم لما قالوا يوم السقيفة الأمر [illegible] منا
[illegible] أبو بكر رضي الله عنه بعدم كونهم من قريش ولم ينكر عليه أحد من الصحابة
رضي الله عنهم فكان إجماعًا وورد عنه صلى الله عليه وسلم فضل الله قريشًا بخصائل
منها أنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده إلا قريش ومنها أنه نصرهم يوم الفيل وهم
مشركون ومنها أنه نزل فيهم سورة لإيلاف قريش ومنها أن فيهم النبوة والحجابة
والسقاية فإن لم يوجد من قريش من يصلح لذلك [illegible] كان
فإن لم يوجد فرجل من ولد إسماعيل ولا يشترط أن يكون هاشميًا [illegible] ولا معصومًا
ولا أفضل من يولى عليه ولا [illegible] في عصره [illegible] بالإجماع والمراد
[illegible] الحفظ [illegible] وطول [illegible] فقه
[illegible] ويشترط في خليفة [illegible] على [illegible] أن يكون
[illegible] على [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] أبو
بكر رضي الله عنه [illegible] في الغار
[illegible]
في [illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible]
[illegible] الله صلى الله [illegible]
[illegible] كان [illegible] أبي بكر [illegible]
[illegible]
[illegible]

وإن الضعيف فيكم أقواكم عندي حتى آخذ له بحقه وإن أقواكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني وقال بعضهم العدل ميزان الله تعالى في الأرض يؤخذ به للضعيف من القوي وللمحق من المبطل وعدل الحاكم يوجب محبته وأفضل البرية أئمة العدل وقد ورد أن الله تعالى يحب العادل وجلس الإسكندر يوماً في مجلس حكمه فما رفع إليه حاجة فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكي

وأما قول الرافضة إن أبا بكر غصب علياً فباطل لأن في ذلك ولا بد إجماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشاهم من ذلك فإنهم حماة الدين رضي الله عنهم ومن زعم منهم أن علياً رضي الله عنه لم يبايعه أو بايع على كره منه فباطل أيضاً لأنه إن كان امتنع من مبايعته مع العلم أنه على الحق فحرام ولا يظن ذلك بعلي رضي الله عنه وإن كان مع العلم أنه على باطل فذلك محال لأنه لم يكن في زعمه أنه على الباطل بدليل أنه لم ينازعه ولم يعتزله بل كان قريباً بين يديه ويقر بإمرته وقد كانوا رضي الله عنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم وقال علي رضي الله عنه من فضلني على أبي بكر جلدته حد المفتري وقال عمر رضي الله عنه وددت أني شعرة في صدر أبي بكر رضي الله عنه

ثم ولي أمور المسلمين من بعده من هو أفضل الخلق بعده وبعد الأنبياء والمرسلين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا حفص وهو الأسد ولقبه بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل فهو من أجل الناس بعد أفضل الأولين والمهاجرين وأول من سمي أمير المؤمنين وكان إسلامه فتحاً وهجرته نصراً وإمامته رحمة ثم ولي أمور المسلمين أفضل الأصحاب من بعده وهو عثمان أمير المؤمنين دعاه أبو بكر إلى الإسلام فدعا فأسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر الهجرتين وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان تزوجها قبل النبوة وتوفيت عنده أيام غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة في رمضان ثم تزوج أختها أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره تزوج الأولى قبل النبوة والأخرى بعدها فلذا سمي بذي النورين قال المهلب طوبى لعثمان ... عنده من ارتفاع الشأن لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان وبايع عنه بيده حين بعثه إلى مكة بيعة الرضوان

ثم فوّض الله أمور [illegible] الى [illegible] ورفع المراتب [illegible] رسول
وزوج البتول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [illegible] النسب [illegible] العلم والحسب
[illegible] و[illegible] الفضل و[illegible] والسخاء وإنما [illegible] من الاصحاب الكرام
[illegible] عليه الصلاة والسلام فهو أبو الحسنين [illegible] هاشم بن
وأول [illegible] هاشمي وأحد [illegible] المبشرين بالجنة وأحد [illegible] أصحاب الشورى
الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض [illegible] في الحروب
مشهورة [illegible] في الأخبار الصحيحة المأثورة والمراد بالاصطفاء
المذكور [illegible] والنسب [illegible] بكل [illegible]
الخاصة [illegible] علي رضي الله عنه [illegible] الخصوص [illegible]
[illegible] كل علوي
[illegible] الى [illegible]
[illegible] بالأخوة
[illegible]
[illegible] الامر
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

[illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] رضي [illegible]
[illegible] أعوام [illegible]
[illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible]
[illegible]

وعشرين يوما وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة الا ست ليال وخلافة علي رضي الله عنه خمس سنين الا اشهرا وخلافة الحسن رضي الله عنه نحو ستة أشهر فعلى هذين الا على لم تكمل مدة الخلافة ثلاثين سنة الا بمدة الحسن رضي الله عنه فإنه ولي لما استشهد أبوه علي رضي الله عنهما وأقام يدعو الى بيعته نحو ستة أشهر وبعض أيام ثم ترك الامر لمعاوية رضي الله عنه على ان يكون له من بعده

وقد ورد في فضلهم على الترتيب حديث أبي ذر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحده فجئت حتى جلست اليه فجاء أبو بكر فسلم ثم جلس ثم جاء عمر ثم جاء عثمان ثم جاء علي وكان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فأخذهن فوضعهن في كفه صلى الله عليه وسلم فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن صلى الله عليه وسلم فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن صلى الله عليه وسلم فوضعهن في يد عمر رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم وضعهن صلى الله عليه وسلم في يد عثمان رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم وضعهن صلى الله عليه وسلم في يد علي رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال صلى الله عليه وسلم هذه خلافة النبوة رواه الطبراني وغيره وعند ابن سعد من حديث انس رضي الله عنه زيادة وهي قوله ثم وضعهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وقد علم من ذلك الرد على الخطابية في تقديم عمر رضي الله عنه والراوندية في تقديم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه والرافضة في تقديم علي رضي الله عنه وأبنائه لكن قيل لهم الرافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ولهم مذاهب في علي ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهم القائلون انه إله أصحاب عبد الله بن سبأ وفيهم قول السيد الحميري

قوم غلوا في علي لا أبا لهم * وأجشموا أنفسا في حبه تعبا
قالوا هو الله جل الله خالقنا * من أن يكون ابن شيء أو يكون أبا

وقد أحرقهم علي بالنار ومن الروافض الغرابية أصحاب المغيرة بن سعد مولى بجيلة قال الاعمش دخلت على المغيرة بن سعد فسألته عن فضائل علي فقال انك لا تحتملها قلت بلى فذكر آدم صلوات الله عليه ثم قال علي خير منه ثم ذكر من دونه من الانبياء فقال علي

خير

تعرضهم حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم تعالى على مثله تعالى كذا [illegible] قد
أعطيتك الملك لا أحملها ومن الروافض من يزعم أن عليا في السحاب فإذا أطلت عليهم
سحابة قالوا السلام عليك يا أبا الحسن وقد ذكرهم الشاعر

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي * وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا * به أرجو غدا حسن الثواب

وهؤلاء الرافضة [illegible] لهم [illegible] [illegible] سورة الكهف واعتمادهم
الكسف لأنه [illegible] تأول قول الله عز وجل وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مركوم والكسف علي وهو في السحاب [illegible] [illegible] أنه الذي
أخرجهم على وكان [illegible] على [illegible] أعاديهم [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يقول

برئت إلى الإله من ابن أروى * ومن قول الخوارج [illegible]
ومن عمر برئت ومن عتيق * غداة دعي أمير المؤمنينا

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى خرج
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] [illegible] الحسن والحسين [illegible] [illegible] [illegible] حتى خرج
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]

فقد ذهب بساسه وأودى * فقم بنا نبك على الشباب
فليس بعائد ما فات منه * إلى أحد إلى يوم الإياب

ومن الروافض الجناحية وهم أصحاب إبراهيم بن الأسود كانوا يطوفون بالليل في أزقة الكوفة وينادون بالثارات الحسين فقيل لهم الحسينية ومن الروافض الغرابية سموا بذلك لقولهم على أنه أشبه بالنبي من الغراب بالغراب ومن الرافضة الزيدية وهم أصحاب زيد بن علي الذي قيل [illegible] وهم أقل الرافضة غلوا غير أنهم يرون الخروج مع كل من خرج وحكي أن الحجاج بن يوسف قال يوما للحسن البصري ماذا تقول في علي وعثمان فقال الحسن أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال فرعون لموسى فما بال القرون الأولى قال موسى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى فعلم علي وعثمان عند الله تعالى فقال له الحجاج أنت سيد العلماء يا أبا سعيد المسمية بالكوفة

(رجع) وقد علم [illegible] واستحقاق الأربعة للخلافة على هذا الترتيب وإطلاق الخلفاء على الأربعة من باب التغليب والإطلاق المعروف إطلاق دال على أولهم وأمامهم فقال لكل منهم أمير المؤمنين ثم الأفضل بعدهم تمام العشرة المبشرين بالجنة وهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وباذل الأموال في سبيل الله عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة رضوان الله عليهم وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال له القوم ننشدك الله من العاشر فقال أنشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة يعني نفسه وقال بعضهم

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة * بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر * أبو بكر عثمان ابن عوف علي عمر

وأما تفاوت بعضهم في الأفضلية على بعض فهو أمر لا يدرك بالقياس ولا يوجد بالرأي والاعتبار فلا [illegible] ولم يرد به نص وهذا موضع النظر عن [illegible] وعن [illegible] من الإسلام [illegible] على هؤلاء [illegible] في الفقه أهل بدر استشهدوا [illegible] لا [illegible] والإمام [illegible] أهل بدر في الأفضلية أهل أحد [illegible]

حل

ممن حضر وقعة المدينة سواء من استشهد فيها كالسبعين ومن لم يستشهد والمراد بهم المسلمون الكاملون أى الخلص فى إيمانهم ثم أهل أحد فى الافضلية ثم أهل بيعة الرضوان لقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين الآية وكانوا ألفا وأربعمائة خرج بهم النبى صلى الله عليه وسلم لزيارة البيت فصده المشركون فأرسل اليهم عثمان ابن عفان للصلح فشاع أنهم قتلوه فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك لا نبرح حتى نناجزهم الحرب ثم دعا الناس عند شجرة سمرة للبيعة على الموت أو على أن لا يفروا فبايعوه على ذلك ولم يتخلف عن بيعتها الا الجد بن قيس وكان منافقا [illegible] رواه [illegible] عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض [illegible] عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة

وجميع الصحابة رضى الله عنهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولعل المراد [illegible] [illegible] [illegible]

وأولاده والناس وأولاده وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني أخرجه البغوي في معجمه وقد جعل صلى الله عليه وسلم أذاه كأذى نفسه لأنه عضوه وعصبته ثم عظم مقامه لتنزيله منزلة الأب وكما أنه يجب على الولد تعظيم والده والا ام عقوقه فكذلك عمه فقال وإنما عم الرجل صنو أبيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون أي مثل أبيه قال ابن الأثير وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد وقال صلى الله عليه وسلم للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ولقد أحسن من قال

رأيت ولائي آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى * بتبليغه إلا المودة في القربى

ويؤول مقاتلة علي مع الناس رضي الله عنهما على أنه لم يقع بينهما قدح ولا سب أن يوجب تغييرا فضلا عن حد ويؤول ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من التشاجر الذي قل نفعه جم ضرره كان وقعة صفين بين علي ومعاوية ولم يقاتل علي فيها حتى قتل عمار بن ياسر فحرد القتال وقاتل في ذلك اليوم القتال بنفسه وظهرت فيه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ويح عمار تقتله الفئة الباغية فقتلته فئة معاوية في وقعة صفين وكان يقول في تلك الوقعة والله لو هزمونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وهم على الباطل ثم شرب شربة لبن وقال اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه ثم قتل في ذلك اليوم وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله عنه وكان وقعة الجمل بالعراق بين علي والزبير وطلحة ويؤول أن عليا طلب انعقاد البيعة أولا ولا تقام الحدود إلا بعد تقدم أمر الناس إلا بالإمام وطلب معاوية القصاص من الذين قتلوا عثمان لكن اتفق أهل الحق أن عليا اجتهد وأصاب فله أجران وأن معاوية اجتهد وأخطأ فله أجر واحد

والتشاجر الذي نشأ عن اجتهاد قرب كلا منهما إلى رضوان الله ولم يقدح في رأيه ولا دينه ولا منه فقد صانهم الله من الخطأ والزلل ونقى بواطنهم وعزائمهم وأعمالهم من الأعراض والقوادح والعلل فيجب إحسانه وعدم التعرض له والخوض لأنه يهجم على بعض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين الذين أتى عنهم أئمة الدين وتلقاه عنهم والطاعن فيهم طاعن في نبيه ودينه قال الإمام الشافعي وجماعة من السلف رضي الله عنهم تلك دماء

طهر

ظهر القمر أبدا فاعتبروا بها السنة فحسبنا أن نقول ما وقع بينهم على الاجتهاد فكان على معانيهم محمولا وبهم نسترشد الصحة والحق قال السفاني

وسكت عن حرب الصحابة فالذي * جرى بينهم كان اجتهادا مجردا
وقد صح في الأخبار أن قتيلهم * وما لهم في جنة الخلد خلدا

وورد عنه صلى الله عليه وسلم من أصاب من أصحابي فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد وليس المراد انه مأجور على الخطأ بل على اجتهاده في طلب الصواب واتفق المحققون من العلماء على ان البحث عما وقع بين الصحابة ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية ولا ينفع في الدين بل ربما ضر في اليقين قال ابن دقيق العيد وما نقل عن الصحابة فيه ما هو باطل وكذب فلا يلتفت اليه وما كان صحيحا أولناه بأحسن التأويل لان الثناء عليهم من الله سابق وما نقل محتمل والمشكوك لا يبطل المعلوم [illegible] والحرمة المغلظة بالاجماع لقوله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي من آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وهذا الحديث كما قال [illegible] خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد [illegible] والترهيب عن تنقيصهم [illegible] اشارة الى أن [illegible] من الايمان والعرض الذي [illegible] مؤكدا ذلك بتحذيرهم الله [illegible] وما ذاك الا لشدة الحرمة قال العلامة الطيبي رحمه الله تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي الى آخره أي اتقوا الله في حق أصحابي لا تنقصوا من حقهم [illegible] أذكركم الله في حق أصحابي وتعظيمهم وتوقيرهم [illegible] وأما [illegible] الامام مالك رضي الله عنه [illegible] على [illegible] وقد روي الامام [illegible] رحمه الله تعالى [illegible] ذلك الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم [illegible] وحكى [illegible] في كتب [illegible] رضي الله عنه [illegible] الامام [illegible] رحمه الله تعالى [illegible] وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم [illegible] أصحابي [illegible]

وخونا وأمّا بدنا ومطلوبون بمحبتهم وأخرج الشيخان رضي الله عنهما لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص واحدا منهم فهو مبتدع أي مخالف للسنة والمبتدع من خالف ما عليه أهل السنة والجماعة كما أشار إليه حديث ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي

وقد وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا الآية وقال تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فقد وصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالإخوان ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص التام فمن نظر إليهم أعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن أعمالهم قال الإمام مالك رضي الله عنه بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فإن هذه الأمة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه أي أفراخه فآزره أي شده وقواه فاستغلظ أي شب وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومكن ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وما ذلك إلا لاختيارهم الله تعالى لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولمواجهة خطابه في تنزيله فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة في عنقه منة لا تحصى وأياد لا تنسى لأنهم هم الذين حملوا عن النبي صلى الله عليه وسلم الحكم والأحكام وبينوا الحلال والحرام وفهموا الخاص والعام وفتحوا الأقاليم والبلاد ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة وساسوا الأمة وقهروا أهل الشرك والعناد فخضعت الرؤوس لعدلهم وأبادوا أهل الزيغ عن آخرهم ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل

عن وصف أصحابه صلى الله عليه وسلم ونصرتهم نحو قوله صلى الله عليه وسلم
أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقيل

علامة أصحاب النبي كأن رأوا * لنا أنهم كالنجوم هاد لمهتد

فهم نرى نورا الى الحق مرشدا * [illegible] من الأصحاب فاسعد [illegible]

وقال تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله [illegible] الا [illegible] ولا البيع
ولا [illegible] من [illegible] هم [illegible] واعقوق [illegible]
قال [illegible] الله [illegible] رضي الله [illegible] [illegible]
درهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] بن عوف [illegible]
الدنيا [illegible] [illegible] الله [illegible]
واعلم [illegible] الله سبحانه وتعالى [illegible]
[illegible]
أعطوه [illegible]
[illegible] وكذلك [illegible]
عمر بن الخطاب رضي الله عنه [illegible] أبي بكر الصديق رضي الله عنه
عن ماله كله [illegible] بن عوف رضي الله تعالى عنه [illegible]
الأعمال [illegible] رضي [illegible] عمر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
رضي الله عنه [illegible]
الله [illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible]
[illegible]

والصلاح الى الله تعالى * وانهاء عن أهلها فإن من احتاج اليهم فان قدره لديهم وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى ومن دعاء بعض السلف اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا وقال بعضهم نعم المال للانفاق لا للامساك فى ... قد فضل الصحابة ورتبهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب وسابقه كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق أهل الضلال والبدعة فنسأل الله تعالى كمال الأمن والثبات في الدين وذكر الشهاب الخفاجي عن الحافظ ابن حجر أنه لم يكن في حياته صلى الله عليه وسلم أحد من الصحابة رضي الله عنهم أصم لأنه مبلغ لهم أوامر ربه والصمم يمنع من ذلك بخلاف العمى انتهى قال الحافظ ابن حجر العسقلاني

هنيئا لأصحاب خير الورى * ولابس أصحاب أخباره
أولئك فازوا بتذكيره * ونحن سعدنا بتذكاره
وهم سبقونا الى نصره * وها نحن أتباع أنصاره
ولما حرمنا لقا عينه * عكفنا على حفظ آثاره
عسى الله يجمعنا كلنا * على رحمة منه في داره

رضي الله عنهم أجمعين وقال العلامة القسطلاني في المواهب واختلف في تعريف الصحابي فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين والى هذا ذهب البخاري وشيخه الامام ابن المديني وغيرهما فقال من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه ولو ساعة من نهاره فهو من أصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه أو رآه من الكفار ولو أسلم بعد موته الا أن يرد على التعريف من صحبه أو رآه مؤمنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد الى الاسلام كعبيد الله بن جحش فانه ليس صحابيا اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة بن أمية بن خلف الجمحي وهو ممن أسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء أغضبه وقد أخرج له الامام أحمد في مسنده واخراجه له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده ويبقى من ارتد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح انه معدود في الصحابة لاطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم أحاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا

كبيرا

كمن رآه الرتبة محفوظة للعقل ... وعليه الشافعي في الأم وإن كان الراوي قد حكى عنه أنه لا يحفظ شرط اتصالها بالموت وجه الظاهر أنه لا يحفظه الصحبة المتقدمة أما من رجع إلى الإسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن أبي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الإسلام وهل يشترط في الرائي أن يكون بحيث يميز ما رآه أو يكتفي بمجرد حصول الرؤية قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فإنهم ذكروا مثل محمد بن أبي بكر الصديق وإنما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر وأيام كما ثبت في الصحيح أن أمه أسماء بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل أن يدخلوا مكة وذلك في أواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة ومع ذلك فأحاديث مثل هذا من حيث الصحبة المروية

وروي عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد الصحابي إلا من أقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين [illegible]

[illegible]

في هذه الحالة الدنيوية أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس صحابيا والا لعد من
أمكنه أن رأى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الاعصر وكذلك من كشف
له من الأولياء فرآه صلى الله عليه وسلم كذلك على طريق الكرامة اذ حجة من
أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية وإنما هي
أخروية لا تتعلق بها أحكام الدنيا وأما من رآه في المنام وإن كان قد رآه حقا فذلك
فيما يرجع إلى الأمور المعنوية لا الأحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب
عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحالة

وقد أجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهم خير خلق الله وأفضلهم بعد
النبيين وخواص الملائكة المقربين لما روى البخاري رضي الله عنه خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله من حديث عمران بن حصين خير أمتي قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا قال في فتح
الباري والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ويطلق
على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين لكن
لم أر من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل وقال صاحب
المحكم هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن وهذا أعدل الأقوال والمراد بقرن
النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة وقد ضبط الأئمة من الحفاظ آخر
من مات من الصحابة على الاطلاق بلا خلاف أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به
مسلم وكان موته سنة مائة على الصحيح وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته
بشهر على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد انتهى عبارة
المواهب

(عودا بدء) ومهم عاشر في أن الإمامة التي هي أعظم مهمات الدين هي عبارة عن سلطة
بها عمارة الدنيا ونظامها فالملوك حراس الله في أرضه وبرهانه أن الآدمي مدني بالطبع
بلدي المأوى لابد له من مطعم وملبس ومسكن ولا يتأتى المطعم والملبس والمسكن
الا بالصناعات اذ الصناعات وسائل الى الحاجات فمن أمهات الصناعات لابد منها الحراثة
والنساجة والبناء ثم يتفرع من هذه الثلاث أسباب تعين عليها حداد وغزال وحلاج
واسكاف واختلفت مقاصدهم وأغراضهم وامتدت أطماعهم الى ما في أيدي الناس

ولم

وأمروا بالعدل والإنصاف فلا يعميهم كانوا يسطرون فإذا أخذوا يستوفون وإذا أعطوا يخسرون ويصعقون ولا ينصفون لأن النفس مطبوعة على الشح والحسد والحرص والمكر فاحتاجوا الى واحد يدفع الظالم عن المظلوم والقوي عن الضعيف فصل لابد من سلطان في كل زمان ليعمل بالعدل والإحسان وينهى عن البغي والعدوان إذ العدل ميزان الله وصفة الإنسان وقال وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فإذا عرفت أنه لابد من السلطان علمت أنه لابد له من أصحاب ورؤساء وأعوان كأرباب الوزارة على الملك وأرباب الحجابة والكتابة والعرب تقول إن الوزارة في الملك بل الوزارة هي الإمارة فالوزير [illegible] الملك فلا يصلح [illegible] الأمر [illegible] وأصحاب [illegible] واشتقاقها والوزير هو الذي [illegible] إلى رأيه وتدبيره وهو ملجأ له [illegible] من الوزر وهو الملجأ وأصلها [illegible] لأنه [illegible] ووزير [illegible] ووزارة [illegible] وزيره

(وروى) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن أعانه وإن أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه [illegible] وصفه له [illegible] دواء [illegible] قال بعض الحكماء [illegible] قال بعض الحكماء خير الوزراء أصلحهم للرعية وأصحبهم [illegible] وأبعدهم عن [illegible] [illegible] لأن [illegible] وكيف [illegible] [illegible] الأعلم [illegible] [illegible] الفرس [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] الأحكام [illegible] [illegible] الأمور [illegible] آلات [illegible] [illegible] الدولة [illegible]

من علماء روى الملك اسماءهم على أئمة في هذه العلوم فما أصبح دولة ولي علماؤها فانها سقط ذكرها عند انقضاء أيامها

وكان المقتدر بالله لما بنى قصوره المعروفة بالحسنيات وصير بها بيوتا للتدريس زاد في ذرعها فوق الذي اختطوه كثيرا فسئل عن ذلك فقال أريد أن أجعل فيها مساكن وحجرة يسكنها رؤساء العلماء والفضلاء من كل فن وأجرى عليهم الادرارات وما يحتاجون اليه من النفقات وكل من أراد أن يشتغل بنوع من العلوم قصد ذلك الامام واشتغل عليه وحصل منه بغير تعب وكان مقصوده انتشار العلم والزيادة في الفضائل وللاحتياج الى العالم في كل حين لأن الشخص لا يجوز له أن يقدم على قول او فعل حتى يعرف حكم الله فيه ولذلك وجب على كل شخص وجوبا عينا معرفة حقائق الاحكام الخمسة ليعرف حكم الله فيما يصدر منه وأن لا يحتجب عن الرعايا فربما تطلع في وقت من الاوقات قصد الامير بحيث لا يظهر مراده ويودي بكسر القلب شاخصا فانه ليس شيء أضيع للملك ولا أفسد لحال الرعايا من الحجاب وتعذر الاذن في الدخول على ولي الامر وليس شيء أهيب في قلوب الرعايا والعمال من سهولة الحجاب فاذا كان الملك سهل الحجاب لم يمكن للعمال ان يجور بعضهم على بعض لسهولة حجاب الملك لانه يكون له اطلاع على أحوال سائر العمال وينبغي أن يأمر الحجاب أن لا يحجبوا المظلوم ولا يمنعوا صاحب حاجته ولا سيما وقد كان الملوك العادلون لا يغفلون عن مثل هذا الشيء وانما كان دأبهم الجلوس في بساط مصالح الرعايا بالعفو والاحسان وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوصي عماله لا تغلقوا ابوابكم عن ذوي الحاجات فانه يجب على ان أسافر في أقطار الارض لانظر في أحوال الرعايا فان فيهم الضعيف والعاجز الذي لا يستطيع الوصول لشكوى ظلامته

وأفضل عمد الملك صلاح الوزراء والاكفاء وقال بعضهم مثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وكذلك مثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كالمرضى ومثل الوزير كالسفير الذي بين المرضى والاطباء فان كذب السفير بطل التدبير

قال بعضهم ينبغي للوزير أن يكون جامعا لخصال الخير حسن الخلق والخلق جمع بين السماحة والوقار والحلم والحياء والنزاهة وغيرها مع سداد الآراء وحسن التدبير مع الفهم والعلم بالامور السياسية والصواب والاطلاعات والاحوال الديوانية

الدولة والامور الجزئية يتعمق ويفرق ويعدد ويرتب ويستقصي ويؤلف فاذا
انضاف الى ذلك ان يكون بليغ اللسان واسع الحماسة ويضيف اليه كثرة الاسرار
سكينة الحلم وسعة الادراك مع الحفظ وبلاغة وايجاز في الامر حسن الرأي في معاملة
الملك اطمئنانا وصل الى حل طاعته بالميل الى الاعتدال وانكر مسه لا يرد
الصدق والوفاء معروفا باصحاب الحسن في سمته متصلا متفننا في انواع العلوم مالكا
زمام المنثور والمنظوم جامعا لعيون المكرمات حائزا لكافة الانساب والرسالات
كاملا في حسن الخط والاعراب سابقا في العروض والقوافي حسن الخطاب ابن
مهران الاسدية والمعارف دوما في صناعة الحساب والمعرفات ماهرا في الفصاحة
والكلام حاذقا في الآراء والاحكام وفي المقام سموا بالاسلام ذكي الفطرة
ذكي الفطنة سريع البداهة حسن الرواية حسن البيان متفننا في الحكم
والاستنباطات مطلعا في اعمال المعاملات متفطنا في تدبير الدولة العادلة عندا
بالاسرار الخاصة له حسن في علم الادب والفقه نحو الفوائد في اداب
والادبية يقرأ الكتب والاعمال يقرأ الاحوال الاحوال كما فاق الاسرار
فاذا ما الاوزار حد بها في حصل الغرض والاموال من جهة بها مع صدق وجودة
صرفها ومالها فتعلق في ذلك كله بالتقوى وقدم الله بريده من قوى
فهذه صفات الوزير الكامل ذي الحزم والامر الفاضل في المجالس واما في
كون المسلك على ما هو في أصل الخصال المحمودة والوزير على هذه الصفة فقد
أسعد الله الملك الذي وجد له هذا الوزير ومن الاولى ان يحصل بهذا الزمان ويرضي بها
الرحمن وأصر اعلى المالك ان يكون وزيره الاول له ذا يحسن فيركن الملك
الى آرائه ويحل ما كان عليها ويعاونه
قال القاضي ابو بكر ابن العربي وقد جمع الله بين ووزراء من أهل الاخبار
من الوزراء كذا وزيري من أهل الارض ابو بكر وعمر وجعل على بن ابي
وقاص رضي الله عنه قال كنا يوما نتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن سائر رجاله عليهما اتصل باربعة وزراء فعد منهم جبريل وميكائيل
عليهما السلام وفي رواية فاما الذي في السماء فجبريل وميكائيل ...
جبريل وميكائيل صلى الله عليه وسلم ... الحسن الذي ...
أبو بكر ابن العربي في ... كرده ... ما ... قوله

بارك من معهد وعصمة لائذ * وملاذ مستجير وجار مجاور
يا من تخيره الإله لخلقه * فحباه بالخلق الرضي الطاهر
أنت النبي وخير عصبة آدم * يا من يجود كفيض بحر زاخر
ميكال معك وجبرئيل كلاهما * مددا لنصرك من عز باهر

وكانت الوزارة وظيفة قديمة للملوك قبل الاسلام وكان للانبياء الوزراء كما أخبر سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام في قوله واجعل لي وزيرا من أهلي الآية وأول من لقب بالوزير في الاسلام أبو سلمة حفص بن سليمان وزير السفاح ولم يكن رسمه يسمى الوزارة قبله بل كان من أعيان الامراء على أمرهم يسمى بالعامل والكاتب ثم فكانت الوزارة في دولة السفاح حين لقبها أبو سلمة رسمه خاصة تجري بها القوانين وتنتظم بها الدواوين

وأما الحجابة له صلى الله عليه وسلم فقد تبين أن أنس بن مالك كان يحجبه صلى الله عليه وسلم فيما عمل على قوله روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال جاء أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه ولم يؤذن لاحد منهم فأذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستأذن فأذن له وعن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد مشربة وعلى الباب وصيف له فقلت استأذن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن لي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير قد أثر في جنبه واذا تحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف وخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير قد أثر الشريط بجنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من الدنيا وأنت رسول رب العالمين وقد أثر بجنبك الشريط فقال النبي صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة

ولهذا كان للخلفاء الاربعة حجاب فكان حاجب أبي بكر سديدا مولاه وقيل شديد مولاه وقيل ان سديدا كان حاجب عمر وحاجب عمر رضي الله عنه مولاه يرفا وكان يرفا حاجب عمر يدعو صهيبا أو بلالا ونحوهما أو عمارا وسلمان قبل الناس ويدخل الناس بعدهم على مراتبهم حتى كان عمر يحجب الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن وحكيم بن حزام

ورجال

ونفر من أجلة قريش وسادات العرب فلما رأى سهيل بن عمرو ذلك وكان فيهم قال لم
تغيرت ألوانكم أي تغيرت وتبدلت وجوهكم أي مثل دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا فلئن
حسدتموهم على باب عمر وحجابه لما أعد لهم في الجنة أكبر فلطال حسدكم وقال آخر
كما بكم وبهم إذ دعوا إلى الجنة وتركتم وخرج البخاري عن مالك بن أوس بن الحدثان
بينا أنا جالس في أهلي حين متع النهار (أي ارتفع) إذا رسول عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه يأتيني فقال أجب أمير المؤمنين فانطلقت معه حتى دخلت على عمر فبينا
أنا جالس عنده إذ أتاه حاجبه يرفأ فقال هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير
وسعد بن أبي وقاص يستأذنون قال نعم فأذن لهم فدخلوا وجلسوا وكان حاجب عثمان
رضي الله عنه حمران ولا أدري [illegible] أمره وبقي إلى أيام عبد الملك بن مروان
وحجبه أيضا [illegible] مولاه ويروى أن عدي بن حاتم رضي الله عنه قدم على عثمان رضي
الله عنه في داره فحجبه [illegible] مولى عثمان فلما خرج عثمان عرض له عدي فحجبه
فكأنما لا تعرفه فلامه عثمان وقال لا تحجبه [illegible] تعرف له فضله وكان حاجب
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قنبر مولاه وكان [illegible] ولم [illegible]
الحاجة [illegible] لا يحجبه إذا جاء [illegible] وخرج [illegible] أن [illegible] له
والخروج عليهم

وعمارة المسجد كرمها الحجابة التي [illegible] بعمارة البيت وتسدانه وكان ولاها
عثمان بن أبي طلحة [illegible] فقال هذه الآية [illegible] رسول الله صلى الله عليه
وسلم [illegible] وذلك أن عثمان بن طلحة [illegible] الدار [illegible] يوم الفتح باب
الكعبة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
وقال [illegible] رسول الله [illegible] ولوى [illegible] رضي الله عنه [illegible] وأخذه منه
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وصلى [illegible]
[illegible] ثم [illegible]
قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس
أن تحكموا بالعدل وهذه آية [illegible] يوم [illegible] أمر
[illegible] بن عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى عثمان بن أبي
طلحة [illegible] ذلك [illegible] وقال عثمان
[illegible] وأذن [illegible] تعالى [illegible] قرآنا [illegible]

فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة تكون في أولاد عثمان أبدا فلما مات عثمان دفعه إلى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة إلى اليوم وإلى يوم القيامة فيهم وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعثمان بن أبي طلحة هاك مفاتحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة يا بني طلحة إني لم أدفعها إليكم ولكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم إلا ظالم وقد تقدم بعض ذلك في فتح مكة وكانت السقاية وهي أحواض من أدم أول الإسلام إلى عبد المطلب فأقرها النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام وذلك أن أبا العباس كان في الجاهلية رئيسا في قريش وإليه كانت عمارة المسجد الحرام وولي السقاية في الجاهلية بعد أبي طالب فقام بها وثبتت معه في الإسلام وكان للعباس كرم بالطائف وكان يحمل زبيبه إليها وكان يداين أهل الطائف ويقتضي منهم الزبيب فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم قال ابن عطية في التفسير قال محمد بن كعب إن العباس وعليا وعثمان بن طلحة افتخروا فقال العباس أنا ساقي الحج وقال عثمان بن طلحة أنا عامر البيت ولو شئت بت فيه وقال علي أنا صاحب جهاد الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم والذي آمن وهاجر قديما فنزلت الآية أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين

وأما إمارة الحج الشريف من مكة فبدئ بها في السنة الثامنة من الهجرة النبوية حين فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان للإسلام بذلك السعود الجسيم فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عتاب بن أسيد وأقامه أميرا أيضا على الحجاج فحج بالمسلمين في ذلك العام ثم من المدينة المنورة إلى مكة المشرفة ثم حج بهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه سنة تسع وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر ووقف معه مائة ألف وعشرون ألفا وهي حجة الوداع التي خطب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصاهم وقال لعلكم لا تروني بعد عامي هذا وودعهم ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة غيرها فكان وداعه صلى الله عليه وسلم في هذه الحجة موجب الهيبة ما كاد كانت بوجوده الحسي صلى الله عليه وسلم فرحة مبهجة وأما النية له صلى الله عليه وسلم وكان عابدا أمته جوار المولى حتى طلب الرفيق الأعلى وبما سبقت به الإرادة ولم يكن إلا لمناسبة نوعه

ا- طراده

استطراده ما أنشده في مدحه صلى الله عليه وسلم لبعض علماء الصعيد العالم ناصر الدين محمد بن عبد القوي الاسنائي

تذكر بالسفح [illegible] * فأجرى المدامع وبلا وطلا
[illegible] زمانا تولى بعود * وأيس بعود زمان تولى
كثيب [illegible] * له [illegible] الإلى [illegible]
[illegible] كأنما [illegible] * وأ[illegible] وكأن [illegible]
و[illegible] أو [illegible] * وما [illegible] أو [illegible]
و[illegible] * [illegible] الأعلام [illegible]
أ[illegible] أكبر [illegible] * [illegible] والأ[illegible]
وعود [illegible] السرور * [illegible]
ولا [illegible] * [illegible]
[illegible] * أما [illegible]
وما [illegible] * ولست [illegible] وحاشا وكلا
[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible] العرب [illegible]
و[illegible] * وسلعا [illegible] والمصلى
[illegible] * [illegible] على كل حال وأهلا
إذا [illegible] أرى [illegible] * [illegible]
[illegible] الجواد [illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
وسم [illegible] * و[illegible]
و[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
و[illegible] لله [illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
و[illegible] * و[illegible]

* أذل الملوك لهيبته * فكم من أسرى لديه وملى
وطاب برسه ملية * وحل بها الحبر علوا وسفلا
أمات الدخول به لطفه * فلم يسو بين الفريقين دخلا
له الحوض طوبى لمن بالمشيئة * ورباوو من لم يسقه ويلى
ومازال عـلا أرض العـدو في طاعة الله حتى لاوزرولا
وبذل مهجته طالبا * رضي الله اذ أظهر الحق بذلا
فلله حكم من ذليل أعز * وفي الله كم من عزيز أذلا
وفك أسيرا وآوى طريدا * وعاف من اصاوأعين مقلا
وسوى له الغير المسند من * واعمى ردت وناد لب فصلا
وسبح في راحته الحصا * لرب العباد تعالى وجلا
وحن الجذع من العسار * حـدع قدم وقد كاد يبلى
وناول في يوم بدر وصدا * لبعض الصحابة فارتد نصلا
وقد بحذب ترحمه اذ رأته * وأجرى أسمه فلبته محلى
وخير عن كل ما يكون * بعيدا وعن كل ما كان قبلا
تحيد ابن اعماني عن الشرا همن وهي من الشمس اجلى
يريدون أن يطفئوا نوره * بأفواههم جل شأنه وعلا
مديحي محمد المصطفى الكريم الحليم الحكيم الاجلا
لعلى من حوضه في غد * اذا جئته ظامئا أن أحلى
محمد يحصى كما قد علمت * صفاته وفيك والصفة أجلا
ولاذ كرواء لمالاق الجاه * ولاقى المماب وحاشاك محلا
هلوا الفرا وفرابا الصحاه لذا الفرض اذ يرجح مع العيد لا
وذه اسائل يشكو الشكاف * من الكرب والكرب قد عم كلا
وأنى اطرب الطره * فلا اس بها كرما واصحى
فلا تخلى عن المسدس * اذا المرء غير والذنبه تخلى
وصلى عليك العفور الرحيم * وسلم ماصام عبد وصلى

فلي

قلائة من رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على الحج ثم حج أبو بكر من قابل فلما قبض أبو بكر واستخلف عمر استعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ثم لم يزل عمر يحج سنيه كلها حتى قبض فاستخلف عثمان واستعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ولم يكن الحج في شيء من خلافة علي رضي الله عنه لاشتغاله بالحروب واستمر أمير الحاج يخرج من المدينة الى أن انتقلت الخلافة الى بني أمية وكان دار ملكهم الشام [illegible] فصار الامير يخرج بالحاج منها و [illegible] عليه الخروج من واحد [illegible] معلوم و [illegible] الى مكة المعظمة واستمر أمير الحاج يخرج منها الى أن انتقلت الخلافة الى دولة بني العباس وكانت دار ملكهم بغداد العراق فصار أمير الحاج يخرج منها [illegible] على ذلك الى أن [illegible] الفاطمية [illegible] الديار المصرية [illegible] أهل شوكة وقوة [illegible] فصار أمير الحاج يخرج [illegible] من مصر بكسوة الكعبة المشرفة ويرد [illegible] الحاج من بغداد العراق [illegible] أمرا [illegible] كان [illegible] كالواقع [illegible] الحاج المصري [illegible] والمقدم عليهم [illegible] والدولة [illegible] أمير حاج يخرج [illegible] الى [illegible] على مصر [illegible] الا [illegible] الحاج [illegible] بها و [illegible] الى الآن ويكون أمير الركب [illegible] والقول بأن أمير الحاج [illegible] الامر عليه فان المراد أمير الحاج هو الامير الذي [illegible] سلطان العصر [illegible] الكسوة المشرفة [illegible] الخروج [illegible] كالواقع لذلك الامر وان كان [illegible] ولا [illegible] وان ذلك [illegible] الامام الاعظم [illegible] ومن [illegible] الى الآن [illegible] مصرا [illegible] الكعبة المعظمة [illegible] السلام [illegible] الحافظ المصري [illegible] ما [illegible] في

[illegible] أربعة من العراق ومصر والشام واليمن [illegible] ولم يزل الملوك في كل عصر [illegible] أمر الركب [illegible] وأهلها [illegible] الحرام [illegible] والاكرام [illegible] لا [illegible]

لا يذكرون بها على ممر الدهور فلا يغيب ذكرهم وان ماتوا ولا يندرس خبرهم وان درسوا وفاتوا ولكون سبيلهم بعدهم في صعود علمهم آخرها ووقفة نامية لا يحصى ذكرها لان الحج من الشرائع القديمة والعبادات الفاضلة العظيمة وجاءت شريعة المصطفى مقررة لها على مدى الازمان وجعلها أساسا للدين المحمدي ومن جملة الأركان

وكان صاحب هديه صلى الله عليه وسلم ناجية الخزاعي قال قلت يا رسول الله كيف أصنع بما عطب من البدن قال انحرها ثم اغمس نعلها في دمها وخل بينها وبين الناس يأكلونها انتهى والبدن واحدها بدنة وهي ناقة او بقرة تنحر بمكة وروى مسلم ان صاحب هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله كيف أصنع بما عطب من الهدي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بدنة عطبت من الهدي فانحرها ثم ألق قلائدها في دمها ثم خل بينها وبين الناس يأكلونها

وأما الكتابة التي هي أعم دلالات الفهم معنا وأشرفها وهي خاصة النوع البشري التي يظهرها من القوة الى الفعل فقد كانت سببا في ضبط الوحي كما هي الآن سبب لمعظمي في ضبط الاقوال وترتيب الاحوال وحفظ العلوم في الادوار واستمرارها على الاكوار وانتقال الاخبار من زمان الى زمان وحفظ الاسرار بين سكان الى سكان وقال صلى الله عليه وسلم استعن بيمينك قال الماوردي أي بالكتابة فتلك التي أن يكتب ما يأتي به لتكون اعانة لحفظك ومن ألطاف الله تعالى اذ الكتابة خير لهم ما يقيمهم على أداء ما افترضه عليهم وأرشدهم الى ما نزل الرب وقوام الكتابة لا يحيط بها الا الله تعالى فهي قيد العلوم ولا تقيد الحكم ولا ضبط أخبار الاولين ومقالات الامم ولولاها ما استقام أمر الدارين انتهى

وقد ذكر القاضي محمد بن سلامة القضاعي ان عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب كانا يكتبان الوحي فان غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما وقال ابن عبد البر كان أبي بن كعب ممن كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي قبل زيد ابن ثابت ومعه أيضا وكان زيد الزم الصحابة لكتابة الوحي وكان أبي وزيد يكتبان الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يحضر أحد من هؤلاء الاربعة كتب من حضر من الكتاب وهم معاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وحنظلة بن الربيع وكان عبد الله بن سعد بن أبي

سرح يكتب الوحي أيضا فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين فلما افتتح مكة استأمن له عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه وولاه عمر مصر ثم أمره عثمان عليها وخرج عنها حين تأمر عليها محمد بن حذيفة ومات بعسقلان أيام علي وقد تقدم بسط الكلام على الكتابة في الفصل السادس من الباب الثاني من المقالة الرابعة من الجزء الأول

وأما الرسائل والإقطاع فأول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة أبي بن كعب الأنصاري وهو أول من كتب في آخر الكتاب وكتب فلان وكان أبي إذا لم يحضر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت فكتب وكان أبي وزيد يكتبان الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ويكتبان كتبه إلى الناس وما يقطع وغير ذلك وكان من المواظبين على كتابة الرسائل عبد الله بن الأرقم الزهري وكان زيد بن ثابت يكتب الوحي ويكتب إلى الملوك أيضا وكان إذا غاب عبد الله بن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى أمراء الأجناد والملوك أو إلى إنسان بإقطاع أمر من حضر أن يكتب له وكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر وكان على بيت المال خازنه عثمان وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد أمر بجمع القرآن في الصحف وكتابته بعده فكان أول من جمع القرآن بعد رحلة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال علي رضي الله تعالى عنه هو أول من جمع كتاب الله تعالى بالترتيب المخصوص الذي اجتمع عليه بعد الأئمة كافة وكان كاتبه عنده زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان لا يكتب آية إلا بشاهدين وإن عمر رضي الله تعالى عنه أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده وزيد كان كاتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت من جملة الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الجامع الصحيح لمسلم رحمه الله عن قتادة قال سألت أنسا من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة كلهم من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو زيد قال قتادة قلت لأنس من أبو زيد قال أحد عمومتي

وكان مستنابه لما ولي الخلافة أبو بكر خيرا له وقيل قتال من ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ومن جملتهم جيش مسيلمة الكذاب ومن ارتد معه من العرب وأمر عليهم خالد بن الوليد المخزومي وقاتلوا قتالا عظيما وانهزم المسلمون

وقتل منهم ألف ومائتان منهم سبعمائة حملة القرآن وقتل زيد بن الخطاب رضي الله عنه ثم تأمر الراس مالك ورد الله عزه على المشركين وقتل مسيلمة وقتل معه نحو آلاف من المرتدين فلما رجعوا قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله تعالى عنهما إن القتل قد فشا في القراء وأخاف أن يذهب القرآن بذهاب حملته فقال له أبو بكر أأفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم هو والله خير فراجعه مرارا حتى انشرح صدره لذلك فقال أبو بكر لزيد بن ثابت إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت لا نتهمك في شيء لأمانتك وصيانتك فاجمع القرآن قال له زيد والله لو كلفني نقل جبل من الجبال كان أهون علي من جمع القرآن ولم يزل به أبو بكر حتى شرح الله صدره فجمعه فجعل يتتبع الرقاع والأضلاع والعسب وقطع الجلد واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض ومن صدور الرجال حتى جمعه ورتبه على سبعة أوجه لقوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف فاقرؤا كما شئتم قال أبو عمرو

والأحرف التي حوى الكتاب * منزلة وكلها صواب
أعني الذي أتى من الآيات * عن سبعة من أفصح اللغات
جاء بها عن ربه جبريل * وقال قد خص بها التنزيل
فاقرأ بها أنت وكل أمتك * فإنها توسعة في سبلك
وكلها مستحسن وكافي * وكلها لسمعها شافي
فأي حرف شئتم قرأتم * منها ووجه الحق قد أصبتم
ما لم تغيروا آية الثواب * وذكرها بآية العقاب
أو آية العقاب بالثواب * فإن ذاك ليس بالصواب
فغبر الصحابة زمانا * إلى خلافة الرضي عثمانا
وكثر الخلاف والمراء * حينئذ واختلف القراء
في أحرف الذكر وفي اللغات * فاجمع الكل على القراءة
بواحد من الحروف السبعة * إذ خشيه من جهلهم وفتنه

ثم بقي المصحف الذي جمعه زيد عند أبي بكر إلى أن توفي وكان عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان في خلافة عثمان جرده عثمان من تلك الأوجه السبعة إلى وجه واحد لما كثر الخلاف بين الناس لأنهم تشاجروا في القرآن وادعى كل واحد

أن

أن قراءته هي الصحيحة وما دونها خطأ وذلك لأنهم اختلفوا اختلافاً كثيراً إلى أن قال
بعضهم قرآننا أفضل من غيرها ثم إن القرآن الذي يتلونه أهل العصر عند جمع الصحابة
في زمن أبي بكر ما رواه [illegible] أرقمه وأدرك عثمان في زمن عمر وعثمان فشدد
بادر عثمان وردهم مصحفاً واحداً وأحضر المهاجرين والأنصار وأرسل عثمان إلى حفصة
فأرسلت إليه الصحائف التي جمعها زيد ثم قال يا معشر المهاجرين والأنصار أي الناس
أعرف بالقرآن قالوا سعيد بن العاص قال وأي الناس أكتب قالوا زيد بن ثابت قال
فليملل سعيد وليكتب زيد وأحضر معهما عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام وقال لهم إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش فلم يختلفوا إلا في التابوت
في البقرة قال زيد التابوه وقال عبد الله التابوت فكتبوه لهم ثم أمر عثمان فنسخت أربع
نسخ نسخة واحدة إلى الشام والثانية للكوفة والثالثة للبصرة وتركت الرابعة في
المدينة ثم زاد بعد ذلك أربع [illegible] ثم أمر فأرسل واحدة إلى مكة وأخرى إلى اليمن وأخرى
إلى البحرين ومن ثم اتسع إلى مصاحف عثمان [illegible] الحذف والإثبات والنقصان
والإنقصان وقرأ رسومات كلها لا سيما [illegible] مصاحف كذا وفي بعضها كذا
ولا يعول على ذلك [illegible] ولا [illegible] ومعنوه أبداً وكان زيد بن ثابت هو الذي كتب
القرآن عند نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه لأبي بكر ونسخه لعثمان
ولم يكن في كتاب الوحي أنسب من زيد

قال أبو عمر بن عبد البر ولما اختلف الناس في القراءة زمن عثمان وأفزع ذلك أمره رأى
الصحابة أن يردوا القرآن إلى حرف واحد ووقع اختيارهم على حرف زيد فأمروا أن على المصحف
على قوم من قريش [illegible] وعلى [illegible] قوم من هذا [illegible] قولهم في
عثمان رضي الله عنه [illegible] ولم [illegible] جمع القرآن ليس على ما [illegible] فإن أبا بكر رضي
الله عنه جمعه في صحف [illegible] الصحف عند حفصة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها
ومن عثمان رضي الله تعالى عنه وكان جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد
جمعوا [illegible] ومن أشهرهم عبد الله بن مسعود [illegible] عثمان رضي الله
تعالى عنه كتب المصحف أمر بإيراع [illegible] الصحابة من المصاحف [illegible] الأمصار
[illegible] عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [illegible] من مصاحفهم [illegible] مصحف عثمان
[illegible] المصحف الذي [illegible] إلى الأمصار [illegible]
في جميع الأقطار

وأما العهود والمصالحات فقد قال أبو عمرو بن عبد البر كان الكاتب للعهود إذا عهد والصلح إذا صالح علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وخرج البخاري عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذنهم ليدخل مكة فاشترطوا عليه أن لا يقيم بها إلا ثلاث ليال ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح ولا يدعو منهم أحدا قال فأخذ يكتب الشرط بينهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقالوا لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ولتابعناك ولكن اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال أنا والله محمد بن عبد الله وأنا والله رسول الله قال وكان لا يكتب فقال لعلي امح رسول الله فقال علي والله لا أمحوه أبدا قال فأرنيه قال فأراه إياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وجلبان بضم الجيم واللام وتشديد الباء ورواه بعض الناس بسكون اللام وعلى كل فمعناه جراب السيف وقوله قاضى أي صالح

وأما صاحب الخاتم فقد خرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قيل له إنهم لن يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقشه محمد رسول الله فكأنما أنظر إلى بياضه في يده صلى الله عليه وسلم وكان إذا دخل الخلاء نزعه لأن فيه اسم الله الأعظم وكان يختم في عنقه ثم من بعد رحلته إلى جوار رحمة الله تعالى وقربه كان خاتمه الشريف في يد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله تعالى عنهم ووقع من يد عثمان رضي الله عنه في بئر أريس فلذا اختل أمر الخلافة في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه كما اختل ملك سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام بذهاب خاتم الملك فقيل كان هذا سبب اختلال أمر الخلافة ولو لم يقع خاتمه صلى الله عليه وسلم في البئر لانتظم أمر الخلافة في أمته إلى يوم القيامة ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا لا مرد لقضائه

قال ابن بطال قال المهلب كان عليه السلام لا يستغني عن الخدمة في الكتب إلى البلدان وأجوبة العمال وقواد السرايا وكان صاحب خاتمه المعيقيب وقال المعيقيب ابن أبي فاطمة الدوسي حليف لآل سعيد بن العاص أسلم وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال وقد تقدم في شأن هذه النسبة بذلك في غزوة خيبر وأما اتخاذ معاوية ديوان الخاتم وجعل عمره فإنه بالنسبة لكونه خليفة يعد في المحاسنات وسبب ذلك أنه أمر لرجل بمائة ألف وكتب بها له في كتاب فعدل الكاتب

الكتاب وسطها مائتي ألف طار ومع الحساب الى معاوية أنكر ذلك وأصدر ديوان الخاتم
أي مصلحة الطوابع من تولد واستمر الخلفاء الى آخر الوقت على ذلك وكان على
نصبه لكل عمل نواب

(الفصل الثالث في العمالات العلمية وما يضاف إليها)

من العمالات العلمية معلم القرآن وقد ذكر ابن الجوزي في كشف مشكل الصحيحين
عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وقال بعد الستة ذكرها عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان يعلم أهل الصفة القرآن وهو واحد لعلها الأنبياء سرا [illegible] وهو كان
يعلم ذلك بالمدينة والنبي صلى الله عليه وسلم فيها ووقفت في الآثار على ما يدل على أن أول
دار فتحت للقراء في المدينة المنورة ولا مانع أن تكون هي أول مدرسة فتحت في الإسلام
فعند الواقدي أن عبد الله بن أم مكتوم قدم مهاجرا الى المدينة فنزل دار القراء
[illegible] ولعله [illegible] بن [illegible] كان يعلم القرآن والكتابة وكذلك عبد الله بن سعيد
ابن العاص كان يعلم الكتابة في المدينة [illegible] أبي [illegible] كان من [illegible]
في هذه الدار وكذلك الأسرى الذين كانوا [illegible] دون أنفسهم يعلم كل واحد منهم
الكتابة لعشرة من أبناء الأنصار [illegible] صلى الله عليه وسلم الى [illegible]
يعلم الناس القرآن [illegible] مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه [illegible]
ولما انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم [illegible] الذين [illegible]
الأولى وهم [illegible] مصعب بن عمير [illegible] الدار
[illegible] أمرهم [illegible] القرآن [illegible] الإسلام [illegible] المقرئ
بالمدينة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الى مكة [illegible]
الناس [illegible] القرآن [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] الناس القرآن [illegible]
[illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible]
[illegible]

الله عليه وسلم عبد الله وأمره أن يعلم الكتابة بالمدينة وكان كاتبا محسنا وخرج أبو داود
رحمه الله تعالى عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال علمت ناسا من أهل
الصفة الكتاب والقرآن وأهدى إلي رجل منهم قوسا فقلت ليست بمال وأرمي عليها
في سبيل الله ولآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنه فأتيته فقلت يا رسول الله
رجل أهدى إلي قوسا ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن وليست بمال وأرمي عليها
في سبيل الله قال إن كنت تحب أن تطوق طوقا من نار فاقبلها قال السهيلي في الروض
الأنف في الكلام على غزوة بدر أنه كان في الأسرى يوم بدر من يكتب ولم يكن في
الأنصار أحد يحسن الكتابة فكان منهم أي من الأسرى من لا مال له فيقبل منه أن يعلم
عشرة من غلمان الأنصار الخط فإذا حذقوا فهو فداؤه انتهى ومنه يفهم جواز تعليم
الكتابة للمسلم من غير المسلم

قال بعض العلماء كتابة الأمم على نوعين أحدهما أن يبتدئ الكاتب خطه من يمينه إلى
يساره وهي العربية والسريانية والعبرانية والنوع الآخر أن يبتدئ الخط من يسار
الكاتب إلى يمينه وهي الرومية والقبطية وكتابة الفرس واحتجوا في ذلك بأنهم أسندوها
على اليسار لكون الاستمداد من حركة القلب لا الكبد قال وأحسن الكتابة الصينية
وذلك لأنها نقش وصور وإنما تكتب الكلمة منها في يوم بلا ورقات وقال بعضهم
أنه رأى في بعض الكتب أن عادا كانت كتابتها مساند الحجر وأنشد على ذلك يزيد
ابن الحزم

٧ ٧ إذا قلت حسن يدي حزم * نقش لهم مساند سطور عاد

يريد قوله في شعره هي أن عادا كانت كتابتها مساند الحجر وهي لا يدرس اسمها
وقد كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعلم القراءة والكتابة من النساء
كالشفاء أم سليمان فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها علمي حفصة رقية
النملة كما علمتها الكتابة (أي الخط والهجاء) وخرج أبو الدرداء رضي الله عنه عن
الشفاء بنت عبد الله قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال
ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة والنملة بثور صغار مع ورم يسير ثم
تقرح فتسعى وتسمى النملة لدبيبها وهذا الحديث يدل على أن تعلم النساء الكتابة
جائز

ومن الخصال الفقهية تعلم الفقه في الدين وفقه الأولياء والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية وروى مسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم ويعطي الله والمراد بالخير في الحديث الخير الكامل وفي هذا الحديث بشارة لمن حل بالفقه من حيث إنه علامة إرادته والفقه في الدين بعد لما بين أن الله تعالى يعطي كل واحد من الفقه ما أراد لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه تفقهوا قبل أن تسودوا (بضم التاء وفتح السين وتشديد الواو أي تجعلوا سادة) قال الحافظ في الفتح ومعناه تعلموا العلم قبل أن تصيروا سادة منظورا إليكم فتستحيوا أن تتعلموا بعد الكبر فتبقوا جهالا وقول علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وليس بعد الفرض شيء أفضل من طلب العلم قال العلماء ووجهه أن طلب العلم إما أن يكون فرض عين أو كفاية وكلاهما أفضل من صلاة النافلة ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه حتى إن غير الصحابي قد يستنبط من كلامه ما لا يخطر ببال الصحابي كما يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى رب مبلغ (بفتح اللام) أوعى من سامع ومما يدل لما ذكر وعلى أفضلية الفقه على غيره من العلوم بعد معرفة الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون لما كان نفير جميع المؤمنين لطلب الفقه غير ممكن قال الله تعالى فلولا أي فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم ليحصل بهم الكفاية ليتفقهوا في الدين أي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتحملوا المشاق لأجل تحصيلها ولينذروا قومهم ليحملوا غرضهم وصرف هممهم في الفقه إنذار قومهم وإرشادهم ونصحهم وليكونوا قدوة للمسلمين وحفظا للشرع من الضياع فإذا قامت به هذه الطائفة سقط فرض الكفاية عن غيرها

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والمراد به علم العمل الذي هو مشهور وجوبه على المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ويدخل في لفظ الفقه فقهاء الصحابة والتابعين وتابع التابعين والأربعة الأئمة المجتهدون ومن تبعهم

الى يوم الدين وقد اقتبس بعض العلماء هذا الحديث فى أبيات مذكورة فقال

تعلم فان العلم زين لاهله * وفضل وعنوان لاهل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة * من العلم واسبح فى بحور الفوائد
تفقه فان الفقه أفضل قائد * الى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو العلم الهادى الى سنن الهدى * هو الحصن ينجى من جميع الشدائد
فان فقيها واحدا متورعا * اشد على الشيطان من ألف عابد

وقوله والفقيه واحد أى وجوده وبقاؤه فان الفقيه يأمر الناس بالايمان والطاعة ويدعوهم الى سبيل الرحمن ويصلون الى السعادات الباقية والدرجات الزاهية وكل ذلك بخلاف مراد الشيطان فيكون العالم أشد عليه وأبغض اليه من العابد والاحاديث والآثار المرغبة فى افادة العلم واستفادته كثيرة وكيف لا وهو أولى ما صرفت الهمة فى تحصيله وأعلى ما دأب المكلف فى معرفة دليله ومدلوله وهو وان تنوع فمرجعه الى معرفة الله ورسوله وعلم عبوديته ومعرفة الله أولى بالتقديم وهى المقصد الأعلى والصراط المستقيم فالفقه المشار اليه فى الآية والحديث هو الفهم والفهم هو العلم وبه يكون الفهم دليله قول الله تعالى ليتفقهوا أى ليفهموا ويعلموا ما أمروا به فالفهم بالفقه والفقه بالفهم أى العلم قال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم أمرنا بالسؤال فقال فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والسؤال هو عين الفقه الذى هو العلم وقد يدرك بالمشاهدة فالجاهل بشئ أول ما يشتغل بعلمه وفهمه ثم بعد يكون فقيها عالما فان الفهم بعد التفهم والفقه بعد التفقه وحقيقة الفهم هو ما يعبد الله به فعلا وتركا من الامر الالهى الذى فهمنا به ثم بما أمرنا به ونهانا عنه فى كتابه وسنة نبيه وهما الدين الذى أمرنا بالتفقه فيه وهو الذى جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم لا تمنعه رتبة لاعتبار ذلك وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم لكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه وعماد الشئ قاعدته التى يعتمد عليها ويبنى عليها والدين هو الذى بعث به أكرم خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليظهره على الدين كله وقال صلى الله عليه وسلم خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا (بضم القاف أى مارسوا الفقه وتعاطوه أى ان أصول شرفهم الذى به تعرف أنهم خياركم اعراقها الى فروعها لا يكون ذلك الا بمجرد ذلك فلا بد

في الإسلام إلا بالفضل والتقوى فمن اتقى فله مع ذلك أفضل جمع شرف الأعراق
كلب فضيلة وربما فضل عن غيره) وورد عنه صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله
كفاه الله تعالى مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب فإن من شغل قلبه بأمر الرزق من
القوت والكسوة قلما يفرغ لتحصيل مكارم الأخلاق ومعالي الأمور

وقد اتفق على حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين أن من لم يفقهه الله سبحانه وتعالى
في الدين لم يكن ممن يرد الله به خيرا والمراد بالدين في الحديث الإسلام قال تعالى إن الدين
عند الله الإسلام بدليل الألف واللام فإنه صلى الله عليه وسلم جاء بالهدى والنور وما شرع
الله على لسانه من التحليل والتحريم والوصايا والآداب وسير الأولين والآخرين وما قص
من أحسن القصص مع ما ثبت بالدليل أنه صلى الله عليه وسلم يجب امتثال أمره واجتناب
نهيه وهذا الأصل هو لا إله إلا الله أوجب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان
وحج البيت إلى غير ذلك من الأوامر وأعاد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الخمسة
في قوله بني الإسلام على خمس لأنها أساس الإسلام وعلامة كل مسلم وهي فرض عين وهي
أصول علم الفقه وحد العلم معرفة المعلوم على ما هو به وعلم الله قديم وعلم المخلوقين الحادث
ينقسم إلى ضروري ومكتسب بالدليل الذي هو المرشد ويشتمل الفقه على واجب
ومندوب إليه ومباح ومحظور ومكروه فالواجب ما ينال تاركها العقاب والمندوب إليه
ما فعله أفضل ولا إثم في تركه والمباح ما أطلق له الخيار بين فعله وتركه إلا أن يستوي
به ثوابا والمحظور المحرم والمكروه ما تركه أفضل من فعله ويستدل على تلك الأحكام
أوامر الله تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم وإقراره
الفاعل والأصل في الكلام الحقيقة وقيل المجاز بالقرينة وللأمر صيغة تقتضي الوجوب
وإذا ورد الأمر بأشياء مع التخيير كان الواجب واحدا غير معين فإذا أداه المأمور به
أجزأه والفرض هو الواجب عند الإمام الشافعي فهما مترادفان إلا في الحج وعند الإمام
أحمد والإمام أبي حنيفة الواجب لازم والفرض ألزم والنهي ضد الأمر والعموم في أقل
الجمع فصاعدا إذا عرف بالألف واللام فهو يعم نحو المسلمين وكذلك إن كان تعريفه
الواحد إذا كان للجنس نحو قوله تعالى إن الإنسان لفي خسر ولا يعم شيء من أفعال
النبي صلى الله عليه وسلم إلا بدليل والتخصيص تمييز البعض دون الكل والمطلق
إذا ورد في سبب تعلق به كما عم ووقع ويخصص النطق بالاستثناء والشرط والتقييد

والمجمل من القول المبهم والبيان يكون بالنص والنسخ رفع الحكم وليس بالبداء ولا يجوز النسخ الاعتقادات اول كلمة التكليف دون صفات الخالق وتوحيده ويجوز نسخ القرآن بالقرآن والسنة بالسنة فيما علم طريقه والفعل بالفعل ولا ينسخ القرآن ولا السنة بالاجماع ولا بالقياس واذا قال الصحابي هذه الآية منسوخة ولم يذكر ناسخها لم يثبت نسخها وشرع الاسلام يغني عن غيره فشرع من قبلنا ليس شرعا لنا وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع وكذلك اقراره والخبر ينقسم الى متواتر والآحاد وينقسم الى متصل والمرسل والمتصل ما اتصل اسناده بالنبي وأوصله ان يقول الراوي سمعت أو حدثني فان قال أخبرني أو أنبأني فعن بعض الشافعية يجوز ان يكون الاخبار اجازة وأما المرسل فهو ما يرويه التابعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شرط قبول رواية الراوي ان يكون عدلا غير مبتدع والصحابة كلهم عدول ويلزم الجارح للراوي تفسير ما جرحه به وبينة الجرح مقدمة على بينة التعديل وروايته حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى غير جائز الا عند بعض العلماء للعالم دون غيره ولا يقبل الا ما لم يخالف كتابا أو سنة ناسخة أو اجماع المسلمين خبر الواحد ويرجح الخبر على الخبر بفضل راويه وموافقته للقرآن واجماع المسلمين حجة في الشرع وقول الصحابي مقدم على القياس والقياس حمل الفرع على أصله في بعض أحكامه بمعنى يجمع بينهما ويجب به في جميع الاحكام الشرعية وهو قياس علة وقياس دلالة وقياس شبه ويشتمل القياس على أربعة أشياء وهي الاصل والفرع والعلة والحكم وعند أبي حنيفة الاستحسان أصل والتقليد قبول قول الغير من غير دليل وذلك سائغ للعامي ولا يجوز في أصول الدين الاعتقاديات الا ما كان عاما كعدد الصلوات ولا يسوغ للعالم الذي فيه قوة الاجتهاد التقليد وقد يحكى عن الامام أحمد انه يسوغ له ذلك ولكن المعروف من مذهبه ان المجتهد لا يقلد مجتهدا والمجتهد هو من عرف طرق الاحكام من الكتاب والسنة وموارد الكلام ومصادره ومجازه وحقيقته وعامه وخاصه وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومحكمه ومتشابهه ودليله وعرف من أصول العربية ما وضع له المعاني وعرف اجماع السلف وخلافهم وعرف القياس وما يجوز تعليله من الاصول وما لا يجوز وما يعلل به وما لا يعلل به وعرف ترتيب الادلة وتقديم أولاها ووجوه الترجيح وكان ثقة مأمونا قد عرف بالاحتياط للدين فمثل هذا يجوز له ان يفتي استفتاه فيفتيه فاذا لم يعرف لغة المستفتي ترجم بينهما عدل ويجب

على

فعلى المستفتي أن يختار الأمتن على الحكم من الله بن [illegible] الحالة الدينية والحق في أصول الدين في جهة واحدة وأما الفروع فإنها كذلك إلا أن المخرج موضوع عن المجتهد المخطئ فله أجر واحد في الخطأ وفي الإصابة أجران والقولان من الفقيه في المسألة الواحدة إشارة منه بأن يحكم بينهما بعلة يكون لمن بعده الاجتهاد فيهما وأما إذا علم تاريخ أحد القولين فالعمل على الأخير فهذه أصول الفقه وما عداها فرع عنها وكما أن الإمام الشافعي مجتهد في الفروع هو مجتهد أيضا في الأصول وقد انتهى تدوين فروع الفقه إلى أربعة كلهم عدول عند جميع العلماء اجتهدوا غاية جهدهم في استنباط الأحكام التي احتاجوا إليها واتباع الصحابة والتابعين والعلماء بما اقتضى ذلك حسبما ذكر وهؤلاء الأربعة هم الإمام أبو حنيفة النعمان والإمام مالك ابن أنس والإمام محمد الشافعي بن إدريس والإمام أحمد بن حنبل ولكل واحد من هؤلاء الأئمة الأربعة أتباع قلدوه فيما ذهبوا إليه فاعتقاد كل مجتهد وكل مقلد لمجتهد فيما صح عنه على خير لمن أراد الله به الخير وفقهه في الدين وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بقوم خيرا أكثر فقهاءهم) بأن طوقهم بالاشتغال بالعلم وقلل لهم مخصصه (وأقل جهالهم فإذا تكلم الفقيه) أي عالم بحسب العلم كأمر بمعروف ونهي عن منكر (وجد أعوانا وإذا تكلم الجاهل قهر) بالبناء للمفعول عليه وردعاه (وإذا أراد بهم شرا أكثر جهالهم وأقل فقهاءهم فإذا تكلم الجاهل وجد أعوانا وإذا تكلم الفقيه قهر)

وأما اختلاف الأئمة في بعض الاجتهادات فللرحمة العامة المعروف بها صلى الله عليه وسلم قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ويحسن هنا قول الشيخ الحميري رحمه الله تعالى في الأئمة حيث قال

فالشافعي محمد وأحمد * ومالك وأبي حنيفة سيدي
علماء دين الله جل جلاله * أنصار شرع الهاشمي محمد
اختلافهم في المذاهب رحمة * ونصيحة في الدين فاتبع ترشد
ما كان خلفهم أذى فاسمع * قولي ودع قول الأثيم المعتدي
كل روى عن أحمد ما قد روى * عن ربه فالكل هاد مهتد
أخذوا بقول الله جل جلاله * حقا وبالخبر الصحيح المسند

فعدوا الصحيح من السقيم وبينوا * نهج الصواب لاهل سنة أحمد
فهم هداة نهج الهداية ظاهرا * وأئمة رشد الصواب وسعد
فالله يرحمهم ويرضى عنهم * أهل الهداية والمقال الارشد

قال الامام الشعراني واعلم ان الائمة المجتهدين ما قيدوا تلك الادلة الا لدقة أخذهم وسعة في استنباط الاحكام الكامنة في الكتاب والسنة فان الاجتهاد مشتق من الجهد وهو المبالغة في اتعاب الفكر وكثرة التطرق الى الادلة والله تعالى يجزي جميع المجتهدين عن هذه الامة خيرا فانهم لولا انهم استنبطوا للامة الاحكام من الكتاب والسنة ما قدر أحد من غيرهم على ذلك * فان قلت فاذا قال المجتهدون في زيادتهم الاحكام التي استنبطوها على صريح الكتاب والسنة فهلا كانوا وقفوا على ما ورد صريحا فقط ولم يزيدوا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ما تركت شيئا يقربكم الى الله الا وقد أمرتكم به ولا شيئا يبعدكم عن الله تعالى الا وقد نهيتكم عنه * فالجواب دليلهم في ذلك الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بيانه ما أجمل في القرآن مع قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فانه لولا بيان الشارع لكيفية الطهارة والصلاة والحج والصوم وغير ذلك ما اهتدى أحد من الامة لمعرفة استخراج ذلك من القرآن ولا كان يعرف عدد ركعات الفرائض ولا النوافل ولا غير ذلك فكما ان الشارع بين لنا بسنته ما أجمل في القرآن فكذلك الائمة المجتهدون بينوا لنا ما أجمل في احاديث الشريعة ولولا بيانهم لنا ذلك لبقيت الشريعة على اجمالها وهكذا القول في أهل كل دور من الادوار الى يوم القيامة فان الاجمال لم يزل ساريا في كلام علماء الامة الى يوم القيامة ولولا ذلك ما شرحت الكتب ولا عملت على الشروح حواش * فان قلت فهل ما وقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من المراجعة في شأن الصلاة كان اجتهادا منه أم لا * فالجواب كما قال الشيخ محيي الدين كان ذلك منه اجتهادا فان الله تعالى لما فرض على امته الخمسين صلاة نزل بها الى موسى عليه السلام ولم يقل شيئا ولا اعترض ولا قال هذا كثير على امتي فلما قال له موسى ان امتك لا تطيق ذلك وأمره بالمراجعة رأى صلى الله عليه وسلم مصيرا من حيث وفور شفقته على امته ولا سيما ليلة الى رد أمر ربه فاجتهد في الترجيح في أي الحالين أولى وهذا هو حقيقة الاجتهاد فلما ترجح عنده انه يراجع ربه عز وجل رجع بالاجتهاد الى ما وافق قول موسى عليه السلام وأمضى ذلك في امته باذن من ربه عز وجل اه

ولا

ولا يخلو الخلاف بين المجتهدين عن فائدة للمجتهدين وهو إحياء الذكر وتحصيل الأجر
كما لا يخلو عن فائدة للأمة وهو التيسير عليهم في الدين قال تعالى وكذلك جعلناكم
أمة وسطا الآية قال الطبري الوسط في كلام العرب الخيار يقولون فلان وسط
في قومه إذا أرادوا الرفع في حسبه قال والذي أرى أن معنى الوسط في الآية الجزء
الذي بين الطرفين والمعنى أنهم وسط لتوسطهم في الدين فلم يغلوا كغلو النصارى ولم
يقصروا كتقصير اليهود ولكنهم أهل وسط واعتدال قال الزمخشري وقيل للخيار وسط
لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار والأوساط محوطة ويؤيده قوله صلى الله
عليه وسلم الدين يسر ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا وحديث بعثت
بالحنيفية السمحة السهلة وذلك لخلوها عن الآصار والأغلال الشاقة التي كانت
على اليهود من تحتم توبتهم وقرض النجاسة وعن الحرج من المفرط المفوت لمحاسن
الآداب وقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت
لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى قال أبو عبيدة أوغل أي سر فيه برفق والمنبت هو الذي يجد
في السير حتى ينقطع به منقطعه بلا ورحى يعطب دابته ويبقى منقطعا به لم يقض
سفره ولا قطع وطره وقد أعطب ظهره فشبه به المجتهد في العبادة حتى يكل ويمل وقوله
تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج مع قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف أمتي رحمة
حيث قيل إن المراد به الاختلاف المتعلق بالفقه في أمر الدين رحمة للمسلمين
قال بعضهم والمشكل ما وردت به الشرائع هو الذي يشكل فهمه ويصعب فهمه لسبب
طريقه من الطرق علم المعقولات ثم لا يفهمه ولا يحققه فيخلط عليه الأمور والدين ولا
يهتدي إلى شيء وهذا الذي ينتسب إلى المعقولات عارض كثيرا من الأحاديث
والسنن الثابتة وأنكرها وقال بخلافها كالملاحدة وطائفة أهل المنطق من الإسلاميين
وذلك أنهم لم يفهموا والعقول كل الإيمان فظنوا أن الأحاديث الثابتة تخالف
القواعد العقلية فلم يسعهم إلا ردها أو تحريفها إلا ما وافق المعقول بزعمهم ولو أنهم فهموا
المعقول لعلموا أن الشرع لم يرد بما يخالف العقل السليم وكانوا يقولون الأحاديث على
المعقولات وقد وقع لبعض علماء المعقول مع الإمام السبكي ما يشبه هذا في بعض
الأحاديث حيث قال إنه مخالف لقواعد المعقول وبين له الإمام السبكي أن سبب الالتباس
عليه هو عدم إلمامه بالقاعدة العقلية حتى قال السبكي في حقه إنه غلط ووقع على عقله
وقال بعضهم وإن أعيان الناس اليوم قد تعرى من لباسه الأمين عبد الله عز وجل

ومن يعرى اعانة لاعتيادية فلم يبق اليوم من الاعيان الاثبته ومن الا عيس الا
رمته فأى دين لقوم جردوا اعيانهم من لباسه وهذه ثوابه ار [illegible] بهم من أماته
قال بعضهم ليس من وظائف ولاة الامور ان يحكموا في التحريم والتحليل عند تصالف
الاوضاع الشرعية المستنبطة عند الائمة المجتهدين من أدلة الكتاب والسنة
والاجماع ولا عبرة بالاستحسان الطبيعي والتقبيح العقلي فالتحسين والتقبيح العقليان
المجردان عن الدليل الشرعي لا عبرة بهما وانما لهم في امتثال الاوامر والنواهي كاحد
رعاياه العامة مصالحهم والناظر في أمورهم والمدبر لما يحكمه بالعقل والانصاف على
القانون الشرعي الذي أصوله الكتاب والسنة والاجماع والقياس والاستصحاب فعند
تبيين الاجماع ان ما الادليل عليه صريحا في الكتاب والسنة فالعمل به عند انعقاد
الاجماع واجب وكذلك القياس فان ما لا نص به لا يلحق بالوقائع المنصوصة المشبهة
له واعتبار الاجماع والقياس انما يكون اذا صدرا من الذين يمكنهم استنباط الاحكام
من الكتاب والسنة وهم المسمون أهل الحل والعقد في الاصول ولذلك فسر بعضهم
أولى الامر في الآية وقال بعضهم ان يكون أوامر الحكام ونواهيهم موقوفة على فتاوى
العلماء وأقوال المجتهدين في الدين وهذا لا يمنع ان الامارة خلافة النبوة في حراسة الدين
والسياسة [illegible] حدود الله تعالى المعتمد بقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم
بناء على تفسيرا كمال الدين في الآية بكمال الفرائض والاحكام كما ذهب اليه جماعة
منهم السدي وقال ابن عباس ان اكمال الدين [illegible] عدم مشاركة المشركين
للمسلمين في حج البيت الحرام فكان ذلك من انعام النعمة على المؤمنين
و [illegible] ان العرب لم يزالوا على [illegible] الى [illegible] والعسل من
[illegible] على كل حال ودين الاسلام كامل لا يقبل الزيادة بالعصيان بالآراء المقيدة
قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الآية
لكن خيرية كل أمة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه روى
بهز بن حكيم عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل كنتم خير
أمة أخرجت للناس قال انكم تتمون سبعين أمة انتم خيرها وأكرمها على الله
عز وجل وفي البخاري في ذيله كنتم خير أمة قال أبو هريرة رضي الله عنه كنتم
خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في اعناقهم
حتى يدخلوا في الاسلام والمراد انهم للناس واعما كانوا كذلك لكونهم كانوا
سدا

تمشيا في اسلامهم ويحصل أصل جميع السعادة الدنيوية والأخروية وفي الجهاد عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل يعني الأسارى الذين يقدمهم المسلمون في السلاسل والقيود ثم يسلمون ويصلح سرائرهم وأعمالهم ويكونون من أهل الجنة والمراد في هذه الخيرية الممدوح بها ما أشار إليه قوله عز وجل تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر والمعنى ما أخرج الله للناس أمة خيرا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك قال بعضهم

فاعلم فما أسمى أمة * قادت للجنة بالسلاسل

وفي حديث أنس رضي الله عنه مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره فالخير موجود في هذه الأمة إلى قرب قيام الساعة وفي حديث عبد الله بن بريدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الأمة

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى أخذ الله تعالى على الحكام ثلاثا أن لا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس ولا يشتروا بآياته ثمنا قليلا ثم قرأ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فالحكام المجد العلماء شعارا والصلحاء دثارا والحكام الصوح مسمارا حتى يدور عليكم من نصائح العلماء ودعوات الصلحاء ووصايا أهل الإخلاص من الحكماء ولا يسع الا الأحكام البرية التي لها أصل في الشريعة المحمدية بعد من الحادثين للدين والدنيا ممن سلك في العدل خير سبيل وأما البدع وأخذ الناس ورسالة محمد عصر ليلا ان حكمه الله مطويه وعلى أمر به على ألسنة رسله لا على ما يجده ذو العقل بعقله قال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول الآية وورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم دوروا مع كتاب الله حيث دار وورد عنه صلى الله عليه وسلم خمس بخمس ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر وروى الترمذي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الله الرجعة عند الموت فعلى ولي الأمر الحاكم أن يضرب على أيدي أهل البدع وفي الأمثال وبقل الحق والله فمن

على قوائم ذي الانفصال لتجري الجمعية بثمرة النماء وتعرض عن قال لحرام الدسائس
مكثر جلالها وتستدل من العدل على الرعية أحسن لباس وتطهر ظواهرهم
وبواطنهم من الأدناس والأرجاس ولتبذل جهد سيرتها الحسنة لتكون ممن سن سنة
حسنة ولا شك أن من سن سنة حسنة كان من مجددي الدين بحسب الأحوال
والأوقات وكانت الجمعية في سيرتها من الأسباب الصالحات لمجدديه من سن سنة
حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سيئة كان عليه وزرها
ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة

وكان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الدين كما وردت بذلك
الآيات والأحاديث فمن الآيات قوله عز وجل يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل
لكم الطيبات إلى غير ذلك من الآيات ومن الأحاديث حديث أبي رفاعة العدوي قال
أبو رفاعة انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل
غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتي بكرسي خلت قوائمه حديدا فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتم آخرها رواه مسلم والنسائي وكذلك
سؤال النساء له صلى الله عليه وسلم كسؤال أم سليم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت كما هو مشهور في كتب
الفقه وقالت عائشة رضي الله عنها رحم الله نساء الأنصار لم يكن الحياء يمنعهن أن
يتفقهن في الدين وأن يتفقهن

وليس العمى طول السؤال وإنما * تمام العمى طول السكوت على الجهل

وقال عمر رضي الله عنه من رق وجهه رق علمه وقال مجاهد لا يتعلم العلم مستحي ولا
متكبر وكان يقال إن الوري يقول حياة العلم بالسؤال والعمل وموته بتركهما
وكان الحسن البصري يقول العلماء سرج الأزمنة والأمكنة فكل عالم مصباح زمانه
يستضيء به أهل عصره ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم وقد تقدم ذكر
نهيه صلى الله عليه وسلم إلى الجهات لتعلم الفقه في الدين وقد ورد في كتم العلم ما رواه
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله
ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار (أي الممسك عن الكلام يشبه بمن ألجم نفسه بلجام
وقد ذكر علم يوهم شموله لكل علم وخصه كثير بالعلم الشرعي واحترز بقوله عن أهله

كتمه

كتمه عن غير أهله مطلوب وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم مبنية على أن حفظ العلم عمن يفسده أو يضره به أولى وجعل بعضهم حبس كتب العلم من صور الكتم أيضا لاستعمال عرف كتمه وكان ابراهيم بن عيينة يقول أطول الناس ندامة يوم القيامة عالم عاطل علمه على الناس

وقد كان الناس يستفتون أهل العلم من الصحابة رضي الله عنهم في نوازلهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يفتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ وعمار وحذيفة وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى وسلمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد جمعهم بعضهم في هذه الأبيات

لقد كان يفتي في زمان نبينا * مع الخلفاء الراشدين أئمة
معاذ وعمار وزيد بن ثابت * أبي بن مسعود وعوف حذيفة
ومنهم أبو موسى وسلمان حبرهم * كذلك أبو الدردا وهو يتمه
وأفتى بمرآه أبو بكر الرضي * وصدقه فيها وتلك مزية

قال بعضهم وينبغي للمفتي مراعاة نوبة السائل فلا يقدم عليها بغير رضى من هي له روى أن أنصاريا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله وجاء رجل من ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أخا ثقيف إن الأنصاري قد سبقك بالمسألة فاجلس كيما نبدأ بحاجة الأنصاري قبل حاجتك وقال بعضهم يستحب للمفتي أن يقدم على نفسه من كان غريبا أو أكثر مرضه وجوب خدمته روي في ذلك حديثان عن ابن عباس وابن عمر وكذلك إذا كان للأجنبي حاجة ضرورية وعلمها المفتي قدمه فإن لم يكن شيء من ذلك وتحرّوا فقد كره قوم الانتظار بالفتوى وكان عبد الله بن مسعود يقول من أفتى الناس من غير تربص وتأمل فقد عرض نفسه لدخوله في النار

وكان الصحابة رضي الله عنهم لم يكن في زمنهم تصنيف ولا تدريس بل يتعلمون بالسؤال والجواب وكلما حضر سائل أحد من الرجال والنساء يسأل عن ذلك من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم فيجيبه وهكذا كان التعليم والتعلم من حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم الى أن توفاه الله ثم بقي أصحابه بعده كذلك ولما طال الزمان وانتشر الإسلام دخل في الإسلام أهل البلاد البعيدة ولغات غير لغة كالحبشة وفارس والروم والبربر وتنوعت الألسن وقصرت الأفهام عن ادراك معاني الكتاب والسنة كادراك عقول

من أنزل القرآن على النبي من العرب لمعاني القرآن ومعاني لغتهم ودخل في الإسلام
أهل المعاني الفاسدة وخيف على فساد الدين بالجهل بلغة العرب ومعانيها المفهوم بها
معاني الكتاب والسنة و فهم ذلك ند ب الدين و تصحيح أهله اتسعت أهل ذلك الزمان
رضي الله عنهم للتصنيف والتدريس وجمع أحاديث السنة النبوية والاستدلال بها
وبالآي القرآنية على صحة الدين و امه ودفع الشبهة من أقوال أهل الزيغ
والأهواء وأضاليلهم وقد كان في ذلك الزمان العلماء كثيرا لقربهم من زمن الصحابة رضي
الله تعالى عنهم أجمعين فمنهم من أقامه الله تعالى فيما وقعت الإشارة إليه من جمع السنة
والتصنيف والتدريس احتياطا للسنة ودفاعا عن الدين بالتصنيف والتدريس لضرورة
الداعية إلى ذلك حسبما تقدم وهي بدعة حسنة ومنهم من أقامه الله تعالى في عبادة ربه
فانقطع بلا معارف ربه و في ذلك عما سواه من الخلق ليحفظه أمر الدين منقطع
عن أقامه الله في ذلك تصنيفا وتدريسا ودفاعا بالباطل وأهله عن الحق بالحق فكان كل
فريق من الصنفين على هدى من ربهم فأهل التصنيف والتدريس الذين نصروا
الدين بتصنيفهم وتدريسهم في جمع معالم السنة وحدود الشريعة حسبما هو معلوم في
كتب المذاهب المدونة في الآداب والعادات وفرائض وسنن ومندوبات ومكروهات
ومفسدات وما لزم في جمع العقود الشرعية وما للعامل من الأجر وما لتارك من الوزر وما
يترتب من الأحكام على المخالف في العادات من القتل والضرب والسجن وسائر
التعزيرات إلى غير ذلك حسبما هو معلوم وبذلوا نفوسهم في ذلك وتصنيفهم علو هممهم
لا بألسنة أقوالهم دون قلوبهم بدا بل استمتاع هذه الأمة بعلمهم تدريسا وتصنيفا قال
صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم في اللسان فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم وعلم في
القلب فذلك العلم النافع فلولا أن علمهم رضي الله عنهم كان في قلوبهم ما وقع به نفع لهذه
الأمة من ذلك الزمان إلى هلم جرا كم من مصنف ومدرس بعد زمانهم صنف ودرس ولم
ينتفع به لعدم إخلاصه لله وزرا

قال بعضهم اعلم أن الآثار كانت في عصر الصحابة وكبار التابعين غير مدونة ولا مرتبة
لسببين أحدهما سعة حفظهم ولأنهم كانوا نهوا عنها ولأن أكثرهم لا يحسن الكتابة
فلما كان زمن عمر بن عبد العزيز على رأس المائة أمر بتدوين الحديث فأول من دونه
بأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب الزهري وأما الجمع مرتبا على الأبواب فوقع في نصف
القرن الثاني فأول من جمع ذلك ابن جريج بمكة ومالك وابن إسحاق بالمدينة وهشام

واسط

واسط ومعمر باليمن وابن المبارك بخراسان والربيع بن صبيح أو سعيد بن أبي عروبة أو حماد بن سلمة بالبصرة وسفيان الثوري بالكوفة والأوزاعي بالشام وجرير بن عبد الحميد بالري وكل هؤلاء كانوا في عصر واحد فلا ندري أيهم أسبق كما قال الحافظ العراقي والحافظ ابن حجر [illegible]

وأما تعبير الرؤيا فإنه نوع من الفقه كما قال الله تعالى في قصة يوسف يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون وقال صلى الله عليه وسلم أعبر أمتي للرؤيا أبو بكر وأسماء بنت عميس وعميس هو ابن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة كانت أسماء بنت عميس من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ثم هاجرت إلى المدينة فلما قتل زوجها جعفر تزوجها أبو بكر الصديق وولدت له محمد بن أبي بكر ثم مات عنها وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين

روى مسلم رحمه الله تعالى أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يحدث أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أرى الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض فأخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل بعدك فعلا ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل له فعلا قال أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت لتدعني فلأعبرنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعبرها قال أبو بكر أما الظلة فظلة الإسلام وأما الذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن حلاوته ولينه وأما ما يتكفف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله به ثم أخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أو أخطأت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت بعضا وأخطأت بعضا قال فوالله يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت قال لا تقسم ويروى أن عائشة رضي الله تعالى عنها رأت ثلاثة أقمار سقطن في حجرها فقصت رؤياها على أبيها رضي الله تعالى عنهما فقال خيرا يا عائشة فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن في حجرتها قال لها هذا أحد أقمارك وهو خيرها ثم صارت ثلاثة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر أبي بكر وقبر عمر رضي الله تعالى عنهما

وعن أبي [illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتني على بئر أنزع منها فوردني

ثم نبوت ثم رددتها ثم عبر فقال أبو بكر دعني أعبرها فذكر تعبيره وأخرج ابن سعد عن محمد ابن سيرين قال كان أعبر هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وأخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبي بكر فقال رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله الى مغفرته ورحمته وأعيش بعدك سنتين ونصفا

وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها فانها لا تضره رواه البخاري وفي رواية لمسلم ورؤيا السوء من الشيطان فمن رأى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها احدا فان رأى رؤيا حسنة فليبشر (بضم التحتانية وسكون الموحدة وضم المعجمة من البشرى) ولا يخبر بها الا من يحب وفي حديث أبي رزين عند الترمذي ولا يقصها الا على واد بتشديد الدال اسم فاعل من الود أو ذي رأي وفي أخرى ولا يحدث بها الا لبيبا أو حبيبا وفي أخرى ولا تقص رؤياك الا على عالم أو ناصح وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أصدق الرؤيا بالاسحار ذكره الغزالي ثم ان من آداب الرائي ان يكون صادق اللهجة وان ينام على وضوء على جنبه الايمن وان يقرأ عند نومه والشمس والليل والتين وسورة الاخلاص والمعوذتين وان يقول اللهم اني اعوذ بك من سيء الاحلام واستجير بك من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم اني اسألك رؤيا صالحة صادقة نافعة حافظة غير منسية اللهم أرني في منامي ما احب وأن لا اقصها على عدو ولا جاهل

وقد ذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام ان في كل جسد روحين روح اليقظة وروحا للمنام فاذا نام خرجت الاولى وبقيت الثانية ولهذا القول شواهد في الآثار وقد روي ان عمر بن الخطاب كان له في ايام خلافته مواضع لصحابته الكرام وكان يستشيرهم في المهمات ويسألهم عن مسائل يكشفون له القناع عن مخدراتها فاتفق ان عمر بن الخطاب جالس مع جماعة من الصحابة وفيهم علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فالتفت اليهم عمر وقال اني سائلكم عن اشياء فمن جملة ما سأل عنه ان الرجل يحب الرجل ولم يلقه ولم يجتمع به وعن ان الرؤيا منها ما هو حق والاخرى باطلة فسكت القوم فقال عمر ولا انت يا ابا الحسن فقال لي عندي علم ذلك أما الرجل يحب الرجل ولم يلقه فان الارواح

جنود

مجموعه بدنه فانها تفارق منها الثلث وما يذكر منها الحلف واما الرؤيا فان احداهما حق والاخرى باطلة فان في ابن آدم روحين فاذا نام خرجت روح فاتت الحميم والصديق والبعيد والقريب فما كان منها في ملكوت السموات والارض فهي الرؤيا الصادقة وما كان منها في الهواء فهي الاضغاث واما الروح الاخرى فللنفس والدم ثم قال جدها يا عمر قال صدقت انا ادري فلا تنكر عمر بان الروح في الاقطار البعيدة لان القرب والبعد من صفات الاجسام واما الارواح فتستوي في حقها القرب والبعد ولا يحجبها الجدران ولا تبعد عليها البلدان وتسري في اللمحة الواحدة من الفرش الى العرش مما لا يدخل تحت القياس ولا يدركه العقل والحواس وقال ابن عبد السلام ان في كل جسد روحين احداهما روح اليقظة التي اجرى الله العادة انها اذا كانت في الجسد كان الانسان مستيقظا واذا خرجت من الجسد نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات والاخرى روح الحياة التي اجرى الله العادة انها اذا كانت في الجسد كان حيا واذا فارقته مات فاذا رجعت اليه حي وهاتان الروحان في باطن الانسان لا يعرف مقرهما الا من اطلعه الله على ذلك فهما كجنينين في بطن امرأة واحدة ويدل على ذلك قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) اي روح الحياة (والتي لم تمت في منامها) وهي روح اليقظة (فيمسك التي قضى عليها الموت) ع نشده ص روح الحياة واليقظة جميعا وقال بعضهم للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع ويرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فبهما يتقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه اسرع من طرفة عين فاذا اراد الله ان يميته في المنام امسك تلك النفس فصعدت فاذا رأت الرؤيا رجعت له واخبرت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح يعلم انه رأى كيت وكيت وقال جمهور المتكلمين من ائمة اهل السنة والجماعة ان الروح جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر قال الامام النووي وهو الاصح عند اصحابنا وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي يصير بها البدن حيا ويدل للجمهور وصفها في الآيات والاخبار بالتوفي والامساك والارسال والتناول والاخراج والنعيم والعذاب والرجوع والدخول والرضى والاستقبال والتردد في البرزخ وانها تأكل وتشرب وتسرح وتأوي وتنطق وتعرف وتنكر الى غير ذلك مما هو من صفات

الأجسام ولا شك أن العرض لا يتصف بهذه الصفات وإنما يعرف بسمتها ويدرك المعلومات وهذه علوم والعلوم أعراض فلو كان عرضا وإلا لم يقم بها لزم قيام العرض بالعرض وهو محال وقال الحكماء الدم الروح لأن الحي إذا مات لا يفوته إلا الدم وقال آخرون هي النفس بفتح الفاء لأنه يموت بانحباس النفس وقال غيرهما عرض يقوم بالبدن

وأما تسميرا عينيه رضي الله تعالى عنها فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لجارية ذي بكاء أجرعي ثلاث مرات فقالت بادره رجل من العجم بطعنة لأن طعنات فكان ذلك حين أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة طعنه طعنات وذكر هذه الأخبار أنها كانت ثلاثا

ومن أشرف الخصال الفقهية إمامة الصلاة ولهذا نص العلماء أن السلطان أحق بالإمامة في الصلاة إلا أن يأذن لغيره في ذلك وقال بعضهم ولأن الصلاة أصل في منصبها وفرع للإمارة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث أميرا كانت الصلاة إليه ولكن لما فسدت الولاة ولم يكن فيهم من يرضى حاله للإمامة نصبت الولاية في يده بحكم العادة وقدم للصلاة من يرضى حاله نيابة عنهم للناس ونيابة على أنفسهم

وقد استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق فقد روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه فكان يصلي بهم وروى الشيخان عن أنس بن مالك أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا قال فهممنا أن نفتتن في الصلاة من فرح بخروج النبي صلى الله عليه وسلم ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج للصلاة فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرخى الستر قال فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك قال بعضهم صلى أبو بكر رضي الله تعالى عنه بالناس في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة صلاة وروي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر جالسا في مرضه الذي توفي فيه قال ابن رشد إنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما مات نبي حتى يصلي وراء رجل من قومه وأسند

رواية

برواية هذا الحديث عن مالك عن ربيعة وقال القاضي عز الدين بن جماعة في مختصر السيرة له وصلى النبي صلى الله عليه وسلم وراء أبي بكر في الصبح صلاة تامة وفي بعض الروايات ما يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج في مرضه وأبو بكر يصلي بالناس تأخر أبو بكر عن الامامة وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس بصلاتهم وهو جالس والقوم خلفه قياما وجمع بعضهم بين القولين بتكرر صلاته صلى الله عليه وسلم مرتين كان في الاولى هو الامام وائتم في الثانية بأبي بكر وعلى هذا التأويل يزول التعارض

وكيفية صلاة القيام في رمضان كما ذكر في الموطأ عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس ثم صلى في القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت ان يفرض عليكم وذلك في رمضان وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر بعزيمة فيقول من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك وكان الامر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ثم لما دخل عمر رضي الله تعالى عنه الى المسجد في رمضان فاذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل ويصلي بصلاته الرهط فقال عمر والله لأراني لو جمعتهم على قارئ واحد لكان أمثل فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ثم دخل المسجد ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يعني آخر الليل وكان الناس يقومون أوله وقوله نعمت البدعة هذه يعني ان كل ما أحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهو بدعة فما وافق أصلا من السنة ما اس عليه فهو محمود وما خالف أصول السنن أن كان الحامل عليه مجرد الشهوة فهو ضلالة ومن ذلك قول بعضهم من خالس أهل البدع يعلق به شيء مما سمع وقال بعضهم

تجنب كل ذي بدعة * ولا تحسن من بها وصفه
فيسرق طبعك من طبعه * وأنت بذلك لا تعرفه

وقيل لا يمكن رائع العامة من أذانك وحسبك من ذلك أن قوما أسمعوا هم شهادة ابن الخطيب الرازي حتى يريد فوا ولا عبرة بمن كان بهذه الصفة لأن ذمه مأمور به وروي فوافق الناس في ما فيه لمعرفة الناس وكذلك في الشهادة يلزم من له علم بحال الشاهد تعريف الحاكم به إلا على حجة تعالى أن لا يقدم على الدماء والفروج بشهادة مجروح
وأما الأذان للصلاة فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم مؤذنان في وقت واحد وهما بلال وابن أم مكتوم رضي الله عنهما وكان بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل على نفسه أن لا يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد فأتى أبا بكر فقال ائذن لي في إتيان الشام فأذن له فلما قدم عمر الشام لقيه فأمره أن يؤذن وقال لست بالموضع الذي كنت تؤذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن فبكى عمر والمسلمون وذكروا النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعوا أذانه ومات بدمشق في سنة عشرين ودفن في المقبرة التي عند باب الصغير
وقد أذن له صلى الله عليه وسلم غير بلال وابن أم مكتوم وهو أبو محذورة رضي الله عنه وانتهى الناس بمكة ورثته لأذانها وكان أبو محذورة لا يؤذن إلا في الفجر وسعد القرظ رضي الله عنه أذن للنبي صلى الله عليه وسلم فيه ثلاث مرات وقال له إذا لم تر بلالا فأذن ولكن لم يكن لسعد القرظ أذان بالمدينة وزياد بن الحارث الصدائي وعبد العزيز بن الأصم فيما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان بلال وابن أم مكتوم يعني في وقت واحد وقد كان أبو محذورة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة أمره بالأذان بها بعد منصرفه من حنين وكان سمعه يحكي الأذان فأعجبه صوته فأمر أن يؤتى به فأسلم يومئذ وأمره بالأذان فأذن بين يديه ثم أمره فانصرف إلى مكة وأقره على الأذان بها هو وولده قال الزبير كان أبو محذورة أحسن الناس أذانا وأنداهم صوتا قال وأنشدني عمر بن مصعب لبعض شعراء قريش في أذان أبي محذورة

أما ورب الكعبة المستوره * وما تلا محمد من سوره
والنغمات من أبي محذوره * لأفعلن فعلة مشهوره

ولم يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم لشغله بشأن الأمة ولهذا قال عمر رضي الله عنه لولا الخلافة لأذنت لأن المؤذن يحتاج إلى مراعاة الأوقات فلو أذن لفاته الاشتغال بشأن الأمة وأما الوقت فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا رضي الله تعالى عنه بحفظ الوقت

في

فى موطأ مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من خيبر أسرى حتى اذا كان من آخر الليل عرس وقال لبلال اكلأ لنا الصبح ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم وكلأ بلال ما قدر له ثم استند الى راحلته وهو مقابل الفجر فغلبته عيناه فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من الركب حتى ضربتهم الشمس ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلال يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتادوا فبعثوا رواحلهم واقتادوا شيئا ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأقام الصلاة فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم قال حين قضى الصلاة من نسى الصلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه أقم الصلاة لذكرى

(الفصل الرابع)

(فى بعث الرسول يدعوا الى الاسلام أو للصلح أو للامان أو لمصلحة غير ذلك من السفارات وما يلى ذلك من الترجمة وغيرها)

قال ابن اسحاق بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه وكتب معهم كتبا الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام فبعث دحية الكلبى الى قيصر ملك الروم قال البخارى فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى قيصر يدعوه الى الاسلام وبعث بكتابه اليه مع دحية الكلبى وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعه الى عظيم بصرى ليدفعه عظيم بصرى الى هرقل ليدفعه الى قيصر

قال أصحاب السير اتفق كثيرون ممن اعتنى بتاريخ الروم ممن سلف وخلف ان ملك الروم كان فى وقت ظهور الاسلام وأيام أبى بكر رضى الله عنه هرقل وفى كتب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر كان الملك قيصر بن نون وهذا الاسم ينافى قول أصحاب السير والمؤرخين انه هرقل لان قيصرا سمة لمن يلى الروم وذلك لان هرقل الاول ولى على الروم سنة ٦١١ ميلادية يعنى قبل الهجرة بنحو احدى عشرة سنة وهى توافق البعثة وانه هو الذى أرسل اليه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة كتابه مع دحية الكلبى يدعوه الى الاسلام وانه دعاه بحمص وكان قيصر بات أمين القسطنطينية ومات هرقل المذكور فى نحو ١٩ سنة من الهجرة فلم يبح قيصر بالاسلام فقول البخارى

في الصحيح ان دحية دفع الكتاب الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى هرقل ليدفعه الى قيصر المراد بهرقل حاكم الشام وافق اسمه اسم القيصر ولامانع ان يكون اسم المسمى بقيصر هرقل وهو الذي خلفه وملك بعده عدة أشهر واعتقاد هذا الجمع بين ما تواتر عند أرباب الرحلات ومؤرخي الروم وغيرهم وبين ما في حديث البخاري الشريف وكتب السير وقد مر الكلام على هرقل قيصر في الفصل الرابع عشر من الباب الاول من المقالة الرابعة من الجزء الاول

قال ابن اسحاق وبعث عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك فارس وقال البخاري رحمه الله تعالى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا بكتابه وأمره ان يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى قال ابن اسحاق وبعث عمرو ابن أمية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وبعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية ومصر وبعث عمرو بن العاص السهمي الى جيفر وعياذ ابني الجلندا ملكي الازد من ملكي عمان وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي الى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفي ملكي اليمامة وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر ملك البحرين وبعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك التخوم من أرض الشام والى جبلة بن الايهم وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي الى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن وقال ابن جماعة في مختصر السير بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع عمرو ابن أمية الضمري ودحية بن خليفة الكلبي وعبد الله بن حذافة السهمي وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي وشجاع بن وهب الاسدي وسليط بن عمرو العامري

وروى عن حاطب بن أبي بلتعة بفتح الموحدة وسكون اللام وفتح المثناة فوق واسمه عمرو ابن عمير بن سلمة اللخمي قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من الحديبية الى المقوقس صاحب مصر والاسكندرية من قبل هرقل وكتب كتابا فيه بعد البسملة من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم القبط يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية ثم توجه الى مصر فوجده بالاسكندرية فذهب اليها فوجده في مجلس مشرف على البحر فركب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فأحضره وقرأ الكتاب قال حاطب فأنزلني في منزله وأقام به ليالي ثم

بعث

بعث إلي وقد جمع بطارقته وقال إني سأكلمك بكلام أحب أن تفهمه مني فقلت هلم قال أخبرني عن صاحبك أليس هو نبيا قلت بلى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده إلى غيرها فقلت له فعيسى ابن مريم أتشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما منعه أن يدعو على من خالفه أن يسلط عليه وما له حيث أراد قومه صلبه أن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله في سماء الدنيا ثم سكت المقوقس ساعة ثم استعادها فأعادها عليه حاطب فسكت فقال له حاطب إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك وإن لك دينا لن تدعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافي الله به فقد ما سواه وما بشارة موسى بعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به ثم قال المقوقس أي عقبة عزوف حجرو من كيد عامة السوق وركبت الحمار قال هذه الصفة قال أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم فجعل الكتاب في حق من عاج وختم عليه وأعطى لحاطب مائة دينار وخمسة أثواب وأكرمه وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في الفصل الرابع عشر من الباب الأول من المقالة الرابعة من الجزء الأول وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا وأهدى له بلا حجوار منهن مارية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أختها سيرين بسين مهملة وهديته من عسل بنها العسل بفتح الموحدة وسكون النون وهي قرية من أعمال مصر فدعا المصطفى لعسل بنها بالبركة وألف مثقال ذهبا وفرسا يقال له لزاز وبغلة يقال لها الدلدل وحمارا يقال له عفير أو يعفور ووصلت تلك الهدايا في سنة سبع وبقيت البغلة إلى زمن معاوية وهلك الحمار مرجعه من حجة الوداع ومات المقوقس في خلافة عمر بن الخطاب على نصرانيته ودفن في كنيسة أبي يحنس فلما وصلت الهدايا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر إلى مارية وأختها سيرين فأعجباه وكره الجمع بينهما ثم عرض الإسلام عليهما فأسلمتا مارية وأختها سيرين ووهب سيرين لحسان فولدت له عبد الرحمن وتسرى بمارية فولدت منه إبراهيم ومات بعد سنة عشر شهرا ومات وقيل غير ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بقي إبراهيم ما تركت قبطيا إلا وضعت عنه الجزية ولما ولد إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق أم إبراهيم ولدها وقال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما وكانت هاجر

أم إسماعيل منهم وبعث بمارية الى بيت حفص بن عمرو من الهجرة ونزلت بالمدينة وكانت عائشة تقول ما غرت من امرأة إلا غيرتي على مارية وذلك لأنها كانت جميلة جعدة الشعر وأما سيرين فوهبها عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت رضي الله عنه فهي أم ولده عبد الرحمن وكان يفخر أنه ابن خالة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرين هذه روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا في قبر إبراهيم ابنه فأصلحه وقال إن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يتقنه وقد تقدم بعض ذلك في الفصل السابع من الباب الرابع من المقالة الخامسة ويقال إن حاطب بن أبي بلتعة لما قدم المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم أنشده أبياتا وسأله أن يكون معه وعنده وهي

أنعم صباحا يا وسيلة أمة * يرجو النجاة بها غداة الموقف
إني مضيت إلى الذي أرسلتني * أطوي المهامه في الطريق الأخوف
حتى رأيت عظيمهم صاحب ملكها * فبدا إلى عقل وقول منصف
فقرا كتابك حين فك ختامه * فاهتز يرعد كاهتزاز المرجف
قال الأساقفة الذين تجمعوا * ماذا أراعك من كتاب المترف
قال اسكتوا وأنا أقول لكم وأدنوا * هذا كتاب نبي دين المصحف
قالوا وهم فقال أبيت أبوهم * لقد عرفت بيان خط الأحرف
في كل سطر من كتاب محمد * خط يلوح لناظر موقف
هذا الكتاب كأنه لك خاصها * يا خير مولود بمحفل يكتفي
إني رسولك بالجواب مسلما * بإرادة المولى العظيم الأرأف
لي أخوتي عرف الجنان وحورها * وبعثتها فأفوز يوم الموقف
صلى عليك الله ما غنى الحما * أو لاح صبح بالصبا المشرف
ومتى بدت شمس النهار منيرة * في ضوئها الوضاح حتى ينطق

وروى حاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآني بعد موتي فكأنما رآني في حياتي ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة وليس له غير هذا الحديث ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقال رضي الله عنك رضي الله عنك

وأما بريده رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلح فقد قال ابن إسحاق دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له

الثعلب

المطلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش وهم حلفاء قريش لأنهم تحالفوا واعب جبل بمكة يقال له حبشي أن يكونوا يداً واحدة على من عاداهم وإنهم لا ينقضون ما أقام حبشي فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بها من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته فخرج عثمان بن عفان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما بعث الرسول للأمان فقال ابن إسحاق خرج صفوان بن أمية يوم فتح مكة يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه صلى الله عليك قال هو آمن فقال يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال ويحك اغرب عني فلا تكلمني قال صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال إني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان إن هذا يزعم أنك قد أمنتني قال صدق قال فاجعلني بالخيار فيه شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر قال ابن عبد البر وشهد صفوان قبل أن يسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً والطائف واستعاره صلى الله عليه وسلم حين خرج معه إلى حنين سلاحاً فقال طوعاً أو كرهاً فقال بل طوعاً

عاريه مضمونة فأعاره وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم يوم حنين فأكثر فقال صفوان أشهد بالله ما طابت بهذا إلا نفس نبي فأسلم

ونحو أمر ذلك أنصار من النساء أم حكيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن أبي جهل ابن عمها أسلمت يوم الفتح واستأمنت النبي صلى الله عليه وسلم لزوجها عكرمة وكان قد فر إلى اليمن فخرجت في طلبه فردته حتى أسلم وثبتا على نكاحهما وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه حين أتاه مرحبا بالراكب المهاجر وقال لأصحابه صلى الله عليه وسلم إن عكرمة يأتيكم فإذا رأيتموه فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا إلى ملك الحبشة ليبعث من عنده في بلده من المسلمين وذلك أنه كان قد أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاموا حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية وكانوا ستة عشر رجلا منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كما قاله ابن إسحاق

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن فأخذه النجاشي فوضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس إلى الأرض ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته وفي الكتاب الآخر أن يزوجه أم حبيبة وأمره أن يبعث من قبله من أصحابه ويحملهم ففعل ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي النبي صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها كما قاله العلامة عز الدين ابن جماعة وأم حبيبة في هذا الخبر هي بنت سفيان بن حرب وروى أبو سفيان ابن حرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب كتابه إلى النجاشي حمله ثم رمى به على التراب وأخذه فلا جرم أنه أسلم وفاز ولما كتب كتابه إلى كسرى أبرويز لم يلقه إلى التراب فلا جرم أنه لم يسلم ولم يفز وقال صلى الله عليه وسلم تربوا الكتاب فإن التراب مبارك وقال بعضهم

كتبت الكتاب وتربته * لعلي بتتريبه أفلح
لقول النبي لأصحابه * ألا تربوا كتبكم تنجحوا

وينبغي للكاتب إذا كتب كتابه أن يتربه ثم يطويه فإن رأى ويبسه لم يتربه ولم

لم يتربه

فيتصفحونه ويتداركه وأصلحه وينبه له أصحابه لا تكثر ركته بكثرتها او تقصر في الكلام او يضاف اليه ما يخرج عن المعنى لئلا يطول الكلام وينبه له ان يحترز من الالفاظ التي لا تفيد فخير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل

وأما تراجمه النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر التلمساني في العمدة ان زيد بن ثابت الانصاري النجاري رضي الله تعالى عنه كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يترجم له بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الالسن وذكر ابن هشام في السيرة تعلموا منه وقد تعلم زيد بن ثابت السريانية أيضا وذلك انه كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بالسريانية فأمر زيد بن ثابت فتعلمها في بضعة عشر يوما وخرج الترمذي رحمه الله تعالى عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعلم كتاب يهود فاني والله ما آمن يهود على كتابي قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته قال فلما تعلمت كان اذا كتب الى يهود كتبت اليهم واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وأما معنى نهي عمر رضي الله تعالى عنه عن تعلم رطانة الاعاجم وكراهة مالك رحمه الله تعالى تعلم خطهم فانه محمول على ما لا يكون في تعلمه منفعة للمسلمين وأما اذا كان فيه منفعة كتعلم لسانهم لترجمة ما يحتاج اليه الامام أو لما يحتاج اليه القاضي للفصل بين الخصوم واثبات الحقوق أو العاشر الذي يأخذ العشر من أهل الذمة والتجار لطلب ما يعشر عندهم لاخذ المال أو لما يحتاج اليه في فكاك الاسارى وما أشبه ذلك مما تدعو اليه الضرورة فغير منكر وهو الذي تعلمه زيد بن ثابت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم

وأما شعراؤه صلى الله عليه وسلم فكان من شعراء المسلمين حسان بن ثابت الانصاري وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك يذبون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين ويهجون المشركين ويردون على شعرائهم قال أبو عمر بن عبد البر قيل لعلي بن أبي طالب اهج عنا القوم الذين يهجوننا فقال ان أذن لي النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فقالوا يا رسول الله ائذن له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليا ليس عنده ما يراد في ذلك منه ثم قال ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ان ينصروه بألسنتهم انتهى

وقد انتدب لهجو المشركين ثلاثة من الانصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله

ابن رواحة فكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر ويذكرون مثالبهم وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة قال أبو عمر رحمه الله تعالى وفيه وفي صاحبيه حسان وكعب بن مالك نزلت آية إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وكان يقال لحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان والله كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظام لحق أو نكال لملحد

ومن جيد شعر حسان ما ارتجله بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم حين قدوم بني تميم إذ أتوه بخطيبهم وشاعرهم ونادوه من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمد فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وكانت حجراته صلى الله عليه وسلم تسعا كلها شعر مغلقة بجذوع النخل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وخطب خطيبهم مفتخرا فلما سكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يخطب بمثل خطبته فخطبهم خطبة ثابت فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان ابن بدر فقال

نحن الملوك فلا حي يقاربنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا * من العبيط إذا لم يؤنس القزع
ونحن ننحر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا

العبيط الذبائح الفتية والقزع الإبل الصغيرة ثم جلس شاعرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام وقال

إن الذوائب من فهر وإخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * إن الخلائق فاعلم شرها البدع

ان

إن كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم في مطمع طبع
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم * لا يبخلون ولا يرديهم طمع
خذ منهم ما أتوا عفوا إذا عطفوا * ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم فاترك عداوتهم * شرا يخاض عليه الصاب والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * إذا تفرقت الأهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك ورب كان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وإن شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا وما قاربنا فأسلموا وأحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوائزهم

وروى بالإسناد الصحيح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوات الله عليه إن الله عز وجل يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله وأما قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون أي غواة من المشركين يسعون إلى أشعارهم ويروون عنهم ألم تر أنهم في كل واد يهيمون أي يخوضون في كل لغو وباطل جعل الأودية مثلا لأنه فن كلامهم إلا باطل ثم استثنى شعراء المسلمين بقوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا هجاء من هجاه فإن من الشعر ما هو تدوين الهمة وعنوان مرعاة وعقلاء عاقبة لما تضمنه من نفائس الآداب وأبكار المعاني التي هي نتيجة الألباب والحكم التي تروح الخاطر وتغني من عقبات أعلاقها أحجار الذخائر

وانتقل أبو بكر رضي الله تعالى عنه حسان بن ثابت في مجاوبته من جاهله بالشعر كعب بن سعر بكسر السين وسكون العين أي عمرو الجعفي قومه كان ممن ثبت على إسلامه في الردة وكان عند المسلمين في أهل اليمامة وعند المسلمة ولا يحمدون الله إلا بربه وطاعة قومه له

وأما كعب بن مالك فكان قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر وعرف به ثم أسلم وكان أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردون عنه وعن الزهري أن كعب

ابن مالك قال يا رسول الله ماذا ترى في الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه وهو ممن رضي الله عنه العقبة الثانية ولم يشهد بدرا وشهد أحدا والمشاهد كلها الا تبوك فانه تخلف عنها وهو أحد الثلاثة الانصار الذين تخلفوا عنها والثاني هلال بن أمية والثالث مرارة بن ربيعة فتاب الله عليهم وعذرهم وغفر لهم ونزل فيهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك يوم أحد لبس لأمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت صفراء ولبس النبي صلى الله عليه وسلم لأمته فجرح كعب احد عشر جرحا وعن ابن سيرين قال نبئت ان دوسا انما أسلمت فرقا من قول كعب ابن مالك

قضينا من تهامة كل وتر * وخيبر ثم أجممنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت * قواطعهن دوسا او ثقيفا

فقالت دوس انطلقوا فخذوا لأنفسكم لئلا ينزل بكم ما نزل بثقيف وأما عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه فقد شهد المشاهد كلها الا الفتح وما بعده لانه قتل يوم مؤتة شهيدا وهو احد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الاذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن الهيثم بن ابي سنان انه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه في قصصه يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وروى هشام بن عروة عن ابيه قال سمعت ابي يقول ما سمعت أحدا أجرى وأسرع شعرا من عبد الله بن رواحة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يوما قل شعرا تقتضيه الساعة وأنا انظر اليك فانبعث مكانه يقول

اني تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة

واما خطيب النبي صلى الله عليه وسلم فهو ثابت بن قيس بن شماس بن أبي زهير بن مالك

ابن

ابن امرئ القيس وهو ممن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون قال ثابت بن قيس أنا الذي كنت أرفع صوتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني أخشى أن يكون الله غضب علي فحزن واصفر ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عنه فقيل يا نبي الله إنه يقول إني أخشى أن أكون من أهل النار وإني كنت أرفع صوتي عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو من أهل الجنة قال فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجلا من أهل الجنة

وفي السيرة لابن إسحاق وغيره لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه وكان ذلك سنة تسع وإنها كانت تسمى سنة الوفود فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس (كعمم) التميمي في أشراف من بني تميم فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج إلينا يا محمد فآذى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم فخرج إليهم فقالوا جئناك يا محمد لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكنا نستحي من الإكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس أخي بني الحارث بن الخزرج قم فأجب الرجل في خطبته فقام ثابت بن قيس رضي الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط إلا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل الله عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق إجابة لله حين دعاه رسول الله نحن فنحن أنصار الله وأنصار

الله ووزراء رسول الله فاقتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم انتهى وقد تقدم بعض هذا العرض من تمام الزبرقان بن بدر وإنشاده ومحاورة حسان بن ثابت له فيه ذا الكلام على حسان في هذا الفصل

*(الفصل الخامس في كتابة الجيش والعطاء والديوان والزمام
وبيان أن الديوان له أصل في عهده صلى الله عليه وسلم)*

قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتب الناس وجرى العمل بذلك في عصره صلى الله عليه وسلم روى البخاري بسنده عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل فقلنا نخاف وفي بعض الروايات خمسمائة فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم فقام رجل فقال يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال انطلق فحج مع امرأتك ورواه البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اكتتبت في غزوة كذا وامرأتي حاجة فقال ارجع فحج مع امرأتك وحديث البخاري السابق يفيد أن من تولى كتابة الجيش حذيفة بن اليمان وكان من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق سطرا إلى قريش ليأتي بخبرهم وقد تقدم أنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن المنافقين وينظر إليه عند موت من مات منهم فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر

وأما العطاء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الفيء قسمه في يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى الأعزب حظا فدعينا وكنت أدعى قبل عمار فدعيت فأعطاني حظين وكان لي أهل ثم دعي بعدي عمار بن ياسر فأعطي حظا واحدا وروى مالك في الموطأ عن القاسم بن محمد أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان إذا أعطى الناس

اعطياتهم

أعطاهم يسأل الرجل هل عندك من مال وجبت عليك فيه الزكاة فإن قال نعم
أخذ من عطائه زكاة ذلك المال وإن قال لا أدى إليه عطاءه ولم يأخذ منه شيئا فثبت
بهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة الناس في الجيش وأنهم كتبوا في عصره
صلى الله عليه وسلم وأنه كان يقسم الفيء وأن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان يعطي
الناس الأعطيات وهذا لا يخالف ما اتفق عليه أهل الأثر وأصحاب الأخبار
والسير من أن عمر رضي الله تعالى عنه أول من وضع الديوان في الإسلام وفرض
الأعطيات فإنهم إنما يعنون أنه أول من دوّن الدواوين لا غير وفرض الناس فيها وقدر
الأعطيات وإنما كتابة الناس في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فإحصاؤهم بتعيين
مهمهم في بعث الجيوش ولم تكن في وقت معين ولا بمقدار معين حيث لم يكثر الناس كثرة
أيام عمر ولا تعددت الأموال ولا اشتدت الحاجة إلى ضبطهم كما في أيامه فوضع
الديوان موجود في عهده صلى الله عليه وسلم وكتب الأعطيات بعد عرضهم موجود
فقد روى الترمذي رحمه الله تعالى عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال
عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش وأنا ابن أربع عشرة فلم يقبلني
فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال هذا حد ما بين الصغير والكبير
ثم كتب أن يفرض لمن بلغ الخمس عشرة وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب عند
ذكره سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض غلمان الأنصار
في كل عام فمر به غلام فأجازه في البعث وعرض عليه سمرة من بعده فرده
فقال سمرة يا رسول الله لقد أجزت غلاما ورددتني ولو صارعته لصرعته قال فصارعه
فصارعه فصرعه فأجازني في البعث ومعنى عرض الجند نظر حالهم يقول عرضت
الجند إذا أمررتهم علي ونظرت حالهم وذكرنا ما في السنن الصغرى أن الأحكام إنما
تتعلق بالبلوغ بعد الهجرة وقبل الهجرة إلى عام الخندق كانت تتعلق [illegible]
وأما وضع عمر رضي الله تعالى عنه الديوان بالكيفية المروية عنه فمعلوم أن في سنة
خمس عشرة للهجرة فرض عمر رضي الله تعالى عنه الفروض ودون الدواوين وأعطى
العطايا ونصب الكتاب لبيت المال ومسح السواد والبلاد [illegible] وأجرى
الأرزاق على العساكر الإسلامية فبيت المال وأول من اتخذ بيت المال عمر رضي الله
عنه وقيل أبو بكر رضي الله عنه لكنه كثر واشتهر في زمان عمر رضي الله عنه قال
الماوردي في الأحكام السلطانية اختلف الناس في السبب الذي حمل عمر رضي الله

عنه على ذلك فقال قوم انه بعث بعثا وعنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد أعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل أخل بمكانه فمن أين يعلم به فاثبت لهم ديوانا فسأله عمر عن الديوان حتى فسره له وقال آخرون سببه ان أبا هريرة رضي الله تعالى عنه قدم عليه بمال من البحرين فقال عمر ماذا جئت به قال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول قال نعم مائة ألف خمس مرات فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلا وان شئتم عددناه لكم عدا فقام رجل وقال يا امير المؤمنين قد رأيت الاعاجم يدوّنون ديوانا لهم فدوّن أنت ديوانا فاستشار عمر رضي الله عنه المسلمين في تدوين الدواوين فقال علي رضي الله تعالى عنه تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من المال ولا تمسك منه شيئا وقال عثمان رضي الله عنه أرى مالا كثيرا يسع الناس وان لم يحصوا حتى يعلم من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الامر فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دوّنوا دواوين وجندوا جنودا فدوّن ديوانا وجنّد جنودا فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من شبان قريش وقلدوا كتابة الديوان في عصر عمر رضي الله عنه فمن هذا فهم ان الدواوين لها اصل في عهده صلى الله عليه وسلم لكن لم يتم ديوان الا في ايام عمر رضي الله عنه ثم اتسعت وقويت وكذلك في ايام بني امية احدث في الحساب فالقول أن أول من دوّن الدواوين عمر أو معاوية او عبد الملك بن مروان او الوليد أو سليمان بن عبد الملك او عمر بن عبد العزيز وان كاتبهم كان سليمان بن سعد والاوائل بعده أواسطها بالنسبة لاول من عمل

ثم ان الديوان اسم اعجمي فعرّب والاصل في تسميته ديوانا ان كسرى أمر كتابه أن يجتمعوا في دار واحدة ويعملوا حساب السواد في ثلاثة ايام وأعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر اليهم فاذا هم يحسبون أسرع ما يكون وينسخون كذلك فعجب من كثرتهم فقال اي ديوان ومعناه هؤلاء مجانين اوشياطين فسمي موضعهم ديوانا واستعملته العرب وجعلوا من كل محصل من كلام أو شعر ديوانا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اذا قرأتم شيئا من القرآن ولم تعرفوا تفسيره فاطلبوه في شعر العرب فانه ديوانها

والزمام ترتيب الاعمال وحصر الامور فيه وضبطها وحفظها عن الاغفال بالنسبة ان لها ويسمى الزمام ديوانا لانه يجعل كالكتاب الذي يدون فيه الاعمال والعلوم لعلم ويحفظ

في كل وقت مأخوذ من زمام الناقة الذي هو ما يقادها من ارادة هواها وما مرها على المكان الذي عطف عليه

وذكر الماوردي في الاحكام السلطانية ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد وضع الناس في الديوان قال بمن أبدأ فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ابدأ بنفسك فقال عمر رضي الله عنه أذكر أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ ببني هاشم وبني المطلب فبدأ بهم عمر رضي الله عنه ثم بمن يليهم من قريش بطنا بعد بطن حتى استوفى جميع قريش ثم انتهى الى الانصار فقال عمر ابدؤوا برهط سعد بن معاذ من الاوس ثم الاقرب فالاقرب من سعد واستقر ترتيب الناس في الديوان على قاعدة النسب المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم قال الماوردي والترتيب المعتبر في الديوان عام وخاص

فالترتيب العام ترتيب القبائل والاجناس حتى تتميز كل قبيلة من غيرها وكل جنس من خالفه ولا يخلو حالهم من أن يكونوا عربا أو غيرهم فان كانوا عربا ترتبت قبائلهم بالقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل عمر رضي الله تعالى عنه فتقدم عدنان على قحطان لان النبوة في عدنان وعدنان يجمع ربيعة ومضر فتقدم مضر على ربيعة لان النبوة في مضر ومضر يجمع قريشا وغيرهم فتقدم قريش لان النبوة فيهم وقريش يجمع بني هاشم وغيرهم فتقدم بنو هاشم لان النبوة فيهم وان كانوا غير عرب فان كان لهم سابقة في الاسلام ترتبوا عليها وان لم يكن لهم سابقة ترتبوا بالقربى من ولي الامر فان تساووا فبالسبق الى الطاعة

والترتيب الخاص في ترتيب الواحد بعد الواحد فيرتب بالسابقة في الاسلام فان تكافؤوا في السابقة ترتبوا بالدين فان تقاربوا في الدين ترتبوا بالسن فان تقاربوا في السن ترتبوا بالشجاعة فان تقاربوا فيها فولي الامر مخير ان شاء رتبهم بالقرعة أو رتبهم على رأيه واجتهاده

وأما وقت العطاء المستحق فقد ذكر الشيرازي في طبقات الفقهاء ان أبا الزناد عبد الله بن ذكوان مولى رملة بنت [illegible] وفد على هشام بن عبد الملك بن مروان بحساب ديوان المدينة فسأل هشام ابن شهاب أي شهر كان يخرج فيه العطاء لاهل المدينة فقال لا أدري فقال أبو الزناد فسألني هشام فقلت المحرم فقال هشام لابن شهاب يا أبا بكر هذا علم استفدته اليوم فقال ابن شهاب مجلس امير المؤمنين اهل أن يفاد فيه العلم انتهى اي

لأن ابن شهاب بعد أن قال لا أدري علم في المجلس أن وقت العطاء المحرم وقال بعض الشعراء على لسان الوليد بن اليزيد بن عبد الملك بن مروان حين استخلف

ضمنت لكم إن سلم الله مهجتي * عطاء ورزقا كاملا في المحرم
فلا تحطوني لا أبا لأبيكم * فإني لكم كالوالد المترحم

والعطاء كان يدفع عينا ويدفع عروضا وقد روى البخاري رحمه الله عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنهما أن أباه مخرمة رضي الله عنه قال له يا بني بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقبية فهو يقسمها فاذهب بنا إليه فذهبنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزله فقال لي يا بني ادع لي النبي صلى الله عليه وسلم فأعظمت ذلك فقلت أدعو لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني إنه ليس بجبار فدعوته فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة هذا خبأناه لك فأعطاه إياه وذكر ابن المدبر رحمه الله تعالى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه كان أخذ الجزية من كل ذي صنع من صاحب الإبر إبرا ومن صاحب المسال مسال ومن صاحب الحبال حبالا ثم يدعو العرفاء فيعطيهم الذهب والفضة فيقتسمونه ثم يقول خذوا هذا فاقسموه فيقولون لا حاجة لنا فيه فيقول أخذتم خياره وتركتم علي شراره لتحملنه

وإذا مات الرجل بعد أن استوجب العطاء كله أو بعضه أعطي له قدر استحقاقه فقد ذكر أبو عبيد في كتاب الأموال أن رجلا مات بعدما سار أشهر من السنة فأعطاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ثلث عطائه وأن الزبير قال لعثمان رضي الله تعالى عنهما بعدما مات عبد الله بن مسعود وكان وصيه أعط عطاء عبد الله فهو أحق به من بيت المال فأعطاه خمسة عشر ألفا وذكر أبو عبيد أيضا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه كان إذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات أعطاه ورثته وقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن الزبير بن بكار ذكر بسنده أن الخنساء بنت عمرو السلمية حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا

وصابروا

وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائكم مستنصرين فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلود والمقامة فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول

يا إخوتي إن العجوز الناصحه * قد نصحتنا إذ دعتنا البارحه
مقالة ذات بيان واضحه * فباكروا الحرب الضروس الكالحه
وإنما تلقون عند الصائحه * من آل ساسان كلابا نابحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه * وأنتم بين حياة صالحه
(أو ميتة تورث غنما رابحه)

وتقدم وقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم حمل الثاني وهو يقول

إن العجوز ذات حزم وجلد * والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد * نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد * إما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الأبد * في جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ثم حمل الثالث وهو يقول

والله لا نعصي العجوز حرفا * قد أمرتنا حربا وعطفا
نصحا وبرا صادقا ولطفا * فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا * أو يكشفوكم عن حماكم كشفا
إنا نرى التقصير منكم ضعفا * والقتل فيكم نجدة وعرفا

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ثم حمل الرابع وهو يقول

لست لخنساء ولا للأخرم * ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم * ماض على الهول خضم خضرم
إما لفوز عاجل ومغنم * أو لوفاة في السبيل الأكرم

وقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى عليه وعلى إخوته فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته وكان عمر بن الخطاب

رضي الله عنه يعطي الخنساء رضي الله تعالى عنها أرزاق أولادها الاربعة لكل واحد منهم مائتي درهم حتى قبض رضي الله تعالى عنه

(الفصل السادس)

(في العرفاء والمحاسبين)

العرفاء رؤساء الاجناد وقوّادهم بهم يعرفون أحوال الجيش قال الشاعر

أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم

والعريف النقيب دون الرئيس وقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن مروان بن الحكم ومسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد اليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الحديث الى أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين إما السبي واما المال وقد كنت استأنيت بهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد لهم الا احدى الطائفتين قالوا فانا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء قد جاؤنا تائبين واني قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب ان يطيب ذلك فليفعل ومن أحب ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه انهم قد طيبوا وأذنوا

وأما المحاسبة فقد ثبت محاسبة النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الاسد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية بعثه على جبي الصدقات وروى مسلم رحمه الله تعالى عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاسد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه فقال هذا مالكم وهذا هدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا ثم خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم

وهذا

وهذه هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا والله لا يأخذ أحد منها شيئا بغير حقه إلا لقي الله عز وجل يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه يقول اللهم هل بلغت بصر عيني وسمع أذني كما مر ذلك في غزوة خيبر في الفصل السابع من الباب الرابع من المقالة الخامسة من الجزء الثاني

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يحاسب عماله فقد ذكر أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه حين قدم من اليمن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال له ارفع حسابك فقال له أحسابان حساب الله وحساب منكم والله لا ألي لكم عملا أبدا وكان عمر رضي الله تعالى عنه يستقدم عماله في كل سنة للمحاسبة قال أبو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفاء كان عمر رضي الله تعالى عنه ملازما للحج في مدة خلافته كلها وكان من سيرته أن يأخذ عماله بموافاته لكل سنة في موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية ويحجز عنهم الظلم ويتعرف أحوالهم عن قرب وليكون للرعية وقت معلوم ينهون إليه فيه شكاويهم قال الطبري كانه كان عمر رضي الله تعالى عنه يحاسب سعدا رضي الله تعالى عنه فيغضب فيقول عمر رضي الله عنه عزمت عليك أن لا تدعو على أحد لك ويضاحكه فإذا ذهب غضبه قال تعال نحاسبك فإنه اليوم أمير على الناس من قبلي وسعد هو ابن أبي وقاص القرشي الزهري أحد العشرة المبشرين لهم بالجنة كان يخاف الناس دعوته لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه اللهم سدد سهمه وأجب دعوته فكان مشهورا بذلك يخاف دعوته ويرجى لاشتهار إجابتها عندهم

(الباب السابع)

(في العمالات المتعلقة بالأحكام كالإمارة النائبة على النواحي والقضاء وما يتعلق به من إشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود والإرشاد في الإقطاعات والقسام وناظر الماء للتعديل وذكر المحتسب والمنادي ومن ولي حراسة المدينة والجاسوس لأهل المدينة والسجان ومقيم الحدود وفيه فصول)

(الفصل الأول)

(في الإمارة والقضاء وما يتعلق به من إشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود)

الأمراء الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لولاية الجهات كثيرون ولنذكر منهم

فأما إمارة إمارة مكة المشرفة وإمارة اليمن قال ابن إسحاق في السيرة خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد لقاء هوازن ومعه اثنا عشر ألفا عشرة آلاف من أصحابه
الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة وألفان من أهل مكة واستعمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا

وفي الشفا لابن جماعة أمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة وإقامة
الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان ولم يزل أميرا على مكة حتى قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأقره أبو بكر رضي الله تعالى عنه على مكة فلم يزل عليها إلى أن مات وصادف
وفاته يوم وفاة الصديق وذكر الزمخشري في الكشاف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله
فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن ونقل الثعالبي في تفسيره على قوله تعالى
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا عن الكلبي أنه قال السلطان النصير عتاب بن أسيد
وذكر توليته النبي صلى الله عليه وسلم إياه على مكة نحو ما ذكره الزمخشري

وأما إمارة اليمن فقد قال ابن قتيبة في الدول إن باذان ويقال باذام أسلم واستعمله النبي
صلى الله عليه وسلم على اليمن وبعد وفاته استعمل ابنه على عمله وذكر الثعالبي أن باذان
أول من أسلم من ملوك العجم وأول أمير في الإسلام على اليمن وقيل مات في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم ولى ابن باذان على صنعاء وأعمالها
فقط لا على جميع أقاليم اليمن عمل أبيه

وأما القضاء الذي هو فصل الحكم فقد تولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس
وروى مالك في الموطأ عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من
بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه
شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار ومعنى ألحن بحجته أفطن لها وإن من معاني اللحن الفطنة
للشيء وقد ورد إن من البيان لسحرا وشر أن يكون الرجل عالما بالحق فيسحر القوم
ببيانه فيذهب بالحق ولله در الشاعر حيث قال

في زخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وإن تعب قلت ذا قيء الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفهما * سحر البيان يري الظلماء كالنور

وحكم

وحكم النبي صلى الله عليه وسلم كأحكام سائر الأنبياء وقضاياهم يجوز أن يجري على الظاهر وهو حسب غالب الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فإنه لو شاء لأطلعهم على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته ولتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله الأمم باتباعهم والاقتداء بهم في أحوالهم وكان اطلاعهم على علم الله سبق في كل نازلة مما لا تسمع به أحكامهم الحكمة الإلهية فاقتضت الحكمة الإلهية تقييد أحكامهم بالظاهر والله يتولى السرائر ليطابق بذلك قانون الشرائع والأحكام وتتيسر للحكام بعدهم فصل التشاجر والخصام عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه ما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوتهم ولا يفصم عروة من عرى عصمتهم

وقد ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاء لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهم ففي سنن الترمذي أن عثمان قال لعبد الله بن عمر اذهب فاقض بين الناس قال أوتعافيني يا أمير المؤمنين قال وما تكره من ذلك وقد كان أبوك يقضي قال إن أبي كان يقضي فإن أشكل عليه شيء سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أشكل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل وإني لا أجد من أسأله وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من عاذ بالله فقد عاذ وإني أعوذ بالله أن تجعلني قاضيا فأعفاه وقال لا تخبرن أحدا وقول عثمان لعبد الله إن أباك كان يقضي أي كان قاضيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد قضاءه في خلافته بدليل جواب عبد الله بن عمر

وأما علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وهو شاب ليقضي بينهم فقال يا رسول الله إني لا أدري ما القضاء فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال اللهم اهد قلبه وسدد لسانه قال علي فوالله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيا وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء قال إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين

تلك القصاة قال فما زلت قاضيا وما تكككت في قضاء بعد كذا ذكره ابو عمرو بن عبد البر في الاستيعاب

وقال ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه أقضاهم علي بن ابي طالب وروى أن المغيرة حلف بالله ما أخطأ علي في قضاء قط وأما معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ايضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه قاضيا الى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الاسلام ويقضي بينهم وجعل له قبض الصدقات من العمال الذين باليمن وذلك عام فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة والجند بفتح الجيم والدال موضع بلدة باليمن ومنه قول الشاعر

سفلا من بلد الى بلد * يوما بصنعاء ويوما بالجند

وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن أناس من اهل حمص من اصحاب معاذ رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعثه الى اليمن قال كيف تقضي اذا عرض لك القضاء قال أقضي بكتاب الله قال فان لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله قال أجتهد رأيي ولا آلو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله ومعنى لا آلو لا أقصر

ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حقه لما بعثه قاضيا الى الجند من اليمن وان يعلم الناس القرآن وشرائع الاسلام وان يقبض الصدقات من العمال الذين باليمن أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل

ومن القضاء عقد الانكحة وتسمية ما يقع في الانكحة ففي الموطأ عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يارسول الله اني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال يارسول الله زوجنيها ان لم تكن لك بها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شئ تصدقها اياه فقال ما عندي الا ازاري هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعطيتها اياه جلست ولا ازار لك فالتمس شيئا فقال ما أجد شيئا قال التمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيئا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك شئ من القرآن فقال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحتكها بما معك من القرآن

وأما ولاية المظالم فهي خطة حادثة ولكنها في أصل وضعها داخلة في القضاء فسمي بها صاحب المظالم وقد يخالف اسمه ولها باختلاف البلاد فتسمى أمير ... أوجاكما وقد ولا يجلس من المجالس كما في هذه الأيام الأخيرة فهي ولاية عربية أحدثها من تأخر من الولاة وهي عبارة عن كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى يدا منه وذلك أن الشارع إذا كان بين خصمين قوي أحدهما على القاضي وإذا كان بين ذوي وصف عبارة والقوة في أحدهما بالولاية كظلم الأمراء والعمال فهذا مما نصب له الخلفاء أنفسهم

وأول من جلس للمظالم عبد الملك بن مروان فكان عبد الملك إذا وقف من الأحكام على مشكل أو احتاج فيها إلى حكم ينفذ رده إلى قاضيه أبي إدريس الأزدي فكان عبد الملك هو الآمر والقاضي هو المنفذ ثم جلس لها عمر بن عبد العزيز فرد مظالم بني أمية على المظلومين إذ كانت في أيدي الولاة والعمال الذين يعجز عنهم القضاة ثم صارت سنة فكان سواه الناس يجلسون لها حتى إن المأمون أحد الأيام جاءته امرأة خصمها الذي هو العباس ابنه فدخلت أمرها صاحبه يحيى بن أكثم أو وزيره أحمد بن أبي خالد أن يجلسها معه ويسطر بينهما بحضرة المأمون فيه فجعل كلامها يعلو فزجرها بعض حجاب الخليفة فقال له المأمون دعها فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه وكانت ظلامتها غصب ابنه العباس بن أمير المؤمنين على ضياعها فأمر برد ضياعها إليها والضياع جمع ضيعة وهي الأرض المغلة وعلى هذا وإلى ذلك بنى دار العدل لكشف الظلامات السلطان الصالح العادل نور الدين محمود الشهيد بسبب ما جرى بدمشق من تظالم بعض أمرائه الناس فكان ينصف من وزرائه وأمرائه الرعية

وأما الشهادة المذكورة فكانت الشروط وعهدة أمر الله عز وجل بالكتابة والإشهاد في سورة الآجال فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ثم قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم الآية وقال تعالى في سورة البقرة إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وكذلك أمر الله تعالى بالإشهاد في الوصية فقال يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت الآية وكذلك أمر بالإشهاد في الطلاق والرجعة فقال إذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأمر الله عز وجل بالإشهاد على الزنا فقال واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا

ثمانين أو بعده سكم وكذلك أمر عز وجل بوقع الحد على القاذف فقال تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة

وأما من كان يكتب من الصحابة الشروط والمداينات والمعاملات فمنهم عبد الله بن عمر ومعيقيب والمغيرة بن شعبة والحصين روى ابو داود في سننه من طريق بشر بن المفضل عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال اصاب عمر ارضا بخيبر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اصبت أرضا لم اصب مالا قط انفس عندي منه فكيف تأمرني به فقال ان شئت حبست اصلها وتصدقت بها فتصدق بها عمر انه لا يباع اصلها ولا يوهب ولا يورث للفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح على من وليها ان يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقا غير متمول منه وروى أيضا في سننه عن الليث عن يحيى بن سعيد عن صدقة عمر بن الخطاب قال نسخها لي عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب عبد الله بن عمر في ثمغ (اسم لمال بالمدينة وقفه عمر) فقص من خبره نحو حديث نافع قال غير أن لا يباع منها من ثمره فهو للسائل والمحروم وقال وساق القصة قال وان شاء ولي ثمغ اشترى من ثمره رقيقا لعمله وكتب معيقيب وشهد عبد الله بن الارقم انتهى

وأما من كان يكتب من الناس العقود والوثائق فمنهم خارجة بن زيد وطلحة بن عبد الله ابن عوف وكانا في زمانهما يستشاران وينتهي الناس الى قولهما في قسمة المواريث من أهلها من الدور والنخل والاموال وكتابة الوثائق للناس

(الفصل الثاني)

(في فرض المواريث وفارض النعمات والقسام وناظر الامور المحدثة)

فأما فارض المواريث فقد حض صلى الله عليه وسلم على تعلم الفرائض روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تعلموا الفرائض وعلموها الناس فانها نصف العلم وهو أول ما ينزع من أمتي وروى النسائي رحمه الله تعالى عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا القرآن وعلموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموها الناس وتعلموا العلم وعلموه الناس فاني امرؤ مقبوض وان العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحدا يفصل بينهما وذكان فارضا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت

روى

روى الترمذي رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمينا ألا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي الاستيعاب كان زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أحد فقهاء الصحابة الجلة الفراض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرض أمتي زيد بن ثابت

وأما فرض النفقات فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخلت هند امرأة أبي سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني إلا ما أخذت من ماله بغير علمه فهل علي في ذلك من جناح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي ما يكفيك ويكفي بنيك

وكانت الغنائم من أموال خيبر على ثلاثة وهي الشق ونطاة وحصن الكتيبة فأما الشق بكسر الشين وتشديد القاف ونطاة بفتح النون وهاء التأنيث فكانا في سهام المسلمين وكانت الكتيبة خمس الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وطعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فدك بالصلح وفدك بلدة بخيبر وكان واديا الكتيبة من فدك اللذين قسمت عليهما وادي القرى ووادي خاص وسمي وادي خلص بضم المعجمة وإسكان اللام وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما نطاة من ذلك خمسة أسهم والشق ثلاثة عشر سهما وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم الرجال ألف وأربعمائة رجل والخيل مائتا فارس فكان لكل فرس سهمان ولفارسه سهم وكان لكل سهم رأس جمع إليه مائة رجل فكانت ثمانية عشر سهما جمع وكان علي بن أبي طالب رأسا والزبير بن العوام كذلك وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وهكذا إلى أن تنحصر ثمانية عشر من سائر العرب ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة وهي وادي خاص بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها وذلك لأن أهل فدك لما اطلعوا على واديهم ودراهم صارت

تلك القرى والاموال في يد النبي صلى الله عليه وسلم من غير حرب فكان يأخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما ادعت فاطمة رضي الله تعالى عنها من بعده انه كان نحلها اياها فدك قال ابو بكر انت أعز الناس علي فقرا واحبهم الي غنى لكني لا أعرف صحة قولك ولا يجوز أن احكم بذلك فشهد لها أم أيمن ومولى للرسول صلى الله عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن فأجرى ابو بكر على ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما بقي في السلاح والكراع وكذلك عمر جعله في يد علي ليجريه على هذا المجرى ورد ذلك في آخر عهد عمر الى عمر وقال ان بنا غنى وبالمسلمين حاجة اليه وكان عثمان رضي الله عنه يجريه كذلك ثم صار الى علي فكان يجريه هذا المجرى فالأئمة الاربعة اتفقوا على ذلك

واما خمس الغنيمة الذي كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقسوما على خمسة أسهم أربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان الخمس الباقي يقسم على خمسة أسهم سهم منها لرسول الله أيضا والاسهم الاربعة لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والمراد بذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فللشافعي فيما كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم قولان أحدهما انه للمجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لانهم قاموا مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في رباط الثغور والقول الثاني انه يصرف في مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يبدأ بالأهم فالأهم وهذا في الاربعة أخماس التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما السهم الذي كان له من خمس الفيء والغنيمة فلمصالح المسلمين بلا خلاف

وفي كتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلام ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس بالجابية فقال من أراد أن يسأل عن المال فليأتني فان الله تعالى جعلني له خازنا وقاسما الا اني بادئ بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهن ثم المهاجرين الاولين الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم فمن أسرع الى الهجرة أسرع به العطاء ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته انتهى وهذا في طريقة العطية وأما باعتبار التجنيد فهو الرجل يكون له الامر بالبلد والحكم به من الامام ليحكم بين المتنازعين فيوجد عمله وكان ذلك موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

فقد

وقد ذكر أبو عمرو بن عبد البر في الاستيعاب عن جارية بن ظفر رضي الله عنه أن دارا كانت بين أخوين فحظرا في ذلك حظارا ثم هلكا وترك كل واحد منهما عقبا فادعى كل واحد منهما أن الحظار له دون صاحبه فاختصم عقباهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل حذيفة اليماني يقضي بينهما فقضى بالحظار لمن وجد معاقد القمط تليه ثم رجع فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال أصبت أو أحسنت انتهى وفي النهاية الحظار نحوه والحظار المانع من الشيء والقمط بكسر القاف ما تشد به الأخصاص من نحو ليف أو خوص وقد اختصم إليه رجلان في خص فقضى بالخص للذي تليه القمط

(الفصل الثالث)

(في ذكر المحتسب والمنادي الرفيع أي شديد الصوت وصاحب العسس ومتولي)
(حراسة المدينة والجاسوس لأهل المدينة والسجان ومقيمي الحدود)

والحسبة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإصلاح بين الناس والواجب على المحتسب أن يكون فقيها عارفا بالأحكام الشرعية ليعلم ما يأمر به وينهى عنه وأن يعمل بما علم ولا يكون قوله مخالفا لفعله فقد قال الله عز وجل في ذم علماء بني إسرائيل أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال الله عز وجل مخبرا عن شعيب لما نهى عن بخس الموازين ونقص المكاييل وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ويجب على المحتسب أن يقصد بقوله وفعله وجه الله عز وجل ويطلب مرضاته فقد قال صلى الله عليه وسلم من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله فيما بينه وبين الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ويجب على المحتسب أن يكون مواظبا على سنن النبي صلى الله عليه وسلم من قص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وتقليم الأظفار ونظافة الثياب وتقصيرها والتعطر بالمسك ونحوه وجميع ذلك من السنن الشرعية مع القيام بالفرائض والواجبات فإن ذلك أزيد في توقيره وليكن عنده الرفق ولين القول وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق عند أمره الناس ونهيه فإن ذلك أبلغ له قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وحكي أن رجلا دخل على المأمون فأمر بمعروف ونهى عن منكر وأغلظ له في القول فقال له المأمون

بأحد أن الله تعالى أمر من هو خير منك أن يلين القول لمن هو شر منى فقال لموسى
وهارون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ثم أعرض عنه ولم يلتفت إليه ولا بن
الرجل ينال بالرفق ما لا يناله بالعنف كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله رفيق يحب كل
رفيق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وليكن المحتسب ... أعرض ...
بالاستعجال بالعقوبة ولا يؤاخذ أحدا بأول ذنب يصدر منه إذا بدر لأن العصمة في الخلق
مفقودة فيمن سوى الأنبياء فإذا عثر على إنسان وقد نقص في المكيال أو بخس في الميزان أو غش
بضاعة استتابه عن معصيته ووعظه وخوفه وأنذره العقوبة والتعزير فإن عاد إلى
فعله عزره بحسب ما يليق به من التعزير وبحسب الجناية ويتخذ المحتسب سوطا ودرة وأعوانا فإن ذلك
أرهب للقلوب العامة وأشد خوفا ويلازم الأسواق والدروب في أوقات الغفلة
ويتخذ له عيونا يوصلون إليه الأخبار وأحوال السوقة ومن الشروط اللازمة للمحتسب
أن يكون عفيفا عن أموال الناس متورعا عن قبول الهدية من المتعيشين وأرباب
الصناعات فإن ذلك رشوة وقد قال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من السحت فالنار
أولى به قيل وما السحت يا رسول الله قال الرشوة في الحكم

وقد وردت الأحاديث في الحسبة فمن ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت
أصابعه بللا فقال يا صاحب الطعام ما هذا فقال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا
جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ثم قال من غش فليس منا قال أبو عيسى الترمذي
هذا حديث حسن صحيح وخرج مسلم أيضا عن أبي هريرة نحوه وروى ابن المنذر عن
عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وقف على طعام
سوق المدينة فأعجبه حسنه فأدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في جوف الطعام
فأخرج شيئا ليس بالظاهر فأفف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاحب الطعام ثم نادى
أيها الناس لا غش بين المسلمين من غشنا فليس منا وقوله فأفف أي قال أف ضجرا
واستقذارا وروى الترمذي عن أنس بن مالك قال غلا السعر على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال إن الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق إني
لأرجو أن ألقى ربي وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال قال أبو عيسى هذا
حديث حسن صحيح وعلى عدم التسعير إذا لم يتعد أرباب الطعام عن القيمة تعديا فاحشا
وقدروه بتضعيف القيمة ولا بأس بالتسعير بمشورة أهل الرأي في مذهب أبي حنيفة

وعل

ونقل بعضهم أن مذهب أبي حنيفة كالجمهور ولا يجوز التسعير إلا في حالتي الغلاء والرخص بدون فرق بين الجالب وغيره لعموم الحديث وإنما إذا باعوا كارهين السعر صح مع أنه كره الابتياع منهم ما لم تطب به نفوسهم وأوجب الإمام مالك على الوالي التسعير عام الغلاء

ومع قوله صلى الله عليه وسلم إن المسعر هو الله فقد قال ابن رشد من المسائل ما نصه أما الجالب فلا اختلاف أنه لا يسعر عليهم شيء مما جلبوه للبيع وإنما يقال لمن شذ منهم فحط السعر وباع بأغلى مما يبيع به عامتهم إما أن تبيع بما يبيع به العامة وإما أن ترفع من السوق كما فعل عمر رضي الله عنه بحاطب بن أبي بلتعة إذ مر به وهو يبيع زبيبا له في السوق فقال له إما أن تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا لأنه كان يبيع بالدرهم أقل مما كان يبيع به أهل السوق وأما أهل الحوانيت والأسواق الذين يشترون من الجالب وغيرهم جملة ويبيعون ذلك على أيديهم مقطعا مثل اللحم والأدم والفواكه فقيل إنهم كالجالب لا يسعر عليهم شيء من بياعاتهم وإنما يقال لمن شذ منهم وخرج عن الجمهور إما أن تبيع كما يبيع الناس وإما أن ترفع من السوق وهو قول مالك في رواية أشهب وقيل إنهم في هذا بخلاف الجالب لا يتركون على البيع باختيارهم إذا أغلوا على الناس ولم يقنعوا من الربح بما يشبه وأن على صاحب السوق الموكل على مصلحتها أن يعرف بما يشترون فيجعل لهم من الربح ما يشبه (أي ما يناسب) وينهاهم أن يزيدوا على ذلك ويتفقد السوق أبدا فيمنعهم من الزيادة على الربح الذي جعل لهم كما يعلب السعر من زيادة أو نقصان فمن خالف أمره عاقبه بما يراه من الأدب وبالإخراج من السوق إن كان معتادا لذلك مستمرا به وهو قول مالك في الرواية الأخرى وقاله من السلف جماعة منهم سعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد وهو مذهب الليث بن سعد ولا يجوز عند أحد من العلماء أن يقول لهم لا تبيعوا إلا بكذا وكذا ربحتم أو خسرتم من غير أن ينظر إلى ما يشترون به ولا أن يقول لهم فيما قد اشتروه لا تبيعوا إلا بكذا وكذا مما هو مثل الثمن الذي اشتروه به أو أقل وإذا ضرب لهم الربح على قدر ما يشترون فلا يتركهم أن يقول لهم تزيدون في الشراء كذا وكذا فلا يتركهم أن يغلوا في الشراء وإن لم يزيدوا في الربح إذ قد يفعلون ذلك ويتساهلون فيه إذ لا ينقص بذلك ربحهم شيء وإذا علم ذلك منهم صرف لهم الربح على ما يعلم من بلغ السعر وقال لهم لا يحل لكم أن تبيعوا إلا كذا وكذا ولا تشتروا إلا على هذا الشرط

وأما مذهب الشافعي رضي الله عنه فعدم جواز التسعير لما رواه ابن ماجه عن أنس ابن مالك أنه غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا فقال إن الله القابض الباسط المسعر وإني لأرجو أن ألقى الله تعالى ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال والمراد بالمال التسعير فإنه دل الحديث على أن التسعير حرام ووجه الدليل أنه جعل التسعير مظلمة والظلم حرام وأيضا قوله إن الله هو المسعر أي لا غيره فيه دلالة على الحرمة وأيضا الناس مسلطون على أموالهم وفي التسعير حجر عليهم وأيضا الإمام مأمور برعاية مصلحة الكافة وليس نظره في مصلحة المشتري برخص الثمن أولى من نظره في مصلحة البائع بوفور الثمن فإذا تقابل الأمران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لأنفسهم ولذلك جعل صلى الله عليه وسلم التسعير ظلما على ما فهمه المحدثون لأن فيه إلزامه بيع سلعته بغير الإرضاء وهو منافي قوله تعالى إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم فهذا مدرك الإمام الشافعي رضي الله عنه وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله

وقد ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم السوق لمن بعده فقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيبعث عليهم من يمنعهم أن يبيعوه حتى يؤووه إلى رحالهم وخرج مسلم نحوه وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال دعوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض وقال أبو عمر بن عبد البر استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية بعد الفتح على سوق مكة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف خرج معه وكان السائب بن يزيد عاملا لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله تعالى عنهم واستعمل عمر رضي الله تعالى عنه من النساء الشفاء على سوق المدينة وكان رضي الله تعالى عنه يقدمها في الرأي

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في هذا المعنى سمراء بنت نهيك الأسدية وقال أدركت

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر وكان عمر في الأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويضرب الناس على ذلك بسوط معه

وأما المنادي الذي يقال له الصوت الرفيع أي الشديد فقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخ (يعني البسر) ينبذ في الماء فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال أبو طلحة اخرج فأهرقها فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة فقال بعض القوم قد قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية وروى البخاري أيضا عن زاهر الأسلمي وكان ممن شهد الشجرة قال إني لأوقد تحت القدور بلحوم الحمر إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاكم عن لحوم الحمر وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه قال غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة كذا وكذا فضيق الناس المنازل وقطعوا الطريق فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي في الناس أن من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له

وأما صاحب العسس في المدينة فقد كان ذلك أيضا من عهد النبي صلى الله عليه وسلم روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا يحرسني الليلة قال فبينما نحن كذلك إذ سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال سعد وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

وفي خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه تولى عمر بن الخطاب العسس فكان أول عاس في الإسلام الخليفة وتولى إمارة العسس عبد الله بن مسعود فقيل له في أيام ولايته هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذه وقيل إنه قيل له ذلك في الوليد بن عقبة والعسس الطواف بالليل للكشف عن أهل الريبة وكان عمر رضي الله تعالى عنه يتولى العسس بنفسه ويستصحب معه أسلم مولاه وربما استصحب عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما

ومن أخباره فيما ذكره الثعلبي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما قال خرجت ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مغلق أي مغلق على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر هذا بيت ربيعة بن أمية ابن خلف وهم الآن شرب فما ترى قال أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عز وجل عنه قال ولا تجسسوا فقد تجسسنا فانصرف وتركهم

ولا نعلم نصا صريحا في تولية حراسة أبواب المدينة في زمن الهجرة في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه يخرج من حديث حراسة سعد رضي الله عنه المتقدم وأما في خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه فقد ثبتت هذه العمالة فقد ذكر أبو الفرج الجوزي رحمه الله تعالى في كتاب مشكل الصحيحين البخاري ومسلم في الكلام على مسند حديث أبي هريرة ما نصه كان طليحة بن خويلد قد ادعى النبوة في بني أسد وكان يقال له ذو النون واجتمعت عليه العرب وارسلوا وفودا أن يقيموا الصلاة ويعفوا من الزكاة فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال إن الله توكل بهذا الأمر فهو ناصر من لزمه وخاذل من تركه وإنه بلغني أن وفودا من وفود العرب قدموا يعرضون الصلاة ويأبون الزكاة ألا إنهم لو منعوني عقالا (يعني صدقة عام قال أحدهم فقال هذا العام إذا أخذ صدقته وقيل أراد الحبل الذي كانت تعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة) مما أعطوه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فرائضهم ما قبلته ألا برئت الذمة من رجل من هذه الوفود أخذ بعد يومه وليلته بالمدينة قال فجعلوا يتخطون رقاب الناس حتى ما بقي في المسجد منهم أحد ثم دعا نفرا فأمرهم أمره فأمر عليا بالقيام على نقب من أنقاب المدينة (قال ابن وهب يعني مداخل المدينة وهي أبوابها وفوهات طرقها التي يدخل منها إليها) وأمر الزبير بالقيام على نقب آخر وأمر طلحة بالقيام على نقب آخر وأمر عبد الله ابن مسعود بعسس ما وراء ذلك بالليل والارتباء نهارا وجد في أمره وقام على ساق رضي الله عنه وعنهم فمن ذلك يوجد أن عبد الله بن مسعود كان صاحب العسس بالليل والارتباء أي المراقبة والتجسس بالنهار وأن ذلك كان على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه ولم يثبت صراحة في أن الربيئة لأهل المدينة في زمن الهجرة كان معلوما في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه يخرج من حديث سعد السابق وكان أيضا ولي المراقبة غير عبد الله بن مسعود محمد بن مسلمة المتقدم المعدود أيضا فكان عبد الله بن مسعود ومحمد ابن مسلمة يطوفان بالفوارس للحراسة ليلا والارتباء نهارا

واما

وأما الحبس فهو موجود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم حبس في الرجال والنساء فأما حبسه للرجال فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم حبس رجلا في تهمة وروى الترمذي رحمه الله تعالى عن بهز بن حكيم وزاد ثم خلى عنه وقال حديث حسن قال بعضهم للأمير الحبس للمتهم للكشف والاستبراء ومدته غير مقدرة وذكر أبو عبد الله الزبيري من أصحاب الشافعي أن حبس الاستبراء والكشف مقدر بشهر واحد لا يتجاوزه وقال غيره هو غير مقدر بل موقوف على رأي الأمير واجتهاده وليس للقضاة حبس إلا بحق واجب وللأمير مراعاة شواهد الحال وأوصاف المتهم في قوة التهمة وضعفها فإن اتهم بسرقة وكان فيه آثار الضرب أو معه منقب قويت التهمة وقويت وليس ذلك للقضاة

ويجوز للأمير مع قوة التهمة أن يضرب المتهم ضرب تعزير لا ضرب حد ليأخذه بالصدق عن حاله فيما قرف به أو اتهم فإن أقر وهو مضروب فينظر فإن كان ضرب ليقر لم يكن له حكم وإن ضرب ليصدق فأقر تحت الضرب قطع ضربه واستعيد إقراره فإن أعاده كان مأخوذا به دون الأول وإن اقتصر على الأول فله العمل بالإقرار الأول وإن كان كرها وهذا كله في أمير ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع يضعف له التهمة في المرفوع به إلا فيما غلب ظنه واختار النووي عدم صحة إقرار المكره بالضرب على الصدق أو الإقرار قال وهو الذي يجب اعتقاده في هذه الأعصار ولا يمنع من ذلك ما أخرجه أبو داود والنسائي رحمهما الله تعالى أن قوما من الكلاعيين سرق لهم متاع فاتهموا أناسا من الحاكة فأتوا النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه فحبسهم أياما ثم خلى سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان فقال لهم إن شئتم ضربتهم فإن خرج متاعكم فذاك وإلا أخذت لهم من ظهوركم مثل ما أخذت من ظهورهم فقالوا هذا حكمك فقال هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصمة في ترك امتحان السارق بالضرب عند عدم قيام القرائن الركازية وبالجملة فالأدلة على عقوبة المتهم بالحبس موجودة في أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وفي أقواله وفي سياسة الخلفاء والملوك وقال بعضهم لأن يخطئ الحاكم في الحكم خير من أن يخطئ في العقوبة

قال ابن القيم ما علمت أحدا من المسلمين يقول إنه إذا رفع متهم بقطع طريق أو سرقة أو سفك دم وادعي عليه بهذه الدعاوى وما أشبهها يحلف ويرسل بلا حبس ولا غيره بل

ليس بطلبه وارساله مذهب لاحد من الائمة الاربعة ولا غيرهم فانا لو حلفنا كل واحد منهم وخلينا بينهم مع العلم بافساده في الارض وكثرة الرشوة وقلنا لا نأخذه الا بشاهدي عدل كان مخالفا للسياسة الشرعية ومن ظن ان الشرع انما مضى بطلبه وارساله فقد غلط غلطا فاحشا

قال في معين الحكام ما معناه ان السياسة نوعان ظالمة وعادلة فالسياسة الظالمة تحرمها الشريعة واما السياسة العادلة التي تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيرا من المظالم وتردع أهل الفساد وتردع أهل العناد وتوصل الى المقاصد الشرعية فالشريعة توجب المصير اليها والاعتماد عليها في اظهار الحق وهي باب واسع تضل فيه الافهام وتزل فيه الاقدام واهماله يضيع حقوق العباد ويجري أهل الفساد والعناد والتوسع فيه يفتح أبواب الظلم وقد يفضي الى سفك الدم وأخذ الاموال بغير حق ولهذا كان الناس فيه على ثلاث طوائف طائفة سلكت المسلك المذموم فقطعت النظر عن هذا الباب ظنا أن تعاطيه مناف للقواعد الشرعية فسدوا من طرق الحق سبلا واضحة وعدلوا الى طرق من الفساد فاضحة وانكروا السياسة الشرعية مع ان نصوص رد هذا الانكار كثيرة حسبما فعلها الخلفاء الراشدون وطائفة سلكت في السياسة الشرعية مسلك الافراط فتعدوا حدود الله وخرجوا عن قانون الشرع الى أنواع من الظلم والبدع وتمسكوا في ذلك أنواعا كثيرة من القبائح بسبب عن الجهل والغلط الفاحش وطائفة توسطت فسلكت مسلك الحق حيث علمت ان في السياسة الشرعية كمال الكامل بصلاح الامة كيف وقد قال عز من قائل اليوم أكملت لكم دينكم وقال عليه الصلاة والسلام ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي وتحرت في ذلك جادة الانصاف ونكبت عن طرق الاعتساف والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وقال العلامة القرافي في الذخيرة قد علم انه ليس في التوسعة على الحكام في الاحكام السياسية مخالفة للادلة العقلية ولا للقواعد الشرعية بل في الادلة ما يشهد لذلك كما تشهد له القواعد الشرعية وقد اتى على كلام صاحب الاحكام السلطانية ومن ثمه كما سبق انه ليس للقاضي أن يتكلم في السياسة وانه لا مدخل له فيها قال ابن القيم

وذلك

وذلك من حيث أن عموم الأمكان وخصوصها أو حسب حكمه بالشرع وما يستعده المتولي للولاية يتلقى من الألفاظ والأحوال والعرف وليس لذلك حد في الشرع

وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك قال أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

وذكر محمد بن إسحاق في السير في خبر بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حبسهم بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم إرسالا إلا هي

قال بعضهم إن المراد بالحبس تعويقه ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان ذلك المنع حاصلا في بيت أو مسجد أو غير ذلك وليس المراد به الحبس المعلوم الآن لأن ذلك لم يعهد في زمنه صلى الله عليه وسلم ولو كان المراد تعويق المحبوس من التصرف بنفسه وكان الأغلب وقوع ذلك بملازمة ذي الحق له بنفسه أو بنائبه فهذا ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدر من خلافة عمر وقد بوب البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه فقال باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد والأسير هو المحبوس والغريم من عليه الدين أو نحوه وكان شريح يأمر الغريم أن يحبس في المسجد إلى أن يقوم بما عليه من الحق ولما انتشرت الرعية في عهد عمر رضي الله عنه اتخذ سجنا خاصا به وأول من اتخذه كما أنه أول من مصر الأمصار واتخذ القضاة واتخذ الديوان وفرض الفرائض وعرف العرفاء فهو الذي سن ذلك كله ثم مضى على ذلك الخلفاء من بعد عمر من الصحابة ومن بعدهم

وأما نفي البلد فقد ذكر ابن إسحاق في السير في خبر إسلام عدي بن حاتم وذكر فراره إلى الشام حين سمع بخيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وطئت بلادهم قال عدي فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألحق بأهل ديني من النصارى من الشام فسلكت الجوشيه

وحلفت لا تجاوز الحائر فلما قدمت الشام أقبلت بها وصالعني حتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقضت نحبه ابنة حاتم ممن أصابت فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبايا من طيء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلى الشام فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد وكانت السبايا يحبسن فيها الجابري والحوشية بالجيم والحاء المهملة اسم موضع للسماوة والجناح وهي أرض لبني العنبرة والحائر الحي العظيم والحظيرة ما أحاط بالشيء وهي من قصب وخشب وقد ذكرنا ما نحو لما في الفصل الذي في ذكر أسلافه صلى الله عليه وسلم من الباب الخامس من المقالة الخامسة من الجزء الثاني وكذلك كان الحبس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد ذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حبس الحطيئة في قوله للزبرقان بن بدر رضي الله عنه

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

بعد أن سأل حسان بن ثابت ولبيدا فقالا إنه هذا القول هجاء له وضعة منه فأمر به فحبس فقال الحطيئة

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الإثر
أهلي فداؤك كم بيني وبينهم * من عرض داوية تعمى بها الخبر

فكلمه فيه عبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص واستوهباه فأخرجه من السجن وقوله في البيت * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي * أراد المكسو كما قال تعالى من ماء دافق أي مدفوق وعيشة راضية ولم يكن عمر رضي الله عنه يجهل معنى الهجاء في قول الحطيئة للزبرقان ولكن كره أن يتعرض لشأنه اعتمادا على فهمه

وكذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه حبس في أيامه بالكوفة بنى سجنا سماه نافعا ولم يكن حصينا كما قاله البكري لم يكن من قصب وكان المحبوسون يخرجون منه فهدمه وبنى سجنا آخر سماه مخيسا وفيها يعني مخيس الناس أي يذللهم عليهم فيه وقال إن مخيسا من الخشاب واستشهدوا لعلي رضي الله تعالى عنه

ألا تراني كيسا مكيسا * بنيت بعد نافع مخيسا * حصنا حصينا وأميرا كيسا

قال العلماء في الخاصكم أن بعد هذا الحبس ينبغي له أن يتفقد حال من

في العصور بأنها من العقوبات الا ما عندا ل قوله تعالى الا أن يسجن أو عذاب أليم فعبر به تعالى بالعذاب وأما معنى الحدود فكتاب الحدود على قسمين إيجاب واستيفاء فكان إيجاب الحدود مفوضا للقضاة وأما استيفاؤها أي اجراؤها فقد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم منهم علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الانصاري وولاية الحدود من أشرف الولايات لانها على أشرف الأشياء وهي الأبدان فلمصيبة الناس وتحسينهم بالتوبة أي منع كثيره من أغراضهم فهذا من أغراض السلف الصالح صار إلزامهم بالدلالة يحصل هذه الولاية فيما يقتدي بها الناس وأحسابهم ومحمد بن مسلمة المذكور ويكنى أبا عبد الرحمن كان من فضلاء الصحابة شهد بدرا والمشاهد كلها وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الأشرف وكان يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في بعض غزواته واعتزل الفتنة ولم يحارب في فتنة أصلا واتخذ سيفا من خشب وجعله في جفن وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ولم يشهد الجمل ولا صفين وأقام بالربذة وهي موضع خارج المدينة الذي جعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمى لابل الصدقة فكان حماه بريدا في بريد ثم زادت الولاة في الحمى اضعافا وأبيحت الأحماء في أيام المهدي العباسي ولم يحمها أحد بعد ذلك ومات محمد بن مسلمة بالمدينة ولم يستوطن غيرها ومات في صفر سنة ثلاث وأربعين سنة وهو ابن سبع وسبعين سنة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ أمير على المدينة وكان عالما بالله قارئا رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿الباب الثامن في العمالات الجهادية وما يتعلق بها أو يتعلق بها وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الامارة على الجهاد واستخلاف الامام على حضرته أي مدينته أو على أهله اذا خرج عنها للغزو أو غيره وذكر المستخلفين﴾

قد تولى الامارة على الجهاد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه في غزواته وأكثر أهل العلم في ذلك أن غزواته بنفسه كانت ستا وعشرين غزوة ومنهم من رأى انها سبع وعشرون غزوة فالقول الاول مبني على جعل منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادي القرى غزوة واحدة والقول الثاني يجعل غزوة خيبر مفردة والمنصرف الى وادي القرى غزوة أخرى فعدد خيبر مع وادي القرى الرابع في عدد الغزوات من هذا الوجه لانه صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر انصرف منها الى وادي القرى من غير

ان يأتي المدينة وكان أشرف غزواته صلى الله عليه وسلم وأعظمها حرمة عند الله تعالى وعند رسوله والمسلمين غزوة بدر الكبرى حيث قتل الله صناديد قريش وأظهر دينه من يومئذ وليس في غزواته ما يعدلها في الفضل ويقرب منها الا غزوة الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان وقد تقدم ذكر ذلك في الفصل الثاني من الباب الرابع من المقالة الخامسة

وأما بعوثه صلى الله عليه وسلم [illegible] وذوي سراياه فكانت سراياه كثيرة وأوصلها بعضهم الى ست وخمسين سرية والسرية قطعة من الجيش وقال خير السرايا أربعمائة وكان صلى الله عليه وسلم يستخلف على المدينة في كل وجه من وجوهه من يثق باستخلافه وقد ذكرنا فيما سبق من الغزوات من استخلفهم وقد استخلف في غزوة الابواء على المدينة سعد بن عبادة واستخلف في غزوة تبوك محمد بن مسلمة الانصاري وقيل سباع بن عرفطة وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يستخلف على أهله في سفره وقد ذكر أرباب السير أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة مرجعه من عمرته لست بقين من ذي القعدة من سنة ثمان ثم أقام بالمدينة ما بين ذي الحجة الى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ الى غزوة الروم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة الا كنى عنها الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو ليتأهب الناس لذلك ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب معسكره على ثنية الوداع واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري وقيل سباع بن عرفطة وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه على أهله وأمره بالاقامة فيهم فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا منه فأخذ علي بن أبي طالب سلاحه حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف وحكى ما قاله المنافقون فقال كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي فرجع علي الى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره وقد تقدم ذكر ذلك في غزوة تبوك في الفصل التاسع من الباب الرابع من المقالة الخامسة

وأما المتقدم فهو من يطلب الأخبار للعسكر وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

اس

ابن سفيان الخزاعي الكعبي مع بديل بن ام أصرم الى خزاعة يستنفرهم الى قتال اهل مكة عام الفتح وبعثه صلى الله عليه وسلم نمير بن سفيان الى مكة عينا على فرس فأخبره خبر قريش وجمعهم بالطريق

(الفصل الثاني في صاحب اللواء وذكر أول لواء عقد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وكان بريدة قد جعل مائة من الابل لمن أخذ النبي صلى الله عليه وسلم فيرده عليهم حين توجه الى المدينة فأقبل بريدة في سبعين راكبا من اهل بيته من بني سهم فلقوا النبي صلى الله عليه وسلم ليلا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت قال أنا بريدة فالتفت الى ابي بكر فقال يا ابا بكر برد أمرنا وصلح ثم قال ممن قال من اسلم قال سلمنا ثم قال ممن قال من بني سهم قال خرج سهمك فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم ممن انت قال محمد بن عبد الله ورسول الله قال بريدة أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله قال فأسلم بريدة وأسلم الذين معه جميعا فلما أن أصبح قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة انتهى

وروى البخاري عن عبد الله بن مسلم الاسلمي من اهل مرو قال سمعت عبد الله بن بريدة يقول مات والدي بمرو وقبره بالجصين (بكسر الجيم بعدها صاد مهملة مشددة موضع بمرو من خراسان) وهو قائد أهل المشرق ونورهم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل مات من اصحابي ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة

وممن حمل راية النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ليقاتل بها أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فقد ذكر أهل السير أن في غزوة خيبر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر في شهر المحرم من سنة سبع ودفع الراية الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكانت بيضاء ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم ما افتتح انتهى الى حصنهم الوطيح وكان آخر حصون اهل خيبر افتتاحا لكن كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه براية الى بعض حصون خيبر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث من الغد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله

انس بعرار مد طار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وهو أرمد فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ثم قال خذ الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك فخرج والله بها يأنح (أي يهرول من شدة العدو) يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم حجارة تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن وقال من أنت قال أنا علي بن أبي طالب فقال اليهودي علوتم وما أنزل على موسى انتهى

وممن حمل الراية الزبير بن العوام عام الفتح روى البخاري انه لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشا خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل ابن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بكماله وفيه ثم جاءت كتيبة وهي أجل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم

ومنهم سعد بن معاذ رضي الله عنه قال اهل السير في أخبار بدر وبدر الكبرى انه كان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع علي بن أبي طالب والاخرى وهي راية الانصار كانت مع سعد بن معاذ

ومنهم سعد بن عبادة قال ابن اسحاق في أخبار يوم الفتح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل الزبير بعض الناس من كدا وسعد بن عبادة بعض الناس من ثنية كدى فزعم بعض اهل العلم ان سعدا قال حين دخل فيهم اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قال ابن هشام هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله ما نأمن سعد بن عبادة من أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب ادركه فخذ الراية فكن أنت الذي يدخل بها وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الراية حين انتزعها من يده لولده قيس وقيل اعطاها الزبير وقيل اعطاها لعلي والاقوى انه صلى الله عليه وسلم اعطاها لقيس بن سعد وقد روى البخاري ان قيس بن سعد كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر بن عبد البر في الاستيعاب واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية إذ نزعها من ابيه لشكوى قريش يومئذ وكانت الراية يوم الفتح بيد سعد بن عبادة فلما مر بها على أبي سفيان وكان قد أسلم ابو سفيان فقال سعد إذ نظر اليه اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا فأقبل رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم في كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه يا رسول الله أمرت بقتل قومك فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا وقال اليوم يوم الملحمة * اليوم تستحل الحرمة * اليوم أذل الله قريشا أنشدك الله في قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ما نأمن سعدا أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا وقال ضرار بن الخطاب يومئذ

يا نبي الهدى إليك لجا حي * قريش ولات حين لجاء
إن سعدا يريد قاصمة الظهـ * ـر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيـ * ـظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لا يهم بشيء * غير سفك الدما وسبي النساء
إذ ينادي بذل حي قريش * وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللوا ونادى * يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخز * رج والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش * بقعة القاع في أكف الإماء
فانهينه فإنه أسد الأسـ * ـد لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمـ * ـر سكوتا كالحية الصماء

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد ونزع اللواء من يده وجعله في يد قيس ابنه ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج عن الأنصار إلى ابنه وأبى سعد أن يسلم اللوا إلا بأمارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه بعمامته فعرفها سعد فدفع اللوا إلى ابنه قيس

وعن جابر رضي الله عنه قال خرجنا في بعث كان عليهم قيس بن سعد فنحر لهم تسع ركائب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك من فعل قيس بن سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من شيمة أهل ذلك البيت ثم صحب قيس بن سعد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وشهد معه الجمل وصفين والنهروان هو وقومه ولم يفارقه حتى قتل وهو القائل في صفين

هذا اللواء الذي كنا نحف به * مع النبي وجبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الأنصار عيبته * أن لا يكون له من غيرهم أحد

قوم اذا جار نواطالب أكعهم * بالمشرفية حتى تفتح البلد

ولما خلع الحسن رضي الله عنه الخلافة على معاوية خرج قيس بن سعد من عسكره وعصب على الحسن وبذره بقول حسن فاجتمع اليه قومه وكانوا خمسة آلاف فحلقوا رؤسهم بعد ما مات علي رضي الله عنه وتبايعوا على الموت فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس ان يدخل وقال لاصحابه ان شئتم جالدت بكم أبدا وان شئتم اخذت لكم أمانا فقالوا خذ لنا أمانا فأخذ لهم كذا وكذا وان لا يعاقبوا بثوابه ويجعل منهم ولم يأخذ لنفسه خاصة شيئا والتزم لهم معاوية الوفاء بما شرطوه ثم لزم قيس المدينة وأقبل على العبادة حتى مات بها سنة ستين في آخر خلافة معاوية

ومن أخباره في الكرم ان رجلا استقرض منه مالا من ألفا فلما ردها عليه أبى أن يقبلها وقال إنا لا نعود في شيء أعطيناه وكان له مال كثير يردونه على الناس فمرض واستبطأ عواده فقيل له انهم يستحيون من أجل دينك فأمر مناديا ينادي من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له فأتاه الناس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها اليه وتوفي أبوه عن حمل لم يعلم به وقد كان سعد قسم ماله حين خرج من المدينة بين ولده فكلم أبو بكر وعمر في ذلك قيسا رضي الله تعالى عنهم وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القسمة فقال نصيبي للمولود ولا أغير ما صنع أبي ولا أنقضه وقصته مع العجوز التي شكت اليه انه ليس في بيتها جرذ فقال لها ما أحسن ما سألت أما والله لا كثرن جرذان بيتك فملأ بيتها طعاما وودكا وإداما

وكان صلى الله عليه وسلم يعقد الرايات لامراء الجيوش والسرايا قال أهل السير أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن قصي في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بعد رجوعه من غزوة الابواء بالمدينة بقية صفر وصدرا من ربيع الاول من السنة الثانية من الهجرة وبعث في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة المذكور وعقد له الراية فسار حتى التقيا بالحجاز بأسفل ثنية المرة ولقي بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في الاسلام ثم انصرف القوم عن القوم قال ابن اسحاق فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسلمين وبعض العلماء يزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين

إذ سل من الابواء قبل أن يصل الى المدينة و بعث فى مقدمته ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هشام الى سيف البحر من ناحية العيص (اسم محل) فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان موادعا للفريقين جميعا فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال فلهذا قيل ان راية حمزة كانت أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسلمين وقد جمع بعض أهل السير بين القولين أن بعث حمزة و بعث عبيدة كانا معا فاشتبه ذلك على الناس وقد ذكر ابن قتيبة فى دلائل الاسلام أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه خرج فى امارة له أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذى القصة (موضع فى طريق العراق من المدينة) وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته أخو النعمان بن مقرن وعلى ساقته سويد بن مقرن ففرق الله تعالى له وللمسلمين فى حروبه الفوز والنصر

(الفصل الثالث فى انقسام الجيش الى خمسة أقسام)

ينقسم الجيش الى خمسة أقسام مقدمة وتسمى الطليعة ويجنب وتسمى الميمنة ويجنب ويسرى وتسمى الميسرة وقلب وساقة وبهذا سمى الجيش خميسا لأنه ينقسم على خمسة أقسام وانما سمى القلب قلبا لتوسطه واحاطة سائر الاقسام به كتوسط قلب الانسان فى جسده أو لكون القلب فيه المكان الرئيس الذى هو سيد الجيش وسمى الجناحان بذلك لاحاطتهما بالقلب من الجانبين وسميت المقدمة مقدمة لتقدمها وأما الساقة فانها مأخوذة من قولهم ساق الشئ وقاده من ورائه فساقة العسكر آخره وقلب الجيش محل الامام وقد يسمى الامام يوم لقاء العدو مكانه من قلب الجيش رجلا و يلبس الامام لامته و يلبس هو لامة الامام اى آلة حربه خداعا على الامام كما فعل ذلك كعب بن مالك ابن أبى مالك السلمى رضى الله تعالى عنه يوم أحد حين لبس لامة النبى صلى الله عليه وسلم وكانت صفراء ولبس النبى صلى الله عليه وسلم لامته فجرح كعب بن مالك احد عشر جرحا

وكان لكل من هذه الخمسة رئيس يسمى صاحب و يقال صاحب المقدمة وقد ولى صاحب المقدمة بين يديه صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة ابو عبيدة بن الجراح و يوم حنين

خالد بن الوليد بني سليم وجرح يومئذ فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحله بعد ما هزمت هوازن ليعرف خبره ويعوده فنفث في جرحه فانطلق

وأما المقدمة على المجنبة فقد روى أبو هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى وجعل الزبير على المجنبة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي (والبياذقة هم الحسّر الرجالة ويسمون الآن بيادة) ومنها أسلم وسليم وغفار ومزينة وقبائل من قبائل العرب وقد تقدم في غزوة فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كَداء وكان الزبير على المجنبة اليسرى وأما المقدَّم على الساقة فقد قال ابن إسحاق في السير في خبر غزوة بدر الكبرى وكانت في السنة الثانية من الهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال مضين من رمضان في أصحابه وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار

وفي غزوة أحد كان المقدم على الرماة كما رواه البخاري عن البراء بن عازب عبد الله ابن جبير وكانوا خمسين رجلا وهو أخو بني عمرو بن عوف وكان يومئذ معلما بثياب بيض فقال له صلى الله عليه وسلم انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لنؤتين من قبلك وعبد الله بن جبير هو ابن النعمان بن أمية بن امرئ القيس وهو البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري شهد العقبة ثم شهد بدرا واستشهد يوم أحد وكان يومئذ أميرا على الرماة وممن كان في الصحابة يعدّ من الرماة أبو طلحة الأنصاري النجاري وكان عن نصرب بفناء الإمام وكان أكثر الأنصار مالا واسمه زيد شهد العقبة ثم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وهو القائل

أنا أبو طلحة واسمي زيد * وكل يوم في سلاحي صيد

وعن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على قوله عز وجل انفروا خفافا وثقالا فقال لا أرى ربنا إلا أن يستنفرنا شبانا وشيوخا جهزوني جهزوني (وكانت الغزوات في صدر الإسلام بالجهاز والنفقة) فقالوا له يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فقال لا جهزوني فغزا في البحر فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها وهو لم يتغير وهذا رأي أهل البصرة والمعلوم عند غيرهم أنه توفي بالمدينة وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان وعن أنس بن مالك كان أبو طلحة

يجثو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء ثم ينثر كنانته بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من قتل قتيلا فله سلبه فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم

وكان على الناس في يوم القادسية سعد بن أبي وقاص وكان به جراح فلم يشهد الحرب واستخلف خالد بن عرفطة ففتح الله على المسلمين فقال رجل من بجيلة

ألم تر أن الله أظهر دينه * وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد اللهم اكفنا يده ولسانه وكان له فتح القادسية وغيرها وهو الذي عمر الكوفة ونفى الأعاجم منها وتوفي سنة خمس وخمسين من الهجرة وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة موتا في زمن معاوية

(الفصل الرابع في صاحب الخيل والمسابقة)

أمر سبحانه وتعالى بارتباط الخيل وأعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل في سبيل الله ونظر عليها من يحسنها قال الله عز وجل وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية وروى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقي في الكراع (الخيل) والسلاح عدة في سبيل الله وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفراس كثيرة محاسنها لا تخفى على من ... والجد لعب فيه خمسة عشر عددها وذكر ابن إسحاق في غزوة بني قريظة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل رضي الله تعالى عنه بسبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع له بها خيلا وسلاحا وكان صلى الله عليه وسلم أذن لمن يركبها من الصحابة للمسابقة بها قال عبد الله بن سهل بن سعد الساعدي سبق على فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه صلى الله عليه وسلم بردا يمانيا وإن أبا أسيد (بضم الهمزة) الساعدي سبق على فرس فلما طلع الفرس جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه واطلع من الطاق (أي الكاس العالي) أو قال كأنه بحر وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أجرى فرسه مع خيول المسلمين من الحصباء بمكة فجاء فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقا فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه حتى إذا مر به قال إنه لبحر قال عمر رضي الله عنه الحطيئة كاذب حيث يقول

وإن جياد الخيل لا تستفزني * ولا جاعلات العاج فوق المعاصم

لو كان أحد صابرا عن الخيل لكان أحقهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البخاري عن موسى بن عقبة عن أبي إسحاق عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي قد أضمرت فأرسلها من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع قال أبو إسحاق فقلت لموسى وكم بين ذلك قال ستة أميال أو سبعة وكان ابن عمر ممن سابق فيها

وقد اتخذ عمر رضي الله عنه الخيل عدة في سبيل الله عز وجل في كل مصر على قدره ولا من فضول أموال المسلمين عدة لما يعرض فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنع سوابقها ويضمرها في كل يوم وجعل بالبصرة نحوا منها وقيمه عليها جزء بن معاوية التميمي وفي كل مصر من الأمصار على قدره وذكر ابن عبد البر في أخبار معاوية بن أبي سفيان أنه أول من قيدت بين يديه الجنائب

وأما المسرجون فكان بلال يسرج لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه بسرج رقيق من لبد ليس فيه أشر ولا بطر كما روي عن أبي عبد الرحمن الفهري رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حنين فسرنا في يوم قائظ شديد الحر فنزلنا تحت ظلال الشجر فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فسطاطه فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله قد حان الرواح فقال أجل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر فقال لبيك وسعديك وأنا فداؤك قال أسرج لي فرسي فأتاه بسرج دفتاه من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر قال فركب فرسه ثم سرنا وفي رواية فأخرج سرجا من لبد ليس فيه أشر ولا بطر وكان بعض الصحابة يأخذ بركابه صلى الله عليه وسلم فاقتدى به بعض من الصحابة في ذلك فروي أن زيد بن ثابت صلى على جنازة أمه ثم قربت البغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبل زيد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا

وأول من ضرب الركاب من الحديد فى الاسلام وكانت ركب الناس قديما من خشب يضرب الفارس ركابه فينقطع المهلب فهو أول من أمر بطبعها والمأنوذ راحلته وبغلته صلى الله عليه وسلم فأسامة وبلال وكان صاحب بغلته أبا صاعقة عقبة بن عامر الجهنى وقد روى أبو داود رحمه الله تعالى عن أم الحصين قالت حججت مع النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا أحدهما آخذ بخطام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وقائد الناقة يسمى صاحب الراحلة وقائد البغلة يسمى صاحب البغلة

(الفصل الخامس)

(فى ذكر سلاح النبى صلى الله عليه وسلم وإعداده السلاح فى سبيل الله)

(وذكر من تولى النظر فى ذلك فى عهده صلى الله عليه وسلم)

(ويسمى صاحب السلاح وذكر من تولى حرسه)

روى مسلم عن عمر رضى الله تعالى عنه قال كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقى يجعله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله عز وجل انتهى وفى المهمات المال المأخوذ من الكفار ينقسم الى ما يحصل من غير قتال وايجاف خيل وركاب والى حاصل بذلك ويسمى الاول فيئا والثانى غنيمة وقد قدمنا ذكره ابن اسحاق رحمه الله من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصارى أخا بنى عبد الاشهل رضى الله عنه بسبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع له بها خيلا وسلاحا ثم ان السلاح اسم جامع لآلة الحرب وخصه بعضهم بما كان من الحديد وخصه بعضهم بالسيف والاول هو المشهور وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف مأثور وهو أول سيف ورثه من أبيه والعضب وذو الفقار بكسر الفاء وبفتحها وذو الفقار وهو الذى رأى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا كان فى ذبابه ثلمة فأولها هزيمة فكانت يوم أحد وكان ذو الفقار لا يفارق النبى صلى الله عليه وسلم وكان محلى بالفضة وثلاثة أسياف أصابها صلى الله عليه وسلم من بنى قينقاع وهى القلعى والبتار

والجنب وكان عنده بعد ذلك الزغوب والمخذم والقضيب وقد روى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى سيفه ذهب وفضة

وذكر ابن إسحاق في السير في غزوة ذات الرقاع عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن رجلا من بني محارب يقال له غورث (على وزن كوثر) قال لقومه من غطفان ومحارب ألا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره قال يا محمد أنظر إلى سيفك هذا قال نعم فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهم به فيكبته الله ثم قال يا محمد أما تخافني قال ما أخاف منك قال أما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ويطلق حامل السيف على الجندي السياف الذي يقوم على رأس الأمير يحرسه كالضحاك بن سفيان بن عوف ابن كعب بن أبي بكر الكلابي ويكنى أبا سعيد كان معدودا في أهل المدينة وكان أحد الأبطال يقوم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفه وكان يعد وحده بمائة فارس وكان سياف رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على رأسه متوشحا سيفه وقد سبق في الفصل الذي قبله ذكر أبي طلحة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة

وروى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم سهر فلما قدم المدينة قال ليت رجلا من أصحابي يحرسني الليلة إذ سمعنا صوت سلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرسه صلى الله عليه وسلم يوم بدر سعد بن معاذ وذكوان بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما على باب العريش الذي بني له صلى الله عليه وسلم وكان معه فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ويوم أحد حرسه محمد بن مسلمة الأنصاري وحرسه يوم الخندق الزبير بن العوام وسعد ابن أبي وقاص وعباد بن بشر وحرسه ليلة بنى بخيبر أبو أيوب الأنصاري وحرسه بلال بوادي القرى فلما أنزل الله تعالى والله يعصمك من الناس ترك الحرس

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حربة من الحبشة فاستعملها نهارا ثم قال ساهبت الوحوش ثم تجمهم بها أمر أصحابه فقال سددوا كانت الفرقة وفضل الله بها

من

من قتل من صناديدهم وأسر من أسر من أشرافهم فلما وضع القوم أيديهم
يأسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وسعد بن معاذ رضي الله عنه
على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحاً السيف في نفر من
الأنصار رضي الله تعالى عنهم يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخافون عليه
كرة العدو وحرسه صلى الله عليه وسلم حين أعرس بصفية رضي الله تعالى عنها بخيبر
أو ببعض الطريق أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه آخذاً بقائم السيف ويطيف به
حول القبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى مكانه قال ما لك يا أبا
أيوب قال خفت عليك من هذه المرأة وكانت قد قتلت أباها وزوجها وقومها وهي
حديثة عهد بكفر فخفتها عليك فقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم احفظ
أبا أيوب كما بات يحفظني وحرسه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالحجر عمر بن الخطاب
فقد ذكر الدارقطني أن عمر بن الخطاب وقف على رأسه بالسيف حتى يصلي

قال ابن عطية في كتاب الوجيز في تفسير الكتاب العزيز كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتبعه أصحابه يحرسونه فلما نزلت والله يعصمك من الناس خرج فقال يا أيها الناس
الحقوا بملاحقكم فإن الله قد عصمني وذكر الزمخشري في الكشاف في قوله تعالى والله
يعصمك من الناس عن أنس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني
الله من الناس

ومن آلات الحرب في زمنه صلى الله عليه وسلم الرماح والحراب والعنزات روى
البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل
الذل والصغار على من خالف أمري وكان له صلى الله عليه وسلم خمسة رماح ثلاثة
أصابها من بني قينقاع ورمح يقال له المثوي من الثوي وهو الإقامة أي أن المطعون به
يقيم مكانه وكانت له صلى الله عليه وسلم حربة يقال لها النبعة وحربة كبيرة اسمها
البيضاء وحربة صغيرة دون الرمح يقال لها العنزة يدعم عليها ويمشي بها وهي في يده
وكانت تحمل بين يديه في العيد حتى تركز أمامه فيتخذها سترة يصلي إليها وقيل إنه
أخذها من الزبير بن العوام وأخذها الزبير من النجاشي وكانت له عنزة أخرى

وفي السيرة في أخبار يوم أحد ذكر ابن إسحاق قال لما أسند رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول أين أنت يا محمد لا نجوت إن نجوت فقال

القوم يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه
طعنة تردأ أي تمايل منها عن فرسه مرارا فقال قتلني والله محمد وانه قد كان قال لي
بمكة أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة
والحربة للنبي صلى الله عليه وسلم لا للحارث بن الصمة فانه كان حاملها فقط

وأما القسي والجعاب فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ست قسي الزوراء والروحاء
والصفراء من شوحط والبيضاء من شوحط وقوس من نبع أيضا تسمى الكتوم لانخفاض
صوتها اذا رمي بها وفقدت بكسرها يوم أحد وأخذها قتادة بن النعمان وقوس من نبع
أيضا تدعى السداد وكانت له صلى الله عليه وسلم جعبة أي كنانة تسمى الجمع وتسمى
الكافور وكان له صلى الله عليه وسلم من الدروع سبع منها ذات الفضول وهي التي
رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير لأهله صلى الله عليه وسلم وقيل كان من جملة
دروعه درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت وتسمى السعدية وكان
في غزوة خيبر متقلدا لها ولذات الفضول وكان له صلى الله عليه وسلم منطقة من أديم
فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من فضة كان يشدها في وسطه وكان له عليه الصلاة
والسلام بيضة ومغفر فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج يوم أحد كسرت رباعيته
وكسرت البيضة التي على رأسه وورد أيضا انه كان له صلى الله عليه وسلم مغفر من حديد
يقال له الموشح ومغفر آخر يقال له السبوغ وهو الذي كان على رأسه حين دخل مكة يوم
الفتح والمغفر ما يجعل من الزرد على الرأس مثل القلنسوة او الخمار وكان له صلى الله عليه
وسلم ترس يقال له الزلوق يزلق عنه السلاح وترس يقال له الفتق وأهدي له ترس فيه
تمثال عقاب او كبش فوضع يده عليها فأذهب الله ذلك التمثال وروى البخاري عن
انس رضي الله عنه قال كان ابو طلحة رضي الله عنه يتترس مع النبي صلى الله عليه وسلم
بترس واحد

(الفصل السادس)

(في ذكر ما يتعلق بالسفر للغزو وغيره من الدلالة وسلوك الطريق والحراسة
والتجسس وما يقصد للأعداء والاقامة على الحرم)

أما خروجه صلى الله عليه وسلم للجهاد فكان يحب الخروج يوم الخميس فقد روى البخاري عن
عائشة

عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

رجلاً من بني الديل هادياً خريتاً وهو على دين كفار قريش فدفعا إليه راحلتيهما

وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما وقال ابن إسحاق في السير اسمه عبد الله

ابن أريقط رجلاً من بني الديل بن بكر وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو وكان مشركاً

يدلهما على الطريق ودفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما وقال ابن

إسحاق في السير في خبر يوم أحد ومضى صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بني حارثة

ثم قال لأصحابه من رجل يخرج بنا على القوم من كثب أي من قرب من طريق لا يمر بنا

عليهم فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث أنا يا رسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة

وبين أموالهم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة

الوادي إلى الجبل ودليله صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية ناجية الأسلمي أحد الصحابة

معدود في أهل المدينة وكان اسمه ذكوان فسماه صلى الله عليه وسلم ناجية إذ نجا من

قريش وهو الذي نزل في البئر يوم الحديبية مات في خلافة معاوية بالمدينة

وأما مسهل الطريق فقد بعث صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في سرية كان

إلى بني الملوح بالكديد موضع بين مكة والمدينة وكانوا قد قتلوا أصحاب بشير بن سويد

وأمره أن يغير عليهم ففعل وهو الذي بعثه صلى الله عليه وسلم عام الفتح يسهل له الطريق

وأما الحراسة فمن حرسه صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص وكان يقال له فارس

الإسلام وسعد بن معاذ وقد تقدم الكلام عليهما في الفصل الخامس وأما حرس عسكره

صلى الله عليه وسلم فقد قال ابن إسحاق في السير حدثني جابر بن عبد الله رضي الله عنه

قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع فأصاب رجل امرأة

من المشركين فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً أتى زوجها وكان غائباً

فلما أخبر الخبر حلف أن لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دماً فخرج يتبع أثر

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل صلى الله عليه وسلم منزلاً فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا

فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقالا نحن يا رسول الله قال فكونا بفم

الشعب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي

والرجلان هما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصاري

للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره قال بل اكفني أوله فاضطجع المهاجري

فنام وقام الأنصاري يصلي وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة

القوم فرماه بسهم فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما وفي الثالثة ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال اجلس فقد أثبت فوثب فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نذر به فهرب ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها فلما تابع علي الرمي ركعت فآذنتك وأيم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها

وأمّا التجسس فيسمى بالرصدة وهو الرجل الذي يتفقد بلاد العدوّ غيبا ويبحث عن بواطن الأمور وينقل أخبارهم إلى الإمام والتحسس بالحاء المهملة أن يفحص الشخص عن الأخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا ومنه ما يسمى بالعين ووظيفته تحري حال العدوّ وتثبيطه ويسمى بالعيون ومن شواهده في السنة الأولى ما روي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيسة (ويقال له بسبس ويسميه ابن عمرو الجهني) عينا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة فقال لا إلا من كان ظهره حاضرا وفي غزوة بدر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبس وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره وقال الواقدي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله تعالى عنهما إلى طريق الشام يتحسسان الأخبار فقدما يوم وقعة بدر فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمهما وأجرهما وذكر ابن إسحاق في غزوة الخندق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حذيفة بن اليمان ليلا لينظر ما فعل القوم فبعث فرسا وعطفان وذكر في غزوة حمراء الأسد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بسر بن سفيان الخزاعي عينا إلى قريش إلى مكة وشهد الحديبية وقال ابن إسحاق في أخبار غزوة حنين لما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله تعالى عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النصري فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من

بني

بني هلال وهم كلال ولم يشهدها من قيس غيلان الا هؤلاء ولما سمع بهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث اليهم عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم
فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم فانطلق ابن أبي حدرد حتى دخل فيهم فأقام فيهم حتى
سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن البغي الاول
التجسس فقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في أخبار العباس بن عبد المطلب عم النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابو عمر أسلم العباس قبل فتح خيبر ويقال ان اسلامه كان قبل بدر
وكان يكتب بأخبار المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان مقامك بمكة خير فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
لقي منكم العباس فلا يقتله فانما أخرج كارها يسير بذلك صلى الله عليه وسلم ان العباس
كان ممن خرج مع المشركين يوم بدر وانه أخرج منها مكرها فأسر فيمن أسر منهم وكانوا قد
شدوا وثاقه وسهر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ولم ينم فقال له بعض اصحابه
ما يسهرك يا نبي الله قال أسهر لأنين العباس فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي لا أسمع أنين العباس فقال الرجل أنا أرخيت
من وثاقه فقال صلى الله عليه وسلم فافعل ذلك بالاسرى كلهم وقد أسلم قبل فتح خيبر وكتم
اسلامه وكان يسره ما يسر المسلمين ويفرح بما يفتح الله عليهم ثم أظهر اسلامه يوم فتح مكة
وشهد حنينا والطائف وتبوك وكان المسلمون يتقوون بمكة به وكان يحب ان يقدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان مقامك بمكة خير وحضر العباس مع النبي
صلى الله عليه وسلم العقبة يشرط له على الانصار وكان على دين قومه يومئذ وانهزم
الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين غيره وغير عمر وعلي وأبو سفيان بن
الحارث وقد قيل غير سبعة من أهل بيته

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم العباس بعد اسلامه ويعظمه ويجله ويقول هذا
عمي وصنو أبي ويروى عن العباس ان العباس بن عبد المطلب لم يمر بعمر ولا بعثمان وهما
راكبان الا نزلا حتى يجوز العباس اجلالا له ويقولان عم النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي
العباس بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب وقيل بل في رمضان سنة
اثنتين وثلاثين قبل قتل عثمان بسنتين وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان
أو سبع وثمانين سنة ادرك الاسلام ابن سبع وخمسين سنة والتسافي في الجاهلية شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه أجود قريش كفا وأوصلها

ومن السبق الثاني الجزل بعد قال ابن حزم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيم بن
مسعود بن عامر الاشجعي ليثبط جموع الاحزاب وبني قريظة وذلك انه هاجر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأسلم في الخندق قال ابن اسحاق ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعي
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا
باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل
واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني
قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة
ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم
البلد بلدكم به اموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان
قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم
ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم
وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى
تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى
تناجزوه قالوا لقد أشرت بالرأي ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان ومن معه من
رجالهم قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه قد بلغني أمر رأيت علي حقا ان ابلغكموه
نصحا لكم فاكتموه عني قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم
وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان نأخذ لك من القبيلتين
من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك
على من بقي منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا
فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم
اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا أراكم تتهموني قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم
قال فاكتموا عني قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما
كانت ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل
ابو سفيان بن حرب ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش
وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز
محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا

وقد

وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فإن أصابهم لم يحف عليكم ولتسامع ذلك بالذين تمالئون معكم محمدا حتى يطلبوا رهائن من رجالكم يكونون بأيديهم لتأمنوا بأس محمد فإنا نخشى أن تأنف الحرب ويشتد عليكم الأمر إلى أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع لكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين أتتهم الرسل بهذا إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله تعالى بينهم وبعث عليهم الريح في ليالي شاتية شديدة البرد فجعلت تكفئ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه ليلا لينظر ما فعل القوم فحدث حذيفة رضي الله تعالى عنه وقد قال له رجل من أهل الكوفة يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخي قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الرجل والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا قال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت من أنت فقال فلان ابن فلان وذكر ابن عقبة أنه فعل ذلك بمن إلى جانبه يمينا أو يسارا قال وبدرتهم بالمسألة خشية أن يفطنوا بي قال حذيفة ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف

واحطفتها سوقر بطة وبلغاعهم الذى يكره ولقد نامن شدة الريح صار ون ومانطمئن
لنا قدر ولا هوم لنار ولا يستمسك لنا بناء فارحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو
معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان لا تحدث شيئا حتى تأتينى عاشئت لقتلته بسهم
قم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه فلما
رآنى ادخلنى الى رحله وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لفيه فلما سلم
اخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فا نشمروا راجعين (أى اسرعوا) الى
بلادهم ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا الى المدينة
والمسلمون معه

واما الامانة على الحرم فقد كان صلى الله عليه وسلم فى اسفاره ينصب أمينا على حرمه فقد
ذكر فى الاستيعاب قال قال الزبير بن بكار كان عبد الله بن عوف رضى الله عنه امين
رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عبد
الرحمن بن عوف امين فى السماء وامين فى الارض وفى سنة خلافة عمر من الهجرة
حج عمر رضى الله تعالى عنه واستأذنه ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج فأذن
لهن فحججن فى الهوادج وعليهن الطيالسة (الطيلسان نوع من الاكسية) وكان
أمامهن عبد الرحمن بن عوف وو راءهن عثمان بن عفان فكانا لا يدعان احدا يدنو
منهن وكان عبد الرحمن بن عوف اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة فسماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ولد بعد الفيل بعشر سنين واسلم قبل ان يدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وكان من المهاجرين الاولين جمع الهجرتين جميعا
هاجر الى ارض الحبشة ثم قدم قبل الهجرة وهاجر الى المدينة وشهد بدرا والمشاهد كلها
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل
وعممه بيده وسدلها بين كتفيه وقال له سر بسم الله واوصاه بوصايا لامرائه سراياه وهو
احد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وصلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلفه فى سفره وكان عبد الرحمن بن عوف تاجرا مجدودا فى التجارة وكسب
مالا كثيرا واجتمع له الف بعير ومائة الاف شاة ومائة فرس بالبقيع وكان يزرع فى
الجرف الذى هو محل على ميل من المدينة على عشرين ناضحا وكان يدخل عليه قوت
اهله سنة وعن ام سلمة رضى الله عنها قالت دخل علينا عبد الرحمن بن عوف فقال يا امه

قد خشيت أن يهلكني كثرة مالي أنا أكثر قريش كلهم مالاً قالت يا بني تصدق فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه فخرج عبد الرحمن فلقي عمر رضي الله تعالى عنهما فأخبره فأتى أم سلمة فجاء عمر فدخل عليها فقال بالله منهم أنا قالت لا ولن أقول لأحد بعدك توفي عبد الرحمن بن عوف بالمدينة سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن خمس وسبعين سنة وروي عنه أنه في يوم واحد أعتق ثلاثين عبداً

(الفصل السابع)

(في صاحب الثقل بفتح الثاء والقاف وهو متاع المسافر وحشمه)

كان يتولى ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كركرة ولي النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة غلها وكان أيضاً على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم أبو رافع رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان قبطياً أسلم قبل بدر ولم يشهدها لأنه كان مقيماً بمكة وشهد أحداً والخندق وما بعدهما من المشاهد وقد كان للعباس رضي الله تعالى عنه فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما أسلم العباس بشر أبو رافع بإسلامه النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وزوجه سلمى مولاته وولدت له عبيد الله بن أبي رافع الذي كان كاتباً لعلي كرم الله وجهه وقد روى مسلم عن سفينة عن أبي رافع وكان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنزل بالأبطح حين خرج من منى ولكني جئت فضربت قبته فجاء فنزل قال أبو محمد بن حزم في كتابه في حجة الوداع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة بن زيد إنه نازل غداً بالمحصب خيف بني كنانة وهو المكان الذي ضرب فيه أبو رافع قبته فوافقا أمر الله عز وجل دون أن يأمره صلى الله عليه وسلم بذلك وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال قلت يا رسول الله أين تنزل غداً فقال وهل ترك لنا عقيل منزلاً ثم قال نحن نازلون غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة المحصب حيث تقاسمت قريش على الكفر

وأبو أسامة هو زيد بن حارثة بن شراحيل كان سبي في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتبناه بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منه بعشر سنين وقيل بعشرين سنة وطاف به حين تبناه على حلق قريش يقول هذا ابني وارثاً وموروثاً يشهدهم على ذلك وقال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد ابن محمد حتى نزلت ادعوهم لآبائهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال خرجت سعدى بنت ثعلبة أم زيد بن حارثة وهي امرأة من بني معن تزور قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفعة فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وقال أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده أبياتاً وقد ذكرناها في قصة زيد في مواليه صلى الله عليه وسلم في الفصل الرابع من الباب الخامس من المقالة الخامسة من الجزء الثاني وآخر الأبيات هذا البيت

فأوصي به قيساً وعمراً كليهما * وأوصي يزيد ثم من بعده جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد وكان أكبر من زيد ويزيد كان أخا زيد لأمه وهو يزيد بن كعب بن شراحيل فحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه فقال لهم أبلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي

أحن إلى قومي وإن كنت نائياً * فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم * ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة * كرام معد كابراً بعد كابر

وقد تقدم ذكر هذه الأبيات أيضاً وانطلق الكلبيون فأعلموا أباه وبقية خبره في الفصل الثاني المذكور

(الفصل الثامن في مواد المحاصرات كالمنجنيق والدبابات والخنادق)

المنجنيق بكسر الميم وفتحها وهو الذي يرمى به الحجارة وبعض العرب تسميه المنجنوق قال ابن إسحاق حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف بضعاً وعشرين ليلة ورماهم بالمنجنيق والطائف وادي وج على يومين من مكة بنى به بعض العرب حائطاً ربط فيه ووقاه من إغارة العرب قاله ابن الصلت

يحيى

نفس بها طائفا حصينا * يقارع الأبطال من بنا

وقال ابن الأثير في كتابه الكامل نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم منجنيقا على أهل الطائف أشار به سلمان الفارسي فرسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق على أهل الطائف

وأما الدبابات فواحدتها دبابة آلة من آلات الحروب يدخل فيها الرجال فيدبون إلى الأسوار لينقبوها وهي تتخذ من خشب تغلف من جلود الإبل والبقر وأول دبابة صنعت في الإسلام على الطائف حين حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق في قصة حصار الطائف حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليحرقوها فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد (قطع حديد كسكة المحراث عادة) محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا

ومن مكائد الحرب قطع أشجار العدو وتحريقها فقد روى مسلم عن نافع عن عبد الله ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير زاد بعض الرواة فأنزل الله عز وجل ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين وقال ابن إسحاق في السير أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس يقطعون

وأما حفر الخندق فقد ذكر ابن إسحاق في السير نفر اليهود الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لما سمع بهم وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون ويروى أنه صلى الله عليه وسلم خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال ابن إسحاق وحدثت عن سلمان الفارسي قال ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول (أي الفأس الذي تكسر به الحجارة) من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به الثانية فلمعت تحته برقة أخرى ثم ضرب الثالثة

فلمت برقه أخرى فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك يا سلمان قلت نعم قال أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق وروى النسائي عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحفر الخندق وعرض لنا صخر لا تأخذه المعول فاشتكينا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى ثوبه وأخذ المعول وقال بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة قال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر قصورها الحمر الآن مكاني هذا ثم ضرب أخرى وكسر ثلثا آخر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله اني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر صنعاء وقد تقدم ذلك في غزوة الخندق قال ابن اسحاق وأقبل فوارس من قريش تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها قال ابن هشام ان سلمان رضي الله عنه أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وأول من ضرب الخندق في الاسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة

(الفصل الرابع في صاحب المعام)

تقدم في الفصل الثاني من الباب السابع الكلام على بني حضير وقتله والآن نذكر المعام ومن كان عليها في بعض الغزوات كان على حاتم النبي صلى الله عليه وسلم أبو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري ويروى انه كان عليها أيضا قوم حمر فقد قال عبد الله بن مغفل المزني رضي الله تعالى عنه أصبت في بني حضير جراب شحم فاحتملته على عنقي الى رحلي وأصحابي فلقيني صاحب المعام الذي جعل عليها فأخذ بناحيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا أعطيكه فجعل يجاذبني الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب المعام لا أبا لك خل بينه وبينه قال فأرسله فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه انتهى ولم يذكر اسم صاحب المعام واعا روي عن وهب بن منبه أن بعض

رجل

رجل من قريش قال لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر جاع بعض الناس فاشتدوا حصناً من حصونها فأخذ رجل من المسلمين جراب شحم فبصر به صاحب الطعام وهو كعب بن عمرو بن زيد الانصاري فأخذه منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل بينه وبين جرابه فذهب به الى أصحابه اه ففي هذا تصريح بأن وقعته كان على الطعام يوم خيبر أو الذي مر كعب بن عمرو بن زيد الانصاري

وممن كان على الطعام أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي وهو والد معاوية ويزيد وعتبة واخوانهم وكان من أشراف قريش في الجاهلية أسلم يوم الفتح وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما أتى به العباس وقد أردفه خلفه يوم الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يؤمنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا أبا سفيان أما تعلم لا اله الا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عني شيئاً فقال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم اني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك أما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس رضي الله تعالى عنه ويلك اشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك فشهد وأسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً والطائف وأعطاه من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية ووزنها له بلال رضي الله تعالى عنه اه واختلف في حسن اسلامه فطائفة تروي أنه لما أسلم حسن اسلامه وروي عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال رأيت أبا سفيان يوم اليرموك وهو تحت راية ابنه يزيد يقاتل ويقول يا نصر الله اقترب وطائفة تروي أنه كان كهفاً للمنافقين منذ أسلم وكان في الجاهلية ينسب الى الزندقة وروي عن الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمان رضي الله تعالى عنه حين صارت الخلافة اليه فقال قد صارت اليكم بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فانما هو الملك وما أدري ما جنة ولا نار فصاح به عثمان قم عني فعل الله بك وفعل قال أبو عمر بن عبد البر وله أخبار من نحو ذلك رديئة ذكرها أهل الاخبار وخبر سعيد بن المسيب يدل على صحة اسلامه والذي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل أبا سفيان على الطعام هو سعيد بن المسيب حيث قال ان النبي صلى الله عليه وسلم سبى يوم حنين ستة آلاف من امرأة وغلام فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وقال القاضي محمد بن سلامة

القضاعي في كتاب الأنساب كان فيها من السبايا ستة آلاف ومن الإبل والغنم ما لا يدرى
عدده وذكر ابن حزم في الجماهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا الجهم بن
حذيفة بن غانم العدوي على النفل (بفتح الفاء أي الغنيمة وجمعه الأنفال) يوم حنين
وذكر ابن الأثير في الكامل في أخبار يوم حنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر
بالسبايا والأموال فجمعت إلى الجعرانة (وهي ما بين الطائف ومكة) وجعل عليها
بديل بن ورقاء الخزاعي انتهى

وبالجعرانة قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الغنائم وقال ابن إسحاق في السير كان
على المغانم يوم حنين مسعود بن عمرو الغفاري وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يحبس السبايا والأموال بالجعرانة انتهى فقد وقع اختلاف بين أرباب السير
في صاحب الغنائم يوم حنين قال أبو عمر وذكر البخاري بسنده عن بديل بن ورقاء أن
النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يحبس السبايا والأموال بالجعرانة حتى يقدم عليه
فيفعل انتهى ولعل كلا ممن ذكر تولى ولاية صاحب المغانم

وقد ولي صاحب المغانم من ولي بيع ما احتيج إلى بيعه منها فقد ورد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في رواية عن مالك رضي الله تعالى عنه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
السعدين يوم خيبر أن يبيعا آنية من المغانم من ذهب أو فضة فباعا كل ثلاثة بأربعة
عينا أو كل أربعة بثلاثة عينا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أربيتما فردا
والسعدان هما سعد بن أبي وقاص وسعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما فأمرهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبيعا الآنية إلا بمثل

(الفصل العاشر في البشير الذي يبعث للبشارة بالفتح)

قال ابن إسحاق في أخبار يوم بدر ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح
عبد الله بن رواحة بشيرا إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين وبعث
زيد بن حارثة إلى أهل السافلة والعالية ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها
وعمائرها والسافلة ما كان من الغور والعمائر من جهة تهامة قال ابن إسحاق
ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة حتى إذا كان بالروحاء
(مكان بينه وبين المدينة أربعون ميلا) لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن
معه من المسلمين

*(الفصل

(الفصل الحادي عشر)

(في ذكر ما استعمل من السفن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم)
(وفي إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن ناسا من أمته يركبون البحر)
(غزاة في سبيل الله)

السفن التي كانت مستعملة في زمنه صلى الله عليه وسلم سفينة سفينة جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وسفينة سفينة الأشعريين وهاتان السفينتان معينتان وسفينتين غير معينة فأما سفينة جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقال الواقدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه في سنة ست إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام فأسلم النجاشي وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ويبعث بها إليه ويحمل من عنده من المسلمين ففعل انتهى

قال ابن إسحاق في السير كان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري وحملهم في سفينتين فقدم عليهم وهو بخيبر بعد الحديبية ستة عشر رجلا منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ومعه امرأته وذكر معهم من أبنائهم ونسائهم نفرا قال وقد كان حمل معهم النجاشي في السفينتين بنساء من هلك هناك من المسلمين وعن الشعبي أن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتزمه وقال ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي موسى الأشعري قال بلغنا مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم إما قال في بضع وإما قال في ثلاث وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي فركبنا السفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده فقال جعفر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا ههنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فأسهم لنا أو قال فأعطانا منها وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم اهـ ى

وقال ابن سعد عن الواقدي أيضا بسنده وكان أول رسول بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن فأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه ونزل عن سريره إلى الأرض تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجابته وتصديقه وإسلامه على يدي جعفر بن أبي طالب وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي فتنصر هنالك ومات وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب أن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم ففعل وزوجه أم حبيبة وأصدق عنه أربعمائة دينار وأمر بجهاز المسلمين بما يصلحهم وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها ولما بلغه وقعة بدر سر وقعد على الأرض وعليه خلقان وبعث إلى جعفر وقال نصر الله محمدا ببدر وإنما جلست على الأرض ولبست الخلقان لأن في الإنجيل أن على العباد حقا أن يحدثوا لله تواضعا عندما يحدث بهم من النعم وروي أنه لما قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك فقال إنهم كانوا يكرمون أصحابي فأحب أن أكافئهم وقد تقدم ذلك

وأما السمك في البحر المالح فروى مالك رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته

وأما إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن ناسا من أمته يركبون البحر غزاة في سبيل الله فقد روى مالك في الموطأ عن إسحاق بن عبد الله رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان رضي الله تعالى عنها (هي إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة كما قال ابن وهب وقال غيره كانت خالة لأبي النبي صلى الله عليه وسلم أو لجده

لأن

بلاد أم عبد الملك فكان من بني النجار) فطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت ما يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر (أي ظهره) ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة يشك إسحاق قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقلت يا رسول الله ما يضحكك قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة كما قال في الأولى فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الأولين قالت فركبت البحر في زمن معاوية ابن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فعرفت الشهادة لمن ركبها فصرعها فماتت فدفنت في موضعها ذلك في إمارة معاوية وخلافة عثمان رضي الله عنهم وقال ابن معاوية غزا ملك العرب سنة ومعه امرأته فاختة بنت قرظة فهي أول من ركب البحر غازيا في سبيل الله أهل هذه الأمة التي ركبت فيها أم حرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم لها أنت من الأولين والتبشير بذلك من معجزات النبوة فمن بعده صلى الله عليه وسلم صارت الغزوات البحرية وسيلة عظيمة لفتح الجزائر والبلاد النائية وسائر الأمور البحرية

(الباب التاسع)

(في العمالات الجبائية وفيه فصول)

(الفصل الأول)

(في صاحب الجزية وصاحب الأعشار والخرصان ومستوفي خراج الأرضين وصاحب)
(المساحة والعامل على الزكاة والصدقات والخارص)

قال الشافعي رضي الله تعالى عنه صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران على الجزية وفيهم عرب وعجم وصالح أهل اليمن على الجزية وفيهم عرب وعجم وذكر ابن عبد البر في التمهيد عن ابن شهاب قال أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل

نجران وكانوا نصارى ثم نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل البحرين
وكانوا مجوسا والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة من الخراج المجعول على رؤوسهم

وأما من تولى الجزية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم أبو عبيدة بن الجراح الفهري فقد روي عن عبد الله بن مسعود أن العاقب والسيد صاحبي نجران أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادا أن يلاعناه فقال أحدهما لا تلاعنه فوالله لئن كان نبيا ولاعناه لا نفلح ولا عقبنا من بعدنا ثم قالا إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا حق أمين فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قفى قال أمين هذه الأمة وقد كان بعثه إلى أهل نجران لما أبوا أن يباهلوه صلى الله عليه وسلم قال لهم أسلموا فإن أبيتم فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون فإن أبيتم فإني قد أنبذ إليكم على سواء فقالوا لا طاقة لنا بحرب ولكنا نؤدي الجزية قال فجعل عليهم في كل سنة ألفي حلة ألفا في رجب وألفا في صفر وطلبوا منه رجلا أمينا يحكم بينهم فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه وروى البخاري عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال البحرين عليهم

وممن تولى الجزية في زمنه صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الأنصاري فقد روى أبو داود عن معاذ رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجهه إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم يعني محتلما دينارا أو عدله من المعافري أي الثياب اليمنية المنسوبة إلى قرية باليمن تسمى معافر بفتح الميم

وأما صاحب الأعشار وهي العشور التي تؤخذ من أهل الذمة إذا نزلوا بتجارة على ذمة وعهد وصولحوا عليه فقد روى أبو داود في ذلك عن حرب عن عبد الله بن عمير التميمي عن جده رجل من بني تغلب قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وعلمني الإسلام وعلمني كيف آخذ الصدقة أي الزكاة من قومي ممن أسلم ثم رجعت إليه فقلت يا رسول الله كل ما علمتني قد حفظت إلا الصدقة أفأعشرهم قال لا إنما العشر على اليهود والنصارى

وقد

وقد تولى الاعشار في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه السائب بن يزيد وعبد الله ابن عتبة فقد روى الزهري في مسنده عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال كنت عاملا مع عبد الله بن عتبة على سوق المدينة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكنا نأخذ من النبط العشر وعن السائب أيضا قال كنت آخذ من اليهود والنصارى وخرجه مالك عنه في موطئه بنصه

واما حكم ما يحمله الحربيون اذا دخلوا بالامان وحكمه اذا حمله أهل الذمة من الخمر والخنزير فقد قال ابو عمر بن عبد البر في كتابه الكافي في باب حكم أهل الحرب اذا دخلوا البلاد بأمان لا يعترض لهم في بيع الخمر والخنزير من اهل الذمة ويؤخذ منهم عشر ثمن ذلك كله انتهى وقال ابو محمد عبد الله بن نجم بن شاس في الجواهر في كتاب عقد الذمة فمهما اذا اتجر اهل الذمة بالخمر وما يحرم علينا فروى ابن نافع انهم يتركون حتى يبيعوه فيؤخذ منهم عشر الثمن وان خيف من خيانتهم جعل معهم امين قال ابن نافع وذلك اذا حملوه الى اهل الذمة الى امصار المسلمين التي لا ذمة فيها واذ كان ابن حبيب في الحربيين ومنعهم جملة وحكى ان الوالي يريق الخمر ويقتل الخنزير ولا يعذرهم الإمام إن ألموا بإتيانهم ذلك في أنديتهم

ثم ان العاشر قد يكون ترجمانا يعرف ألسن المأخوذ منهم العشور وقد تقدم ذلك في الفصل الرابع من الباب السادس فالترجمان هو الذي يترجم عن أهل الذمة فيما يعرض لهم وعليهم من المعاملات والحقوق وقد روى أشهب عن مالك انه يجوز ترجمة رجل واحد ثقة قال واثنان أحب الي في ذلك من الواحد وقال مالك أيضا ولا بأس ان يقبل ترجمة امرأة عدل وقد قيده بعض أصحابه اذا لم يوجد من الرجال من يترجم وقال سحنون من أصحاب مالك لا يقبل ترجمة النساء ولا ترجمة رجل واحد ولا ترجمة من لا تجوز شهادته وقال ابن رشد لا يقبل ترجمة من ذكر يعني مع وجود العدول المرضيين والأصل قبوله وحكمه كالحكم بقول الطبيب النصراني وغير العدل فيما يضطر فيه الى قوله من جهة معرفته بالطب وبه قال وأجاز أبو حنيفة وأبو يوسف ترجمة رجل واحد وامرأة واحدة ولا يقبل من عبد كقول مالك ونقل عن محمد بن الحسن ان الترجمة لا تقبل الا من رجلين أو رجل وامرأتين حيث هي بمنزلة الشهادة فلا يقوم بذلك الا من تقبل شهادته لان القاضي اذا لم يكن يعلم ما تكلم به الخصم فكأنه لم يسمعه ومذهب الشافعي انه لا بد من اثنين عدلين يعرفان ذلك اللسان لا يكتفى بواحد لان ذلك مقام

الشهادة وفي ترجمة زيد بن ثابت يوجد أن النبي صلى الله عليه وسلم جعله ممن اكتفى بالواحد
وأما مستوفي خراج الأراضي فأول من تولى التطرق لخراج الأرض سواد بن غزية
الأنصاري فقد روى عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة رضي الله تعالى
عنهما حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سواد بن غزية أخا بني عدي
الأنصاري وأمره على خيبر فقدم عليه بتمر جنيب (أي طيب) فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم أكل تمر خيبر هكذا قال لا والله يا رسول الله إنا لنشتري الصاع
بالصاعين والصاعين بالثلاثة من الجمع (أي أردئ التمر) فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تفعل ولكن بع هذا واشتر من هذا وسواد بن غزية قد كور ممن شهد
بدرا والمشاهد بعدها من بني عدي بن النجار

وأما صاحب المساحة فلم يتول أحد هذه الخطة الا من زمن عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه فقد روى أبو عبيد أن عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر الى أهل الكوفة
على صلاتهم وجيوشهم وعبد الله بن مسعود على قضائهم وبيت مالهم وعثمان بن
حنيف (بضم ففتح) الأنصاري على مساحة الأرض ثم فرض لهم في كل يوم شاة
منهم أو قال جعل لهم في كل يوم شاة شطرها وسواقطها لعمار والشطر الآخر بين هؤلاء
ثم قال ما أرى قرية يؤخذ منها كل يوم شاة الا كان سريعا في خرابها قال أبو عبيد فمسح
عثمان بن حنيف الأرض فجعل على جريب الكرم عشرة دراهم وعلى جريب النخل خمسة
دراهم وعلى جريب القصب (أي الرطب) ستة دراهم وعلى جريب البر أربعة دراهم
وعلى جريب الشعير درهمين وجعل على أهل الذمة في أموالهم التي يختلفون بها في كل
عشرين درهما درهما وجعل على رقابهم أربعة وعشرين كل سنة وعطل الصبيان
والنساء من ذلك ثم كتب بذلك الى عمر فأجازه ورضي به ثم جعله علي رضي الله تعالى عنه
صاحب ولاية البصرة فأخرجه طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما حين قدما البصرة ثم
قدم علي فكانت وقعة الجمل فلما خرج علي من البصرة ولاها عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما وقد ذكر العلماء بالخبر والأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استشار
الصحابة رضي الله عنهم في رجل يوجهه الى العراق فأجمعوا جميعا على عثمان بن حنيف
وقالوا إن تبعثه الى أهم من ذلك فإن له بصرا وعقلا ومعرفة وتجربة فأسرع عمر إليه
فولاه مساحة أرض العراق فضرب عثمان على كل جريب من الأرض يناله الماء عامرا

او

أو عشرة آلاف درهم وعشرة آلاف درهم ما يبلغ جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مائة ألف ألف درهم

وأما من ولي العمل على الصدقات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فكثير وكان يكتب لمولي الصدقة ولا سيما روى أبو داود عن سويد بن غفلة رضي الله تعالى عنه أتانا مصدق النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده وقرأت في عهده لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى في السيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث أمراءه وعماله على الصدقات الى كل ما أوطأ الاسلام من البلدان وفي الاكتفاء للامام أبي الربيع بن سالم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدر من الحج حجة عشر وقدم المدينة فأقام بها حتى رأى هلال المحرم سنة احدى عشرة وبعث المصدقين في العرب وقد اقتصر أغلب أصحاب السير على ذكر بعض من ولي ذلك من كبار الصحابة المشاهير رضي الله عنهم فمنهم من فرسان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينقم ابن جميل الا انه كان فقيرا فأغناه الله وأما خالد فانكم تظلمون خالدا فقد احتبس أدراعه وأعتاده (أي ما أعده من السلاح وآلات الحرب في سبيل الله) وأما العباس فهي علي ومثلها معها ثم قال يا عمر أما شعرت ان عم الرجل صنو أبيه

وممن ولي على الصدقات خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه قال ابن قتيبة في المعارف استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بني زبيد وصار الى الصمصامة سيف عمرو بن معدي كرب فلم يزل عند آل سعيد بن العاص حتى اشتراه المهدي منهم بثمانين ألف درهم وقال ابن اسحاق في السيرة قدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا الملوك كندة ومعاندا لهم واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه على الصدقة وكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وممن ولي الصدقة من الأنصار معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه روى الترمذي رحمه الله تعالى عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى اليمن فامرني أن آخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعا او تبيعة ومن كل اربعين مسنة ومن كل حالم دينارا أو عدله معافرا انتهى

ومن ولي الصدقة أبي بن كعب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومن ولي الصدقة من طيء عدي بن حاتم الطائي رضي الله تعالى عنه قال أتيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال ان أول صدقة بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه أصحابه صدقة طيء جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولي الصدقة من بني تميم الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم المنقري رضي الله تعالى عنهما قال ابن اسحاق فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة بني سعد على رجلين منهم فجعل الزبرقان بن بدر على ناحية منها وقيس بن عاصم على ناحية انتهى وقال ابن قتيبة استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر على صدقات قومه وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم فذهب بالصدقة الى أبي بكر رضي الله عنه وهي سبعمائة بعير انتهى وقال بعضهم وفد الزبرقان على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فولاه صدقات قومه وأقره أبو بكر على ذلك وقال انه أنشد في هذا اليوم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاخرا قوله

نحن الملوك فلا حي يقاربنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يونس القزع
وننحر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

فأجابه حسان بن ثابت وأحسن الجواب وقد تقدم في الفصل الرابع من الباب السادس وكذلك قيس بن عاصم المنقري قدم في وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وذلك في سنة تسع فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم فاني رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه حتى أتي برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت الى ابن أخيه فقال يا ابن أخي بئس ما فعلت أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها وكان قيس بن عاصم رضي الله تعالى

عيبه وحرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال في ذلك أشعاراً منها قوله

رأيت الخمر صالحة وفيها * خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحاً * ولا أشفى بها أبداً سقيما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي * ولا أدعو لها أبداً نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها * وتجنيهم بها الأمر العظيما

ولما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني إذا مت فسوّدوا كباركم ولا تسوّدوا صغاركم فيسفه الناس كباركم ويهونوا عليهم وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب المرء انتهى وهو نظير حديث البخاري المسألة آخر كسب الرجل وروي بالقصر والمد فبالقصر معناه أرذله وأدناه وبالمد الآخر ضد الأول أي مادمتم قادرين على تعففكم عن المسألة فلا تسألوا وقال حكيم بن قيس بن عاصم إن أباه أوصى عند موته فقال إذا مت فلا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه ورثاه عبدة بن الطبيب بقوله

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من أوليته منك نعمة * إذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وأما من كان يكتب أموال الصدقات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت وحذيفة بن اليمان إلا أن جهيم وحذيفة كانا يكتبان إذا غاب الزبير أو اعتذر وجهيم بن الصلت قرشي مطلبي أسلم عام خيبر وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقاً وهو الذي رأى الرؤيا بالجحفة حين سارت قريش إلى بدر فقد ذكر ابن إسحاق في غزوة بدر قصة الرؤيا قال لما نزلت قريش الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب رؤيا فقال إني رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه قال فبلغت أبا جهل فقال وهذا أيضاً نبي آخر من بني المطلب سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا

ومن كان يكتب الصدقات في زمن عمر رضي الله تعالى عنه عثمان بن عفان قال ابن الأثير قال نافع العدوي دخلت حير الصدقة (قوله الحير هو الحظيرة) مع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فجلس عثمان في الظل يكتب وعلي على رأسه يملي عليه ما يقول عمر وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر وعليه بردتان سوداوان قد اتزر بإحداهما ولف الآخر على رأسه يعد إبل الصدقة ويكتب ألوانها وأسنانها فقال علي لعثمان أما سمعت إن خير من استأجرت القوي الأمين ثم أشار علي بيده إلى عمر فقال هذا هو القوي الأمين انتهى

وأما الخارص فقد خرص النبي صلى الله عليه وسلم حديقة لامرأة حين مر في طريقه في غزوة تبوك بوادي القرى فقد روى مسلم عن أبي حميد رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرصوها فخرصناها وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق وقال أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله تعالى وانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها أحد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء وجاء رسول ابن العلماء (قوله ابن العلماء ممدودا) صاحب أيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له بردا ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حديقتها كم بلغ ثمرها فقالت عشرة أوسق

ومن خرص أرض الخراج في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال عامل النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر فكان يعطي أزواجه مائة وسق ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة فيخرص بينه وبينهم ثم يقول إن شئتم فلكم وإن شئتم فلي وعن سليمان بن يسار قال فجمعوا له حليا من حلي نسائهم فقالوا هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم فقال عبد الله بن رواحة يا معشر يهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها فقالوا بهذا قامت السموات والأرض قال ابن إسحاق وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحدا ثم أصيب بمؤتة رحمه الله تعالى فكان جبار بن صخر بن أمية

أخو

أخو بني سلمة هو الذي خرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة وكان جبار خارص أهل المدينة وحاسبهم انتهى

وروى عن سهل بن أبي حثمة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا حثمة خارصا فجاء رجل فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا حثمة قد زاد علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ابن عمك يزعم أنك قد زدت عليه فقال يا رسول الله قد تركت له قدر عرية أهله وما يطعم المساكين وما تسقط الريح فقال قد زادك ابن عمك وأنصفك انتهى والعرية النخلة يعريها صاحبها رجلا محتاجا فيجعل له ثمرها عاما فأعروها أي أعطوها وكان أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم يبعثون أبا حثمة خارصا وتوفي في أول خلافة معاوية

﴿الفصل الثاني في الأوقاف﴾

أما أوقاف النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر ابن يونس في كتابه عند ذكر الإخشاشين قال روى أن النبي صلى الله عليه وسلم حبس سبع حوائط (أي بساتين نخل) أوصى له بها مخيريق لما قتل يوم أحد فقبضها حين أراد الله عز وجل بها وهي من أموال بني النضير وذلك لاثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وفي السير لابن إسحاق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيون (على وزن فرعون معناه الملك) قال لما كان يوم أحد قال يا معشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق قالوا إن اليوم يوم سبت قال لا سبت لكم فأخذ سيفه وعدته وقال إن أصبت اليوم فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا مخيريق خير يهود انتهى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف ماله أوقافا وهو أول حبس أي وقف في الإسلام قيل إن مخيريق اليهودي أسلم يوم أحد قال بعضهم وكان حبرا من علماء بني النضير قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد

وقد اقتدى به صلى الله عليه وسلم في الوقف الخلفاء الراشدون ومن بعدهم روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال أصاب عمر بخيبر أرضا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرني به قال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها فتصدق بها عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل

لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه انتهى
قال القاضي رحمه الله تعالى في المشارق واسم هذا المال ثمغ بفتح الثاء وسكون الميم
وقد تفتح قال وقيده المهلب بفتح الميم انتهى وأصاب لها رضي الله تعالى عنه مواضع
في خلافته وقفها معها وقدم على الطريق جميعها حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله
تعالى عنها وكتب لها بذلك ونص الكتاب ذكره أبو داود في سننه بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين إن حدث به حدث الموت أن ثمغاً وصرمة ابن
الأكوع والعبد الذي فيه ومائة السهم الذي بخيبر ورقيقه الذي فيه والمائة التي
أطعمه محمد صلى الله عليه وسلم بالوادي تليه حفصة ما عاشت ثم يليه ذا الرأي من أهلها
أن لا يباع ولا يشترى ينفقه حيث ترى من السائل والمحروم وذي القربى ولا حرج عليه
إن أكل أو آكل أو اشترى رقيقاً منه انتهى
وكذلك أوقاف علي رضي الله تعالى عنه فهي معلومة قال المبرد في الكامل قال أبو نيزر
جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة (تصغير أولها
وفتح العين وبالغين مساه ساكنة ثم باء وغين مثلثة وهما لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
بينبع) فقال هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين قرع من قرع
الضيعة صنعته بإهالة سنخة (أي ودك زنخ) فقال علي به فقام إلى الربيع (جدول
أي نهر صغير) فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئاً ثم رجع إلى الربيع فغسل يديه بالرمل
حتى أنقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما إلى أختها وشرب حسا (جمع حسوة وهي
قدر ملء الفم جرعة يحتسيها) ثم قال يا أبا نيزر إن الأكف أنظف الآنية ثم مسح كفه
على بطنه فقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم أخذ المعول وانحدر في العين وجعل
يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه عرقاً (أي ترشح) فانتكف العرق عن
جبينه (أي نحاه) ثم أخذ المعول وعاد يضرب فيها وجعل يهمهم (أي يردد
الصوت) فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعاً فقال أشهد الله أنها صدقة علي
بدواة وصحيفة فعجلت بهما إليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله
علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء
أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة ولا تباعا ولا توهبا
حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما
ليس لأحد غيرهما (أي حلال لهما) فركب الحسين دين فحمل إليه معاوية بعين أبي

ثم رماني العبد ساعة فأتى ابن نبي ع وقال إنما نصدق بهما إلى الله فهما وجهه من النار وذكر ابن قتيبة أن أبا نيزر كان من أبناء الملوك الأعاجم وقال المبرد صح عندنا أنه من ولد النجاشي رغب في الإسلام صغيرا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وكان معه في سوقه فلما توفاه الله تعالى صلى الله عليه وسلم صار مع فاطمة وولدها رضي الله تعالى عنهم قال أبو نيزر كنت أقوم لعلي رضي الله عنه بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة

(الفصل الثاني في صاحب المواريث والمشرف والمسرف)

أما صاحب المواريث فهو صاحب ديوان المواريث بيت المال فأخذ ما إذا عدمت العصوبة والولاء وعصابات ذي الولاء بيت المال على بعض المذاهب ممن عدم العصوبة ويستغرق إذا لم يكن وارث ويأخذ ما بقي من أصحاب الفروض إذا لم يكن ثمت إلا ذو فرض ويحصل توريث بيت مال المسلمين حرمان ذوي الأرحام إذا كان بيت المال موضوعا في وجهه فقد كان لا يرث ذوو الأرحام ولا يرد على أهل السهام لم يوضع في ديوان المواريث في بيت المال قال بعض المؤرخين وفي سنة ثلاث وثمانين أمر المعتضد برد الفاضل من سهام ذوي الفرض على ذوي الأرحام وأبطل ديوان المواريث والمعتضد كما سيأتي هو أبو العباس أحمد بن أبي طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بويع له لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وتوفي ببغداد لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فصار من ذلك الوقت يعم المواريث على مستحقيها كما كانت تعم في عهده صلى الله عليه وسلم مع توريث ذوي الأرحام فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخال وارث من لا وارث له وروى الترمذي أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله ورسوله مولى من لا مولى له والخال وارث من لا وارث له قال أبو عيسى هذا حديث حسن ولهذا ذهب أكثر أهل العلم إلى توريث ذوي الأرحام وأما بيت المال فلم نورثهم وتقدم المراد في بيت المال وتأتي الكلام على من تولى بيت المال في عهده صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء في الفصل الأول من الباب العاشر وقد تقدم في الفصل الثاني من الباب السادس من المقالة الخامسة ذكر فارض المواريث

وأما الصدقة فهو الرجل الذي يبعثه الامام ليقبض المال من العمال و يستخلصه منهم
و يقدم به عليه كما بعث صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن ليقبض من خالد بن الوليد
روى البخاري رحمه الله تعالى عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال بعث النبي صلى الله
عليه وسلم الى خالد رضي الله تعالى عنه عليا ليقبض الخمس وكنت أبغض عليا وقد اغتسل
فقلت لخالد ألا ترى الى هذا فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له
فقال يا بريدة أتبغض عليا فقلت نعم فقال لا تبغضه فان له في الخمس أكثر من ذلك وقال
ابن اسحاق في السير و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب الى اهل
نجران ليجمع صدقتهم و يقدم عليه بجزيتهم قال ابن الاثير وذلك في سنة عشر من الهجرة
ففعل وعاد فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة في حجة الوداع انتهى وكان الذي
أحضر صدقاتهم عمرو بن حزم والذي أحضر جزيتهم عبيدة بن الجراح كما هو معلوم

وأما المشرف فهو الذي يجعل مع العامل كالحافظ عليه و يسمى ضاغطا في القديم
و يسمى عند اهل العراق بندارا و يسمى بالمغرب مشرفا لاشرافه واطلاعه على جميع
أعمال العامل فهو كالملاحظ والمفتش وهو من عمل الحكام فيما أظن فلم يبلغني
عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء ولا عن الخلفاء الراشدين لامانة الناس حينئذ وكونهم
خير القرون ولا نعلم اول من عمله في الاسلام قال القرافي في جامع الكتاب بعث عمر رضي
الله تعالى عنه عاملا فعزله فجاء بما كان معه من المال وانصرف الى منزله بغير شئ
فقالت له امرأته أين التحف وأين مرافق العمال فقال لها كان معي ضاغط (أي رقيب)
فلم تصدق وأتت عمر رضي الله تعالى عنه فقالت يا امير المؤمنين بعثت مع زوجي ضاغطا
فأتى بضاغطها الذي فقال ما فعلت على زوجها فأباه فقال له أنا بعثت معك ضاغطا
فقال كان معي ضاغطان يضغطان و يعلمان وأشار الى الملكين فقال لها عمر رضي الله
تعالى عنه صدق وقد كذبت انصرفي الى منزلك ثم قال لها ما أملك و قالت كذا وكذا
فقال للجارية اعطها ثم اعطها ثم قال لها أرضيت قالت نعم وروى عن سعيد بن المسيب
رحمه الله تعالى ان عمر بعث معاذا رضي الله تعالى عنهما ساعيا على بني كلاب او على
بني سعد بن ذبيان فقسم فيهم ولم يدع شيئا حتى جاء بحلسه الذي خرج به على رقبته
فقالت امرأته أين ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة أي هدية أهليهم فقال كان
معي ضاغط فقالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ابي بكر فبعث

معك

فعلت ثم رضا عطا فعاقبت بذلك فى ساتها وانه كتب عمر رضى الله تعالى عنهم و لم ذلك عمر فدعا فقادا وقال أتانه سعملت صاعطا فقال يا امير المؤمنين لم أحدث شيئا أعتذر به اليها الا ذلك قال فعفت عمر وأعطاه شيئا اوقال ارضه انه قال ابو عبيد القاسم قال ابن جريج قوله صاعطا يعنى رئه حل ساقه

(الباب العاشر فى العمالات الاخر ابيه وفيه فصول)

(الفصـــل الاول)

(فى صاحب بيت المال وهو خازن الاموال وفى خازن الطعام وفى الوزان وفى الكيال)

الخازن الامين الذى يؤدى ما أمر به عن طيب نفس ولم يتخذ صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا خزانة للاموال وانما كان يقسم مما أتاه من الفىء فى يومه روى ابو عبيد القاسم بن سلام عن الحسن بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقبل مالا عنده ولا يبيته يعنى ان جاء غدوة لم ينتصف النهار حتى قسمه وان جاء عشية لم يبت حتى قسمه وروى ابو داود عن عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه الفىء قسمه فى يومه وروى البخارى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال انثروه فى المسجد وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء وجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاءه العباس رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله اعطنى فانى فاديت نفسى وفاديت عقيلا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم أن يرفعه الى قال لا قال فارفعه أنت على قال لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفى علينا عجبا من حرصه فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم وفى كتاب الجامع من أقضية ابن يونس ما نصه وفى سنة ثمان قدم بمال البحرين وهو مائة ألف وثمانون ألف درهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين الناس انتهى وعن اسماعيل بن اسحاق ان مال البحرين كان من الجزية

واتخذ الخلفاء بعد النبى صلى الله عليه وسلم بيت المال فاتخذه ابو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى وكان كل منهم تولى نظره على أنه ويعقد كراس عقد به فى العقد الفريد

أن أبا عبيدة كان على بيت المال في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ثم وجهه إلى الشام وفي الأسد الغابة لابن عبد البر جعل أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما معيقيب على بيت المال وفي العقد للتلمساني بلال ابن حمامة رضي الله تعالى عنه وحمامة أمه وإليها كان ينسب وأبوه رباح كان لبعض بني جمح فاشتراه أبو بكر منهم ثم أعتقه وكان له خازنا وفي الاستيعاب أجاز عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم لأبي بكر وأثبته عمر واستعمله على بيت المال وأثبته عثمان رضي الله تعالى عنه بعده وفي كتاب الأموال كان عمر رضي الله تعالى عنه قد أخرج عبد الله بن مسعود إلى العراق على صلاتهم وبيت مالهم وأحكامهم وعمار بن ياسر على جيوشهم وسهل ابن حنيف على مساحة الأرض وفي الأسد الغابة في خلافة عثمان بن عفان كان زيد ابن ثابت على بيت المال فوجد فيه مملوكا فقال من هذا قال زيد مملوك لي فقال عثمان أراه ينفع المسلمين وله حق وأنا أفرض له الفين فقال زيد والله لا تفرض له عبد الفين فعرض له ألفا وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد كان على بيت المال في أيام عثمان عبد الله بن الأرقم ثم استعفاه وفي خلافة علي بن أبي طالب صار إبراهيم ابنه على مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم المكنى أبا رافع الذي هو جد الفقيه عمر راجع طها داره إلى علي بن أبي طالب فولي بيت مال الكوفة قال في الأسد الغابة كان عبيد الله بن أبي رافع خازنا وكاتبا لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان أبوه أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إبراهيم اسمه وفي العقد الفريد لابن عبد ربه كان علي رضي الله عنه يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى فيه شيء ثم يرش له ويقيل فيه ويتمثل بقول بعضهم

هذا جناي وخياره فيه * إذ كل جان يده إلى فيه

وأما خازن الطعام فقد خرج البخاري عن عمر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنته وروى الترمذي عنه أيضا قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وقد تقدم ذلك في الفصل الرابع من الباب الثامن وبنو النضير حي من يهود دخلوا في العرب وهم على نسبهم إلى هارون

أخي

أبي موسى عليه السلام وروى محمد بن حفص العطار عن أبي الجوزاء رحمهما الله تعالى عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما قال قلت له ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذكر انه حملني على عاتقه فأدخلني في غرفة الصدقة فأخذت تمرة فجعلتها في فيّ فقال ألقها أما علمت ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد فأخرجها من فيّ انتهى من مسنده رحمه الله تعالى

واما الوزان فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن محارب سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول اشترى مني النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا باوقيتين ودرهم أو درهمين فلما قدم صرارا (بصاد مهملة مكسورة بعدها راء مهملة وألف ثم راء مهملة أيضا على ثلاثة أميال من المدينة لغة من العراق) أمر ببقرة فذبحت فأكلوا منها فلما قدم المدينة أمرني ان آتي المسجد فأصلي ركعتين ووزن لي ثمن البعير فأرجح لي صلى الله عليه وسلم وروى النسائي رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله عنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة دعا بميزان فوزن لي وزادني وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن سويد بن قيس رضي الله تعالى عنه قال جلبت أنا ومخرفة العبدي برا من هجر (مدينة بالبحرين) فاتينا بمكة فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي فساومنا سراويل فبعناه وثم رجل يزن بالاجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زن وأرجح وذكر أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب في اخبار أبي سفيان بن حرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه من غنائم حنين وكان سهيد ماثة بعير وأربعين أوقية ووزنها له بلال

واما الكيال فقد روى البخاري رضي الله عنه عن المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه وروى مسلم رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وكان يعطي أزواجه رضي الله تعالى عنهن كل سنة مائة وسق ثمانين وسقا من تمر وعشرين وسقا من شعير وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يكتاله وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشترى طعاما فلا يبعه حتى يكتاله

(الفصل الثاني)

(في الاوزان والاكيال الشرعية المتعامل بها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي ضرب السكة)

روى النسائي رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن أهل مكة قال بعضهم اعلم أن هذا الحديث في نوع ما يتعلق به أحكام الشريعة في حقوق الله سبحانه وتعالى دون ما يتعلق به الناس في مبايعاتهم وأمور معايشهم وقوله صلى الله عليه وسلم والوزن وزن أهل مكة يريد به وزن الذهب والفضة خصوصا دون سائر الأوزان ومعناه أن الوزن الذي يتعلق به حق الزكاة في النقود وزن أهل مكة وأما قوله صلى الله عليه وسلم والمكيال مكيال أهل المدينة أراد به الصاع الذي يتعلق به وجوب الكفارات ويجب إخراج صدقة الفطر به ويكون تقدير النفقات وما في معناها به والمعنى في هذا الحديث أن مكة لما كانت أرض متجر يتبايع فيها الأمة بالأثمان ولم يكن بها حشيش بذرات ولا زرع كما قال إبراهيم عليه السلام ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع وكانت المدينة بخلاف ذلك لأنها دار النخل وفيها الزرع فكان جل تجاراتهم في المكيل دون الموزون فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الأقطار كلها للمدينتين المصرين أتباعا فيما يتعاطون البيع من المكيل والموزون ولما كانت السنة فيه منع من إسلام موزون في موزون ومن إسلام مكيل في مكيل وأجازت إسلام الموزون في المكيل وإسلام المكيل في الموزون وهي تمنع من بيع الموزون في الموزون إلا مثلا بمثل ومن بيع المكيل بالمكيل إلا مثلا بمثل كان الأصل في الموزون ما كان يتعامل به وزنا بمكة وكان الأصل في المكيل ما كان يتعامل به كيلا بالمدينة لا يتغير عن ذلك وإن غيره الناس فلأجل الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد وجب على من يتعبد بالشريعة المحمدية البحث عن كيل أهل المدينة فيما تعارفوه في العادة كيله وعن وزن أهل مكة فيما استمر العرف بوزنه وإنما يحصل ذلك بمعرفة ما كان من ذلك معمولا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة أقدارها وكانت الأوزان المستعملة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم المعلومة الأقدار عشرة الدرهم والدينار والمثقال والدانق والقيراط والأوقية والنش والنواة والقنطار وقول من قال إن الدرهم لم يكن معلوما في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قول فاسد كما لا يجوز أن تكون الأوقية في عهده صلى الله عليه وسلم مجهولة المبلغ من الدراهم في الوزن فكيف كان الشرع يوجب الزكاة عليها ولا يعلم مبلغ وزنها قال القاضي عياض رحمه الله تعالى ولا يصح أن تكون

الأوقية والدرهم مجهولة القدر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوجب الزكاة في أعدادها ويقع بها البياعات والأنكحة كما في الأحاديث الصحيحة وهذا يبين أن قول من قال إن الدراهم لم تكن معلومة إلى زمان عبد الملك حتى جمعها برأي العلماء وهم وإنما معنى ذلك أنها لم يكن منها شيء من ضرب أهل الإسلام وعلى صفة لا تختلف وإنما كانت مجموعة من ضرب فارس والروم وصغارا وكبارا وقطع فضة غير مضروبة ولا منقوشة يمنية ومغربية فرأوا صرفها إلى ضرب الإسلام ونقشها وتصييرها وزنا واحدا لا يختلف وأعيانا يستغنى فيها عن الموازين فجمعوا أصغرها وأكبرها وضربوا عليها اسم الله عز وجل وبالجملة فما ظهر الإسلام إلا والأوقية وزنها أربعون درهما ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة وهي مائتا درهم وقال بعضهم إن الدرهم الشرعي كان معلوم القدر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم غير موجود العين ومثله مثل درهم الصنجة الآن فإنه معلوم القدر غير موجود العين ومثله من كتب الأوزان التي قدمه ويدل عليه حديث جابر المتقدم في باب الوزان وهو حديث اشترى مني النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا بأوقية ودرهم ووزن لي فأرجح وكذلك فيما أخرجه النسائي من شرائه صلى الله عليه من رجل السراويل بثلاثة دراهم ووزنه ووزن لي فأرجح فلو لم يكن الدرهم معلوما في حين عقد بها بين الصحابة لما ارتكبوا صحة البيع ولما عرف الرجحان الذي أرجحه لهما صلى الله عليه وسلم بعد استيفاء حقوقهما

وأما الأكيال المستعملة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهي المد والصاع والفرق والعرق (بفتح الفاء والراء) والوسق فالفرق هو ثلاثة آصع والعرق هو قدر الزنبيل قال بعضهم هو ما بين خمسة عشر صاعا إلى عشرين والوسق ستون صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم وهو حمل بعير والصاع أربعة أمداد والمد رطل وثلث

وأما صاحب السكة ويقال له أيضا صاحب دار الضرب فالظاهر أنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في أول من ضرب الدراهم على ثلاثة أقوال الأول أن أول من ضرب الدراهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقد حكى الماوردي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما رأى اختلاف الدراهم وأن منها البغلي وهو ثمانية دوانق ومنها المغربي وهو ثلاثة دوانق ومنها اليمني وهو دانق فقال انظروا

الأغلب على ما يتعامل الناس به من أعلاها وأدناها فكان الدرهم البغلي والدرهم
الطبري فجمع بينهما وكانا اثني عشر دانقا فأخذ نصفهما فكان ستة دوانق قال بعضهم وفي
هذا إشارة إلى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ضرب الدرهم لكنه لم يعرف نقشه
والثاني أن أول من ضربه مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير رضي الله
عنه على ضرب الأكاسرة وعليها بركة من جانب والله من جانب ثم قال الماوردي
أيضا ثم قال وغيرها الحجاج بعد سنة وكتب عليها اسم الله الحجاج والثالث أن أول من
ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان وأن الدراهم كانت سكتين إحداهما
عليها نقش فارس وهي البغلية وهي السود والدرهم منها ثمانية دوانق والثانية عليها
نقش الروم والدرهم منها أربعة دوانق فاجتمع علماء ذلك العصر على أن جمعوا
درهمين بغلي من ثمانية دوانق ودرهم طبري من أربعة دوانق فكان اثني عشر دانقا
فجمعوها نصفين وضربوا الدرهم من ستة دوانق قال أبو الزناد أمر عبد الملك الحجاج
أن يضرب الدراهم بالعراق فضربها سنة أربع وسبعين وقال المدائني ضربها الحجاج
في آخر سنة خمس وسبعين ثم أمر بضربها في النواحي سنة ست وسبعين وقيل إنه كتب
عليها الله أحد الله الصمد

﴿الفصل الثالث﴾

(في اتخاذ الإبل والغنم ونحوهم من الدواب وفي حمى الإمام مراعي لنعم الواردة من الزكاة)

قد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه اتخذ الإبل وفي السيرة أنه كان له صلى الله عليه وسلم
من النعم الناقة التي هاجر عليها من مكة إلى المدينة وتسمى بالقصواء ولم يكن يحمله إذا نزل
عليه الوحي غيرها اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر الصديق بثمانمائة
درهم وتسمى العضباء والجدعاء ولم يكن بها عضب ولا جدع وإنما سميت بذلك وقيل
كان في أذنها شيء من الخرم وكانت تسمى العضباء وهي التي سبقت (بالبناء للمجهول) فشق على
المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من هذه
الدنيا إلا وضعه وقيل المسبوق غيرها وعن قدامة بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرمي على ناقة صهباء والصهبة الشقرة ووقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعرفة في حجة الوداع على جمل أحمر وكان له صلى الله عليه وسلم جمل يقال له
الثعلب بعث عليه صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية إلى قريش بمكة يوم الحديبية ليبلغهم

ما جاء

فجاءه فنحروا الجمل وأرادوا أن يحرسوا جميعه الا ما بقي وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جملا مهريا (نسبة الى مهرة أبو قبيلة تنسب اليها الابل المهرية) لأبي جهل في أنفه برة من فضة أي حلقة أهداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين وكانت له صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بالغابة والغابة على بريد من المدينة طريق الشام يراح اليه كل ليلة بقربتين من ألبانها وكان له لقحة تدعى بردة أهداها له الضحاك بن سفيان كانت تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان وكان له خمس عشرة لقحة غزارا كان يرعاها يسار ولاه بذي الجدر بفتح الجيم واسكان الدال ناحية قباء قريبا من جبل عير على ستة أميال من المدينة فأغار عليها العرنيون وقتلوا يسارا وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث في أثرهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا وكانت له صلى الله عليه وسلم بذي الجدر سبع لقائح وكانت له أيضا لقحة تسمى الحفدة وكانت له لقحة اسمها مروة وكانت له مهرية أرسل بها سعد بن عبادة من نعم بني عقيل وحديث مسلم يدل أيضا على أن الابل التي ساقها أناس من عرينة كانت من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن ناسا من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاجتووها (أي كرهوها واستوخموها) فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم أن تخرجوا الى ابل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا فصحوا ثم مالوا على الرعاء فقتلوهم وارتدوا عن الاسلام وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث في أثرهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا

وأما الغنم فقد روى ابن سعد أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبع أعنز ترعاهن أم أيمن وفي كتاب الارج كان له صلى الله عليه وسلم سبع من الغنم عجوة وزمزم وسقيا وبركة وورسة وأطلال وأطراف وسبع أعنز ترعاهن أم أيمن فهذه غنمه صلى الله عليه وسلم وأما غنم الصدقة أي غنم الزكاة فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى قال حدثنا عمرو بن عون ومسدد قالا حدثنا ... عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مسدد غنيمة من الصدقة قال يا أبا ذر ابدُ فيها (ومعنى ابدُ فيها أخرج بها الى البادية) فبدوت الى الربذة

(بفتح الراء والباء والذال المعجمة موضع خارج المدينة قريب من ذات عرق وهي التي حماها عمر رضي الله تعالى عنه حمى لابل الصدقة بينها وبين المدينة ثلاث مراحل وبها مات أبو ذر) واسم أبي ذر جندب بن جنادة كان من كبار الصحابة قديم الاسلام قال أسلمت رابع أربعة وقيل بعد أربعة ثم رجع الى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الى أن مات صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعد وفاة أبي بكر رضي الله تعالى عنهما الى الشام فلم يزل بها حتى ولي عثمان ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية وأسكنه الربذة وكانت وفاته بها سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود صادفه وهو مقبل من الكوفة مع نفر فضلاء من أصحابه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو ذر في أمتي على زهد عيسى ابن مريم وفي بعضها من سره أن ينظر الى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر الى أبي ذر وقال علي رضي الله تعالى عنه وعى أبو ذر علماً عجز الناس عنه ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئاً وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه الا ذكرنا منه علماً اه

وأما الوسم فقد ترجم البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باب وسم الامام ابل الصدقة بيده وخرج فيه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبي طلحة ليحنكه فوافيته في يده الميسم يسم ابل الصدقة وروى مسلم رحمه الله تعالى عن هشام بن زيد أنّ أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه انطلق بالصبي الى النبي صلى الله عليه وسلم يحنكه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم في مربد يسم غنماً قال بعض الرواة وأكثر علمي أنه أي أنس قال في آذانها وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الضرب في الوجه وعن الوسم فيه

وأما الحمى الذي يحميه الامام فقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده حتى عمر بن الخطاب فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا حمى الا لله ولرسوله قال وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى النقيع وهو بالنون كما ثبت في رواية القاضي عياض وان رواه الرواة بالباء وان عمر رضي الله عنه حمى السرف وفي رواية عن نافع عن ابن عمر قال حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقيع لخيل المسلمين انتهى والنقيع كل موضع يستنقع فيه الماء وبه سمي هذا الموضع الذي

حماه

حماه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عمر من بعده وهو الذي أضاف إليه في الحديث غرز النقيع ويسمى البقيع وهو على عشرين فرسخا من المدينة وهو صدر وادي العقيق وهو أخصب واديه الذي وهو ميل في بريد وفيه شجر ويستجم حتى يغيب فيه الراكب وفي ضبطه بالنون والباء اختلف الرواة كما ذكر وحمى عمر رضي الله تعالى عنه الشرف كما تقدم والربذة وضريه وظهر العزالة وهو أكبر الأحماء وهو من ضرية إلى المدينة وكان حمى عمر رضي الله تعالى عنه ستة أميال من كل ناحية وضرية في أوسط الحمى وقيل كان الشريف في الجاهلية إذا نزل أرضا في حيه استعوى كلبا فحمى مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره وهو يشارك القوم في سائر ما يرعون فيه فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأضاف الحمى إلى الله ورسوله أي إلا ما يحمى للخيل التي ترصد للجهاد والإبل التي يحمل عليها في سبيل الله وإبل الزكاة وغيرها

(الباب الحادي عشر)

(في عمال الأموال المختلفة وفيه فصول)

(الفصل الأول في النفقة وفي الوكيل في الأمور المالية وفي إنزال الوفد في دار الضيافة)

(وفي إنزال الوفد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال في مختصر السيرة لابن جماعة رحمه الله تعالى كان بلال المؤذن رضي الله عنه على نفقات النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وروى أبو داود عن عبد الله الهوزني رحمه الله تعالى قال لقيت بلالا مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلب فقلت يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كان له شيء كنت أنا الذي ألي ذلك منه منذ بعثه الله عز وجل حتى توفي وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الإنسان مسلما فرآه عاريا يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري له البردة فأكسوه وأطعمه

وأما الوكيل الذي يوكله الإمام في الأمور المالية فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أردت الخروج إلى خيبر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وقلت إني أردت الخروج إلى خيبر فقال إذا أتيت وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقا فإن ابتغى منك آية فضع يدك على ترقوته انتهى وكان الأمين مروان بن الجذع بن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن غنم أسلم وهو شيخ كبير واسمه

مرداس بن مروان قد كان أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهم مهم من مروءة بعث الإمام وكيلاً بالمال ليعطيه فيما يأمره به من وجوه مصارف المال فقد روى ابن إسحاق في السيرة عن أبي جعفر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه قبائل من العرب سليم بن منصور ومدلج بن مرة فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة وأمرهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال يا علي اخرج على هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج علي رضي الله تعالى عنه حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليدي لهم ميلغة الكلب (أي الإناء الذي يلغ فيه الكلب الذي) حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حين فرغ منهم هل بقي لكم دم أو مال لم يود لكم قالوا لا قال فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال أصبت وأحسنت

وأما إنزال الوفد أي الرسل إلى دار الضيافة فقد عقد صاحب الدار لنزول الوفد في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي رحمه الله تعالى إن حبيب بن عمرو السلاماني رضي الله تعالى عنه قال قدمنا وفد سلامان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سبعة فانتهينا إلى باب المسجد فصادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً منه إلى جنازة دعي إليها فلما رأيناه قلنا يا رسول الله السلام عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام من أنتم قلنا قوم من سلامان قدمنا عليك لنبايعك على الإسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت إلى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء حيث ينزل الوفد فخرج ثوبان حتى انتهى بنا إلى دار واسعة فيها نخل وفيها وفود العرب وإذا هي دار رملة بنت الحارث النجارية وفي بعض الأوقات كان يضرب للوفود في زمانه صلى الله عليه وسلم قبة قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف فضربت عليهم قبة في ناحية مسجده

وكان

فكان خالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه هو الذي مشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتتبوا كتابهم وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم

وأما انزال الوفود بيد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي عن أوس بن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة وانزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مالك في قبة فكان يأتينا كل ليلة وكان يتولى النظر في أمر الوفد من يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك كخالد بن سعيد بن العاص وبلال وثوبان كما تقدم

(الفصل الثاني)

في المارستان والطب والرقية والفصد والكي والمكان الذي اتخذ لإيواء الفقراء الذين لا يأوون على أهل ولا مال

المارستان بفتح الراء دار المرضى وهو معرب قال ابن اسحاق في السير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم (وفي رواية من المسلمين) يقال لها رفيدة في مسجده صلى الله عليه وسلم وكانت تداوي الجرحى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصابه (أي سعد بن معاذ) السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب وأول أسس المارستان المعروف كان في سنة ثمان وثمانين فقد أمر الوليد بن عبد الملك بعمل المارستان لعلاج المرضى وهو أول من فعل ذلك وجعل فيه الأطباء وأجرى فيه الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم الأرزاق وعلى العميان والتداوي مأمور به فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء وروى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام وطرق المداواة في الطب عند العرب أربعة الرقية وشرطة محجم وشربة عسل ولذعة نار وروى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشفاء في ثلاث في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنا أنهى

أتى من الكي . وروى الترمذي رحمه الله تعالى عن أبي خزامة بن يعمر عن أبيه قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء
نتداوى به وتقى نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله . وروى مسلم رحمه
الله تعالى عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا
يا رسول كيف ترى في ذلك فقال أعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك
وروى البخاري في لفظه وممن كان يعلم الطب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة
رضي الله تعالى عنها فقد روي عن هشام بن عروة أن أباه عروة كان يقول لعائشة
رضي الله تعالى عنها يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابنة أبي بكر ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم
الناس أو من أعلم الناس ولكن أعجب من علمك بالطب فضربت على منكبه وقالت
يا عرية إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره
فكانت تقدم عليه وفود العرب فتنعت له الأنعات وكنت أعالجها ومن الأطباء
في عهده صلى الله عليه وسلم الحارث بن كلدة فقد روى أبو داود عن سعد رضي الله
تعالى عنه قال مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده
بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي فقال إنك رجل مفؤود ائت الحارث بن كلدة
أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن (أي
يدقهن من الوجئة وهي الدق حتى تخرج نواه) بنواهن ثم ليلدك بهن (من اللدود
بفتح اللام وهو الدواء الذي يصب في أحد شقي الفم) وقد كان الحارث بن كلدة
طبيب العرب وأسلم وكان قد تعلم الطب بفارس واليمن وكان يضرب العود وبقي إلى
أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه وقيل إنه مات أول الإسلام وقيل
في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقيل مات يوم مات أبو بكر رضي الله تعالى
عنه قال أبو الفرج الجوزي في مختصر الحلية عن ابن شهاب أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه
والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أهديت إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال
الحارث لأبي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت
في يوم واحد ورفع يده فما زالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة وخالف
ذلك ما ذكره ابن حبيب في كتاب طب العرب قال كان معيقيب بن أبي فاطمة الأزدي
خازنا لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وكان ساله وقد أصابه الجذام فدعا له عمر
الحارث

بالحارث بن كلدة الثقفي فقال له عالجه فقال يا أمير المؤمنين أما أن تبرأ فلا ولكني
أداويه حتى يقف مرضه فلا يزيد فقال عمر فذاك فكان يأمر بالحنظل الرطب فيدلك به
قدميه ولا يزيده على ذلك فوقف مرضه حتى مات ومن كان طبيبا في عهده صلى الله
عليه وسلم أبو رمثة (بكسر الراء وسكون الميم وفتح المثلثة) رفاعة بن يثربي التيمي رضي
الله تعالى عنه

واما الرقية فقد وردت في جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم روى مسلم عن عائشة رضي
الله تعالى عنها انها قالت كان اذا اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقاه جبريل عليه
السلام وقال بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك من شر حاسد اذا حسد وشر كل ذي
عين وروى مسلم رحمه الله تعالى أيضا عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه ان جبريل عليه
السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك
من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك

وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق تدخل الرجل
القبر والجمل القدر قال القاضي عياض ان الله عز وجل انما خلق عند نظر العائن بعادة
أجراها الله تعالى ان يخلق الضرر عند مقابلة نظر شخص لشخص آخر وينبغي للحاكم
أن يمنع من عرف بذلك من مخالطة الناس ويأمره بلزوم بيته ويرزقه ما يكفيه ان كان
فقيرا فان ضرره أشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من
مخالطة الناس وقال بعضهم كان أبو عبد الله الساجي يحج ويغزو فبينما هو في بعض
أسفاره إما حاجا وإما غازيا على ناقة فارهة وكان في الرفقة رجل عائن قلما نظر الى
شيء الا أتلفه فقيل لأبي عبد الله احفظ ناقتك من العائن فقال ليس له الى ناقتي سبيل
فأخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبي عبد الله فجاء الى رحله فعان ناقته فاضطربت
وسقطت مضطربة فأتى عبد الله فقيل له ان العائن قد عان ناقتك كما تراها فقال دلوني
على العائن فدل عليه فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس
رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم
ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقتا العائن وقامت
الناقة ولا بأس بها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن
والحسين أعيذكما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

ويقول ان أباكما ابراهيم كان يعوذ بهما اسمعيل واسحاق رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم من قال اذا أصبح اعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة لم تضره عين ولا حمة ولا عقرب قال الا والهامة بتشديد الميم وهي كل ذوات سم كالحية والعقرب ونحوهما وعين لامة هي بتشديد الميم معناه ذات لمم وهي التي تصيب ما نظرت اليه بسوء

وعن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يمسي صلى الله على نوح وعليه السلام لم تلدغه عقرب تلك الليلة وسئل بعضهم لو قتل بالعين فهل عليه شيء اولا فأجاب لا دية ولا كفارة على من قتل بالعين وان اعترف انه قتله وان كانت العين حقا لان ذلك لا يفضي الى القتل غالبا ولا يعد مهلكا وسن للعائن ان يدعو للمعين بالبركة فيقول اللهم بارك فيه ولا تضره ماشاء الله لا قوة الا بالله وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم اذا رأى احدكم من نفسه او من اخيه ما يعجبه فليقل بسم الله ماشاء الله وليدع له بالبركة فان العين لا تضره وعن عائشة قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين رواه ابو داود

وكان صلى الله عليه وسلم يرقي نفسه روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها ما كان يرقي به النبي صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى منا انسان مسحه بيمينه ثم قال أذهب البأس رب الناس واشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما فلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل أخذت بيده لاصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال اللهم اغفر لي وارحمني واجعلني مع الرفيق الاعلى قالت فذهبت أنظر فاذا هو قد قضى وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ وكان في زمنه صلى الله عليه وسلم من رجال الصحابة من يرقي فقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم فبيناهم كذلك اذ لدغ سيد أولئك

فقالوا

فقالوا هل معكم من دواء أو راق فقالوا انكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا فجعلوا لهم قطيعا من الشاء فجعل الراقي يقرأ أم القرآن ويجمع بصاقه ويتفل فبرئ فأتوا بالشاء فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فضحك وقال وما أدراك انها رقية خذوها واضربوا لي بسهم انتهى

وأما من رقى من النساء فهي الشفاء بنت عبد الله فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى عنها قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة انتهى والنملة قروح صغار مع ورم يسير تخرج فتتسع وتسميه الأطباء الذباب

وأما الفصد وهو قطع العروق فقد روى أبو داود عن جابر رضي الله تعالى عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى أبي طبيبا فقطع منه عرقا وقال في كتاب الأطباء ان أبا رمثة رضي الله تعالى عنه كان طبيبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عالما بصناعة الطب انتهى

وأما الكي فقد روى مسلم رحمه الله تعالى بسنده الى الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه عليه وروى أبو داود عن جابر رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ من رميته وروى مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال رمي سعد بن معاذ في أكحله فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي كواه) بمشقص ثم ورمت فحسمه الثانية انتهى وهذه الرمية يوم الأحزاب

وكان حجامه صلى الله عليه وسلم أبو هند ذكر ابن اسحاق في السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة بدر لقي أبا هند مولى فروة بن عمرو بحميت (أي زق لا شعر عليه) مملوء حيسا وقد كان تخلف عن بدر وشهد المشاهد كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أبو هند من الأنصار فأنكحوه وانكحوا اليه ففعلوا وممن حجم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو طيبة روى مالك رحمه الله تعالى في الموطأ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمه أبو طيبة فأمر له بصاع من تمر وأمر أهله أن يخففوا عنه من خراجه وأما المكان الذي اتخذ للفقراء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تخرج منه بعده اتخاذ الربط والزوايا والتكايا ونحوها مما اتخذ للفقراء فيما بعد روى البخاري رحمه الله تعالى عن مجاهد أن

أبا هريرة رضي الله تعالى عنه كان يقول والله الذي لا إله إلا هو إني كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإني كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر رضي الله تعالى عنه فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ما سألته إلا ليشبعني (وفي رواية إلا ليستتبعني) فمر فلم يفعل ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي فقال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق ومضى فاتبعته فدخل فاستأذن لي فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهداه لك فلان أو فلانة قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق أهل الصفة فادعهم لي (قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد وكان إذا أتته الصدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها) فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم صلى الله عليه وسلم فقال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة

(الباب الثاني عشر)

(في حرف وصناعات كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فصول)*

(الفصل الأول في التجارة وتوابعها)

كانت قريش تتصرف بالتجارة ولهم بها شهرة في الجاهلية والإسلام قال أبو عمر بن عبد البر في بهجة المجالس أن عبد الملك بن مروان قال يوما لبنيه لو هذا كم مالا لم [illegible] فيما كنتم تكونون عليه قالوا أما أنا ففارس حرب وقال سليمان

أما

انما انا كاتب سلطان فقال لم يزيد فأنت فقال والله يا أمير المؤمنين ما تركت خط التجار فقال عبد الملك فأين انتم يا بني عن التجارة التي هي أصلكم وشيمتكم قالوا لشجاعة لا ها رفقال ان الرغبة وانزه ةولا يتعرضوا فيها من الدخول في جملة الدهماء (جماعات الناس وكثرتهم) وانظر به فقال عليكم إذن بطلب الادب فان كنتم ملوكا سدتم وان كنتم وسطا رأستم وان أعوذ بكم المعيشة عشتم وقال ابن اسحاق كان في حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب في الزمان الاول لمن ملك ذمار (اي مدينة) لحمير الأخيار قال السهيلي في الروض الانف وهذا الكلام الذي زعموا انه وجد مكتوبا بالحجر هو فيما زعموا من كلام هود عليه السلام وجد مكتوبا في قبره وقد غمره حين كشفت الريح العاصف عن قبره الرمل حتى ظهر وذلك قبل ملك بلقيس بيسير وكان خطه بالمسند وقد كان يتجر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم جماعة منهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه روي عن أم سلمة قالت خرج ابو بكر رضي الله تعالى عنه في تجارة الى بصرى قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بعام ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة وكانا رضي الله تعالى عنهما قد شهدا بدرا وكان نعيمان على الزاد فقال له سويبط وكان رجلا مزاحا أطعمني فقال لا حتى يجيء ابو بكر فقال أما والله لأغيظنك فمر بأقوام فقال لهم سويبط تشترون مني عبدا قالوا نعم قال انه عبد له كلام وهو قائل لكم اني حر فان انتم اذا قال لكم هذه المقالة تركتموه وأفسدتم علي عبدي قالوا بل نشتريه منك فاشتروه منه بعشرة قلائص (القلوص من النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء) فأتوه فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلا فقال نعيمان ان هذا يستهزئ بكم اني حر لست بمملوك قالوا قد أخبرنا خبرك قال فانطلقوا به فجاء ابو بكر فأخبره سويبط فاتبعهم فرد عليهم القلائص واخذه فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه منهما حولا ومنهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبيد بن عمير أن أبا موسى الاشعري استأذن على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما فلم يؤذن له وكأنه كان مشغولا فرجع ابو موسى ففرغ عمر فقال ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس (هو اسم ابي موسى الاشعري) ائذنوا له قيل قد رجع فدعاه فقال كنا نؤمر بذلك قال تأتيني على ذلك بالبينة فانطلق الى مجلس الانصار فسألهم فقالوا لا يشهد لك على هذا الا أصغرنا ابو سعيد الخدري

فذهب بأبي سعيد الخدري فقال عمر أخفي علي من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألهاني الصفق (بفتح الصاد وسكون الفاء أي الضرب في التجارة وعقد البيع وصفقة
الصفقة) بالأسواق يعني الخروج الى تجارة والشيء الذي قال أبو موسى كانوا يؤمرون بذلك
عنه حديث الاستئذان الذي رواه البخاري رحمه الله تعالى أيضا عن أبي سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه قال كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه
مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت
ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذن أحدكم ثلاثا
فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه ببينة أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله
عليه وسلم فقال أبي بن كعب والله لا يقوم معه إلا أصغر القوم وكنت أصغر القوم فقمت
معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك انتهى ومنهم الزبير بن العوام فقد
كان تاجرا مجدودا في التجارة وقيل له يوما بم أدركت في التجارة ما أدركت فقال لم أشتر
عيبا ولم أرد ربحا والله يبارك لمن يشاء وعن عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا وروي عن الأوزاعي أنه كان للزبير ألف مملوك يؤدون
إليه الخراج فما يدخل بيته منها درهم واحد لأنه كان يتصدق بذلك كله ومنهم
عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف
رضي الله تعالى عنه قال لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين
سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالي وانظر
أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا حلت تزوجتها فقال له عبد الرحمن لا حاجة لي
في ذلك هل من سوق فيه تجارة قال سوق قينقاع (سوق قينقاع شعب من يهود المدينة
أضيف إليهم السوق) فغدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن وفي رواية للبخاري
فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه
أثر صفرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت قال نعم قال ومن قال امرأة من
الأنصار قال كم سقت إليها قال زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم أولم ولو بشاة قال ابن عبد البر كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه
تاجرا مجدودا في التجارة (أي له حظ وبخت) وكسب مالا كثيرا وخلف امرأته

الى

التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن لانه وثلاثين ألفا وروى ان عنده اصابها صولحت على ربع الثمن من ميراثه

وأما التجارة المخصوصة في عهده صلى الله عليه وسلم التي كانت لكبار الصحابة كالبزاز والعطار والصيرفي فممن كان بزازا أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال ابن قتيبة في المعارف في صنائع الاشراف كان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بزازا انتهى ولابد أنه كان غنيا حيث انه رضي الله تعالى عنه جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا وأتم الالف بخمسين فرسا وكان جيش العسرة في غزوة تبوك وقد اكتسب ماله بحرفة البزاز اذ لم يكن يحترف رضي الله تعالى عنه بغيرها وكذلك طلحة بن عبيد الله كان بزازا كما ذكره ابن قتيبة في المعارف في صنائع الاشراف وقال الزبير بن بكار كان طلحة بن عبيد الله بالشام في تجارة حين كانت وقعة بدر وكان من المهاجرين الاولين فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه فلما قدم قال وأجري يا رسول الله قال وأجرك وذكر البرزلي عن ابن عيينة يقول كانت غلة طلحة بن عبيد الله الف واف كل يوم قال والوافي وزنه وزن الدينار وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلية

وأما العطارون فهم كثير لم يرد أسماؤهم وانما ورد مدحهم اجمالا فقد ذكر الثعالبي في كتاب التمثيل والمحاضرة عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر شيئا ان فاتني ربحه (بالموحدة) لم يفتني ريحه وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل الداري (اي العطار منسوب الى دارين فرضة بالبحرين فيها سوق يحمل اليها المسك من ناحية الهند) ان لم يحذك (اي يعطك) من عطره علقك من ريحه ومثل الجليس السوء مثل صاحب الكير ان لم يحرقك من شرره علقك من نتنه وخرج البخاري في العطار وبيع المسك عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة

وأما من كان يحترف الصرف في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري عن أبي المنهال رضي الله تعالى عنه قال سألت البراء بن عازب وزيد بن أرقم رضي الله تعالى عنهما عن الصرف فقالا كنا تاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا بأس وان كان نسيئا فلا يصلح

وأما بيع الطعام أي كل ما يؤكل فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشترى طعاما فلا يبعه حتى يكتاله وروى مسلم أيضا عن سالم بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ان أباه قال قد رأيت الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ابتاعوا الطعام جزافا يضربون في مكانهم ذلك حتى يؤووه الى رحالهم وكان الذي يبيع التمر يقال له تمار ذكر ابن قتيبة في كتابه في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ابن نبهان التمار وقال هو الذي جاءته امرأة تشتري منه تمرا فضمها اليه وقبلها ثم جاء فحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فيه والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية وتسمى هذه الآية آية الاعتراف بالذنوب

وروى ابن ابي حاتم في كتابه تفسير ما استعجم من غوامض الاسماء بسنده عن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قول الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة قال يريد نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضرب على عجزها فقالت والله ما حفظت غيبة أخيك ولا نصحت لك فأسقط في يده (أي ذل وأخطأ وهي كلمة يقال للنادم على ما فعل المتحسر على ما فرط منه ويقال أيضا اسقط في يده) فذهب الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فقال اياك ان تكون امرأة غازيم فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اياك ان تكون امرأة غاز فولى وهو يبكي فأقام لابنه أيام النهار صائما والليل قائما حزينا فلما كان اليوم الرابع أنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية يريد نبهان الذي فعل نبهان التمار وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فأخبره بما نزل فحمد الله تعالى وشكره وقال يا رسول الله هذه توبتي قد قبلها الله مني فكيف حتى يقبل شكري فأنزل الله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل

ومن صنائع الاشراف صنع الرماح فقد ذكر في الاستيعاب أن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي يكنى أبا الحارث كان أسن من سائر من أسلم من بني هاشم أسر يوم بدر وفداه العباس رضي الله تعالى عنهما وهاجر أيام الخندق وقيل

فدى نفسه برماحه وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين العباس بن عبد المطلب وكانا رضي الله تعالى عنهما شريكين في الجاهلية متفاوضين في المال متحابين وروى ولده عبد الله بن نوفل بن الحارث قال لما أسر الحارث بن نوفل يوم بدر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افد نفسك قال مالي شيء أفدي به قال افد نفسك برماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد أن لي رماحا بجدة غيري بعد الله أشهد أنك رسول الله ففدى نفسه بها وكانت ألف رمح قال أبو عمر وشهد نوفل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وكان ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بثلاثة آلاف رمح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إلى رماحك يا أبا الحارث تقصف أصلاب المشركين وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم إخباره بالغيب فقد نصره الله يوم حنين وقتل المشركين حتى قتل منهم أبو طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنه عشرين رجلا وأخذ أسلابهم وروى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من قتل كافرا فله سلبه فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم وقصف الشيء كسره يقال قصفه أي بفتح الصاد كسره ويستعمل في الأصلاب كثيرا كما في الحديث ثم أومن مديح ما جاء في ذلك ما أنشده الحصري في زهر الآداب قال مات رجل من العرب كان يقول الشعر فلما حمل على سريره نقر (أي صوّت) فقال بعض من حضره

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس فتيق المسك ريح حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

ومن التجارة التجارة في القرظ للدبغ فمن ذلك ما ذكره في الاستيعاب أن سعدا المؤذن مولى عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما المعروف بسعد القرظ الذي له صحبة وإنما قيل له سعد القرظ لأنه كلما اتجر في شيء وضع فيه أي خسر فتجر في القرظ فربح فيه فلزم التجارة فيه وممن كان دباغا ما ذكره أبو بكر بن دريد أن الحارث بن صبرة أسلم يوم الفتح انتهى

(الفصل الثاني)

(في حرف عملها الرجال دون الصنائع المذكورة قبل)

فمن هذه الحرف حرفة الحطاب روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي عبيد مولى

عبد الرحمن بن عوف انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه وروى ان رجلا من الانصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الفاقة ثم عاد فقال يا رسول الله لقد جئت من أهل بيت ما أرى ان أرجع اليهم حتى يموت بعضهم قال انطلق هل تجد من شئ فانطلق فجاء بحلس (وحلس الدابة ما يبسط تحت حر المتاع من مسح أو نحوه) وقدح فقال يا رسول الله هذا الحلس كانوا يفترشون بعضه ويلبسون بعضه وهذا القدح كانوا يشربون فيه فقال من يأخذهما مني بدرهم فقال رجل أنا فقال من يزيد على درهم فقال رجل آخر هما بدرهمين فقال هما لك فدعا بالرجل فقال اشتر بدرهم طعاما لأهلك وبدرهم فأسا ثم ائتني ففعل ثم جاء فقال انطلق الى هذا الوادي فلا تدعن شوكا ولا حطبا ولا تأتني الا بعد عشر ففعل ثم أتاه فقال بورك فيما أمرتني به فقال هذا خير لك من أن تأتي يوم القيامة في وجهك نكتة من المسألة أو خموش من المسألة الشك من بعض الرواة ذكره في كتاب النكاح دليلا على جواز خطبة المرأة على خطبة الغير وسوم السلعة على سوم الغير مالم يقع التراكن

قال ابن جزي حديث ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكذلك يحرم السوم على سوم غيره كما في رواية مسلم والخطبة على خطبة الغير كما في رواية الصحيحين وكل ما في معنى ذلك مما يغير القلوب ويورث التباغض الا ان يرضى من له الحق لانه حقه فله تركه وقال علماء الشافعية والسوم المحرم هو أن يزيد في الثمن بعد استقراره صريحا أو يعرض على المشتري أرخص منه وهو غير محرم بعد البيع وقبل لزومه الذي هو البيع على البيع أو الشراء على الشراء كما يحرم أشد وقول ابن حجر من أصحابنا يحرم ذلك ان رآه يتغابن فيه ضعيف والوجه الحرمة مطلقا

ومن هذه الحرف الدلالة وتسمى السمسرة روى مسلم عن طاوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتلقى الركبان وان يبيع حاضر لباد وروى البخاري في ترجمته وقال فقلت لابن عباس ما معنى قوله لا يبيع حاضر لباد قال لا يكون له سمسارا أي لا يكون له دلالا فالسمسار أو الدلال هو متولي البيع والشراء للغير أو الذي يجمع بين البيعين وفي كتاب الحرفيين ما نصه وأما السماسرة والدلالون فقوم أجراء لا في عدد التجار ولا ممن له الحرف والصناعات لانه لا مال لهم ولا قرار ولا بضاعة لهم تذكر في أسعار

اما

وأما النساج فهو الذي يضم السدى إلى اللحمة وحرفته النساجة ويقال لها الحياكة وحرفته الحياكة وقد روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال جاءت امرأة ببردة قال سهل أتدرون ما البردة فقيل له نعم فقال هي الشملة منسوج في حاشيتها قالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره فقال رجل من القوم يا رسول الله اكسنيها فقال نعم فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال له القوم ما أحسنت سألتها إياه لقد عرفت أنه لا يرد سائلا فقال الرجل والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت قال سهل فكانت كفنه وقوله هي الشملة منسوج في حاشيتها يعني أنها لم يكن في حاشيتها نسج فهي ثوب من عصب اليمن ونحوه

وأما الخياطة فمن المعارف لأنه كان عثمان بن طلحة الذي دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة خياطا وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه قال أنس فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام فقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا من شعير ومرقا فيه دباء (أي قرع) وقديد (هو ما قطع من اللحم طولا ويبس وادخر) فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء حول القصعة فلم أزل أحب الدباء من يومئذ

ومن الحرف التي في عهده صلى الله عليه وسلم حرفة النجارة وقد وقع خلاف في اسم من صنع المنبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل صنعه غلام امرأة من الأنصار واسمه ميناء وقيل صنعه باقوم مولى العاص بن أمية وكان نجارا وقيل صنعه ميمون النجار وقيل صنعه صالح غلام العباس بن عبد المطلب وقيل صنعه غلام قبيصة المخزومي قال بعضهم فلعلهم كلهم اجتمعوا على عمله

وأما نحت الأقداح فقد ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى في السير عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت أنا وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكانوا

اذا تخلف رجل بعث مكانه رجلا فلما جاءه الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش
كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل
الاقداح أنحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل
جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب
الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن
الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب هلم الي فعندك لعمري الخبر فجلس
والناس قيام عليه فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس فقال والله ما هو الا أن
لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا
رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله ما تليق شيئا (بضم التاء من ألاق
بمعنى أبقى أي لا تبقي شيئا) ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم
قلت تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة قال
وثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت
أم الفضل الى عمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلعت في رأسه شجة منكرة وقالت
استضعفته أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله
بالعدسة فقتلته انتهى

والعدسة داء من الادواء يخرج بالانسان ويقال وهو شبه العدس والثآليل وقد
سبق في الفصل الاول من الباب الاول في المقالة الخامسة من أن العدسة بثرة كانت
تخرج على الناس تزعم العرب انها تعدي شبيهة بالطاعون

وأما الصياغة فالظاهر انها كانت في أول الاسلام حرفة اليهود ولم يكن أحد من المسلمين
يعرفها روى البخاري في كتابه الجامع الصحيح باب ما قيل في الصواغ وخرج فيه عن
علي رضي الله عنه انه قال كان لي شارف (والشارف المسنة من النوق) من نصيبي من
المغنم وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفا من الخمس فلما أردت أن أبتني بفاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع (بطن من
يهود المدينة) أن يرتحل معي فنأتي باذخر أردت أن أبيعه من الصواغين وأستعين به
في وليمة عرسي وخرج فيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله حرم مكة فلم تحل لاحد قبلي ولا لاحد بعدي وانما حلت لي ساعة
من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها الا لمعرف

قال

قال العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه الا الاذخر لصاغتنا ولسقف بيوتنا فقال الا الاذخر وقد سبق بعض ذلك في غزوة فتح مكة

واما صناعة الحداد ويقال له القين فكانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفه بعض الصحابة فقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين (واسمه البراء بن أوس) وكان ظئرا لابراهيم (أي أبا من الرضاع لان زوجته أم بردة أرضعته لبنه) فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه وفي رواية في حديث أنس فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقت معه فصادفنا أبا سيف ينفخ في كيره وقد امتلأ البيت دخانا فأسرعت في المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبي فضمه اليه وقال ما شاء الله أن يقول فلقد رأيته يكيد بنفسه (قال كادت نفسه تنزع او تخرج) قال فدمعت عينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون حتى ومن القين اخذت صنعة البناء ويقال لصاحبها البناء وكان أول بان في الاسلام عمار بن ياسر رضي الله عنه وقد مر في صلى الله عليه وسلم هذه الصناعة حين أسس مسجد قباء حيث كان هو أول من وضع حجرا فيه ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه الى حجر أبي بكر ثم أخذ الناس في البنيان فأول من بنى مسجدا في الاسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم روى البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف قال فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل الى ملأ من بني النجار فجاؤا متقلدي سيوفهم وكأني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر رضي الله تعالى عنه ردفه وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب قال وكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم قال ثم انه أمر ببناء المسجد فأرسل الى ملا بني النجار فجاؤا فقال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله قال فكان فيه ما أقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع قال فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة قال

وجعلوا ينقلون ذلك الحجر وهم يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول

لا هم ان الخير خير الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره

واجابوه رضي الله عنهم بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

انتهى قال ابن اسحاق فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فعمل فيه المهاجرون والانصار قال وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب حتى بنى له مسجده ومساكنه ثم انتقل الى مساكنه من بيت أبي أيوب رضي الله تعالى عنه وذكر ابن جماعة رحمه الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ببناء المسجد فبني باللبن وجعلت عضادتاه بالحجارة وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين الآخرين مثل ذلك فهو مربع وقيل كان اقل من المائة وجعل الاساس قريبا من ثلاثة اذرع على الارض بالحجارة ثم بنوه باللبن وكان عمر مع كثرة الفتوح في ايامه وسعة بيت المال عنده لم يغيره عما كان عليه وانما احتاج الى تجديده لان جريد النخل قد نخر في ايامه فكلم العباس في بيع داره ليزيدها فيه فوهبها العباس لله وللمسلمين فزادها عمر في المسجد ثم كان عثمان والمال في زمانه أكثر فحسنه بما لا يقتضي الزخرفة ومع ذلك أنكر عليه بعض الصحابة وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك وكان في أواخر عصر الصحابة وسكت كثير من اهل العلم عن انكار ذلك خوف الفتنة وقال ابن المنير لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب ان يصنع ذلك بالمساجد صونا لها عن الاستهانة وقال بعضهم تجوز زخرفة المساجد اذا قصد تعظيم المساجد ولم يصرف عليها من بيت المال وقد قال الاولى من الشافعية تجوز الزخرفة لان فيها تعظيم المسجد واعزاز الدين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بنى مساكنه الى جنب المسجد باللبن وسقفها بجذوع النخل وتقدم ذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني من المقالة الخامسة من الجزء الثاني ولما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده اذ وفد عليه قيس بن طلق الحنفي و [illegible] معه فوكله النبي صلى الله عليه وسلم (بتخفيف الكاف أي كلفه) بعمل الطين لانه رآه يحسنه فدل ذلك على ان الرجل اذا كان يحسن شيئا من اعمال البناء وغيره

ينبغي

ينبغي ان يوكل بعلمه ومن جملة ما بنى لجلوسه صلى الله عليه وسلم دكة أي مصطبة من طين فقد روي عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله تعالى عنهما قالا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب ولا يدري أيهم هو حتى يسأل فطلبنا اليه ان نجعل له مجلسا يعرفه الغريب اذا أتاه فبنينا له دكانا (أي دكة) من طين فكان يجلس عليه ونجلس بجانبه

ومن الصناعات شغل الخوص اي ورق النخل يعني ما يصنع منه من قفاف وغيرها ويقال لصانعه خواص ذكر ابن وهب وابن نافع عن مالك رحمهم الله تعالى قال كان سلمان رضي الله تعالى عنه يعمل الخوص بيده فيعيش منه ولا يقبل من احد شيئا ويحكى انه دخل قوم على سلمان وهو أمير على المدائن وهو يعمل هذا الخوص فقيل له لم تعمل هذا وأنت أمير يجري لك رزق فقال اني أحب ان آكل من عمل يدي

ومن الحرف صيد البر والبحر فأما صيد البر فهو والصيد بالكلاب وبالبزاة وبالرمح وبالسهام وبالمعراض وبالبندق وغير ذلك من آلات الصيد روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى والنص للبخاري عن عدي بن حاتم الطائي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إنا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت الله فكل مما أمسكن عليك الا أن يأكل الكلب فلا تأكل فاني أخاف أن يكون انما أمسك على نفسه وان خالطها كلب من غيرها فلا تأكل وأما الصيد بالبزاة فقد روى الترمذي رحمه الله تعالى ايضا عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازي فقال ما أمسك عليك فكل قال أبو عيسى هذا حديث لا نعرفه الا من حديث مجالد عن الشعبي والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بصيد البزاة والصقور بأسا

وأما الصيد بالرمح فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن نافع مولى أبي قتادة عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع اصحاب له محرمين وهو (اي ابو قتادة) غير محرم فرأى حمارا وحشيا فاستوى على فرسه فسأل اصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذه ثم شد على الحمار فقتله فأكل منه بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بعضهم فأدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هي طعمة أطعمكموها الله وروى مسلم ايضا عن عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه رضي الله تعالى عنه انهم خرجوا مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم محرمون وأبو قتادة محل، وساق الحديث وفيه فقال هل معكم منه شيء قالوا معنا رجله فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلها انتهى وقال لأبي قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع قال ذلك صلى الله عليه وسلم يوم غزوة ذي قرد (بفتح القاف والراء ماء على نحو يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان) وهو يوم أغارت فيه بنو فزارة على سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال له يوم الغابة أيضا وفي السير أن الذي أغار يومئذ عيينة بن حصن وفي صحيح مسلم أن الذي أغار عبد الرحمن الفزاري فقتلوا راعيا وأخذوا لقاحا وظهرا فذهبوا به وتبعهم المسلمون وأبلى يومئذ أبو قتادة وسلمة بن الأكوع بلاء حسنا فقتل أبو قتادة فارسا منهم وهو عبد الرحمن على ما في صحيح مسلم ورماهم سلمة بالنبل وتبعهم حتى لحقت به فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خلوا ما بأيديهم من ما غنموا وألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يخففون بذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع

وفي الصيد بالسهام روى مسلم رحمه الله تعالى عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصيد فقال إذا رميت سهمك فاذكر اسم الله فإن وجدته قد قتل فكل إلا أن وجدته قد وقع في ماء فإنك لا تدري الماء قتله أم سهمك وفي الصيد بالمعراض الذي هو خشبة في طرفها حديدة أو سهم لا ريش له يرمى به عرضا فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعراض فقال إذا أصاب بحده فكل وإذا أصاب بعرضه فقتل فإنه وقيذ فلا تأكل (والوقيذ المأخوذ من قوله عز وجل والموقوذة وهي التي قتلت بعصا أو حجر أو ما لا حد له يقال وقذته إذا ضربته ضربا)

وأما الصيد باليد فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال مررنا فاستنفجنا أرنبا (أي أثرناها فوثبت) بمر الظهران (وهو مكان على بريد من مكة) فسعوا عليه فلغبوا قال فسعيت حتى أدركتها فأتيت بها أبا طلحة رضي الله تعالى عنه فذبحها فبعث بوركها وفخذيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وفي الشفاء للقاضي عياض بسند يبلغ به عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان عندنا داجن (دواجن البيوت

البيوت مما ألفها من الطير والشاء وغير ذلك) فإذا كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّ وثبت مكانه ولم يجئ ولم يذهب فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب انتهى

وأما الصيد بالآلات قال ابن عطية في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم الظاهر أن الله عز وجل خص الأيدي بالذكر لأنها أعظم التصرف في الاصطياد وفيها تدخل الجوارح وما عمل باليد من فخاخ وشباك انتهى والآلات المعدة للصيد على ضروب من الحيل منها النبل الطاهرة والأشراك المستورة والفخاخ ومنها ما يدس في أماكن مخفية تحت التراب من الحديد المقعر والحجر الوحشية فإذا عطف عليه خطف بعضه أرجلها أو رءوسها فربما قطع أعضاءها حتى لا يمكن بها حراك وإياها عنى الشاعر بقوله

فإن كنت لا أدري الظباء فإنني * أدس لها تحت التراب الدواهيا

ومنها الحفر وغير ذلك

وأما صيد البحر فقد جاء أيضا في كتاب الله تعالى قال تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وقال تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها قال ابن عطية هذا حكم بتحليل صيد البحر وهو كل ما صيد من حيتانه ويراد بالصيد هنا المصيد والبحر الماء الكثير ملحا كان أو عذبا وطعامه قال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وجماعة من الصحابة والتابعين من بعدهم هو ما قذف به وطفا عليه لأن ذلك طعام لا صيد وهذا التأويل ينظر إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقد صيد من البحر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل منه روى مسلم رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله تعالى عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة نتلقى عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يعطينا تمرة تمرة فكنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط (أي ورق الشجر) ثم نبله بالماء فنأكله قال وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر قال أبو عبيدة ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا فأقمنا عليها

شهراً ونصفاً ثلاثمائة حتى سمنّا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينها (بفتح الواو وسكون القاف نقرة العين في عظم الوجنة) بالقلال الدهن ونقتطع منه الفِدَر (أي القطع) كالثور أو كقدر الثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينه وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمرّ من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق (أي شرائح) فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله وكان في عهده صلى الله عليه وسلم السقاء الذي يحمل الماء على ظهره كما كان أيضاً الحمّال على الظهر مطلقاً وهو حمّال روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حثّ على الصدقة يوماً فجاء عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله أربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار وأتى عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر فلمزهما المنافقون (أي عابوهما) وقالوا ما هذا إلا رياء فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم يعني وكان أبو عقيل السقاء جاء بصاع من تمر فقال مالي غير صاعين ملأت بهما الماء على ظهري حبست أحدهما لعيالي وجئت بالآخر فلمزه المنافقون بقولهم إن الله لغني عن صاع هذا

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالصدقة فما يجد أحدنا شيئاً يتصدق به حتى ينطلق إلى السوق فيحمل على ظهره فيجيء بالمدّ فيعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني لأعرف اليوم رجلاً له مائة ألف لم يكن له يومئذ درهم

وأما اللحّام ويسمى أيضاً الجزار والقصاب فقد روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل من الأنصار يكنى أبا شعيب فقال لغلام له قصاب اجعل لي طعاماً يكفي خمسة فإني أريد أن أدعو النبي صلى الله عليه وسلم خامس خمسة فإني قد عرفت في وجهه الجوع وروى البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى أن علياً رضي الله تعالى عنه أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يقوم على بدنه (جمع بدنة وهي ما يجعل في الأضحى والنذر وما أشبه ذلك) وأن يقسم بدنه كلها لحومها وجلودها وجلالها (جمع جل وهو ما يوضع على الدابة لتصان به) وأن لا أعطي الجزار منها وقال نحن نعطيه من عندنا

واما

وأما الطباخ ففي الشمائل للترمذي رحمه الله تعالى عن أبي عبيد رضي الله تعالى عنه (أبو عبيد من موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال طبخت للنبي صلى الله عليه وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع فقال والذي نفسي بيده لو سكت لناولتني الذراع ما دعوت وخرج النسائي رحمه الله في كتاب الوليمة من سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فقال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فقلت يا رسول الله إنما للشاة ذراعان قال لو التمسته لوجدته انتهى فيحتمل أن يكون ما رواه هذان الإمامان قضيتين وقعتا أو قضية فقط أو أن يكون من وهم الرواة فنسبها أحدهما إلى أبي عبيد ونسبها الآخر إلى أبي هريرة وإنما كان أبو عبيد خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يطبخ له وكان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء روى النسائي رحمه الله تعالى عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال كنت أشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطن الشاة وقد توضأ للصلاة فأكل منه ثم خرج للصلاة ولا توضأ

وأما الحفار للقبور فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح (أي يحفر الضريح والضريح شق القبر وسطا واللحد في الجانب) لأهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة فكان يلحد فدعا العباس رضي الله عنه رجلين فقال لأحدهما اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح وقال للآخر اذهب إلى أبي طلحة اللهم خر لرسول الله فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك النجاري الأنصاري وهو مشهور بكنيته شهد العقبة ثم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وهو القائل

أنا أبو طلحة واسمي زيد * وكل يوم في سلاحي صيد

(الفصل الثالث)

(في النساء المعروفات بمعانٍ فيهن وهن الماشطة والقابلة والخافضة والغاسلة والمغنية)

(مهنة الاعمار)

أما الماشطة فهي التي تجمل المرأة وتصلح من أمرها لتحظى بزوجها وقد كانت ماشطة السيدة خديجة رضي الله عنها تسمى زهر قال ابن حجر في ذيل الاستيعاب زهر كانت ماشطة السيدة خديجة أم المؤمنين زوجة سيد العالمين رضي الله تعالى عنها كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيكرمها ويقول إنها كانت تأتينا أيام خديجة ولما أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب بخيبر أو ببعض الطريق كانت كما قاله ابن اسحاق التي جملتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وفي الاستيعاب أن أم سليم بنت ملحان بن خالد ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار اختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رملة وقيل رميثة وقيل مليكة ويقال الغميصاء والرميصاء كانت تحت مالك بن النضر أبي أنس بن مالك في الجاهلية فولدت له أنس بن مالك فلما جاء الله تعالى بالاسلام أسلمت مع قومها وعرضت الاسلام على زوجها فغضب عليها وخرج الى الشام فهلك هنالك ثم خلف عليها بعده أبو طلحة الانصاري رضي الله تعالى عنه خطبها وهو على دين قومه وعلم أنه لا سبيل له عليها إلا بالاسلام فأسلم وتزوجها وجاءت منه بعبد الله بن أبي طلحة الفقيه وروت أم سليم رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وكانت من عقلاء النساء انتهى بتصرف

وأما القابلة فكانت سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم امرأة أبي رافع قابلة مارية أم ابراهيم ولدته بالعالية (كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها فهو العالية وكل ما كان من دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة) في المكان الذي يقال له اليوم مشربة ابراهيم بالقف (شرقي العالية وادٍ من أودية المدينة) فبشر أبو رافع به النبي صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا وكانت أيضا قابلة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي التي غسلت فاطمة رضي الله تعالى عنها بحضور أم عطية الخافضة الآتي ذكرها وشهدت سلمى خيبر وحنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما الغاسلة فقد تقدم أن سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم امرأة أبي رافع قابلة مارية أم ابراهيم غسلت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وأن أم عطية كانت حاضرة معها

وأما الخافضة فهي الخاتنة وكان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أم عطية وهي التي تخفض الإناث روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها أشمي ولا تنهكي

(أي لا تبالي في استقصاء الختان) فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج وأول من ثقبت أذنيها وخفضت من النساء هاجر أم إسماعيل عليه السلام وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وختانها فصارت سنة في النساء وكانت أم عطية رضي الله تعالى عنها من كبار نساء الصحابة تغزو كثيراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوي المرضى والجرحى ولها عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وبعضهم لم يذكرها في الصحابيات وأما المرضعة فكانت أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار هي التي أرضعت إبراهيم بن سيدنا صلى الله عليه وسلم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ساعة وضعته أمه فلم يزل ترضعه حتى مات عندها وهي زوج البراء ابن أوس بن خالد النجاري رضي الله عنه أبو إبراهيم من الرضاع لأن زوجته أم بردة أرضعته بلبنه وقال لها ... وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين وكان ظئراً لإبراهيم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه أي وكانت كنية أم بردة كنيتها أم سيف أشهر وقد تقدم ذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني عشر من المقالة الخامسة

وأما المغنية فهي مسمعة من الغناء بالمد وأصله رفع الصوت بشيء والموالاة فيه مرة بعد أخرى وأكثر ما يساق من صوت أو غيره من نغمة ولحن فلذلك قيل غنت الحمامة وتغنى الطائر قال المجنون

ألا قاتل الله الحمامة غدوة * على الغصن ماذا هيجت حين غنت

وأنشد الفراء

تغن بالشعر إذا ما كنت قائله * إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وليس كل من تغنى بالشعر أو غيره مغنياً إلا من اتخذه صناعة من نساء من الجواري وغيرهن من الرجال الأشعار في بيوتهم في خلواتهم ويترنمون بها لا يقال لهم مغنون ويطلق اسم المغنية على القينة وإن كانت القينة في الأصل الأمة مغنية أو غير مغنية والجمع القيان وفسر بعضهم اللهو في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث بالغناء قال القسطلاني في شرح البخاري قال ابن مسعود وجابر وابن جرير هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات وبه قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير

وقال الحسن انزلت في الغناء والمزامير وعند الامام احمد عن وكيع قال حدثنا خلاد الصفار عن عبيد الله عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابي امامة عبد الرحمن مرفوعا لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن واكل اثمانهن حرام ورواه ابن ابي شيبة بالسند المذكور الى القاسم عن ابي امامة مرفوعا بلفظ احمد وزاد وفيه انزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ورواه الترمذي من حديث القاسم ابن عبد الرحمن عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا انزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وقال حديث غريب انما نعرفه من هذا الوجه قال وسألت البخاري عن اسناد هذا الحديث فقال علي بن يزيد ذاهب الحديث ووثق عبيد الله والقاسم بن عبد الرحمن ورواه ابن ماجه في التجارات من حديث عبيد الله الافريقي عن ابي امامة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المغنيات وعن شرائهن وعن كسبهن وعن اكل اثمانهن ورواه الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثمن القينة سحت وغناؤها حرام والنظر اليها حرام وثمنها مثل ثمن الكلب وثمن الكلب سحت ومن نبت لحمه من سحت فالنار اولى به ورواه البيهقي عن ابي امامة من طريق بمثل رواية الامام احمد وفي معجم الطبراني الكبير من حديث ابي امامة الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رفع رجل بعقيرته غناء الا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يسكت وقول المصنف بعده المضلة عن سبيل الله بغير علم وفي ذلك الزجر الشديد للانسان المعرض عن الاستماع لسماع كلام الله المقبل على استماع المزامير والغناء بالالحان وآلات الطرب واضافة اللهو الى الحديث للبيان بمعنى من لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث او للتبعيض كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه ليضل اي ليصد الناس عن سبيل الله دين الاسلام والقرآن وبغير علم اي جهلا ليضل عن سبيل الله وقال بعضهم الآية [illegible]
قال الغزالي وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله كان حراما انتهى ولعل القول بالتحريم مبني على ما نقل عن الامام [illegible] رضي الله عنه [illegible]

لنا

ولما يعرض فيه من فساد الأخلاق ولما يحصل من المنادمة والمداومة على شرب الخمور لا نظرا للغناء في حد ذاته مع الاقتصاد للترويح عن النفس وكفاك في صحة ذلك أن الغناء صار ديدنا لأكابر الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والأغنياء وأنه أهم من مصالحهم الواجبة إذ به قد ألف في المغنين والمغنيات طبقات وأي طبقات وأطروا في مدحهم على ما تمسه البلوى من حقهم قال صاحب طبقات المغنين في ترجمة سلامة جارية يزيد بن عبد الملك

أقبلت على الجواري وسبت بأطرافها وحسن أترابها وسعت ... سرورها وملأت الصدور سرورها ووصلت إلى قلب يزيد وكان حبه لها يزيد فكان لو خير بينها وبين الخلافة لاختارها أو سوى بينها ولم يترك السهد وأسد أثرها وكانت هي سبب الطعن عليه حتى أخذته الرماح وشدته على مهب الرياح وصارت البغي وسلامة العشق ولم يعمها قول مدنه مثل لذة العرس الا ان هوى حبابة سكن منه فؤاده واشتغل حتى ذهب بابه ثم وهبها سلامة ورضي بها ولم يعطه سلامة قال أبو الفرج أول ما ارتفعت به منزلة حبابة عند يزيد أنه أقبل يوما إلى البيت الذي هي فيه فقام من وراء الستر فسمعها تترنم وتغني

كان لي يا يزيد حبك حينا * كاد يقضي على لما التقينا

(والبيت من الخفيف للأحوص) والستر كان لأبيه فرفع الستر فرآها مضطجعة مقبلة على الجدار فعلم أنها لم تعلم به فألقى نفسه عليها فحركت منه فقال بعضهم لما أكب يزيد على الشرب وسماع الغناء أقبل مسلمة عليه يلومه ويقول له إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في أمور المسلمين والوفود ببابك وأصحاب الظلامات يصيحون وأنت غافل عنهم فقال صدقت والله وأعتبه وهم بترك الشراب أياما ولم يدخل على حبابة فدست حبابة إلى الأحوص أن يقول شعرا في ذلك وقالت إن رددته عن رأيه فلك ألف دينار فدخل الأحوص على يزيد فاستأذنه فأذن له فقال

بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني * ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
وإني وإن فندت في طلب الصبا * لأعلم أني لست في الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي * وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

وحنطت حبابة الأسباب وعملت فيها الحيل وكان يزيد قد أقام جمعة لا يدخل إليه أحد فلما كان يوم الجمعة قالت له بعض جواريها إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني فلما أراد الخروج أعلمتها فلقيته والعود في يدها فغنت البيت الأول فغطى وجهه وقال مه لا تفعلي ثم غنت الأبيات فلما بلغت إلى * فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي * عدل إليها وقال صدقت والله فقبح الله من لامني فيك يا غلام مر مسلمة فليصل بالناس وأقام معها وعاد إلى حاله ويحكى أنها أنشدت يوما يزيد بن عبد الملك

لعمرك إنني لأحب سلعا * لرؤيتها ومن بجنوب سلع

ثم تنفست تنفسا شديدا فقال لها أنت في ذمة أبي لئن شئت لأنقلنه إليك حجرا حجرا فقالت وما أصنع به ليس إياه أردت إنما أردت ساكنيه قال المدائني كانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال أطير فتقول إلى من تدع أمور المسلمين فيقول إليك وقال ابن حبابة غنت يوما فطرب يزيد ثم قال لها هل رأيت أطرب مني قالت نعم مولاي الذي باعني فغاظ يزيد ذلك وكتب في حمله مقيدا فلما قدم أمر بإدخاله إليه فأدخل يرسف في قيده وأمرها أن تغني فغنت

تشط غدا دار جيراننا * وللدار بعد غد أبعد

فوثب يرسف حتى ألقى نفسه على الشمعة فأحرقت لحيته وجعل يصيح الحريق الحريق فضحك يزيد وقال لعمري إن هذا لأطرب مني وأمر بحل قيوده ووصله بألف دينار ووصلته حبابة فلما ورد المدينة قال بعضهم قد كان يزيد حقيقا بأن يضرب عنقه فقال زعموا أنه لم يصل إلا بعد أن يكلمه شيئا ولم أر من ذلك ثم قال ابن معين إذا كان العدل لا يعرف شيئا ولا يأتي بكتاب وصلاح إنه فأما لنا أكلان فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت فأقام لا يدفنها ثلاثة أيام حتى أنتنت ومنع من الأكل والشرب وخطاب الناس وجعل يقبلها ويرشفها فعاتبه أقرباؤه وقالوا قد صارت جيفة بين يديك ولم يزالوا به حتى أذن لهم في دفنها وأمر فأخرجت في نطع وخرج لا يتكلم حتى جلس على قبرها وقال أصبحت والله كما قال كثير

فإن تسل عنك النفس أو تدع الصبا * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل زارني فهو قائل * من اجلك هذا هامة اليوم أو غد

فما أقام إلا خمسة عشر يوما حتى مات ودفن إلى جانبها وروى المدائني أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنها فأمر بنبشها ونبشت وكشف عن وجهها وقد تغير تغيرا قبيحا

فقيل له اتق الله ألا ترى كيف صار فقال ما رأيت واعظا أحسن من هذا الو
أمر جوفها شاء فسلمه وجوده ودومه وأهله لم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك وقد وقف
انتهى كلام الغزالي ببعض تصرف وانظر الفرق بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن
الوليد القائل لأصحابه يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم
المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء
فإن الغناء داعية الفجور وبالجملة فإذا رأيت الرجل ذوقه ووجده وشوقه في سماع
الأبيات دون سماع الآيات وفي سماع الألحان دون سماع القرآن فهذا أقوى
دليل على أنه مغرور وروده له أصلا على فراغ قلبه من محبة كلام الله

فإن كان هذا حال الغناء والسماع وما يترتب عليه من فساد الطباع فكيف لا ينعقد
على حرمته الإجماع وبالجملة فالكرمة في الغصب من غناء وغيره محرمة لما يترتب عليه
من المحارم وما يمنع منه من الميل عن سنن المكارم

وأما سماع أهل الله السادة الصوفية الخالصين من شرك النفس وهواها فلا يرد
عليهم ما يرد على غيرهم من أهل الغفلة من الشهوة البشرية والميل إلى الغواني والخواطر
الشيطانية وإنما هو منشط ومقو لهم على السلوك إلى الله تعالى وربما قطعوا به
المسافات البعيدة في السلوك التي لا يقطعونها في زمن طويل لو قالوا وربما عرض للسالك
عقبة في سلوكه فلا يقطعها إلا بالسماع وقال الشيخ زين العابدين البكري الصديقي
رضي الله عنه وعن أصوله

هاموا فوالى وهاموا بعد إقبال * فكل ساعة طرب منه لنا أحوال

وقال بعضهم إذا فاز السماع إلى الوجد كان كفار الصلاة إلى النية وكما لا تصح الصلاة
إلا بالنية والقصد كذلك لا يباح السماع إلا بالوجد فمن كانت حركته في السماع
طبيعية كانت شهوانية وإنه الأمر أن كثيرا من الحيوان بطبعه حال غير المعتاد عند
سماع المطربات وتقوم حركته لسماع طيبات النغمات حتى كان هذا السماع الحيواني
في ذلك أقصى أربه كان مقصورا همه على لهوه ولعبه وهو سماع الطبيعة فهو غير مباح
والسماع الذي له طلب به الأذواق إنما هو سماع أهل المقامات والأحوال فمنهم
من أباحه على حكم الاختصاص ومنهم من جعله من رتبة الخواص ومنهم من توقف
ولم يعدا إلى إمامة الدليل على كلا أمريه ساقطا ورأى الاحتراز منه إذا قدر له الحضور

فيه اختيارًا فهو مردود في أمره فتركه أمثل ذلك أولى ولم يعترض على من حضره من
السلف لكن لم يرتضه بحضوره أهلًا وأنشد

إذا حرك الوجد السماع الكريم * يباح وإلا فالسماع حرام
ومن هزه طيب السماع بحسكم * ومال من الأشواق ليس يلام

وقد يقال نظير ذلك في الرقص فإن كان لا واحدًا أبيح
ومع هذا ينبغي أن لا يتخذ ذلك على أنه لا يقصد كان له موجود في عهده صلى الله
عليه وسلم روى مسلم رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء حبش يزفنون
(أي يرقصون) في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فوضعت رأسي
على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرف من النظر إليهم وقيل إن
الزفن هو رقص الحبشة وهو لعبهم وفرحهم بحرابهم لا الرقص وإن قال بعضهم إنه الرقص
بالدف لأن هذا لا يصح في المسجد بخلاف اللعب بالحراب للتمرس على الحروب فإنه
لا يضر وروى مسلم أيضًا رحمه الله تعالى أن أبا بكر الصديق دخل عليها وعندها
جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان بالدف ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى
بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقال
دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد انتهى والدف هو الذي تسميه الناس الطار وهو المستعمل
الآن عند المغنين في الأعراس وفيه قطع من الصفر مستديرة تتحرك في جانب دورة
يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها ببعض صوت وجلجلة وقد كانت العرب تعمل
في دفوفها الجلاجل وأنشد الأصمعي في كتابه في الجلاجل يردد مخاطبة الحارث بن
عبد الله بن ربيعة المعروف بالقباع وكان قد أمر صاحب شرطته إذا ابن حصين بهدم
داره من أنه كان يلعب في الأعراس

أحارث داري مرتين هدمتها * وأنت ابن أخت لا تخاف غوائله
أتحسب قلبي حار من تحابه * إذا دق به جلاجله

وقد ذكر ذلك الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب آداب السماع من كتاب الإحياء عند ذكر
الآلات التي يباح استعمالها في الغناء منها الدف قال وإن كان فيه الجلاجل ولا نعلم

مثل الدفوف التي كانت الجواري يضربن بها في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فهل يلتحق بها أم لا وإنما يحصل من إجازة الغزالي استعمال ما فيه الجلاجل من الدفوف ثبوتها أنه ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا أباح استعمالها وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث (يوم حرب يوم بين الخزرج والأوس كان الظهور فيه للأوس) قالت وليستا بمغنيتين (أي ليس الغناء صناعتهما) فقال أبو بكر أبمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا انتهى

وأخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كانت الحبش يرقصون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون محمد عبد صالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يقولون قالوا يقولون محمد عبد صالح وأخرج البخاري رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمنا بني أرفدة يعني من الأمن قال الزركشي رحمه الله تعالى أرفدة بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الفاء وكسرها أشهر جد الحبشة وفي الصحاح قال أبو عمرو بنو أرفدة جنس من الحبوش كذا في أزهار العروش للعلامة السيوطي ونقل العلامة أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه تنوير الغبش عن أبي عوانة عن أبي بشر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رأيا الحبشة وهم يلعبون ويقولون شعرا

يا أيها الضيف المعرج طارقا * لولا نزلت بآل عبد الدار
لولا نزلت بهم تربد قراهم * منعوك من جهد ومن إقتار

وأما ضرب الدف وأغاني النكاح فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو وروى النسائي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال أنكحت

فأتيه رضي الله تعالى عنها ذات قرابة لها رجلا من الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديتم الفتاة ألا بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم وروى النسائي عن عامر بن سعد قال دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الانصاري في عرس واذا جوار يغنين فقلت انتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر يفعل هذا عندكم فقالوا ان شئت فاجلس واسمع معنا وان شئت فاذهب قد رخص لنا في اللهو عند العرس

وأما الشيء الذي تلقي به النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر فقد ذكر الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب آداب السماع من الاحياء قول الذين أباحوا الغناء وحجتهم قال ويدل على هذا من النقل إنشادهم بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

قال الامام الغزالي وقد نقل أبو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة وقال وقد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابع باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الايام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية انتهى ولا يخفى ان عبد الله بن جعفر كان كثير السماع حتى قيل انه لم يكن في الاسلام أسخى منه وبهذا سمي بحر الجود وكان طرفا مما جمعه ما حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه وابن سيرين انه كان لا يرى بسماع الغناء بأسا وكان اذا قدم على معاوية أنزله داره وأظهر له من بره واكرامه ما يستحقه وكان ذلك يغيظ زوجة معاوية فتنقصه لديه انه يسمع الغناء فجاء عبد الله بن جعفر يوما الى معاوية فقالت تعال فاسمع ما في منزل هذا الرجل الذي جعلته من لحمك ودمك فجاء معاوية فسمع وانصرف فلما كان

في

فى آخر الليل يرجع صوته بقراءته سبحان الله من سمع قرآنا أسمع ما أشهى وقال الاصمعى مكان ما أسمعنى أشهى

ثم قال الامام الغزالى بعد ذلك ونقول بعد دلالة النص والقياس جميعا على اباحته
أما القياس فهو ان الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى ان يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها
فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه
صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار
والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث
انه طيب فلا ينبغى ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو انه يرجع الى
تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل
حاسة ادراك وفى مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة النظر فى المبصرات الجميلة
كالخضرة والماء الجارى والوجه الحسن وسائر الالوان الجميلة وهى فى مقابلة
ما يكره من الالوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهى فى مقابلة الانتان
المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهى فى مقابلة
المرارة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهى فى مقابلة الخشونة والضراسة
وللعقل لذة العلم والمعرفة وهى فى مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الاصوات المدركة
بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير
وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها وأما النص فيدل
على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده إذ قال يزيد فى الخلق ما يشاء
فقيل هو الصوت الحسن وفى الحديث ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله
عليه وسلم لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته وفى
الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت فى النياحة على
نفسه وفى تلاوة الزبور وقال صلى الله عليه وسلم فى مدح أبى موسى الاشعرى لقد أعطى
مزمارا من مزامير آل داود

وقال بعض الحكماء فضل الناطق على الاخرس والانسان المقوس على

القطعة من النفس ومن كلام بعضهم الغناء يحرك القوى الساكن ويسكن القوى المتحرك وفي كلام بعضهم الصوت الحسن يوصل الى نعيم الدنيا والآخرة لانه يونس الوحيد ويروح القلب ويسلي الكئيب ويحض على الشجاعة واصطناع المعروف قال افلاطون هذا العلم يعني علم الموسيقى لم تضعه الحكماء للهو واللعب بل للمنافع الذاتية ولذة الروح الروحانية وبسط النفس وترطيب اليبوسات وتعديل السوداء وترقيق الدم ويعين على التعليم والالحان بالغناء لان النفس تستغني به من الملاذ البدنية في حال سماعه وقال بعضهم

غنى معي بعض شجو * فزاد منه خضوعي

وحين أطرب سمعي * قطعته بدموعي

وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القرآن للزمه ان يحرم سماع العندليب لانه ليس من القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن

ثم قال السماع في اوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في ايام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لاجل اظهار السرور به ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جازت اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشاد النساء على السطوح بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع البدر علينا الخ فهذا لاظهار السرور بقدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا (أي رقصوا) في سرور أصابهم وقدمت جارية يوما فاجتمعوا بعدما حبسهم وسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولم ينكره عليهم ذكره ابو عمر بن عبد ربه في العقد الفريد

يزيد حدثني عبد الله بن أبي أويس ابن عم مالك رحمه الله تعالى قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل فارع (أطم حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه سمي بذلك لعلوه وارتفاعه والأطم بضم الهمزة والطاء الحصن) وهي تغني وتقول

هل علي ويحكما * إن لهوت من حرج

فقال صلى الله عليه وسلم لا حرج إن شاء الله وذكر الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله تعالى هذا البيت في رسالته وزاد معه بيتين وقال إن بلالا أنشدهما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أتلف قلبي لها * عارضان كالسبج
أدبرت فقلت لها * والفؤاد في وهج
هل علي ويحكما * إن لهوت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وفي توجيه تشبيه العارضين بالسبج وجهان الوجه الأول أن يكون أراد عارضي نفسه وأن المرأة لما رأت سوادهما استقبحته وشانه فأدبرت ويدل عليه قول الشاعر

قالت أسود عارضاك بشعر * وبه تقبح الوجوه الحسان
قلت أضرمت في فؤادي نارا * فعلى عارضي منه دخان

وبين أبو تمام العلة في ذلك بقوله

أحلى الرجال من النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

والوجه الثاني أن يكون أراد ما أرسلته هذه المرأة على عارضيها من شعر صدغيها فذكر العارضين وأعار يده ما عليهما من الشعر ووصف ما ترسله النساء من شعر أصداغهن على عوارضهن بالسواد أمر معروف ولذلك شبهه الشعراء بالسبج فمن تشبيهه بالسبج قول الشاعر

وجه كأنه عاج صور فترى * على عوارضها صدغين من سبج

وقال بعضهم

في خدها ماء الشبيبة جائل * مترقرق في وجنة من نور

وكأن صدغيه على صفحاتها * ثعبان مسك ظل يلسع عنبرا

وأشار معشيهما بالعيون الى خضرتهما وقد حصل ذلك منهما كثيرا كما قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في معذر اخضر عذاره

ولما التقى الساحران ذا الحسن واللحظ * من الخد والاسنان والصدغ ذي العوج
أتاح لنا الساري زمرده سحرها * فسم به مقلة الملاحة والزوج

وانما حصل عيونهما زمردتا لانها كالشعر زمردة وقد صرح بذلك في قوله أيضا في مليح ازرقة العينين

ماشانها والله زرقة عينها * بل صار ذلك زيادة في زينها
كادت أساود شعرها تسطو على * عشاقها لولا زمرده عينها

وأشار هنا الى قول أصحاب الخواص ان الحية اذا نظرت الى الزمرد العاشق اعمات عيناها
وتمام ما من سندية بالعقارب قول بعضهم

وعاشقه لم تشف من حسدي سوى * دماء ولا تسقي الدماء لما أرى
على وجه دراعه زيان ماثلا * وفي معطفها ماسا زال نطاهرا

وقول بعضهم

ولما التقينا عند الوداع ولا ترى * وقد أسقط الأنس ما في يدي
رأيت المواضح منها البدور * عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خدي
تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجي الأبعد
وتحمي عن الورد أن يجتنى * فقد أمن الورد من مهتدي

وقد تقدم أيضا من نحو النبي صلى الله عليه وسلم عن اذنه لسماع أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها روى النسائي رحمه الله تعالى عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة تعرفين هذه قالت لا يا نبي الله قال هذه قينة بني فلان تحبين ان تغنيك فغنتها

وقيل إن عطاء بن أبي رباح كان يأمر جوارية بعض أصحابه فتغنيهم قال الشافعي

واما

وأما ما نقل في بعض كتب الفقه من أن فقيه الحجاز ذا الأوصاف الملاح أبا محمد عطاء بن أبي رباح يقول في مرض كان يرى إباحة وطء الجواري بإذن أربابهن ومن أنه كان يبعث جواريه إلى ضيفانه فقد قال بعض أهل العلم الذي أعتقده أن هذا بعيد فإنه لو رأى الحل كانت الغيرة تأبى ذلك فكيف يظن هذا بمثل ذلك السيد الإمام وينبغي أن يحمل على بعث الجواري لسماع القول منهن على تقدير صحة ذلك وقريب من هذا ما نقل عن بعض الصوفية في باب السماع أنه كان أمر جواريه أن يغنين أصحابه عند اجتماعهم وهذا أيضا فيه وإن صح فينبغي أن يحمل على ما إذا لم يخش منه فتنة بحضورهن وسماع أصواتهن إذا قلنا إن صوت المرأة ليس بعورة وكان في زمان بني أمية يأمرون في الحاج صائحا يصيح لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح وقال أبو حنيفة ما رأيت أفقه منه وقال ابن جريج كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة وكان من أحسن الناس صلاة وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالى

وهذا القدر من سيرته الشريفة صلى الله عليه وسلم كاف في التبرك بذكره الشريف وفي الدلالة على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وشريعته أفضل الشرائع وأمته أكرم الأمم وعلماؤها أكرم العلماء وأما حصر فضائله ومعجزاته وما خصه الله به في الدنيا والآخرة وأعده له فلا سبيل لأحد إليه ولا يقوم بأداء شكره عليه ولا يعلمه إلا الله تعالى اللهم أدخلنا في شفاعته وأمتنا على ملته واحشرنا في زمرة علماء أمته ووفقنا إلى العمل بطاعتك ولا تحرمنا بركة ذاته فإنا متوسلون بذلك إليك ومتوكلون في غفران الذنوب عليك إنك جواد كريم رؤوف رحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء الذي كان أشد حياء من العذراء ولم يطق بالجود والفحشاء وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا ذاته واعتصموا بحبل الله وتمسكوا بكتابه

(يقول ملتمس الشفاعة ... على ... رفاعه ناظر قلم الترجمة والطبع وكاتب بديوان عموم المعارف وعلى مؤلف هذه السيرة النبوية أظله الله بظل رحمته الوارف)

نحمد من أخلص سرائر سالكي رضوانه وخص سيرنا بحب نبيه المصطفى عليه وعلى آله وأصحابه وافر صلواته ووافر تسليماته فقد كان تمام إنهاء الإتمام في سيره

ما كان اختيار المؤلف المغفور له بمنه سبحانه وتعالى برضاه الصمدانى عن روح
ومهجة عصرى الحفناى المرحوم السيد رفاعه بك رافع أسكنه الله الجنة بشفاعة
جده صلى الله عليه وسلم وبركة العلم النافع ثم ان لولده هذا الضعيف أن يبدى
للمطلع بعض تعريف وهو أن هذا الكتاب وكتاب المرشد الأمين فى تربية
البنات والبنين كان الوالد قد أتم تسويدهما رحمه الله ولم يزل يصحح ما يلزم طبعه
منه أولا فأولا الى ان استأثر الله برحمته مولاه فكان إتمام سائر ما بقى فى عهدة
التصحيح من الأقدام عند المرتبة الرابعة والستين من هذه السيرة النبوية عند قوله الغصن
الناعم فى طواهر السنة الناسخة وما فيها من روايته عليه الصلاة والسلام فلم آخذ
فى تتميم أمرها بلائم وبذلت ما بقى من مسودة هذه وتصحيحها جهدى وإنما قصدت
بذلك بر الوالد ودوام الحق الدائم ولم أصرح بنسبة ذلك الى الا لكون عهدته على
خوفا على اسمه الشريف من أن ينسب اليه من بعده سواء أصاب أم أخطأ بسـ
هذه ما أو بحره لاسيما وقد قوى عزمى على ذلك الشروع لى من نظارة ديوان
المعارف المصرية بأن أكون على قدم الوالد فى نشر هذه الآثار العصرية وحيث
كانت هذه السيرة النبوية جزأ من التاريخ المسمى بأنوار توفيق الجليل فى تاريخ مصر وتوثيق
بنى إسماعيل الذى كان قد شرع الوالد فى تأليفه بأمر حضرة ولى النعم الخديو المعظم
وطابق اسمه مسماه ... توفيقه وأنه باسم صاحب الدولة ولى العهد حفظه الله
وحرس علاه فأبتهل الى الله بنفس لارادته الالهية خاضعة فى أن توفق الاعتام
الى أن تستمر على آفاق هذه الخديوية المصرية تاريخ عباس آثارها العصرية
بدور أسفاره الساهرة الساطعة وقد تم طبع هذه السيرة من تاريخ توفيق الجليل
جزآن الجزء الأول منهما تم بالمطبعة الخديوية الكبرى وثانيهما وهو هذا
الجزء تم بمعرفة ديوان عموم المعارف الجليل الثانى ثم انا وفقنى الله للاعتمام وكما قد
براعة المطلع تكون براعة الختام تشوق لى أن ألتمس من نظارة المعارف العمومية
أن تساعدنى فى الطبع بالمطبعة الكبرى الخديوية عما يقتضى اتساع الأمر
الكريم الأول الذى كان الوالد رحمه الله اعتمده على طبع هذا التاريخ وعوّلنا
له كون الأجزاء الباقية تابعة للجزء الأول المذكور الذى كان قد طبع فى المطبعة
الكبرى ذات الحسن المشهور وأما هذه السيرة التى هى عبارة عن الجزء الثانى من
ذلك الكتاب فقد أن صدرت طبعها على حدتها فى مطبعة المدارس لما حوته فى سيرته

صلى

محمد صلى الله عليه وسلم من أعجب العجاب وقد كان ذلك بأمر سعادة الأمير الأصيل ره المعارف السابقه والخدمات الوطنيه النافعه الذى حلاه حب الوطن ذكر لا يخفى وطالما طارت أعماله الجليله فى غرس منافع المدارس المباركه صلاحا وكثمه المعروفى مراياه العليه فلا مزاحم ولا مشارك سعاده مدير المدارس الاسبق على باشا مبارك هذا ومن تمام شكر النعم الواجبة الثابت الثناء الجميل على حضرة ناظر المدارس الحالى صاحب الفضل الرفيع والشرف الباذخ سعادة محمد باشا ثابت حيث هو يطالع الآن نص العبارة المرقومة وملاحظ الكتب العجاب ومرجحه أفكار هالحلله للمصدر ما يرام تحريره من موادها المطبوعات كسائر ما تحت نظاره سعادته فى الديوان المذكور من فروع وأصول الادارات وبالجمله فمآثرنا على جميع من سلف هو فى الحقيقه ناطق بلسان الحال على دار ادراته كافه وعموما وانها بفكر أوائه سيادة وعموما حضرة الخديو المعظم والدوار الافخم ولى النعم (أفندينا اسماعيل باشا)
أدام الحق سبحانه وتعالى وجوده وخلد فى الخديويه المصريه
فضله وجوده ورفع بالنصر المؤيد والفوز المؤبد
راياته وبنوده وكبد بغيره المشيد حسوده
بخاتم المرسلين عليه وعلى آله
وأصحابه أفضل صلاة وأتم
سلام ما طاب مؤمن
بحسن الختام
آمين
تم

(طبع)
(بمطبعة المعارف الملكيه تحت نظاره قلم الروضه والمطبعة وكانت سنه ١٢٩١)
(من الهجره النبويه على صاحبها أزكى السلام وأسنى التحيه)